ستيفن كينغ

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

الهاتف الجوال

رواية

النبضة

١

بدأت الظاهرة التى ستعرف فيما بعد باسم النبضة فى الساعة الثالثة والدقيقة الثالثة من بعد ظهر الأول من أكتوبر حسب توقيت الساحل الشرقى . كان هناك خطأ بالطبع فى هذه التسمية . إلا أنه فى غضون عشر ساعات بعد ذلك الحادث كان معظم العلماء القادرين على تبين هذه الظاهرة إما قتلى أو مجانين . وعلى أية حال فلم تكن هناك أية أهمية للاسم وقتذاك . فما كان مهما هو تأثير تلك الظاهرة .

فى تمام الثالثة من ذلك اليوم ، كان هناك شاب بلا أهمية تذكر فى مسار التاريخ - يسير وهو يكاد يطير فرحا عبر شارع بوليفستون فى بوسطن - اسمه كلايتون ريدل . ارتسم على محياه تعبير رضا تام يتناسب مع خطواته المختالة هذه . فى يسراه حقيبة رسام ، من النوع الذى يمكن أن يتحول إلى حقيبة سفر . أما يمناه فحملت حقيبة تسوق بلاستيكية بنية اللون ، مطبوع عليها اسم المتجر " كنوز صغيرة " لمن قد يهمه أن يقرأه .

بداخل الحقيبة البلاستيكية التى كانت تتمايل هى الأخرى شيء مستدير صغير . لقد خمنتم الآن أنها هدية . وأنتم مصيبون فى ذلك . بل قد يذهب بكم التخمين لدرجة القول بأن كلايتون ريدل هذا ليس سوى شاب يود أن يحتفل بنصر صغير (أو ربما لم يكن صغيراً إلى هذا الحد) حققه بهدية ابتاعها ، والتى ربما تكون كنزاً صغيراً حقاً ، وها أنتم على حق ثانية .

إلا أن ذلك الشيء كان ثقالة ورق من الكريستال غالى الثمن . وفى لبها سديم رمادى لزغب نبات الهندباء . لقد ابتاعها فى طريق عودته من فندق كوبلى سكوير متوجهاً إلى ذاك الفندق المتواضع الذى يقيم فيه بشارع أطلانطيك . وهو متهيب من بطاقة السعر المدون عليها رقم التسعين دولاراً ، وربما كان أكثر تخوفاً بسبب تبينه أنه قد أصبح الآن قادراً على شراء مثل هذه الأشياء .

تطلب الأمر منه شجاعة كبيرة قبل أن يقتنع بأن يسلم بطاقته الائتمانية للبائع . لم يكن متيقناً من أنه كان سيفعل لو أن ثقالة الورق هذه كانت له هو ؛ وقتها كان سيتمتم للبائع بأنه قد غير رأيه . وينسل سريعاً خارج المحل بعدما عرف سعرها . إلا أنها كانت لـ " شارون " . وشارون تحب مثل هذه الأشياء . كما أنها تحبه . لقد قالت له قبيل أن يغادر إلى بوسطن : " سأتشوق إليك ، يا حبيبى " . كم كان هذا جميلا ، وكم أثرت فيه هذه العبارة الرقيقة ، خاصة بعد كل ذلك الهراء الذى دار بينهما العام الماضى . وهو يريد الآن أن يداعب مشاعرها بهذه الهدية ، لو كان هذا لايزال ممكناً . كانت ثقالة الورق هدية صغيرة (كنزاً صغيراً) ، إلا أنه كان متيقناً من أنها ستحب ذلك السديم الرمادى فى منتصفها ، وكأنه ضباب مأسور داخل الكريستال .

٢

لفتت أجراس عربة الآيس كريم انتباه كلاى . كانت تقف فى الجهة المقابلة لفندق الفور سيزونز ، والذى كان أضخم بكثير من فندق كوبلى سكوير ، وإلى جوار ساحة بوسطن العمومية ، والتى تمتد بطول بوليستون لبنايتين أو ثلاث من

هذا الجانب من الشارع . كانت عبارة مستر سوفتى مطبوعة فوق ألوان قوس قزح التى تحيط بزوج من مخروطى الآيس كريم . تجمع ثلاثة صبية عند نافذة العربة ، وحقائب المدرسة عند أقدامهم ، منتظرين الآيس كريم . وخلفهم وقفت سيدة ترتدى بذلة وفى يدها سير جلدى ينتهى عند رقبة كلب من فصيلة البودل . ومعها بنتان مراهقتان ترتديان الجينز خفيض الوسط وسماعات الآى بود تنسدل حول عنق كل منهما حتى يستمعا ويغنيا معا بكلمات الأغنية التى تصدح من الجهاز بكل جدية .

وقف كلاى خلفهم . ليصنع من الكل طابوراً قصيراً أمام العربة . لقد ابتاع لزوجته هدية ؛ وسوف يمر على محل كوميكس سوبريم ليبتاع لولده العدد الجديد من مجلة الرجل العنكبوت ؛ وما المانع من أن يكافئ نفسه هو الآخر . لقد كان متحرقاً لأن يخبر شارون بالخبر السعيد ، إلا أنه لن يتمكن من ذلك حتى يعود إلى المنزل ، بحلول الرابعة إلا الربع أو قرابة ذلك . رأى أن يبقى فى الفندق حتى يتحدث معها على الأقل ، يقطع أرجاء الغرفة جيئة وذهاباً ، ونظراته لا ترتفع عن حقيبة الرسم . لكنه الآن مشتت الذهن بسبب ذلك الآيس كريم .

قدم البائع للصبية الثلاثة الآيس كريم ، وإن كان حجم أحدها يدل على أن هناك من بينهم من دفع أكثر لينال ذلك المخروط الضخم الحاوى للشيكولاتة والفانيليا . وبينما كان يبحث بين جيوب سرواله الجينز الواسع عن الدولارات ، أخرجت السيدة التى يصاحبها البودل من حقيبة يدها هاتفها المحمول ـ فالسيدات من هذه النوعية لا يغادرن المنزل من دون شيئين : الهاتف المحمول وبطاقة البنك الائتمانية ـ وفتحت هاتفها المحمول . من خلفهم فى المتنزه أتى صوت كلب ينبح ورجل يصيح ، لم تبد الصيحة لكلاى صيحة عادية ، ولكنه حينما التفت تجاه مصدرها لم يجد سوى بضع عربات ، بينما

هناك كلب يهرول وفى فمه قطعة فريسبى ، تساءل : " أليس من المفترض أن يكون مقيدا إلى سلسلته هناك ؟ " ، ومن ورائه أفدنة من الخضرة المشمسة وقاع من الظلال الجذابة . بدا له مكاناً مناسبا جدا لرجل نجح للتو فى بيع أولى رواياته المصورة والأجزاء التالية لها أيضا ، وبمبلغ محترم من المال حتى يستريح ويأكل مخروط آيس كريم من الشيكولاتة .

حينما عاد بنظره تجاه العربة كان الصبية الثلاثة قد رحلوا . والسيدة تطلب النوع الذى تحبه من الآيس كريم ، علبة مقفلة تحوى الشيكولاتة المثلجة . كانت إحدى الفتيات خلفها تعلق هاتفها المحمول وردى اللون عند خصرها . بينما كانت السيدة قد علقته عند أذنها . رأى كلاى كما يخطر له دوما حينما يرى تنويعات من هذا السلوك أنه يشاهد منظراً كان يعتبر فى يوم من الأيام جرأة لاحد لها . أما الآن فقد أصبح جزءا من السلوكيات اليومية .

كانت شارون تقول له دوما بأن عليه أن يمتلك واحدا منها . كانت تقولها بنبرة اعتاد أن يسمعها منها كثيرا . كان هذا يليق بشارون التى يعرفها ، سواءً انفصلا أم لم ينفصلا . على أنه لم يكن يسمعها منها عبر هاتف محمول . فهو لا يمتلك واحدا .

كانت النغمة التى بدأت تصدر من ذلك الهاتف وردى اللون تخص بدايات إحدى أغنيات فرقة Crazy Frog التى يحبها " جونى " . هل كان اسمها " Axel F " ؟ لم يسع كلاى أن يتذكر ، ربما لأنه قد طرد الفكرة من ذهنه سريعا . سرعان ما التقطت الفتاة الهاتف وهى تقول : " بيث ؟ " . انصتت للطرف الآخر ، قبل أن تبتسم وهى تقول لرفيقتها ، " إنه بيث " . عندها اقتربت منها الفتاة الأخرى ليستمعا معا ، لاحظ أن لكلتيهما تصفيفة الشعر غريبة الأطوار ذاتها . (بدا لكلاى

أنهما أشبه بشخصيات الكرتون التى يشاهدها أيام الأحد . أقرب إلى شخصيات حلقات " فتيات جاسوسات " ربما) .

قالت السيدة ذات البذلة فى ذات اللحظة : " مادى ؟ " . كان كلبها يقبع فوق سيره الجلدى . وكان السير أحمر اللون مع لمعان يتناثر فوقه متأملا السيارات المارة فى شارع بوليستون . وعبر الشارع ، عند الفور سيزونز ، وقف حارس الفندق ذو الزى البنى - دوما ما يكون بنيا أو أزرق - يلوح بيده ، ربما مستدعيا سيارة أجرة . ومرت بالشارع حافلة ضخمة تقل سائحين ، بدت غريبة عن المكان بكل حجمها هذا ، بينما السائق يصيح عبر مكبر الصوت وهو يشرح فيما يبدو ملمحاً تاريخيا ما . كانت الفتاتان المنصتتان إلى الهاتف تبتسمان إلى بعضهما البعض بسبب شيء سمعتاه ، إلا أن ذلك لم يبلغ حد الضحك بعد .

" مادى ؟ هل تسمعنى ؟ هل . . . . . "

جذبت السيدة مقبض سير الكلب الجلدى لأعلى حتى تضع إصبعا من أصابعها طويلة الأظفار داخل أذنها الأخرى حتى تستطيع سماع الصوت الصادر من الهاتف على الأذن الأخرى . أجفل كلاى خوفا على طبلة أذنها من هذا الظفر . تخيل نفسه يرسمها : الكلب فى هذا القيد ، وحلتها الغريبة هذه ، وشعرها القصير . . . بينما خضب الدم إصبعها داخل أذنها . كانت حافلة السائحين تخرج للتو من كادر المشهد الذى يراه وحارس الفندق لايزال فى خلفيته ، إنها تلك العناصر الصغيرة التى تضفى على أى رسم حيويته . فهى أشياء تألفها العين .

" مادى ، الصوت متقطع ! كنت أريد أن أقول لك بأنى قد قصصت للتو شعرى على غرار الموضة الـ . . . . . شعرى ؟ . . . شعـ . . . "

www.rewity.com ARAYAHEEN

قدم لها البائع الواقف داخل عربته علبة الآيس كريم التى كان يتبدى منها جبل صغير من الشيكولاتة وسائل الفراولة على سفحه . لم يبد على وجهه غير الحليق أى تعبير . كأنما اعتاد أن يقابل مثل هذه الشخصيات كل يوم . وكان كلاى متيقناً من أنه هو الآخر لا يجد فى كل هذا شيئاً جديداً . كان بالمتنزه شخص يصرخ . فالتفت كلاى مجدداً . وقد خطر له أنها ليست بصرخة بهجة على الإطلاق . إلا أنه فى ظهيرة مشمسة كهذه ، وفى تمام الثالثة ، وداخل المتنزه العمومى لبوسطن ، فلابد أن يكون منبع أية صرخة هى البهجة وليس غير ذلك .

تمتمت السيدة بكلمات غير مفهومة لمادى عبر الهاتف ، قبل أن تغلق غطاءه بحركة متمرسة من رسغها . أعادته إلى حقيبة يدها ، ثم اكتفت بالوقوف فى مكانها ، كما لو أنها نسيت كل شيء كانت تفعله قبل المكالمة . أو حتى المكان الذى تقف فيه .

قال لها البائع وهو لايزال يمسك فى صبر علبة الآيس كريم : " أربعة دولارات ونصف " . خطر لكلاى أن كل شيء قد صار غالى الثمن فى المدينة . وربما كان هذا هو نفس ما خطر للسيدة أيضاً . أو هكذا خمن فى البداية فقد وقفت للحظات من دون أن تحرك ساكناً ، مكتفية بالتحديق فى العلبة كما لو أنها لم تر شيئاً مثل هذا من قبل .

بعدها أتت صرخة أخرى من ناحية المتنزه ، لم تكن صرخة بشرية هذه المرة ، بل كانت شيئاً يتراوح بين العواء المندهش والعويل المتألم . ومن جديد التفت كلاى ليشاهد الكلب الذى كان يهرول بقطعة الفريسبى . كان كلباً بنياً كبير الحجم ، من النوع الذى يحتاج عند رسمه إلى نسخة من كتاب خاص . بينما وقف رجل يرتدى حلة رسمية يجثو على ركبتيه إلى جواره وهو يقبض على رقبة الكلب بقوة . وبدا ـ وهو ما أدهش كلاى ودفعه

إلى الاعتقاد بأنه يحلم ـ كأنه يحاول قضم أذنه . عوى الكلب من جديد وهو يحاول أن يتملص من قبضة الرجل . لم تفلت قبضتا الرجل رقبة الكلب . ورأى كلاى أذن الكلب وقد صارت بين أسنان الرجل . ورآه وهو ينتزعها بأسنانه انتزاعاً . هذه المرة جاءت صرخة الكلب أقرب إلى صرخة بشرية . ومعها طار عدد من بط البركة الصغيرة فزعاً .

صاح أحدهم من خلف كلاى صيحة جمعت بين الدهشة والغضب والامتعاض .

عاد ليستدير ناحية عربة الآيس كريم ليجد السيدة وهى تحاول بكل قوتها أن تجذب البائع إلى خارج عربته عبر النافذة . نجحت فى أن تتشبث بحلته البيضاء ، إلا أن تراجعه المدهش إلى الوراء كان كافياً لأن يفلت بنفسه من قبضتها . علا كعبا حذائها عن الرصيف لثوان ، وسمع احتكاك ملابسها وأزرار سترتها مع بروز النافذة . بينما سقطت علبة الآيس كريم . رأى كلاى مسحات منه على رسغ وساعد السيدة الأيسر بينما عاد كعبا حذائها إلى الرصيف ثانية . تمايل جسدها مع انثناء ركبتيها . كانت تعبيرات وجهها الجادة غير المبالية التى رآها عليها فى البداية قد تحولت الآن إلى تشنجات وزمجرة اتسعت لها عيناها بشدة وانفتح لها فمها مظهراً كامل أسنانه . كانت شفتها العليا قد انقلبت بالكامل ، لتكشف عن لون جلدها الداخلى الوردى الداكن . كان كلبها البودل قد هرب إلى الشارع ، وهو يطارد سير طوقه الأحمر ذا المقبض . فمرقت سيارة ليموزين سوداء لتدهمه حتى من قبل أن يصل إلى منتصف الشارع . لتحوله إلى كومة من دون حراك وقد تبدت أحشاؤها .

لابد أن البودل المسكين قد مات قبل أن يدرك حتى أنه قد مات ، هكذا خطر لكلاى . أدرك أنه واقع فى حالة صدمة ، إلا أن هذا لم يغير من قدر عجبه من كل ما يجرى . فقد وقف فى

مكانه وحقيبته فى يد وهديته فى اليد الأخرى وقد فغر فاه عن آخره .

حينها سمع صوت انفجار بدا أنه صادر من بقعة ما عند ناصية شارع نيوبيرى .

كان للفتاتين نفس قصة الشعر ، إلا أن الفتاة ذات الهاتف الوردى كانت شقراء أما صديقتها فسمراء الشعر ؛ هما أشبه ذلك بشخصيتى بيكسى . بيكسى شقراء وبيكسى سمراء . سقط هاتف بيكسى الشقراء على الرصيف ، ليتحطم ، كانت قد تركته لتندفع نحو السيدة ذات البذلة . وتحيط خصرها بذراعيها فى قوة . اعتقد كلاى (هذا إن كانت لا تزال لديه القدرة على الاعتقاد فى تلك اللحظات) أنها كانت تريد منع السيدة ذات البذلة إما من مهاجمة بائع الآيس كريم ، أو من الركض عبر الشارع نحو كلبها الصريع . بل إنه وجد نفسه يعجب بحضور ذهن تلك الفتاة ، أما صديقتها بيكسى السمراء فكانت تتراجع مبتعدة عن كل ما يجرى أمامها ، ويداها الصغيرتان مقبوضتان نحو صدرها ، وعيناها متسعتان رعبا .

أسقط كلاى ما فى يديه ، واتجه ليساعد بيكسى الشقراء . حين خيل إليه أن على الجانب الآخر من الشارع سيارة تنقلب لتستقر على الرصيف أمام فندق الفور سيزونز . مما حدا بحارس الفندق إلى أن يهرب بحياته من أمام الفندق . بينما تعالت الصرخات من بهو الفندق . وقبل أن يهم كلاى بمعاونة بيكسى الشقراء ، كانت هى قد قربت رأسها فى سرعة ثعبان نحو وجه تلك السيدة ، وفغرت فمها ليكشف عن أسنانها الشابة القوية ، وسرعان ما غرستها فى رقبة المرأة . لتنبثق منه نافورة من الدم فى لحظة . وجد أن الفتاة تثبت رأسها أمام هذه الدماء التى غمرتها وكأنها تستحم بها ، بل وربما شربت منها أيضا (بل هو متأكد من ذلك) ، ثم أخذت تهز جسد المرأة

وكأنها دمية . لقد كانت تلك المرأة أطول منها ، ويزيد وزنها على وزن الفتاة بأربعين رطلاً على الأقل ، إلا أن الفتاة كانت تتلاعب بجسدها لدرجة أن رأس المرأة كان يترنح فى جميع الاتجاهات ليزيد كم الدم المندفع من جسدها . بينما رفعت الفتاة رأسها المخضب بالدماء نحو سماء أكتوبر الزرقاء وهى تصدر صوتا أقرب إلى عواء ذئب منتصر .

حدث كلاى نفسه : لقد جنت . . . جنت تماماً .

صرخت بيكسى السمراء : " من أنت ؟ ما الذى يحدث ؟ "

عند سماعها لصوت صديقتها ، أخذت بيكسى الشقراء تهز رأسها المخضب بالدماء فى قوة ، لتتناثر عنه قطرات الدم من فوق خصلات الشعر القصيرة الحادة فوق جبهتها . كانت عيناها أشبه بمصباحين يحدقان من مقلتين دمويتين .

نظرت بيكسى السمراء إلى كلاى بعينين متسعتين وهى تكرر : " من أنت ؟ " ، ثم قالت : " من أنا ؟ " .

أسقطت بيكسى الشقراء المرأة ، والتى انهارت على الرصيف صريعة ، والدم لا يزال ينزف بغزارة من شريان رقبتها . ثم قفزت نحو الفتاة التى كانت تشاركها منذ بضع دقائق فقط الاستماع إلى نفس مكالمة الهاتف فى مرح .

وجد كلاى أن لا وقت هناك للتفكير . فلو ضيع لحظات فى التفكير لربما انفجر الدم من رقبة بيكسى السمراء هى الأخرى كتلك المرأة . بل لم ينظر لها ، وهو يلتقط حقيبة الهدية . ويطوح بها فى قوة نحو مؤخرة رأس بيكسى الشقراء وهى تهم بالإمساك بصديقتها بيديها المخلبيتين . آه لو كانت الضربة قد أخطأت هدفها . . . .

إلا أنها لم تخطئ الهدف . فقد أصابت الثقالة الكريستالية التى بداخل الحقيبة مؤخرة رأس بيكسى الشقراء مباشرة ، فسمع صوت قرقعة مكتومة . وخمدت حركة ذراعيها ، ذراع

مخضبة بالدماء ، والأخرى لا تزال نظيفة ، لتسقط نحو الرصيف عند قدمى صديقتها كجوال البريد .

صاح بائع الآيس كريم متسائلا فى دهشة : " ما هذا بحق السماء ؟ " . كان صوته عاليًا بدرجة بدت غريبة . ربما كان للصدمة دورها فى حدة الصوت هذه .

قال كلاى وقلبه ينبض بقوة : " هذا ما لا أدريه . هلم ، ساعدنى بسرعة . فهذه تنزف بشدة " .

من خلفهما عند شارع نيوبيرى أتى صوت اصطدام سيارة لا تخطئه أذن . تلته صرخات مروعة . تلا كل هذا صوت انفجار ، وكان هذا الانفجار أكبر من سابقه ، رج المكان بأسره . ومن خلف عربة الآيس كريم شاهدا سيارة وهى تندفع بأقصى سرعة عبر الحارات الثلاث للطريق نحو باحة الفندق ، لتدهم اثنين من المشاة ، ومن ثم ترتطم بشدة بمؤخرة السيارة السابقة ، والتى كانت قد استقرت عند بوابات الفندق فحطمتها . لم يستطع كلاى من مكانه أن يتبين ما إذا كان هناك من لا يزال حيا يمكن إنقاذه . فقد كان الدخان يتصاعد بكثافة من محرك السيارة الأولى إلا أنه علم من الصرخات المعذبة التى انبعثت من هناك أن الأمر على أسوأ ما يكون .

مال بائع الآيس كريم الذى لم يمكنه أن يرى شيئاً من موضعه من نافذة العربة نحو كلاى وهو يقول : " ما الذى يجرى هناك ؟ "

" لا أدرى . إنه حادث لسيارتين . وهناك من أصيب . دعك من هذا . تعال لتساعدنى هنا " . انحنى نحو السيدة ذات البذلة التى سقطت وسط الدماء وهاتف بيكسى وردى اللون المحطم . كانت اختلاجات جسدها قد خفتت إلى أدنى حد .

قال بائع الآيس كريم وهو لا يزال غير قادر على مبارحة عربته التى بدت له حصناً أميناً من كل هذا : " هناك دخان

كثيف بشارع نيوبيرى . . هناك شيء ما انفجر . شيء ضخم . ربما كان هذا عملا إرهابيا " .

تنبه كلاى إلى وجاهة هذا الافتراض بمجرد أن نطق به الرجل . إلا أنه ناداه بإصرار : " تعال ساعدنى " .

صرخت بيكسى السمراء فجأة : " من أنا ؟ " .

كان كلاى قد نسيها تماماً . تطلع إليها فى نفس الوقت الذى كانت تلطم فيه جبهتها برسغها ، ثم تلف حول نفسها بسرعة ثلاث مرات ، وهى تكاد تقف على سن حذائها الرياضى أثناء ذلك . حينها تذكر قصيدة كان قد قرأها أيام الكلية " اصنع دائرة من حوله ثلاث مرات " . كانت كلمات كولريدج ، أليس كذلك ؟ تمايلت ، ثم اندفعت تركض عبر الرصيف وبأقصى سرعة صوب عمود إنارة . لم تحاول أن تتفاداه ، أو أن تمد يدها لتحمى جسدها . فقد ارتطم وجهها به بشدة ، وتمايل جسدها . قبل أن ترتطم بوجهها فيه من جديد .

صاح كلاى مزمجراً : " توقفى عن هذا ! " . نهض واقفاً ، وأسرع نحوها ، وكاد يسقط بعد أن انزلق فوق دم المرأة ، وما إن استعاد توازنه فى سرعة ، حتى كاد يسقط مرة أخرى متعثراً فى جسد بيكسى الشقراء .

التفتت بيكسى السمراء نحوه . كان أنفها محطماً والدماء تنزف منه على وجهها . وظهرت على جبينها كدمة ، بارزة بادية للعيان . وإحدى عينيها قد اعوجت داخل محجرها . فغرت فاها لتكشف عن بقايا ما كانت تعد أسناناً جميلة ، كانت تضحك له . أما هو فلن ينسى هذا المنظر بقية حياته .

بعدها اندفعت تركض على الرصيف وهى تصرخ .

سمع من خلفه صوت محرك عربة الآيس كريم وهو يدور لتنطلق معه نغمة موسيقى شارع سمسم المميزة . التفت نحوها كلاى ليراها وهى تتخذ طريقها فى سرعة نحو الشارع . فى

www.rewity.com ARAYAHEEN

ذات اللحظة التى تهشمت فيها نافذة بالطابق العلوى فى الفندق . لتهطل الشظايا البلورية نحو الشارع . من ورائها هوى جسد وسط شمس النهار ليرتطم بالرصيف فى صوت ممجوج . ولتتعالى الصرخات أكثر من باحة الفندق . صرخات رعب ؛ صرخات ألم .

صرخ كلاى بكل قوة وهو يركض إلى جوار عربة الآيس كريم : " كلا ! كلا . عليك أن تعود لتساعدني! إنى بحاجة إلى من يساعدنى هنا . أيها الوغد ! " .

لم يعره البائع اهتماما . بل قد لا يكون سمعه من الأصل وسط موسيقى العربة . عندها تذكر كلاى كلمات تعود إلى وقت يكاد فيه أن يؤمن بأن زواجه لن يدوم للأبد . ففى تلك الأيام كان جونى يشاهد " شارع سمسم " كل يوم ، وهو جالس فى كرسيه الأزرق الصغير ممسكا بكوبه . يستمع إلى أغنية تقول شيئا عن يوم مشمس ليس فيه سحاب .

أتى رجل يرتدى بزة راكضا من داخل المتنزه ، وهو يزأر بأصوات غير مفهومة بكل ما فيه من قوة . كان ذيل سترته يتطاير من خلفه . تعرف عليه كلاى من ذقنه الرفيع . هرع الرجل نحو شارع بوليستون . والسيارات تمرق من حوله . وتتفاداه بالكاد . وصل إلى الجهة الأخرى منه ، وهو لا يزال يزأر مشوحا بذراعيه نحو السماء . سرعان ما اختفى فى الظلال عند باحة الفندق وغاب عن نظره . ولكن ما إن تعالت الصرخات من حيث غاب الرجل حتى أدرك كلاى أن الرجل قد صار فى خبر كان .

يئس كلاى من مطاردته لعربة الآيس كريم . ووقف مستنداً بإحدى قدميه على الرصيف بينما الأخرى على بالوعة الصرف . يراقب العربة وهى تنسل عبر الحارة الوسطى من شارع بوليستون . والموسيقى لا تزال تصدح منها . هم بأن يعود

إلى الفتاة الغائبة عن الوعى والمرأة المحتضرة حينما طلت حافلة أخرى . ولكنها لم تكن تسير الهوينى هذه المرة ، بل تندفع بأقصى سرعتها وهى تتمايل . بينما ركابها يتمايلون فى قوة وهم يصرخون بل يتوسلون إلى السائق أن يقف . بينما هناك من اكتفى بأن يتمسك بالدعامة المعدنية لجانبى الحافلة وهى تندفع فى الاتجاه المعاكس عبر شارع بوليستون .

أمسك رجل ذو قميص قطنى بالسائق من الخلف ، وسمع كلاى صرخات غير مفهومة تنبعث عبر مكبر صوت الحافلة القديم . والسائق يبعد عنه الرجل بهزة قوية جدا من كتفيه . بعدها شاهد سائق الحافلة عربة الآيس كريم . ويكاد كلاى يقسم أنه متيقن من أن السائق قد حول وجهة الحافلة قاصداً هذه العربة بالذات .

صاحت سيدة تجلس بالقرب من مقدمة الحافلة التى تقل السائحين : " أوه . . . يا إلهى . . . كلا أرجوك " ، وبينما تقترب الحافلة من عربة الأيس كريم . والتى لا يصل حجمها إلى سدس حجم الحافلة ، حتى تذكر كلاى مشهد استعراض النصر الذى تابعه عبر التلفاز لفريق ريد سوكس بعدما فازوا ببطولة الدورى . كان الفريق كله يستقل حافلة من هذا النوع . وكانت الحافلة تسير ببطء شديد متعمد . بينما أفراد الفريق يلوحون للجمهور المهلل وسط جو الخريف البارد .

صرخت نفس السيدة ثانية : " أوه . . . كلا . . يا إلهى ! " . بينما علق رجل كان يقف إلى جوار كلاى بصوت خفيض : " يا الله " .

ارتطمت الحافلة بعربة الآيس كريم لتنقلب العربة وكأنها لعبة طفل . حطت على جانبها والموسيقى لا تزال تصدح منها . وانزلقت نحو الساحة الرئيسية ، لتندلع شرارات نتيجة الاحتكاك . وأفلتت سيدتان من الموت بأعجوبة . ارتطمت العربة

بالرصيف لتطير لأعلى قبل أن تهبط على السور الحديدى المحيط بالمتنزه وتستقر هناك . تردد صوت الموسيقى المنبعث منها قبل أن يصمت للأبد .

أما المجنون الذى يقود الحافلة ففقد أى تحكم فيها . وأخذت تتمايل عبر شارع بوليستون بمن على متنها من ركاب يصرخون فى رعب وهم يتشبثون بالدعامة المحيطة بجوانب الحافلة المكشوفة . واعتلت الرصيف على بعد خمسين قدما من عربة الآيس كريم . وارتطمت بجدار حجرى أسفل واجهة عرض لمحل أثاث اسمه أضواء المدينة . سُمع صوت ارتطام والواجهة الزجاجية تتهشم . ارتفعت مؤخرة الحافلة العريضة قرابة خمس أقدام عن الأرض فى الهواء . كان الزخم يكاد يجبر هذه الحافلة المتهادية على أن تدور حول نفسها فى الهواء ؛ إلا أنها استقرت على الرصيف ومقدمتها داخل المحل بين الأرائك ومقاعد حجرة المعيشة الغالية . ولكن ليس قبل أن يتطاير أكثر من عشرة من ركابها فى الهواء ويسقطون بعيداً عن الأنظار .

من داخل المحل اندلعت أصوات صافرات الإنذار .

" يا الله " كان هو نفس الصوت من جوار كلاى ثانية . التفت نحوه ليرى رجلا قصيرا ذا شعر داكن خفيف . وشارب خفيف أيضا . يرتدى نظارة ذهبية الإطار : " ما الذى يحدث ؟ "

رد كلاى وهو يشعر بصعوبة فى الكلام : " لا أدرى " . بل لقد وجد مشقة فى النطق بهذه العبارة . لقد ظن أنها صدمة . فالناس يفرون عبر الشارع . بعضهم من الفندق ، والبعض من الحافلة المهشمة . وبينما هو يراقبهم رأى أحد الفارين من الحافلة وهو يصطدم بآخر فر من الفندق ليسقطا معا على الرصيف . خيل إليه أنه قد جن . وأن خياله المهلوس يرسم له كل هذا وسط جنون من نوع ما . " لقد ذكر بائع الآيس كريم شيئا عن عمل إرهابى " .

فرد الرجل القصير ذو الشارب : " لا أرى أحداً مسلحاً هنا . كما لا أرى أحداً يلف وسطه بالقنابل " .

كذلك لم ير كلاى شيئاً من هذا . إلا أن كل ما لفت انتباهه هذه اللحظة هو حقيبة هديته (الكنوز الصغيرة) . وحقيبة رسوماته القابعتين على الرصيف . وقد رأى الدم النازف من رقبة السيدة ويا له من كم من الدماء وهو يكاد يصل إلى حقيبة الرسومات . فبها كل رسوماته ما عدا قليل مما رسمه لقصته ... " المغامر الغامض " ... . والرسومات هى كل ما يشغل باله فى هذه اللحظة . فاندفع نحوها بخطوات واسعة . ولاحقه الرجل القصير ، والذى قفز فزعا حينما انطلقت صافرات إنذار من داخل الفندق ، لتنافس بأصواتها صافرات إنذار محل الأثاث .

قال كلاى : " إنه الفندق " .

" أعلم هذا . ولكن ... أوه ... يا إلهى " . لقد رأى السيدة الصريعة . التى ترقد الآن وسط بحيرة من الدماء ـ من يمكنه أن يصدق أنها كانت مفعمة بالحياة منذ أربع دقائق أو أقل ؟

" لقد ماتت . أنا متيقن من هذا على الأقل . تلك الفتاة هى التى فعلتها . بأسنانها فقط " كان يشير تجاه بيكسى الشقراء .

" أنت تمزح بالتأكيد " .

" ليتنى كنت بالفعل أمزح " .

ضج المكان بغتة بصوت انفجار آخر فى شارع بوليستون . فجفل الرجلان . أدرك كلاى أنه يشم الآن رائحة دخان . فالتقط حقيبتيه المكتوب عليهما الكنوز الصغيرة مباعداً بينهما وبين الدماء . قال وهو يتعجب من حاجته إلى أن يشرح الأمر " هاتان لى " .

ظل القصير ، الذى كان يرتدى بزة رأى كلاى أنها أنيقة . يحدق فى ارتياع إلى جثة المرأة التى فكرت فى تناول الآيس

كريم ففقدت كلبها ومن بعده حياتها . اقترب من خلفهما ثلاثة شبان يمشون على الرصيف وسط ضحكاتهم وعبثهم . كان اثنان منهم يرتديان قبعة فريق ريد سوكس وقد قلباها بشكل معكوس . والثالث يحمل صندوقا كرتونيا إلى صدره مطبوعا عليه شعار شركة باناسونيك بالأزرق . داس أحدهما بحذائه الرياضى على دماء المرأة الصريعة مخلفاً أثر حذائه وهو يندفع هو ورفيقاه نحو الجانب الشرقى من الساحة العمومية ومن بعدها الحى الصينى .

٣

جثا كلاى على ركبته ، واستخدم يده التى لا تحمل حقيبة الرسومات وقد صار أشد خوفاً عليها بعد أن رأى ذلك الفتى الهارب بصندوق باناسونيك لكى يلتقط رسغ بيكسى الشقراء . وجد بها نبضا . كان النبض ضعيفا لكنه منتظم . شعر بارتياح كبير . فمهما كان ما فعلته ، إلا أنها صبية صغيرة فى نهاية الأمر . كما أنه لا يريد أن يلوم نفسه بقتله إياها بالهدية التى اشتراها لزوجته .

صاح فيه الرجل ذو الشارب : " احترس ، احترس ! " . لم يجد كلاى الفرصة لينتبه . ولحسن حظه أن السيارة الفارهة التى انحرفت من شارع بوليستون نحو المتنزه قد أخطأته بمسافة عشرين ياردة فقط عن النقطة التى كان يجثو عندها ، واحتكت بالسور الحديدى قبل أن تستقر بمقدمتها فى بركة البط .

انفتح بابها وترجل منها شاب وهو يتخبط من أثر الاصطدام ، وكان يسب ويلعن . جثا بركبتيه فى الماء ، وأخذ ينهل منه نحو فمه بكلتا يديه ، لا يدرى كلاى لماذا تذكر

حينها كم الفضلات التى تركها البط فى هذه البركة عبر السنين ؛ ثم وقف على ساقيه مرة أخرى ، وبعدها أخذ يخوض فى المياه حتى الجانب الآخر . وسرعان ما توارى عن الأنظار وسط الأشجار . وهو لا يزال يلوح بيديه سابا بكلمات غير مفهومة .

قال كلاى للرجل ذى الشارب : " نحتاج إلى أن نسعف هذه الفتاة . إنها فاقدة الوعى ولكنها لن تموت " .

رد الرجل : " بل ما نحتاج إليه هو أن نبتعد من هنا قبل أن تدهمنا إحدى السيارات " . وما إن انتهى من كلامه حتى اصطدمت سيارة أجرة بسيارة ليموزين فى نقطة ليست ببعيدة عن حافلة السياح المحطمة . كانت الليموزين تسير فى الاتجاه المعاكس . وكان اصطدام سيارة الأجرة بها مروعا . فطار السائق عبر الزجاج الأمامى الذى تهشم ليرتطم بأسفلت الشارع . ممسكا بذراعه الدامية وهو يصرخ .

لقد كان الرجل ذو الشارب محقا بالفعل . فالتفكير العقلانى الذى لم يستطع كلاى سوى القيام بالقليل منه وسط كل هذه الصدمات التى ألجمت تفكيره يحتم أن أنسب تصرف هو الفرار من هذا الشارع . والاختباء فى مكان آمن . فإذا كان ذلك عملا إرهابيا ، فإنه لم يشهد مثله من قبل ولم يسمع عن مثله من قبل . فما يجب عليه ـ عليهم ـ فعله هو أن ينبطحا حتى يستقر الأمر ، وربما يتحتم عليهم العثور على مكان آمن . ولكنه لم يرغب فى ترك الفتاة مسجاة فاقدة الوعى فى منتصف شارع أصبح فجأة يسوده الجنون ، كل غريزة عطف بداخله ـ وبالطبع كل غريزة للتحضر ـ كانت تأبى أن يترك الفتاة على هذا النحو .

قال للرجل ذى الشارب بتردد ملحوظ : " اذهب أنت " . فهو لا يعرف هذا الرجل القصير ، إلا أنه على الأقل وجده لا يتلفظ بهلاوس مشوحا بيديه فى جنون مثلما يفعل الباقون . كما

www.rewity.com ARAYAHEENA

أنه لم يهجم بعد عليه قاصداً أن يغرس أسنانه فى رقبته . " ادخل إلى أى مكان آمن . وسوف . . . " لم يجد كلمات مناسبة ينهى بها عبارته .

سأله ذو الشارب : " سوف ماذا ؟ " . ولكنه سرعان ما جفل ثانية مع صوت انفجار جديد . أتى هذه المرة من خلف الفندق مباشرة . أو هكذا خيل إليه . وارتفعت سحابة دخان سوداء . ملطخة زرقة السماء قبل أن تأخذها الرياح بعيداً .

قال كلاى فى إصرار : " سأستدعى شرطياً . . . إن بجعبتها هاتفاً محمولاً " . أشار إلى المرأة الغارقة فى دمائها متابعاً : " لقد كانت تستخدمه . . . قبل أن يحدث كل . . . " .

أخذ يروى للرجل كل ما حدث قبيل أن يصيب الجنون المكان كله . وجد أن عينيه تترددان بين المرأة الصريعة والفتاة فاقدة الوعى . ومن ثم تعود إلى حطام هاتف الفتاة المحمول .

ارتفعت أصوات أبواق الإنذار بعربتين مختلفتين . خمن كلاى أن أحدهما لسيارة شرطة . والآخر لعربة إطفاء . من الممكن التيقن من الفارق لمن كان يعيش بهذه المدينة . إلا أنه لم يكن قاطناً بها . فهو يعيش فى كينت بوند بماين . وكم تمنى فى هذه اللحظات لو أنه كان هناك الآن .

ما حدث قبل كل هذا الجنون هو أن تلك المرأة كانت تتصل بصديقتها مادى لتخبرها بأنها قد صففت شعرها بشكل جيد . وأن أحد أصدقاء بيكسى الشقراء قد اتصل بها . وأن بيكسى السمراء قد استمعت إلى تلك المكالمة . وبعدها أصيب الثلاثة بالجنون .

فهل تظن أن . . . . .

إلى الشرق . ومن خلفهما . أتاهما أضخم انفجار حدث حتى الآن : انفجار صم الآذان . قفز كلاى من فوره منتصباً . تبادل مع الرجل نظرة كلها غرابة . ثم التفتا تجاه الحى الصينى

والحى الشمالى من بوسطن . لم يستطيعا أن يتبينا كنه هذا الانفجار . إلا أن غمامة ضخمة من الدخان الأسود كانت ترتفع فوق المبانى عند الأفق .

بينما كانا يحدقان فيها . توقفت سيارة شرطة وعربة إطفاء أمام فندق الفور سيزونز عبر الشارع . رمق كلاى الفندق ليرى فى ذات اللحظة أحدهم وقد ألقى بنفسه من الطابق الأخير بالفندق . وتبعه اثنان قفزا من فوق سطح الفندق . بدا لكلاى أنهما يتعاركان وهما يهويان تجاه الأرض .

صرخت امرأة بصوت متهدج : " يا إلهى . . . يا إلهى . . . كلا ! . . . ليس ثانية . . . ليس ثانية ! " .

هوى أول الانتحاريين الثلاثة فوق مؤخرة سيارة الشرطة . ليلطخها ببقاياه . محطما النافذة الخلفية . بينما ارتطم الاثنان الآخران بسلم عربة الإطفاء التى فر منها رجالها وكأنهم طيور فزعة .

واصلت المرأة صراخها : " كلا . . . ليس ثانية ! . . . ليس ثانية ! " .

عندها هوت امرأة من الطابق الخامس أو السادس . فى سقوط أكروباتى . لتسقط فوق أحد رجال الشرطة الذين كانوا يحدقون فى كل ما يجرى أمامهم . لتقتله كما قتلت نفسها .

من جهة الشمال أتى صوت سلسلة من الانفجارات الكبيرة وكأنما الشيطان يطلق نيرانه وسط الجحيم ليعود كلاى لينظر من جديد إلى القصير . والذى كان بدوره يتطلع إليه فى قلق . كان المزيد والمزيد من الدخان يتصاعد تجاه السماء . حتى كادت زرقتها تختفى بالرغم من الرياح .

قال القصير : " لقد حاولوا لاستخدام الطائرات فى أعمال إرهابية . الأوغاد عادوا ليستخدموا الطائرات من جديد " .

لحق بكلماته صوت انفجار مروع ثالث يأتى من جهة شمال شرق المدينة . كأنما ليؤمن على كلام الرجل .

وجد كلاى صعوبة فى نطق كلماته . وصعوبة أكبر فى التفكير وهو يقول : " لكن . . . تلك المنطقة بها مطار لوجان . لم يدر بخلده عندها سوى دعابة خطرت له : هل سمعت تلك الدعابة عن الإرهابيين (ضع هنا ما تشاء من جنسيات) الذين قرروا أن يخضعوا أمريكا بأن يفجروا لها مطاراً ؟

قطع القصير عليه أفكاره وهو يتساءل : " وبعد ؟ "

" لو كان الأمر كذلك فلماذا لم يختاروا بناية هانكوك ؟ أو بناية برو ؟ "

هز القصير كتفيه قائلاً : " لا أدرى . كل ما أعلمه هو أننى أريد مغادرة هذا الشارع " .

مرق إلى جوارهما ستة من الشباب فارين . وكأنهم يؤكدون على رغبته . لاحظ كلاى أن أغلب سكان بوسطن من الشباب فبها جامعات كثيرة . كانوا ثلاثة شباب وثلاث فتيات . يهرولون هائمين على وجوههم أو هكذا بدا له وبينما كانوا يبتعدون أخرج أحدهم هاتفه المحمول وقربه إلى أذنه .

نظر كلاى عبر الشارع ليرى أن سيارة شرطة أخرى قد جاءت للتوقف خلف الأولى . لم تعد هناك حاجة إذن لاستخدام هاتف المرأة الصريعة وهو ما أراحه فقد كان يشعر برغبة فى عدم استخدامه . كل ما عليه الآن هو أن يجتاز الشارع ليتحدث معهم إلا أنه لم يكن يجد فى نفسه الجرأة على اجتياز هذا الشارع فى هذه اللحظات بالذات . وحتى لو فعل . فهل سيوافقون على المجيء إلى هنا لفحص فتاة غائبة عن الوعى تاركين كم الضحايا هناك ؟ كان يراقب المشهد أمامه ورجال الاطفاء يعودون ليلملموا معداتهم . متهيئين للانتقال إلى مكان أخر . ربما إلى حيث مطار لوجان . أو . . . .

قال القصير فى صوت هامس محاذر : " أوه . يا إلهى . انتبه لهذا " . كان ينظر جهة الغرب عبر الشارع . حيث وسط المدينة . فى الاتجاه الذى كان كلاى قادما منه عندما كان أكبر أهدافه فى الحياة الاتصال بشارون عبر الهاتف . حتى أنه كان يحمل فى عقله كيف سيبدأ مكالمته معها . كان سيقول لها : أخبار سارة يا عزيزتى - فمهما بلغت درجة ما صار بيننا . سأتمكن دائما من شراء ما يحتاجه ابننا . وفى عقله كانت تبدو له هذه العبارة مرحة ولطيفة وقد ذكرته بالأيام الخوالى .

إلا أن ما يراه الآن لا ينم عن أية طرافة . فقد كان يتجه صوبهم بخطوات واسعة رجل فى الخمسين من عمره . يرتدى بزة وما بدا أنه بقايا قميص ورابطة عنق . كان السروال رماديا . ولكن كان من المستحيل تبين لون القميص ورابطة العنق الأصليين . فكلاهما ممزق وملطخ بالدماء . يحمل فى يمناه ما بدا أنها سكين جزار يبلغ طول نصلها ثمانى عشرة بوصة . خطر لكلاى أنه قد رأى تلك السكين . بواجهة متجر اسمه " سول كيتشن " . فى طريق عودته من ذلك الاجتماع بفندق كوبلى سكوير . كان أمام صف السكاكين بطاقة صغيرة مكتوب عليها من الصلب السويدى ! وكانت تلمع عاكسة أنوار مصابيح خفية . إلا أنه من الواضح أن هذه السكين بالذات كانت جمة النشاط منذ أن انتزعت من مكانها فى الواجهة . . . فقد كانت ملطخة بالدماء .

كان الرجل يلوح بها وهو يقترب منهما بخطواته الواسعة . كان النصل يقطع الهواء بحركات سريعة . ولكنه غير من حركته مرة واحدة فقط . . . مصيبا فيها جسده هو . سال خيط من الدماء عبر شق جديد فى قميصه المشرذم . رفرفت بقايا رابطة العنق فى الهواء . وعندما زاد اقترابه منهما أخذ يتوعدهما بلهجة من أصابه مس من الجنون .

أخذ يصرخ فيهما بكلمات غير مفهومة على الإطلاق : " آيلاااب . . . إيييلاه . . . اييييلاه . . . بابلاه ! كازالاااه . . . كان فاى . . . شاى فاى ! " . أعاد السكين نحو فخذه اليمنى ومن ثم خلفها . ورأى كلاى بمخيلته التى صارت فى أوج نشاطها ما سيتبع هذا من ضربة كاسحة . ضربة فى الصميم . والرجل يواصل اقترابه بخطواته الواسعة التى تقطعها قدماه المسطحتان عبر ظهيرة أكتوبر .

صرخ القصير ذو الشارب : " احترس ! " . ولكنه نفسه لم يكن محاذراً . ذلك الرجل القصير ذو الشارب : الشخص الطبيعى الوحيد الذى تحدث إليه كلاى ريدل منذ بدأ كل هذا الجنون بل كان هو من بادره بالكلام ، وهو الأمر الذى ينم عن شجاعة وسط هذه الظروف ، كان قد تجمد فى مكانه ، وعيناه متسعتان فى ذعر خلف عدستى نظارته ذات الإطار الذهبى . هل توجه المجنون صوبه لأنه اختار بينهما . ووجد أنه الأصغر والضحية الأسهل ؟ لو كان هذا هو قراره بالفعل ، فإن هذا المهلوس ليس مجنوناً تماما . عندها انتاب كلاى شعور هو مزيج من الغضب والخوف ، غاضب بنفس القدر الذى كان سيشعر به لو أنه رأى من خلف سور هذه الحديقة مجرماً يهم بالهجوم على صبى صغير .

كان صوت القصير ذو الشارب أشبه بالعويل وهو يصرخ : " احترس ! " ، وهو متسمر فى مكانه فى انتظار الموت . الذى فر من عقاله بواجهة متجر كان اسمه " سول كيتشن " . كان بالتأكيد يقبل الدفع بالبطاقات الائتمانية .

لم يضيع كلاى وقتا فى التفكير . فالتقط حقيبته ذات المقبض المزدوج ورفعها بين السكين المصوبة وصديقه المتأنق الجديد . اخترقت السكين الحقيبة فى سهولة . إلا أن سن السكين توقف

قبل أن يخترق بطن الرجل . عندها عاد للقصير صوابه فتنحى جانباً فى سرعة . وهو يصرخ ملء رئتيه طالبا النجدة .

توقف الرجل ذو القميص ورابطة العنق المشرذمة وهو غليظ الرأس والرقبة . بصورة تنم عن أنه قد توقف عن ممارسة الرياضة منذ عامين على الأقل ـ توقف فجأة عن هذيانه . وارتسمت على وجهه علامات الحيرة الشديدة الأقرب إلى الاندهاش والعجب .

انتاب كلاى شعور عارم بالغضب الوحشى . فقد اخترق ذلك النصل كل صوره التى رسمها لشخصية " المغامر الغامض " فهو يسميها صورا ، وليست رسومات أو لوحات ، فكأنما اخترق معه شغاف قلبه . ورغم أنه يحتفظ بنسخة إضافية من كل ما فى هذه الحقيبة ، إلا أن هذا لم يغير من شعوره الغاضب مثقال ذرة . لقد مزقت سكين المجنون كل شخصياته : " جون " الساحر سماه باسم ابنه بالطبع . " فلاك " ، " فرانك " وصبية البوسى ، و " جين " النائم ، و " سالى بويزون " ، و " ليلى استوليت " ، و " بلو ويتش " ، وبالطبع " راى ديمون " ، المغامر الغامض . تلك الشخصيات الرائعة التى ابتكرها ، والتى تحيا فى طيات خياله والتى يعول عليها حتى تنقذه من أسر تدريس الفن بعشرات المدارس الريفية بماين ، وقطعه آلاف الأميال شهريا فيما بينها .

يكاد يقسم أنه قد سمعها تنتحب حينما اخترقها ذلك النصل السويدى الصنع وسط نومها البريء .

اندفع نحو الرجل من دون أن يخشى السكين فى هذه اللحظة على الأقل ليدفعه بكل قوة . وهو يحتمى خلف حقيبته . وزاد غضبه حينما وجدها تنثنى حول نصل السكين .

عاد المجنون لهلوسته وهو يجد صعوبة فى تحرير السكين من الحقيبة : " بليت ! بليت كى يام دو رام بازالااااه بابالااه " .

صاح فيه كلاى وهو يثبت قدمه اليسرى خلف ساقيه : " بل أنا الذى سيلقنك درسا أيها الوغد ! " . سيدرك لاحقاً أن جسد الإنسان مهيأ للقتال حينما تقتضى الحاجة ذلك . وهو سر يحتفظ به الجسد لنفسه . تماماً كأسرار ركضه أو قفزه أو حتى موته حينما لا يكون هناك خيار آخر . فإنه يتسلم الزمام فى حالات التوتر الشديد . ويقوم بما يتطلب القيام به بينما يتنحى العقل تاركا له الساحة . بعد أن عجز عن فعل أى شيء . اللهم إلا التأمل فى النصل الذى اخترق حقيبة كانت هدية من زوجته فى عيد ميلاده الثامن والعشرين .

تعثر جسد المجنون فوق قدم كلاى كما أراد هو تماما ليسقط على ظهره فوق الرصيف . وقف كلاى فوقه . وهو يلهث . والحقيبة لا تزال فى يده كدرع شوهته الحروب . لا تزال السكين متعلقة بها . يظهر مقبضها من ناحية . ونصلها من ناحية أخرى .

حاول المجنون أن ينهض . إلا أن صديق كلاى الجديد اندفع نحوه ليركله فى رقبته بقسوة . كان القصير يبكى بصوت عال . والدموع تنهمر على خديه لتغبش عدسات نظارته . سقط المجنون ثانية ولسانه بادٍ خارج فمه . كان يصدر أصواتاً لا تختلف عن كلماته التى كان يهذى بها .

قال القصير وسط بكائه : " لقد حاول قتلنا ! . . . لقد حاول قتلنا ! " .

رد كلاى : " بالفعل . بالفعل " . وجد أن نبرته هذه لم تختلف عما قاله لجونى ابنه الصغير حينما عاد إليهما من

أمام المنزل وهو يبكى من خدوش فى مرفقيه صائحاً : " هناك دم ! " .

استند الرجل المسجى على الرصيف نازفاً الكثير من الدم على مرفقيه . محاولاً النهوض من جديد . فبادر كلاى هذه المرة بركل أحد مرفقي الرجل مسجياً إياه ثانيةً إلى الرصيف . بدت الركلة حلاً مؤقتاً ليس إلا . أمسك كلاى بمقبض السكين . وهو جافل من ملمس الدم المتخثر عليه . بدا الأمر أشبه بمسح راحته فى قطعة لحم باردة . وسحب السكين . خرجت السكين قليلا . ولكنها توقفت أو أن يده هو قد انزلقت عن المقبض . تخيل أنه سمع غمغمات شخصياته التعسة من داخل الحقيبة . بل إنه نفسه كان يغمغم متألماً . لم يكن فى وسعه أن يمنع نفسه عن هذا . كما لم يمنع نفسه من الحيرة حول ما سيفعله بالسكين حينما ينجح فى سحبها من الحقيبة . هل سيطعن هذا المجنون حتى الموت ؟ كان قد فكر فى ذلك لحظة التحامه به . أما الآن فلا .

سأله القصير بصوت دامع : " ما الخطب ؟ " . لم يسع كلاى حتى مع كل توتره هذا سوى أن يشعر بالتعاطف مع ما فى نبرة الرجل من خوف عليه . " هل أصابك بأذى ؟ إننى لم أتبين بوضوح ما حدث بينك وبينه . فهل أصابك بأذى ؟ هل أصابتك السكين ؟ "

" كلا . . . فأنا بخير . . . . "

قطع كلامه صوت انفجار فظيع آتٍ من الشمال . من المؤكد أنه عند مطار لوجان على الجانب الآخر من ميناء بوسطن . مما أصابهما بالقشعريرة والخوف فى الآن نفسه .

انتهز المجنون الفرصة فنهض بصعوبة على قدميه إلا أن القصير وجه له ركلة خائفة إلا أنها أصابته فى صدره مباشرة فسقط على الأرض من جديد . زمجر المجنون وقد نجح فى أن

www.rewity.com ARAYAHEEN

يقبض على قدم القصير . سيكون بوسعه أن يسقطه ، ومن ثم يصبح بين براثنه . هذا لو لم يتشبث كلاى بكتفى صديقه الجديد ، ويجذبه بعيداً عنه .

صاح القصير فى سخط : " لقد أخذ حذائى ! " . من خلفهم حدث اصطدام جديد بين سيارتين . ومعه المزيد من الصرخات وأصوات أجراس الإنذار تصدح من سيارات الشرطة وعربات الإطفاء ، ومن المتاجر . وكانت هناك أصوات عربات شرطة أخرى تقترب من بعيد . " لقد أخذ الوغد حذا . . . " .

قطع كلامه حينما وجد رجل شرطة يقف أمامه فجأة . خمن كلاى أنه قد اجتاز الشارع صوبهما ، وبينما جثا الشرطى على إحدى ركبتيه إلى جوار المجنون الذى لم يتوقف عن غمغماته المهلوسة ، وجد كلاى شعوراً بالحب ينبعث بداخله تجاه ذلك الشرطى . هذا لأنه اهتم وأتى لنجدتهما ! بل لكونه قد اهتم بهما من الأساس وسط كل هذا الذى يحدث ! . قال القصير فى توتر : " عليك أن تحذره . . . فهو . . . "

بادره الشرطى : " أعلم ما هو " ، ورأى كلاى أن بيده مسدسه الآلى . لم يكن يعلم إذا ما كان الشرطى قد سحبه بعد أن جثا بجوار المجنون أم أنه كان بيده منذ البداية . لم يكن كلاى قد خرج بعد من أسر ذلك الشعور بالامتنان .

نظر الشرطى إلى المجنون ، وزاد اقترابه منه . حتى أنه بدا لهما يقدم نفسه عن طيب خاطر ضحية له . غمغم قائلا : " هاه يا صاح . . . كيف حالك ؟ أقصد . . . ما الذى حدث لك ؟ "

هب المجنون نحو الشرطى وقبض بيده على رقبته . ولكن فى ذات اللحظة كان الشرطى قد ألصق فوهة مسدسه بصدغ المجنون وضغط على الزناد . انفجر ينبوع هائل من الدماء عبر شعره الأشيب بعد أن سقط للمرة الأخيرة ، وقد تباعدت ذراعاه فى منظر ميلودرامى .

تبادل كلاى والقصير ذو الشارب النظرات . بعدها نظرا إلى الشرطى ، والذى كان قد وضع مسدسه فى جرابه ، ويخرج محفظة جلدية من جيب قميصه الرسمى . كان كلاى سعيداً لأن يد الشرطى التى يخرج بها المحفظة كانت ترتجف قليلا . فهو لم يكن خائفا من الشرطى ، إلا أنه كان سيخاف بالفعل لو أن يد الشرطى لم تكن ترتجف . ولو أن ما فعله للتو لم يحرك فيه شعرة . بدا أن صوت العيار النارى قد حفز حاسة السمع لدى كلاى . فقد أصبح الآن يسمع أصوات أعيرة نارية أخرى تصدر من أماكن متفرقة فى المنطقة لتسهم بدورها فى نشاز أصوات هذا اليوم .

التقط الشرطى بطاقة ظن كلاى أنها بطاقته الرسمية من محفظته الجلدية ، التى أعادها إلى جيبه ثانية . أمسك البطاقة بإصبعين من يده اليسرى بينما يمناه تعود ثانية إلى سلاحه . كان الدم النازف من رأس المجنون المهشمة يتجمع بالقرب من حذاء الشرطى اللامع . وعلى القرب كانت جثة المرأة وسط بركة دماء أخرى ، وإن كانت قد بدأت تتخثر ويتحول لونها .

سأل الشرطى كلاى : " ما اسمك ، سيدى ؟ "

" كلايتون ريدل "

" هل يمكنك أن تخبرنى باسم رئيس هذه البلاد ؟ "

أخبره كلاى .

" سيدى . . . هل يمكنك أن تخبرنى بتاريخ يومنا هذا ؟ "

" إنه الأول من أكتوبر . هل تعلم ما . . . . " .

إلا أن الشرطى تجاهله ناظراً إلى القصير ذى الشارب : " ما اسمك ؟ "

" اسمى توماس ماكورت ، أقطن فى ١٤٠ شارع ساليم ، بمايدين . وأنا . . . " .

" هل يمكنك أن تخبرنى باسم الرجل الذى رشح نفسه أمام الرئيس فى الانتخابات الأخيرة ؟ "

فأخبره توماس .

" من هى زوجة براد بيت ؟ "

هنا أشاح ماكورت بيديه قائلا : " من أين لى أن أعلم؟ ربما كانت نجمة سينمائية ما " .

ناول الشرطى كلاى البطاقة وهو يقول : " حسناً . . . أنا الشرطى أورليش آشلاند . وهذه هى بطاقتى . ربما نستدعيكما لتدليا بأقوالكما حول ما حدث . أيها السيدان . وما حدث هو أنكما كنتما بحاجة إلى النجدة . وقد قدمتها . وتعرضت لهجوم . فدافعت عن نفسي " .

إلا أن كلاى بادره قائلا : " بل كنت تود قتله " .

" بالفعل . سيدى . فنحن نعمل على تخليص هؤلاء التعساء مما هم فيه بأسرع ما يمكننا ذلك " . كانت نبرته محايدة . ثم أضاف : " ولو أنك أخبرت أى محقق أو فى ساحة محكمة بأنى قد قلت لك هذا . فسوف أنكره . إلا أن هذا لا يعنى أن ما حدث لم يكن يجب أن يحدث . بل لقد كان من الضرورى أن يحدث . فهؤلاء يفاجئون الناس فى كل مكان . وبعضهم يكتفى بأن ينتحر بنفسه . أما البعض الآخر فيهاجم الأصحاء " . تردد قبل أن يضيف : " لكننى أرى الآن أنهم قد صاروا جميعاً يهاجمون الناس " . وسرعان ما أتاهم صوت عيار نارى وكأنما يؤمن على كلام الشرطى . كان الصوت قادماً عبر الشارع . تلاه صوت ثلاثة أعيرة أخرى متتالية . من باحة الفندق المظلمة . والتى قد صارت الآن كتلة من الزجاج المهشم . والأجساد المحطمة . والسيارات المتصادمة . وبرك الدم . " إن الأمر أشبه بمشهد من مشاهد فيلم ليلة الموتى الأحياء " . قالها الشرطى وهو يهم بالعودة نحو شارع بوليستون ويداه لا تزالان

على سلاحه . " فيما عدا أن هؤلاء ليسوا بالأموات . هذا إن لم نساعدهم نحن على أن يكونوا كذلك " .

صاح شرطى آخر عبر الشارع فى عجلة : " ريك ! . . . ريك علينا أن نسرع إلى مطار لوجان ! كل الوحدات ! هيا بسرعة ! " .

هرول الشرطى آشلاند وهو يحاذر مجتازاً الشارع . إلا أنه لم تعد هناك سيارات تمر . فقد صار الشارع مهجوراً إلا من حطام السيارات . على أن أصوات المزيد من الانفجارات وصدامات السيارات كانت تصدح من المنطقة المجاورة . وزادت رائحة الدخان قوة . وحينما وصل الشرطى إلى منتصف الشارع التفت إليهما قائلا : " عليكما بالاختباء فى مكان ما . . . فقد حالفكما الحظ مرة . إلا أنه قد لا يحالفكما من جديد " .

فقال كلاى : " أيها الشرطى آشلاند . . . رفاقك لا يستخدمون الهاتف المحمول . . . أليس كذلك ؟ "

حدق فيه آشلاند من مكانه فى وسط الشارع والذى لم يكن أبداً بالموضع الآمن فى رأى كلاى فلم ينس بعد ما حدث لحافلة السياح . قال له الشرطى : " كلا سيدى . فلدينا شبكة راديو خاصة فى سياراتنا . ولدينا هذا أيضا " قالها مشيرا إلى وحدة الاتصال المعلقة فى حزامه . على الجانب الآخر من جراب مسدسه . مما جعل كلاى يتذكر شخصية الرجل الوطواط وحزامه الأسود متعدد المهام .

بادره كلاى : " لا تستخدموه . . . قل لهم ألا يستخدموا الهواتف المحمولة " .

" ما الذى دعاك إلى قول ذلك ؟ "

" لأنهم كانوا يستخدمونها " . قالها وهو يشير إلى المرأة الصريعة والفتاة فاقدة الوعى . " قبيل أن يجن جنونهم . وأنا أراهنك على أن هذا الرجل ذا السكين قد . . . . " .

قاطعه صياح الشرطى الآخر منادياً زميله : " أسرع يا ريك ! . . . أسرع بالله عليك ! " .

فكرر له الشرطى تحذيره وهو يجتاز الشارع فى سرعة : " عليكما بالاختباء فى مكان آمن " . تمنى كلاى لو أنه استطاع أن يكرر له تحذيره بخصوص الهاتف المحمول . إلا أنه كان سعيدا على الأقل لأن الشرطى لم يتعرض لأذى . فهو يرى أن لا أحد فى بوسطن بوسعه أن يأمن شر كل هذا الخطر المحدق بالمدينة .

٤

سأل كلاى توم ماكورت : " ما الذى تفعله ؟ . . . لا تلمسه . فقد تكون به . . . ربما عدوى " .

رد توم : " لن ألمسه . . . لكننى سأسترد حذائى " .

كان الحذاء القابع قرب أصابع اليد اليسرى للمجنون بعيدا على الأقل عن مسار الدم النازف من فجوة رأسه . فسحبه توم إليه محاذرا . ثم جلس إلى حافة رصيف الشارع تماما حيث كانت تقف عربة الآيس كريم منذ زمن بدا لكلاى وكأنه الدهر ليلبس الحذاء . قال : " إن الرباط مقطوع . ذلك الوغد المجنون قد قطع الرباط " . وبدأ ينوح من جديد .

قال كلاى : " دع لنفسك العنان " . وبدأ يخرج السكين من الحقيبة . كانت قد اخترقتها بقوة هائلة . ووجد أن عليه أن يحركها فى سرعة لأعلى ولأسفل حتى يخرجها . كانت تخرج ببطء شديد . وبسلسلة من الحركات السريعة . وبصوت أصابه بالاشمئزاز . كان يتساءل عن أكثر شيء تضرر من هذه السكين بداخل هذه الحقيبة . ورغم سخافة هذا التفكير إلا أنه لم

يستطع أن يمنع عقله عن الانشغال به . " ألا يمكنك أن تسحبها إلى الأسفل ؟ "

" أجل . أعتقد أن . . . " .

سمع كلاى صوتاً آلياً أشبه بطنين بعوضة . أخذ يتعالى حتى صار وكأنه صوت طائرة من تلك الطائرات الصغيرة . نهض توم من مكانه بالرصيف . بينما التفت كلاى نحو الصوت . كانت قافلة عربات شرطة بوسطن تبتعد عن الفندق لتتوقف أمام متجر أضواء المدينة وحافلة السياح المحطمة وأنوارها تومض حول المكان . كان أفراد الشرطة يتطلعون من نوافذ عرباتهم نحو طائرة خاصة متوسطة الحجم . ربما من طراز كيزنا أو من النوع الذى يسمونه البونانزا . وكلاى لا يعلم الكثير عن طرازات الطائرات التى كانت تحلق فوق البنايات فى المنطقة بين ميناء بوسطن وساحة بوسطن العمومية . ثم تهوى بكل سرعة . كانت تتوجه بسرعة شديدة نحو المتنزه وجناحها السفلى يكاد يلامس قمة شجرة خريفية . وسرعان ما صارت فى مسار نهر شارع تشارلز . كما لو أن قائدها يعتقد أن هذا هو ممر هبوطها . ثم . وعلى ارتفاع أقل من عشرين قدماً فوق الشارع . انحرفت نحو اليسار وارتطم الجناح من تلك الناحية بواجهة بناية حجرية رمادية اللون . ربما كان بنكا . عند تقاطع شارعى تشارلز وبيكون . عندها زال كل إحساس بأن الطائرة تتحرك ببطء . فقد دارت فى سرعة حول جناحها المتحطم . ثم ارتطمت فى قوة بالغة ببناية قرميدية اللون إلى جوار بناية البنك . ثم اندلعت النيران بهيكلها . بينما فر البط فزعا من المتنزه بفعل موجات هذا الارتطام .

انتبه كلاى إلى أنه يقبض على السكين فى يده . فقد نجح فى سحبها بينما كان منشغلا هو وتوم بالتحديق فى تحطم الطائرة . مسحها فى قميصه من الجهتين . وهو يحاذر ألا يجرح جسده

www.rewity.com ARAYAHEENA

فقد كانت يداه ترتجفان . ثم وضعها بحرص شديد فى حزامه ، حتى المقبض . وتذكر حينها إحدى محاولاته فى رسومات القصص المصورة . . . كانت وقت الصبا ، فى حقيقة الأمر .

غمغم لنفسه : " جوكسر القرصان يقف هنا فى خدمتك ، جميلتى " .

سأله توم : " ماذا تقول؟ " . كان يقف الآن إلى جوار كلاى . يحدق فى النيران التى تلتهم الطائرة فى الجهة البعيدة من ساحة بوسطن . لم يزل ذيلها بعيدا عن النيران . وعليه قرأ كلاى رقما . . . LN6409B . فوق الرقم كان هناك ما بدا أنه شعار إحدى الفرق الرياضية .

لكن سرعان ما التهمت النيران كل هذا .

كان يشعر بلفحات الحرارة على وجه .

رد على القصير : " لا شيء . هيا بنا " .

" هاه ؟ "

" هيا لنبتعد عن هذا المكان " .

" أوه . حسنا " .

بدأ كلاى يسير بسرعة عبر الجهة الجنوبية من المتنزه ، فى المسار الذى كان يسير فيه قبل الثالثة عصراً ، أى منذ ثمانى عشرة دقيقة فحسب .

أسرع توم ماكورت ليلحق به . إنه قصير القامة بشكل ملحوظ . قال له : " أخبرنى . . . هل أنت معتاد على هذا الهراء الذى تتمتم به لنفسك ؟ "

رد كلاى : " بالتأكيد . . . يمكنك أن تسأل زوجتى عن هذا " .

٥

سأله توم : " إلى أين نحن ذاهبون ؟ " . وأشار نحو فتحة نفق أخضر اللون بالقرب من بناية أمامهم وهو يضيف : " لقد كنت متوجها نحو المترو " . كان هناك حشد صغير من الناس ينتظر عنده . " إلا أننى أرى أنه قد لا يكون من الصواب أن نستقله الآن " .

قال كلاى : " ولا أنا . لقد حجزت غرفة فى فندق اسمه أطلانطيك . على بعد خمس بنايات من هنا " .

تهلل وجه توم وهو يبادره : " أعتقد أنى أعرفه . إنه عند لودين . بالقرب من ساحة أطلانطيك " .

" حسناً . هيا بنا إلى هناك . حيث يمكننا أن نتعرف على ما يجرى من التلفاز . كما أننى أريد الاتصال بزوجتى " .

" من هاتف الغرفة " .

" أجل من هاتف الغرفة . إننى لا أمتلك هاتفاً خلوياً " .

" لدى واحد . لكننى تركته بالمنزل . فهو معطوب . فقد أسقطه قطى " رافى " من فوق المنضدة . كنت أنتوى أن أبتاع واحداً جديداً هذا النهار بالذات ، لكن . . . انظر سيد ريدل . . "

" كلاى "

" كلاى . إذن . هل أنت متأكد من أن استخدام هاتف الغرفة مأمون العواقب أيضاً ؟ "

توقف كلاى عن السير . إنه لم يفكر فى هذه النقطة من قبل . ولكن إذا لم تكن الخطوط الأرضية سليمة . فما هو الذى بقى مأموناً إذن ؟ كان يهم بأن يخبر توم بهذا حينما حدثت جلبة عند مدخل نفق المترو . كانت هناك صرخات فزع ، وألم ، وصيحات وحشية حينها أيقن أنها علامة على جنون قد حل

بتلك البقعة . تشتت الحشد الذى كان متجمعاً عند سلالم النفق . بعضهم صار يجرى فى الشارع ، واثنان منهم أحاطا ببعضهما البعض وهما يلتفتان خلفهما كثيراً ويهرولان . أغلبهم توجه نحو المتنزه ، فى مسارات مختلفة ، وانفطر قلب كلاى لمنظرهم الفزع . ولكنه شعر براحة نحو الاثنين اللذين كان يحيطان بعضهما البعض بذراعيهما .

بقى عند المحطة رجلان وامرأتان . كان كلاى متيقناً من أنهما هما من صعدا من المحطة مثيرين كل هذا الفزع . وبينما وقف كلاى وتوم يراقبان المشهد على بعد بناية منهما ، اندلع الشجار بين هؤلاء الأربعة . كان شجاراً هيستيرياً ، ولم يكن هناك سبب ظاهر له رغم شراسته . لم يكن شجاراً بين ثلاثة ضد واحد ، أو اثنين ضد اثنين ، ولم يكن بالتأكيد شجاراً بين الفتيان ضد الفتيات ؛ الحقيقة أن إحدى السيدتين كانت فى العقد السادس من عمرها . وجسدها البدين وطريقة تصفيف شعرها دفعا كلاى إلى أن يخمن أنها تعمل مدرسة ، وتكاد تصل إلى سن التقاعد .

تشاجروا بالركلات واللكمات ، وبالأظافر والأسنان . وهم يزمجرون ويصرخون . وقد أحاطوا بأجساد العشرات ممن سقطوا فاقدى الوعى ، أو ربما لقوا مصرعهم . تعثر أحد الرجلين فى ساق ممدودة ليسقط على ركبتيه . وسقطت أصغر السيدتين سناً فوقه . سحب الرجل الساقط على ركبيته شيئاً من عند الرصيف . رأى كلاى من دون أن يدهش أنه كان هاتفاً محمولاً ، وضرب به جانب وجه السيدة . تحطم الهاتف المحمول ، ممزقاً وجه السيدة لينهمر الدم بغزارة على كتف سترتها ، إلا أن صراخها كان صراخ غضب أكثر منه صراخ ألم . فقد قبضت على أذنى الرجل وكأنهما مقبضا جرة ، وهوت بركبتيها على بطنه ، ثم رفعته وألقته من خلف ظهرها نحو

فتحة النفق . وسرعان ما سقط الاثنان معاً على السلالم للأسفل ليختفيا عن الأنظار .

غمغم توم وهو يجذب كلاى من قميصه فى ضعف غريب : " هيا بنا . . هيا بنا إلى الجانب الآخر من الشارع . . . هيا بنا " .

انقاد كلاى معه عبر شارع بويلستون . واندهش حينما وصلا إلى الجانب الآخر من دون أن يمسسهما سوء ، فإما أن توم كان حريصاً على ذلك أو أنه كان محظوظاً . توقفا ثانيةً أمام مكتبة كولونيال ، يراقبان تلك التى بقيت من هذا الشجار وهى تسرع الخطى عبر المتنزه وفى اتجاه الطائرة المحترقة ، كان الدم يقطر من شعرها الأشيب وعلى ياقة سترتها . لم يندهش كلاى أبداً لكون أن من بقيت هى السيدة التى بدت له مدرسة أو أمينة مكتبة على بعد عام أو عامين من التقاعد . لقد تعامل مع الكثير من السيدات أمثالها . ويعلم أن من نجحن فى الوصول إلى هذه السن يكون من الصعب هزيمتهن .

هم بأن يقول لتوم شيئاً ساخراً ربما إلا أن ما ند عن فمه لم يتعد أن يكون آهة دامعة . كما أن الرؤية أمامه قد صارت مغبشة . فمن الواضح أن توم ماكورت الرجل القصير ليس وحده من لا يستطيع أن يغالب دموعه . مسح كلاى عينيه بذراعيه ، وحاول أن يمشى من جديد ، ولكنه لم يبتعد سوى خطوات وهو فى هذه الحالة .

قال توم : " لا بأس . . . دع لنفسك العنان . . . ابك " .

وهكذا بكى كلاى ، وهو يقف أمام واجهة متجر تعج بالكتب القديمة ، التى تحيط بآلة كاتبة عتيقة الطراز ، تعود إلى زمن يسبق بكثير عصر الهواتف المحمولة . بكى لأجل ما جرى للسيدة ذات الحلة ، ولما جرى لبيكسى الشقراء وبيكسى السمراء ، ولأجل ما جرى له ، ولأن بوسطن ليست بالمكان الذى

www.rewity.com ARAYAHEEN

يقطن به . فقد بدا له أن المكان الذى يقطن به بعيد عنه بعد الشمس عن الأرض .

٦

صار شارع بوليستون مليئاً بالسيارات سواءً المحطمة أو التى تركها أصحابها . فلم يعودا قلقين من أن تصدمهما سيارة انتحارية مسرعة أو تنقلب عليهما حافلة ضخمة . وهو ما بعث فى نفسيهما بعض الراحة . كانت أصوات الانفجارات وطلقات الرصاص تأتيهما من جميع أرجاء المدينة وكأنها أصوات حفلة تقام فى الجحيم . كان هناك الكثير من الضجيج على القرب منهما أصوات أجراس إنذار من السيارات ومن المتاجر . أما الشارع نفسه فقد كان فى تلك اللحظة مهجوراً لدرجة تثير الخوف . لقد قال لهما الشرطى بأن عليهما أن يبحثا عن مكان آمن يختبئان فيه . " لقد كنتما محظوظين هذه المرة . . . وقد لا تبقيان محظوظين فى المرة القادمة " .

ولكن ها هو الحظ يحالفهما من جديد ، وهما على بعد بنايتين شرقى متجر الكتب . وعلى بعد بناية فقط من فندق كلاى المتواضع . حينما اقترب منهما مجنون آخر ، هذه المرة شاب فى أواسط العشرينيات من عمره ، مفتول العضلات اندفع أمامهما من حارة ليسرع عابراً الشارع . قافزاً فوق مصدتى سيارتين تصادمتا من قبل . وهو يصيح بكلمات هاذية غير مفهومة . كان يمسك فى يديه بهوائيى سيارة ويلوح بهما فى سرعة للخلف والأمام وكأنهما خنجران . كان عارياً إلا من حذاء رياضى بدا جديداً برباطه الأحمر الفاقع . وصل إلى الرصيف البعيد وانطلق مسرعاً نحو الساحة العمومية ، وجسده الرياضى ينقبض وينبسط فى سلاسة مدهشة .

تعلق توم بذراع كلاى فى قوة ، حتى ابتعد هذا المجنون الأخير ، عندها أرخى قبضته حول ذراع كلاى . قال : " لو كان قد رآنا . . . . " .

قاطعه كلاى : " بالطبع . . . لكنه لم يرنا " . استغرب لما اعتراه من شعور بالسعادة . علم أنه شعور عابر ، إلا أنه كان مرتاحاً له فى تلك اللحظة . أحس كأنما يجلس فى نادٍ عريق وأمامه أكبر كأس من الآيس كريم .

علق توم : " كم أشفق على من سيراه " .

" أما أنا فأشفق على من سيقع فى طريق هذا المجنون . . . هيا بنا " .

٧

كانت أبواب الفندق الصغير مغلقة .

اندهش كلاى لدرجة أنه تخيل للحظة أن مقبض الباب سرعان ما سينفتح ثانيةً بين أصابعه : إلا أنه كان مغلقاً . الفندق مغلق فى وجهه .

وقف توم إلى جواره ، ومال بوجهه نحو الزجاج ليرى ما الذى بالداخل . أتاهما - من جهة الشمال مطار لوجان بالتأكيد - صوت سلسلة من الانفجارات الضخمة ، إلا أنها لم تحدث فى كلاى هذه المرة سوى رجفة بسيطة . بل ظن أن توم لم يبد أية ردة فعل من الأصل . فقد كان مستغرقاً تماماً فيما كان يراه .

أخبره من موضعه أخيراً : " هناك شخص ميت على الأرض ، يرتدى زياً رسمياً ، إلا أنه أكبر سناً من أن يكون هو حارس الفندق " .

رد كلاى : " إننى لا أريد شخصاً ليحمل لى حقيبتى اللعينة . بل أود فقط أن أصعد إلى غرفتى " .

أطلق توم صوتاً غريباً . ظن كلاى أن القصير سيعود للبكاء ثانيةً ، ثم سرعان ما أدرك أنها ليست سوى ضحكة ندت عن فمه .

كانت عبارة فندق أطلانطيك مطبوعة على واجهة الباب الزجاجى المزدوج . وأسفلها كذبة جريئة تقول أجمل أماكن بوسطن . لطم توم براحته زجاج الواجهة عند عبارة أجمل أماكن بوسطن .

أما كلاى فقد أخذ دوره فى التطلع إلى ما بداخل الفندق . لم يكن بهو الفندق بالكبير . وعلى يساره مكتب الاستقبال . أما على اليمين فيقع المصعدان . وافترشت أرضيته سجادة تركية حمراء . وقد رقد فوقها الآن العجوز ميتاً وجهه إلى الأسفل وإحدى قدميه تستند إلى أريكة وعلى ظهره استقرت صورة سياحية .

سرعان ما تبددت مشاعر الارتياح التى كانت قد اعترت كلاى ، وحينما تحولت لطمات راحة يد توم إلى ضربات على الزجاج ، وضع يده على قبضة توم وهو يقول : " لا تتعب نفسك . . . فإنهم لن يسمحوا لنا بالدخول ، حتى ولو كانوا أحياءً ولم يصبهم ذلك الجنون بعد " . ثم أضاف بعد تفكير : " وخصوصا لو لم يصبهم ذلك الجنون " .

نظر إليه توم فى تساؤل : " يبدو أنك لم تفهم حقيقة الوضع ، ألم تفهم بعد ؟ "

" هاه ؟ أفهم ماذا ؟ "

" لقد تغير الحال ، ولم يعد بمقدورهم أن يمنعونا من الدخول " . دفع يد كلاى عن يده ، وبدلاً من أن يواصل الضرب على الزجاج ، لصق جبهته به وهو يصيح . حتى أن كلاى اعتقد أن قوة صياحه لا تتناسب مع ضآلة جسده . " أنتم . . . . أنتم يا من بالداخل !! " .

جاوبهما الصمت . لم تبدر أية بادرة من داخل البهو . بقى العجوز ميتاً كما هو والصورة على ظهره . " أنتم . . . لو كنتم بالداخل . . فمن الأفضل أن تفتحوا الباب! فمن معى أحد نزلائكم وأنا ضيفه! افتحوا وإلا سوف أحطم هذا الزجاج بحجر من الرصيف . . . هل تسمعونني ؟ "

بادره كلاى قائلا : " حجر من الرصيف ؟ " . ثم أخذ يضحك . " هل قلت حجرا من الرصيف . . . هاهاها " . زادت ضحكاته قوة . ولم يستطع أن يمنع نفسه من مواصلة الضحك . إلا أن حركة سريعة على يساره لفتت انتباهه . فالتفت ليرى فتاة مراهقة تقف ليس ببعيد عنهما . كانت تنظر إليهما بعين زرقاء تنم عن أنها قد نجت للتو من كارثة . كانت ترتدى رداءً أبيض ، وقد تلطخ صدرها بالدم . وكان هناك الكثير من الدم المتخثر تحت أنفها ، وعلى فمها وذقنها . أما خلاف ذلك فلم يكن هناك أى أذى ، كما أن من الواضح أنها لم تصب بالجنون . بل هى مصدومة ليس إلا . مصدومة صدمة بالغة .

سألها كلاى : " هل أنتِ بخير؟ " . اقترب خطوة تجاهها وجاوبته هى بخطوة إلى الخلف . لم يكن ليلومها فى ظل هذه الظروف . فاقترب منها أكثر وهو يرفع يده كشرطى مرور : " ابقى مكانك " .

التفت إليهما توم ، لكنه عاد ليدق على الباب بكل قوة ، حتى أن الزجاج بدأ يهتز تحت وقع ضرباته . " هذه فرصتكم الأخيرة . . . بعدها سنقتحم المكان ! " .

التفت إليه كلاى وهم بأن يخبره بأن هذا الهراء لن يجدى نفعاً اليوم . حينما ارتفع رأس أصلع ببطء من خلف مكتب الاستقبال . حتى أنه بدا لهما أشبه بمنظار مراقبة يصعد إلى سطح الماء . ما إن رأى كلاى الرأس حتى تعرف عليها قبل حتى أن يرى الوجه؛ فهو الموظف الذى حجز له بالأمس وختم له

تذكرة موقف السيارات . نفس الموظف الذى وصف له مكان فندق كوبلى هذا الصباح . ظل فى مكانه خلف المكتب للحظة . ورفع له كلاى مفتاح غرفته ذا الميدالية الخضراء التى تحمل شعار الفندق . ثم رفع حقيبته . ظناً منه أن الموظف سيتعرف عليه .

ربما حدث هذا . أو أن الموظف قد وجد أن لا خيار آخر أمامه . إلا أنه قد غادر المكتب وسارع نحو الباب . بعد أن دار حول الجثة المسجاة على الأرض . فحينما وصل الموظف إلى الباب أخذت نظراته تتراوح بين كلاى وتوم ثم نظر إلى كلاى ثانية . وعلى الرغم من أنه بدا غير واثق مما يراه . إلا أنه سرعان ما أخرج سلسلة مفاتيح من جيب سرواله وأخذ يبحث عن مفتاح بعينه . حتى وجده . وفتح به الباب من ناحيته . حينما هم توم بإمساك المقبض . رفع الموظف الأصلع يده أمامه تماما كما رفعها كلاى فى وجه الفتاة مدماة الوجه خلفه .

قال : " هيا ... اسرعا " . ثم رأى الفتاة . وهى تقف تراقب الموقف . " لا تدخلاها " .

لكن كلاى قال : " بل ستدخل . تعالى يا صغيرتى " . إلا أنها لم تأت . وحينما حاول كلاى الاقتراب منها . استدارت وأخذت تركض بعيدا . وتطايرت تنورتها من خلفها .

٨

قال كلاى : " قد تموت بالخارج " .

رد الموظف : " ليست هذه بمشكلتى . هل ستدخل أم لا . سيد ريدل ؟ " . كان يتحدث بلهجة بوسطن . وليست تلك اللهجة الجنوبية المنمقة لأهل ماين . حيث يبدو أغلب الناس

وكأنهم أصلاً من ماساشوسيتس . بل لهجته هى لهجة من كان يود لو كان بريطانيا .

كان قد قرر الدخول . لم يكن ليمنعه هذا الشخص من الدخول بعد أن انفتح الباب . إلا أنه تردد لحظةً أخرى على الرصيف . وهو ينظر إلى الفتاة .

فقال له توم فى هدوء : " هيا ادخل . ليس بيدك ما تستطيع فعله لها " .

كان محقاً . ليس بيده شيء . كانت تلك هى الحقيقة المرة . تبع توم إلى الداخل . وعاود الموظف غلق الباب بإحكام من خلفهم . وكأنه هو حصنهم المنيع أمام كل تلك الفوضى الجارية بالخارج .

٩

" هذا فرانكلين " . قال ذلك موظف الاستقبال وهو يقودهما من حول الشخص ذى الزى الرسمى الراقد ووجهه إلى الأرض .

كان توم قد قال من قبل وهو ينظر عبر زجاج الباب إنه أكبر سناً من أن يكون بواب الفندق . وكان كلاى يوافقه الرأى . فقد كان ضئيل الجسد . غزير الشعر الأبيض . والمؤسف أن رأسه الذى كان شعره ينمو عليه (وهو قد قرأ أن نمو الشعر والأظافر بطيء) كان محطما بزاوية مفزعة . كأنه رأس رجل تم شنقه .

" لقد عمل بالفندق طيلة خمسة وثلاثين عاما . وأنا أعلم بأنه قد أخبر كل نزيل بهذه المعلومة . بل وقد كان يلح على تأكيدها " .

كانت لكنة الموظف تثير أعصاب كلاى . بل كانت تثير اشمئزازه حيث كان يراها أشبه بصوت نفير يطلقه صبى مصاب بالربو .

قال الموظف وهو يعود إلى مكتبه ، وكان من الواضح أنه يشعر براحة حين الجلوس إليه ، وكان الضوء الساقط على وجهه يبين لكلاى مدى شحوب وجهه : " خرج رجل من المصعد . كان أحد هؤلاء المجانين . وكان من سوء حظ فرانكلين أنه وقف أمام الباب مباشرة . . . " .

قال كلاى : " لا أفترض أنه قد خطر ببالك أن ترفع هذه الصورة اللعينة عنه " . ثم مال إلى الجثة ورفع الصورة ، ووضعها على الأريكة . وفى ذات الوقت . رفع ساق العجوز الصريع عنها وأراحها على الأرض . عندها سقطت بصوت اعتاده كلاى . فقد كان يصوره بالأحرف فى العديد من رسومات القصص المصورة .

قال موظف الاستقبال : " لم يوجه له الرجل سوى لكمة واحدة . كانت كافية لأن يرتطم رأس العجوز فرانكلين بالجدار . وأعتقد أن عنقه قد دقت . وعلى أية حال ، فقد كان هذا هو السبب فى سقوط الصورة فوقه " .

كان هذا هو تبرير الموقف فى عقل الموظف .

سأله توم : " وماذا عن الرجل الذى لكمه ؟ . . . الرجل المجنون ؟ . . . إلى أين ذهب ؟ " .

قال الموظف : " خرج . عندها علمت أن إغلاق الباب هو أحكم تصرف ممكن . ذلك بعد أن خرج منه " . كان ينظر إليهما نظرة هى مزيج بين الخوف والطمع الشهوانى وجدها كلاى مثيرة للامتعاض . " ما الذى يحدث بالخارج ؟ ما مدى سوء الحال ؟ "

رد كلاى : " أعتقد أن لديك فكرة جيدة فى هذا الصدد . أليس من أجل ذلك قمت بإغلاق الباب ؟ "

" بلى . ولكن . . . "

بادره توم : " ما الذى يبثونه عبر شاشة التلفاز ؟ "

" لا شيء . لقد انقطع إرسال القنوات الفضائية . . . " ، ثم نظر إلى ساعته قبل أن يضيف : " منذ ما يقرب من نصف الساعة " .

" وماذا عن المذياع ؟ "

نظر إليه الموظف نظرة هازئة . بدأ مقت كلاى للرجل يزداد . رد الموظف : " راديو فى هذا المكان ؟ بل فى أى فندق بوسط المدينة ؟ لابد أنك تمزح " . من الخارج أتتهم صرخة فزع ملتاعة . بدت الفتاة ذات الرداء الأبيض الملطخ بالدماء عند الباب مرة أخرى . وبدأت تطرقه بعنف براحة يدها . وهى تلتفت خلفها أثناء ذلك . اتجه كلاى نحوها فى سرعة .

صاح فيه توم : " كلا . ألا تذكر أنه قد أغلق الباب ثانية؟ "

كان كلاى قد نسى ذلك . فالتفت إلى موظف الاستقبال قائلا : " افتح الباب " .

قال الموظف : " كلا " . ثم عقد ذراعيه فى حزم أمام صدره الضيق ليؤكد على رفضه هذا . بينما كانت الفتاة بالخارج لا تزال تطرق الباب بعنف وهى تتلفت حولها . كان الفزع مرسوما على وجهها الملطخ بالدماء .

سحب كلاى السكين التى كانت فى حزامه . كان قد نسى أمرها واندهش من السرعة التى تذكرها بها فى هذه اللحظة . وهدد بها الموظف قائلا : " افتحه أيها الوغد . . . وإلا قطعت عنقك " .

١٠

صاح توم : " لا وقت لدينا لهذا ! " ، ثم رفع أحد المقاعد عالية الظهر المجاورة لأريكة البهو . ثم اندفع به نحو الباب المزدوج .

رأته الفتاة وهو يقترب فتراجعت فى سرعة ، وهى ترفع يديها تحمى بهما وجهها . فى ذات اللحظة التى ظهر فيها الرجل الذى كان يطاردها أمام الباب . كان من الواضح أنه أحد عمال البناء ضخام الجثة تبرز عضلات صدره من خلف قميصه القطنى الأصفر ، وشعره الأشيب الطويل معقود خلف رأسه كذيل حصان .

ارتطمت سيقان المقعد بزجاج الباب مهشمةً إياه ، وتحطمت معه العبارتان المكتوبتان عليه فندق أطلانطك وأجمل أماكن بوسطن . وسرعان ما ارتطمت سيقان المقعد اليمنى بالكتف اليسرى للرجل ذى القميص الأصفر وهو يهم بالقبض على عنق الفتاة . أما الجانب السفلى للمقعد فقد تعلق بالمزلاج الصلب الذى يربط بين البابين المزدوجين ، بينما سقط توم ماكورت إلى الوراء وهو مذهول .

أخذ عامل البناء يزأر متألماً وهو يهذى بكلمات غير مفهومة ، وبدأ الدم ينزف من عضلات كتفه اليسرى . وقد نجحت الفتاة فى الفكاك من قبضته ، إلا أنها تعثرت وسقطت على الأرض . نصف جسدها فى الطريق والنصف الآخر على الرصيف ، وهى تصرخ من الألم والخوف .

وجد كلاى نفسه وهو يقف عند إحدى الواجهتين المهشمتين ولم يذكر كيف ومتى قطع هذه المسافة ، أو كيف أزاح المقعد العالق عن طريقه . أخذ يصيح : " أنت أيها الوغد! " ، ووجد فى نفسه بعض الشجاعة حينما توقف هذيان الرجل وتسمر فى مكانه . فصاح كلاى : " أجل . . . أنت! إننى أتحدث إليك ! " وبعدها ، ولأن هذا هو الشيء الوحيد الذى بوسعه التفكير فيه لحظتها ، فقد أخذ يستفزه بالسباب .

صرخ المجنون ذو القميص أصفر اللون بشيء بدا غريباً وأشبه بما تلفظت به السيدة ذات البذلة قبيل أن تلقى مصرعها

ثم استدار نحو البناية التى بدا علي محياه وكأنها ستلتهمه . وأياً كان ما رآه ، فإنه لم يكن رجلا متعرق الوجه يحمل بيده سكيناً ويميل نحوه عبر الواجهة ، فلم تبدر عنه أية بادرة هجوم . إلا أن الرجل قفز بجسده نحو نصل السكين . وسرعان ما اخترقت السكين أسفل ذقنه الذى لوحته الشمس لتنفجر الدماء منه فى غزارة . سقطت الدماء الساخنة على يد كلاى وكأنما سكب أحدهم قدحاً من القهوة عليها وكان عليه أن يقاوم رغبته فى إبعادها . إلا أنه وجد نفسه يدفع يده دفعاً ، حتى أحس بأن السكين تجد مقاومة . ترددت السكين ، إلا أنها لم تكن لتركن لهذا . فسرعان ما قطعت هذا الغضروف ، ثم خرجت عبر مؤخرة عنق المجنون ضخم الجثة . سقط الرجل إلى الأمام وعجز كلاى عن أن يسند جسده بيد واحدة ، فوزن الرجل يزيد على المائتين وخمسين رطلا واستند للحظة على الباب كسكير يستند إلى عمود إنارة ، وعيناه البنيتان جاحظتان ، ولسانه المسود بسبب النيكوتين يتدلى من ركن فمه ، وعنقه متدل . ثم سرعان ما خارت ركبتاه لينهار ساقطاً . تمسك كلاى بمقبض السكين واندهش من سلاسة خروجها من جسد الرجل . كان ذلك أيسر من خروجها من جلد حقيبته .

بعد أن سقط الرجل أمكنه أن يرى الفتاة من جديد ، وإحدى ركبتيها على الرصيف والأخرى على بالوعة الشارع . وهى تصرخ عبر شعرها الذى غطى وجهها من الألم . قال : " عزيزتى . . . عزيزتى لا . . . " إلا أنها واصلت الصراخ .

١١ -

كان اسمها " آليس ماكسويل " . كان بمقدورها أن تخبرهما بالكثير . وأخبرتهما بأنها وأمها قد حضرتا إلى بوسطن بالقطار

www.rewity.com ARAYAHEEN

من بوكسفورد كما قالت لأجل التسوق . وهو ما اعتادتا على القيام به أيام الأربعاء . وهو " اليوم القصير " بين أيام الدراسة الأسبوعية فى مدرستها الثانوية . قالت إنهما ترجلتا عن القطار بالمحطة الجنوبية واستقلتا سيارة أجرة . وأخبرتهما بأن سائقها كان يرتدى عمامة زرقاء . وأن هذه العمامة الزرقاء هى آخر ما تتذكره إلى أن وجدت موظف الاستقبال الأصلع وهو يفتح مزلاج الباب المهشم للفندق ، ويسمح لها بالدخول .

خمن كلاى أنها تتذكر ما هو أكثر من ذلك . واعتمد فى تخمينه هذا على أنها بدأت ترتجف حينما سألها توم عما إذا كان بصحبتها هى أو أمها هاتف محمول . فقد زعمت أنها لا تتذكر . إلا أن كلاى كان متأكداً من أنه كان بجعبة إحداهما أو أو كلتيهما هاتف محمول . فيبدو أن هذا الهاتف قد صار بجعبة الجميع هذه الأيام . كان هو مجرد استثناء لهذه القاعدة . وها هو توم أمامه . وهو يكاد يدين بحياته للقطة التى هشمت هاتفه المحمول .

تحاورا مع آليس وتمحور الحوار فى أغلبه حول طرح كلاى لأسئلته بينما جلست الفتاة فى صمت . وهى تحدق فى ركبتيها الجريحتين وتهز رأسها بين الحين والآخر داخل بهو الفندق . كان كلاى وتوم قد أزاحا جثة فرانكلين إلى خلف مكتب الاستقبال . وهما يتجاهلان اعتراض الموظف الصاخب بسبب أنه " سيكون عند قدمىّ الآن " . كان الموظف والذى عرفا أن اسمه " ريكاردى " قد تركهما من وقتها وتوجه إلى مكتبه الداخلى . تبعه كلاى حتى يتأكد من أن السيد ريكاردى صادق فيما يخص أن الإرسال التلفزيونى مقطوع . ثم تركه لحاله .

على أن الرجل لم يكن ليترك كلاى من دون تعليق : " لم نعد الآن محصنين أمام هذا العالم المجنون . . . أرجو أن تكون قد ارتحت الآن "

رد كلاى وهو يكظم غيظه : " سيد ريكاردى . لقد رأيت طائرة تتحطم بالجهة الأخرى من الساحة العمومية منذ ساعة . ويبدو لى أن هناك المزيد من الطائرات التى تتحطم الآن بمطار لوجان . ربما كانت أفعالاً انتحارية . إلا أن هناك انفجارات فى كل مكان . أى أن بوسطن بأسرها مفتوحة أمام هذا العالم " .

ما إن انتهى من كلماته حتى وجد المكان بأسره يرتج ارتجاجة هائلة . فلم يحرك ريكاردى ساكناً . واكتفى بأن لوح بيده تجاه كلاى . ومع عدم وجود إرسال تلفزيونى . فقد قرر أن يقبع فى مكانه بالمقعد وهو ينظر فى حدة إلى الجدار .

١٢

وضع كلاى وتوم المقعدين العتيقين خلف الباب . حيث سدا بظهريهما موضع الزجاج المهشم . ومع أن كلاى كان متيقناً من أن عزل الفندق عما يجرى بالشارع ليس سوى شعور مزيف بالأمان . إلا أنه رأى أن عدم إتاحة الفرصة للنظر إلى الشارع عبر الباب أمر لا بأس به . وكان توم يوافقه الرأى . ما إن وضعا المقعدين فى مكانهما . حتى أسدلا الستائر فوق النافذة الرئيسية للبهو . مما أعتم المكان بشكل واضح مخلفا ظلالاً قضبانية على السجادة التركية الحمراء .

بعد أن تم تأمين المكان بهذا . أوجزت آليس ماكسويل فى القصة التى روتها . وتوجه كلاى أخيراً إلى الهاتف خلف المكتب . ألقى نظرة على ساعته التى كانت تشير إلى الرابعة واثنتين وعشرين دقيقة عصراً . فبدا له وقتاً منطقيا لإجراء هذه المكالمة . مع أنه قد فقد من الأصل الإحساس بالزمن . فقد بدا وكأن ساعات مضتْ منذ أن رأى ذلك الرجل الذى قضم أذن الكلب بالمتنزه . ومع هذا فهو يعتقد أن كل تلك الأحداث قد مرت فى

غمضة عين . ولكن هناك فى نهاية المطاف وقتاً . . وقتاً عادياً مما يحسبه البشر . ولابد أن شارون زوجته قد عادت من عملها وهى هناك الآن فى كينت بوند ، فى البيت الذى يعده منزله . كان بحاجة إلى أن يتحدث إليها . حتى يطمئن عليها وحتى يطمئنها عليه . فهذا أمر مهم ، إلا أن هناك ما هو أهم وأكثر إلحاحاً من ذلك .

إنه متيقن من أنه ليس لديه هاتف محمول ، وكذلك حال شارون . ربما تكون قد اقتنت واحداً منذ أن انفصلا فى أبريل الماضى . لكنهما يعيشان فى نفس البلدة ، ويكاد يراها كل يوم ، ويظن أنها لو كانت قد ابتاعت واحداً ، لكان قد عرف بهذا . فقد كانت ستعطيه رقمها ، أليس كذلك؟ هذا صحيح ، لكن . . .

لكن جونى لديه واحد . جونى الصغير . . . لا ، لم يعد صغيراً الآن ، فالثانية عشرة ليست بالسن الصغيرة ، وكان الهاتف المحمول رغبته فى آخر عيد ميلاد له . هاتف محمول أحمر يصدر النغمة التى يحبها لذلك البرنامج التليفزيونى حينما يرن جرسه . ولقد كان ممنوعاً عليه بالطبع أن يستخدمه أو أن يخرجه من الأصل من حقيبة مدرسته حينما يكون بالمدرسة ، إلا أن ساعات الدراسة قد انتهت الآن . كما أن كلاى وشارون شجعاه على أن يكون الهاتف معه ، ربما بسبب انفصالهما . أو ربما تكون هناك حالة طوارئ ، أو أن تفوته حافلة المدرسة . ما يأمل فيه كلاى الآن هو أن تكون شارون قد صدقت فيما قالته له من أنها كثيراً ما تدلف إلى حجرته لتجده قد نسيه على مكتبه ، أو على منضدة بجوار الفراش ، أو قد نفد شحن بطاريته .

إلا أنه لم يستطع التخلص رغم هذا من القلق الذى اعتراه بسبب ذلك الهاتف الأحمر .

لمس كلاى جهاز الهاتف الأرضى القابع على مكتب استقبال الفندق ، ثم سحب يده بعيداً عنه ، فقد حدث انفجار آخر ، إلا أنه كان هذه المرة بعيداً . بدا كطلقة مدفعية انفجرت بعيداً عن خندق الجنود .

قال لنفسه ، " لا تفرض هذا الافتراض . . . بل لا تفترض حتى أن هناك خنادق بها أحد " .

تطلع عبر البهو ليرى توم وقد جلس القرفصاء إلى جوار آليس والتى جلست بدورها إلى الأريكة . كان يحدثها بصوت هامس ، وهو يلامس حذاءها متطلعاً إلى وجهها . لا بأس بهذا . فتوم يعلم أن ما يفعله الآن ضرورى . وشعر كلاى الآن بسعادة لهذه المصادفة التى ألقت بتوم ماكورت فى طريقه . . . أم أنه هو الذى ساقته الأقدار فى طريق توم . . . لا يدرى .

كان الأغلب أن تكون الخطوط الأرضية على ما يرام . لكن السؤال يتعلق بمدى كفاءتها الحالية . فلديه زوجة لا يزال يشعر تجاهها بنوع من المسئولية ، كما أن هناك ابنه الذى يعنى له كل شيء . بل إن مجرد التفكير فيه يصيبه بالقلق هذه اللحظات . بل إن الفزع ينتابه كلما انشغل عقله بمصيره . فلو كان مطمئناً على حال شارون وجونى لكان قد فرغ عقله لأجل التفكير فى الخطوة القادمة . ولكنه لو ارتكب أية حماقة الآن ، فعندها لن يكون فى وسعه أن ينجد أحداً . بل سيزيد الأمور سوءاً على من معه هنا . فكر فى كل هذا للحظات قبل أن ينادى على موظف الاستقبال .

حينما لم يتلق رداً نادى ثانية . رغم هذا لم يتلق رداً ، فقال : " أعلم أنك تسمعنى ، سيد ريكاردى . فلو اضطررتنى إلى الذهاب إليك فأعلم أنى سأؤذيك . بل قد ألقى بك إلى الشارع " .

عندها رد ريكاردى بنبرة إرشادية : " لن يكون بمقدورك هذا . فلست سوى مجرد نزيل هنا " .

فكر كلاى فى تكرار ما كان توم قد قاله له حينما كانا بالخارج . . . لقد تغيرت الأمور . . . إلا أن شيئاً ما دفعه إلى الصمت .

فى النهاية رد ريكاردى بنبرة بدت واثقة أكثر من ذى قبل : " ماذا " . من فوقهم ارتج المكان بصوت ارتطام شديد . كما لو أن أحدهم قد أسقط قطعة أثاث ثقيلة . ربما كانت مكتبا . هذه المرة تطلع الجميع لأعلى . حتى الفتاة . ظن كلاى أنه سمع صوت صيحة مكتومة ـ أو ربما صرخة ألم ـ ولكن لم يتبع هذا أى صوت آخر . ما الذى يحويه الطابق الثاني؟ إنه لا يحوى مطعما . فهو يتذكر أنه قد قيل له . بل قال له السيد ريكاردى نفسه حينما كان يحجز الغرفة إن الفندق ليس به مطعم . وإن كافيتريا ميتروبوليتان ملاصقة للفندق . ربما كانت حجرة اجتماعات . بل هو متأكد من أنها حجرة اجتماعات ذات مسميات هندية .

تساءل ريكاردى ثانيةً : " ماذا ؟ " . بدا شديد التذمر .

" هل حاولت أن تهاتف أى أحد حينما بدأت كل هذه الأحداث؟ "

رد : " بالطبع ! " . خرج من غرفته . واقترب من الباب الواقع بين المكتب الداخلى والمنطقة وراء مكتب الاستقبال . كان ينظر إلى كلاى فى سخط . " لقد انطلق إنذار الحريق فعملت على إيقافه . فقد ذكرت دوريس أنها مجرد نيران أمسكت بسلة مهملات فى الطابق الثالث . وهاتفت إدارة المطافئ لأخبرهم بألا يهتموا بهذا الإنذار . إلا أن خطوطهم كانت مشغولة ! . . . مشغولة ! . . . هل تتخيل حدوث هذا! " .

فقال توم : " لابد أنك شعرت بالحزن الشديد لهذا " .

بدا ريكاردى هادئاً للمرة الأولى : " هاتفت الشرطة حينما بدأت تلك الأمور بالخارج . . . تسير نحو الهاوية " .

رد كلاى : " بالفعل " . هذا هو أنسب تعبير لما يجرى نحو الهاوية . وهل رد عليك أحدهم ؟ "

" أخبرنى شخص بأن صوتى غير واضح . ثم أغلق الخط فى وجهى " . كان السخط يتسلل مرة أخرى إلى صوته . " وحينما هاتفتهم ثانيةً وكان هذا بعد أن خرج المجنون من المصعد ليقتل فرانكلين ردت علىّ امرأة . قالت ... " هنا بدأ صوته يتهدج ولحظ كلاى دموعاً تنساب على جانب أنف الرجل . " ... قالت ... " .

بادره توم متسائلاً فى تعاطف : " ماذا؟ . . ما الذى قالته لك سيد ريكاردى ؟ "

" قالت إنه طالما قد مات فرانكلين وهرب المجنون فليس لدى ما أقلق بشأنه . وكانت هى من نصحنى بأن أحكم إغلاق الباب على . كما طلبت منى أن أستدعى المصاعد إلى الطابق الأرضى ومن ثم أعطلها . وهو ما فعلته " .

تبادل كلاى وتوم نظرات تنم عن أن هذه قد كانت فكرة جيدة ؛ وانتابت كلاى صورة حية لحشرات احتجزت بين نافذة مغلقة . وأسلاكها المعدنية . وهى تصدر طنينا مجنونا . إلا أنها عاجزة عن الخروج . كانت لهذه الصورة علاقة بصوت الارتطام الذى سمعوه فوقهم . تساءل عن الوقت الذى سيستغرقه من هم محتجزون بالأعلى حتى يعثروا على الدرج .

" ثم أغلقت الخط . فهاتفت زوجتى فى ميلتون " .

قال كلاى محاولاً التأكد مما سمعه : " وهل استطعت مكالمتها " .

" لقد كانت خائفةً جداً . وطلبت منى أن آتيها فى المنزل . فقلت لها إنهم قد نصحونى بأن أبقى بالداخل وأن أغلق الباب على . وأخبرتها بأن تفعل الشيء ذاته . وألا تصدر أية جلبة تجذب الانتباه . توسلت إلىّ أن أعود إلى المنزل . قالت إن هناك

تبادلاً لإطلاق النار بالخارج . وانفجاراً على بعد شارع من منزلنا . وإنها قد رأت رجلاً عارياً يركض عبر فناء منزل الجيران " .

قال توم وهو يحاول تهدئته : " تابع كلامك " . أما كلاى فاكتفى بالصمت . وقد شعر ببعض الخجل من الأسلوب الغاضب الذى تعامل به مع ريكاردى . إلا أنه تذكر أن توم كان غاضباً أيضاً .

" قالت بأنه قد خيل لها . . . خيل لها . . أن الرجل العارى كان يحمل جثة طفل عار . لكن ربما كانت مجرد دمية . وتوسلت إلى ثانية أن أغادر الفندق عائداً إلى المنزل " .

كان ما يريده كلاى هو أن يطمئن إلى أن الخطوط الأرضية آمنة . صحيح أن ريكاردى واقع تحت تأثير صدمة ، إلا أنه لم يجن بعد . عندها وضع كلاى يده على الهاتف ، إلا أن يد ريكاردى حطت على يده قبل أن يرفع سماعة الهاتف .

كانت أصابع ريكاردى طويلة وباردة كالثلج . فلم يكن قد انتهى من كلامه بعد .

" أخذت تسبنى ثم أغلقت الخط فى وجهى . أعلم أنها قد غضبت منى ، كما أعلم سبب هذا بالطبع . إلا أن الشرطة هى التى طلبت منى أن أغلق الباب على نفسى هنا . طلبت منى أن أبقى بعيداً عن الشارع . الشرطة . . . . أى السلطات " .

أومأ كلاى برأسه مؤمناً : " بالتأكيد . . . السلطات " .

سأل ريكاردى : " هل أتيتما عن طريق قطار الأنفاق؟ فأنا دوماً ما أستخدمه . فهو على بعد بنايتين من هنا . كما أنه مريح " .

قال توم : " لن يكون مريحاً هذه الظهيرة ، بعدما رأيناه هناك للتو . فلن يمكنك أن تستقله بعد الآن "

نظر ريكاردى إلى كلاى فى لهفة حزينة . " أرأيت؟ " . فأومأ كلاى برأسه ثانيةً . ثم قال وهو يعلم أنه هو نفسه كان ليبذل أى غال كى يعود لمنزله ويطمئن على ابنه : " كان من الأفضل لك أن تبقى هنا " . كان بالطبع يريد أن يطمئن على شارون . ولكن قلقه على ابنه كان أكبر . ويعلم أنه ما من شيء يمكن أن يوقفه إلا ما هو ليس بمقدوره أن يواجهه . كان الأمر أشبه بثقل حط على عقله فحجب عنه الرؤية السليمة . " هنا أفضل بكثير " . ثم التقط سماعة الهاتف وضغط الرقم ٩ ليصل إلى خط خارجى . لم يكن متيقناً من أنه سيصل إلى خط ، إلا أن هذا قد حدث . ضغط على الرقم ١ ، ثم ٢٠٧ كود منطقة ماين ثم ضغط ٦٩٢ . والذى كان يخص منطقة كينت بوند وما حولها . لقد ضغط ثلاثة من الأربعة أرقام الأخيرة قبل أن يأتيه صوت انشغال الخط . ومن بعده صوت أنثوى مسجل يقول : " نأسف فجميع الخطوط مشغولة . نرجو تكرار المحاولة فى وقت لاحق " .

بعدها أتاه صوت تعرف منه على انقطاع خطه عن ماين . . . هذا لو كان مصدر الصوت يأتى فعلاً من هناك . أسقط كلاى السماعة عند كتفه ، كما لو صارت ثقيلة لدرجة يعجز معها عن حملها . ثم أعادها ثانيةً إلى مكانها فى الجهاز .

١٣

أخبره توم بأن قراره بالمغادرة قرار مجنون .

وبين له أنهم هنا بالفندق آمنون نسبيا ، خاصةً والمصعد معطل والمدخل إلى البهو من ناحية الدرج قد صار مسدودا ، بعد أن دعموه بالصناديق والحقائب من غرفة الأمتعة وحتى نهاية الممر القصير خلف حيز المصعد . فحتى لو حاول أى شخص ذى

www.rewity.com ARAYAHEEN

قوة غير عادية أن يدفع الباب من الجهة الأخرى . فربما لن ينجح سوى فى إزاحة كومة الصناديق جانباً . فاتحاً ثغرة لن تزيد على ست بوصات . وهى لن تكفى لعبور أى بشرى . كما أن الاضطرابات بالمدينة خارج مخبئهم الصغير هذا تبدو فى ازدياد . فهناك صخب متواصل تصنعه أجراس الإنذار . والصيحات والصرخات والعربات التى تمرق فى سرعة . وكذلك الدخان حتى ولو كانت رياح النهار لا تزال تبعدها عنهم . . . حتى الآن . هكذا خطر لكلاى . إلا أنه لم يشأ أن يفصح عن هذا الخاطر حتى لا يخيف الفتاة بأكثر مما هى عليه الآن . كانت الانفجارات عالية بشكل لم يكن له مثيل من قبل . وكان أحدها قريباً حتى أنهم حاولوا تفاديه بشكل غريزي؛ وظنوا أن النافذة الأمامية سوف تتهشم . إلا أن هذا لم يحدث . ولكنهم فضلوا بعدها الانتقال إلى صومعة السيد ريكاردى .

أما ثالث الأسباب التى قدمها توم ليبين بها لكلاى جنون فكرته . فهو أن الساعة قد تعدت الآن الخامسة بربع الساعة . وسرعان ما سينتهى النهار . وقال له بأن محاولة مغادرة بوسطن فى جنح الظلام ستكون هى الجنون المطبق بعينه .

قال له : " ألق نظرة هناك " . قال هذا وهو يومئ نحو النافذة الصغيرة بغرفة ريكاردى . والتى كانت تطل على شارع إيسيكس . والذى صار الآن مكتظاً بالسيارات التى تركها أصحابها . كما كان به جثة واحدة على الأقل . لامرأة ترتدى قميص فريق ريد سوكس . كانت مسجاة ووجها إلى رصيف الشارع . وذراعاها ممدودتان . كما لو أنها قد لقيت مصرعها وهى تحاول الاستحمام . كان مطبوعاً على قميصها عبارة ساخرة تقول : " هل تعتقد أن بوسعك أن تقود سيارتك؟ إذن عليك بالتفكير ملياً قبل هذا " .

رد ريكاردى : " إنه على حق " . كان جالساً خلف المكتب وذراعاه معقودتان أمام صدره الضيق . وقد ارتسمت الكآبة على وجهه . " إن سيارتك بمرآب شارع " تام ورث " . وأنا أشك فى أن تنجح فى أن تحصل على مفتاحها " .

هم كلاى الذى كان قد يئس منذ زمن من أن يجد سيارته على حالها بأن يقول لهما إنه لم يخطط لأن يقود سيارة . حينما سمعوا صوت ارتطام آخر بالطابق العلوى . كان هذه المرة من القوة التى جعلت السقف يهتز . صاحبه صوت تحطم زجاج . نظرت آليس ماكسويل التى كانت تجلس على مقعد قبالة مكتب ريكاردى إلى أعلى فى عصبية ثم بدا أنها تحاول التقوقع حول نفسها .

تساءل توم : " ما الذى يجرى بالأعلى؟ "

رد ريكاردى : " بالأعلى حجرة " إيروكوس " . . . أكبر حجرة بين حجرات الاجتماعات الثلاث . وبها نخزن جميع توريداتها من مقاعد وطاولات وأجهزة سمعية بصرية " . صمت قليلاً . قبل أن يضيف : " ومع أنه ليس لدينا مطاعم هنا . إلا أننا نقوم بالتجهيز لحفلات الكوكتيل وخلاف ذلك من المشروبات . لو طلب العميل منا هذه الخدمة . وهذا الارتطام الأخير . . . . " .

لم يتم جملته . وبدا لكلاى أنه لم يجد ضرورة لذلك . فقد كان هذا الارتطام الأخير بسبب إسقاط عربة معبأة بالأكواب والأطباق على الأرضية . حيث سقطت قبلها عربات عدة على يد مجنون هائج ومحتجز بالأعلى . يطن عبر أرجاء الطابق الثانى كحشرة وجدت نفسها بين النافذة وأسلاكها . كما أنه لا يملك من الذكاء ما يكفى ليجد لنفسه مخرجاً . فليس بيده سوى أن يركض ويحطم . ثم يركض ليحطم .

نطقت آليس للمرة الأولى خلال قرابة نصف الساعة ، ومن دون أن يجبرها أحد على هذا ، لأول مرة منذ أن وجدوها . " لقد ذكرت شيئاً عن سيدة تدعى " دوريس " " .

أومأ ريكاردى برأسه قائلاً : " أجل . دوريس جواتريز . رئيسة قسم النظافة . وهى موظفة ممتازة . بل هى الأفضل لدىَّ . كانت فى الطابق الثالث ، وهذا آخر ما أعلمه عنها " .

" هل كان بجعبتها . . . ؟ " لم تتم آليس السؤال . إلا أنها أشارت بيدها إشارة مألوفة جداً . حيث وضعت يدها عند أذنها وإبهامها يشير ناحية الأذن بينما البنصر يشير نحو الفم ، وكأنما هما سماعة هاتف .

بادر ريكاردى بقوله : " كلا . فعلى الموظفين أن يبقوا هواتفهم بدواليبهم أثناء قيامهم بالعمل . ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للتوبيخ العلنى . ومن يكرره يمكن أن يفصل من العمل نهائياً . وأنا أنبههم إلى ذلك عند تسلمهم وظيفتهم " . ثم هز كتفه وهو يضيف : " إنها سياسة الإدارة ، وليست سياستى الخاصة " .

فسألته آليس : " ألم يكن عليها أن تهبط إلى الطابق الثانى كى تتحقق من مصدر هذه الجلبة؟ " .

قال ريكاردى : " هذا احتمال ممكن . وليس لى من طريقة أتحقق بها من ذلك . كل ما أعرفه هو أننى لم أرها منذ أن أبلغتنى بتلك النيران التى شبت بسلة المهملات ، بعدها لم تجب جرس استدعائى لها . وكنت قد طلبتها مرتين " .

لم يشأ كلاى أن يقول لهم : أترون . . لسنا هنا فى مأمن . . ولكنه نظر إلى توم مجتازاً بعينيه آليس محاولاً أن يخبره ما يود قوله من خلال عينيه .

فقال توم : " كم عدد من احتجزوا بالأعلى فى رأيك؟ "

" ما من سبيل لمعرفة ذلك " .

" حتى لو خمنت " .

" ليسوا بالكثير . فبالنسبة لطاقم خدمة الغرف ، فلن يكون هناك سوى دوريس . حيث إن عمال وردية النهار يغادرون فى الثالثة ، بينما لا يحضر عمال وردية الليل إلا فى السادسة " .

زم ريكاردى شفتيه ، قبل أن يضيف : " هذا من باب التوفير ليس إلا . أما بالنسبة للنزلاء . . . "

سكت ولم يتم كلامه .

ثم قال بعد لحظات : " إن الظهيرة وقت هدوء بالنسبة لنا ، وتكون الحركة فى حدها الأدنى . فنزلاء الليلة السابقة قد غادروا جميعاً حيث إن وقت تصفية الحساب هو الظهر فى هذا الفندق بينما نزلاء هذه الليلة لم يكونوا سيحجزون إلا فى الرابعة . وهنا لا أقصد النزلاء الذين يمكثون لعدة أيام متصلة . كما هى حال السيد ريدل " .

أومأ كلاى إذ لم يشأ أن يقطع حديثه . ففى العادة يخرج رجال الأعمال فى فترة الظهيرة ليقوموا بكل الأنشطة التى دعتهم إلى المجيء لبوسطن . وهكذا ترون أن المكان يكاد يكون خالياً إلا منا " .

جاءهم صوت ارتطام آخر ، كما لو أنه يعترض على هذه العبارة الأخيرة ، مع المزيد من الزجاج المهشم ، وصوت هادر وحشى مكتوم . دفعهم جميعاً إلى النظر لأعلى .

قال توم : " استمع ، كلاى . . . لو أن ذلك الشخص بالأعلى نجح فى العثور على الدرج . . . وأنا لا أعلم إذا ما كان أمثال هؤلاء قادرين على التفكير أم لا . . . ولكن . . . " .

رد كلاى : " بالنظر إلى ما رأيناه منهم بالشارع ، فإنى أجد أن من الخطأ أن ننعتهم بالبشر من الأصل . فأنا أتخيل ذلك الشخص أقرب إلى حشرة وجدت نفسها بين النافذة وأسلاكها . يمكن لحشرة كهذه أن تخرج لو وجدت فجوة ما وهكذا يمكن له

www.rewity.com ARAYAHEEN

أن يجد الدرج ، ولكنه لو نجح فى ذلك ، فهذا سيكون من باب المصادفات ليس إلا " .

قال ريكاردى : " ولو هبط عبره ليجد باب البهو مسدوداً ، فسوف يستخدم باب الطوارئ المفضى إلى الحارة الخلفية " . ثم أردف بلهفة : " وسوف نسمع صوت جرس الإنذار حيث إنه مجهز لينطلق عند محاولة أى شخص أن يدفع قضيب الباب وعندها سنعلم أنه قد رحل . أى أن الأمر أسخف من أن نفكر فيه " .

جفل الجميع مع صوت انفجار ضخم آتٍ من جهة الجنوب . عندها أدرك كلاى ما كان يحكيه له من عاش فى بيروت أيام الحرب الأهلية فى الثمانينيات .

قال فى صبر : " أحاول أن أوضح أمراً ما هنا " .

فقال توم : " لا أوافقك الرأى . فلن تخرج من هنا أبداً لكونك قلقا على زوجتك وابنك . بل أنت تحاول إقناعنا برأيك لأنك لا تود الذهاب وحدك " .

أطلق كلاى زفرة ساخطة : " من المؤكد أننى لا أريد الذهاب وحدى . إلا أن هذا ليس هو سبب طلبى منكم أن تصاحبونى . إن رائحة الدخان تزداد قوة . ومع هذا فهل يذكر أحد أنه قد سمع صوت أبواق عربات شرطة أو إطفاء؟ "

لم يجبه أحد .

فقال كلاى : " ولا أنا كذلك . لذا فلا أعتقد أن الأمور ستتحسن فى بوسطن بعد الآن ، ليس قبل مضى وقت طويل . بل هى تسير إلى الأسوأ . فلو كان السبب هو الهواتف المحمولة . . . " .

انفعلت آليس لتقول فى سرعة ، وكأنها تريد التأكد من أن أياً من الكلمات لن يطير من ذاكرتها قبل أن تنطقه : " لقد حاولت أن تترك رسالة لأبى . كانت تود فقط أن تتأكد من أنه قد

جلب الملابس من المغسلة ، لأنها كانت تحتاج رداءها الصوفى الأصفر لأجل حضور اجتماع اللجنة . كما كنت بحاجة إلى زيى الرياضى الإضافى لأجل مباراة خارجية يوم السبت القادم . كنا بداخل سيارة الأجرة . حينما حدث الاصطدام ! لقد أمسكت بعنق الرجل وغرست أسنانها فى وجهه وسقطت عمامته واندفعت الدماء غزيرة من جانب وجهه قبل أن يحدث الاصطدام! " .

تلفتت آليس حولها لتجد ثلاثة وجوه تحدق بها . ثم دفنت وجهها بين يديها وبدأت تبكى . اقترب منها توم ليهدئها . إلا أن ريكاردى أدهش كلاى حينما نهض عن مقعده ودار حول المكتب حتى يحيط الفتاة بذراعه قبل أن يقترب منها توم : " لا عليك . . . لا عليك . أنا متأكد من أن هناك سوء فهم ما فيما حدث ، فتاتى " .

نظرت إليه ، وعيناها متسعتان بشكل غريب : " سوء فهم ؟ " . أشارت إلى بقع الدماء التى جفت فوق قميصها القطنى . " هل يبدو لك هذا مجرد سوء فهم؟ لقد استعنت بلعبات الكاراتيه التى تعلمتها فى فصول الدفاع عن النفس بالمدرسة الثانوية . لقد دافعت عن نفسى ضد والدتي ! لقد حطمت أنفها ، بل أعتقد . . . أنى . . بل أنا متأكدة من أنى فعلت ذلك . . . " . أخذت تهز رأسها فى قوة فيتطاير شعرها من حولها ، " ومع هذا ، ولو لم أنجح فى فتح الباب من خلفى . . . لكانت قد قتلتنى " .

تابعت آليس كلامها : " بالفعل ، كانت لتقتلنى . إنها لم تكن تعرفنى . أمى لا تعرفنى " . حولت نظراتها بين كلاى وتوم ، ثم قالت فى صوت أقرب للهمس : " إنه الهاتف المحمول . . الهاتف المحمول . . . أتفهمون ؟ " .

١٤

سأل كلاى : " كم عدد هذه الهواتف اللعينة بهذه المدينة إذن؟ . . . ما هو مدى انتشارها ؟ "

رد ريكاردى : " بالنظر إلى العدد الكبير للطلبة الجامعيين هنا ، فيمكننى القول بأن عددها هائلٍ " . كان قد عاد إلى مقعده خلف المكتب ، وبدا الآن أكثر تجاوبا معهم . ربما كان السبب هو مساهمته فى تهدئة الفتاة ، أو ربما هو النقاش : " ورغم أن عددها لا يقتصر على ما هو لدى الطلبة الميسورين . فقد قرأت مقالاً فى مجلة اقتصادية منذ قرابة شهر أو شهرين يقول بأن عدد الهواتف المحمولة فى الصين يماثل عدد سكان الولايات المتحدة . فهل تتخيل هذا ؟ "

لم يكن كلاى يود أن يتخيل الأمر .

بادر توم قائلا : " حسناً . لقد حدست المراد من حواركما هذا . إن هناك منظمة إرهابية ما استطاعت أن تخترق إشارات الهواتف المحمولة بطريقة أو بأخرى . بحيث إن أى شخصٍ يجرى مكالمة أو يتلقاها يصاب بنوع من . . . من ماذا ؟ يتلقى رسالة ما وبشكل لا شعورى ، على ما أعتقد . . . تصيبه بالجنون . هذا أمر أشبه بالخيال العلمى ، لكننى أفترض أنه ومنذ خمسة عشر أو عشرين عاماً لم يكنِ الهاتف المحمول نفسه قد خرج عن حيز أن يكون خيالاً علمياً جامحاً بالنسبة لمعظم الناس " .

قال كلاى : " أنا متأكد من أن الأمر يشبه شيئاً من هذا . فأنت قد تتلقى إشارة تكفى وبسرعة لأن تذهب بعقلك ، بل حتى لو كنت تستمع إلى مكالمة شخص آخر جوارك " ، كان يقصد بذلك ما حدث لبيكسى السمراء ، " إلا أن الدهاء يكمن فى

توقع أن الناس ما إن يلحظوا هذه الأمور الغريبة التى تحدث من حولهم سوف . . . "

أكمل توم له عبارته قائلاً : " فإنهم سيبادرون باستخدام هواتفهم الخلوية كى يعرفوا السبب "

" بالطبع ، ولقد رأيت أناساً يفعلون هذا " .

فنظر إليه توم فى كآبة قائلاً : " وكذلك أنا " .

قال ريكاردى : " وما علاقة كل هذا برغبتك فى مغادرة الفندق بشكل مأمون ، خاصةً والليل قد بدأ يحل ، هذا ما لا أفهمه " .

لم يرد عليه سوى صوت انفجار آخر . تلاه سلسلة من الانفجارات ، منبعها المنطقة الجنوبية الشرقية ، فبدت وكأنها أصوات وقع خطوات مارد عملاق . ومن فوقهم أتى صوت ارتطام وصرخة غضب مكتومة .

قال كلاى : " لا أعتقد أن للمجانين عقلاً يدفعهم إلى التفكير فى مغادرة المدينة بنفس القدر الذى قد يجعل ذلك الذى بالأعلى يجد سبيله إلى الدرج " .

خيل إليه للحظات أن تلك النظرة التى على وجه توم هى نظرة مصدوم ، ولكنه سرعانٍ ما أدرك أنها شيء آخر . ربما كانت نظرة اندهاش . أو أملاً ينحسر . فقال وهو يلطم وجهه وقد تنبه لحقيقة غابت عنه حتى هذه اللحظة : " أوه . . يا إلهى . . . إنهم لن يغادروها . لم يخطر لى هذا ببال " .

ردت آليس وهى تعض على شفتها وتنظر إلى يديها المتوترتين ، ولكنها أجبرت نفسها على النظر إلى كلاى : " ربما يكون هناك شيء آخر . فقد يكون من الأسلم أن نرحل بعد حلول الظلام " .

" وما السببِ فى رأيك يا آليس ؟ "

" إنهم إن لم يستطيعوا رؤيتك أى حينما تختبئ خلف شيء ما يتجاهلونك وينسونك " .

بادرها توم : " وما الذى حداك إلى هذا التفكير يا عزيزتي؟ "

ردت بصوت خفيض : " هذا لأننى قد اختبأت من الرجل الذى كان يطاردنى . الرجل ذى القميص الأصفر . قبيل أن أراكما . اختبأت فى حارة . خلف أحد البراميل . وكنت خائفة . لأننى ظننت أنه لن يكون هناك مهرب إن هو تبعنى إلى داخل الحارة . إلا أن هذا كان هو كل ما فكرت فيه لحظتها . رأيته يقف عند مدخل الحارة ، وينظر حوله . ويدور حول نفسه ، حتى اعتقدت فى البداية أنه يحاول خداعى . فهو قد رآنى وأنا أدخل إلى الحارة . ولم أكن أبعده عنه سوى عدة خطوات . . . مجرد خطوات . . . تكفى لأن يقبض . . . بدأت ترتجف . إلا أنها تابعت كلامها : " ولكننى ما إن صرت هناك . . . حتى كان الأمر أشبه . . . لا أعلم بماذا أصف . . . " .

قال توم : " وكأنك قد غبت عن ناظريه ، وعن عقله . ولكن لماذا توقفت عن الركض طالما كان على هذا القرب منك؟ "

" لأننى عجزت عن مواصلة الركض . لقد صارت ساقاى كالمطاط ، وشعرت بأن جسدى سينهار . ولكن تبين لى فى نهاية المطاف أنه لم يكن على أن أركض من الأصل . فقد أخذ يدور حول نفسه عدة مرات أخرى ، وهو يتفوه بكلام غير مفهوم . ثم ابتعد . لم أصدق عينى . وقلت لنفسى إنها خدعة منه . . . إلا أننى أحسست أنه أشد جنوناً من أن يفكر فى هذا " . رمقت كلاى ، ثم عادت لتنظر إلى يديها من جديد . " لقد كانت مشكلتى فى أننى لاقيته من جديد . كان على أن أبقى معكما منذ البداية . فأحياناً ما لا أحسن اتخاذ القرار فى الوقت المناسب " .

قال كلاى : " لقد كنتِ خائـ . . . " ، ما إن همَ بنطق هذه العبارة حتى سمعوا وقع أضخم انفجار حدث هذا اليوم ، وكان الصوت يأتيهم من جهة الشرق . صوت صم آذانهم! وجعلهم يجفلون وهم يسدون آذانهم بأيديهم . وسمعوا صوت تهشم نافذة البهو .

قال ريكاردى : " يا . . . . إلهى " ، كانت عيناه المتسعتان أسفل رأسه الأصلع تجعله يبدو فى نظر كلاى كشخصية معلم آنى اليتيمة . " دادى ووربكس " . " قد تكون هذه محطة شل الموجودة فى نيلاند . وهى المحطة التى تستخدمها جميع الحافلات وسيارات الأجرة . فهى فى الجهة التى أتى منها الصوت " .

لم يسع كلاى أن يعرف صحة هذا الكلام من عدمه ، كما أنه لم يشم رائحة البنزين المحترق ليس بعد ، إلا أن مخيلته ترى الآن مثلثاً من بنايات المدينة وهى تحترق كمصباح بوربان وسط النهار .

سأل كلاى توم قائلاً : " هل يمكن لمدينة حديثة أن تحترق ؟ مدينة من خرسانة ومعادن وزجاج؟ هل يمكن أن تحترق كما حدث لشيكاغو بعد أن رفست بقرة السيدة أوليرى المصباح ؟ "

قالت آليس : " ليست هذه الرفسة سوى أسطورة " . كانت تفرك مؤخرة عنقها وكأنها تعانى من صداع شديد . " ولقد ذكرت السيدة مايرز هذا فى التاريخ الأمريكى " .

قال توم : " هذا ممكن . انظر إلى ما حدث لمركز التجارة العالمى ، بعد أن اصطدمت به تلك الطائرات " .

أمن ريكاردى على كلامه : " طائرات مليئة بالوقود " .

بدأت رائحة غاز الوقود المحترق تهب ، وكأنما استدعاها ريكاردى بكلماته الأخيرة ، كانت تأتى عبر نافذة البهو المهشمة ، وتتسلل من أسفل الباب ومن ثم إلى المكاتب الأخرى .

www.rewity.com ARAYAHEEN

علق توم بقوله : " أعتقد أنك كنت على معرفة بمحطة شل هذه " .

توجه ريكاردى إلى الباب الفاصل بين مكتبه والبهو . فتح قفله بالمفتاح ثم فتحه . لم يكن ما رآه كلاى فى البهو الكئيب المهجور ذا بال . أخذ ريكاردى يتشمم الهواء بصوت مسموع ، ثم أغلق الباب ومن ثم أوصده بالمفتاح مرة أخرى . قال : " لقد أصبحت الرائحة أضعف بالفعل " .

رد كلاى : " أتمنى هذا . فإما هذا وإما أن يكون أنفك قد اعتاد الرائحة " .

قال توم : " أعتقد أنه قد يكون محقاً . فهناك ريح غربية قوية بالخارج وأعنى بهذا أن الهواء يتحرك نحو المحيط ولو أن ما سمعناه للتو هو انفجار بالمحطة الجديدة التى فى تقاطع شارعى نيلاند وواشنطن ، بجوار مركز نيو إنجلاند الطبى . . . "

قال ريكاردى : " هذا بالفعل . . هذا صحيح " ، ثم ارتسمت الكآبة على وجهه وهو يضيف : " أوه . . . الاحتجاجات! ورغم هذا فقد أقاموه ، أعتقد أن . . . " .

تابع توم كلامه وكأنه لم يسمعه : " . . . فأعتقد أن هناك حريقاً بالمستشفى الآن . . . يحاصر كل من تبقى بداخله ، وبالطبع . . . . " .

قالت آليس : " كلا " ، ثم وضعت يدها على فمها .

" بل أعتقد أن هذا صحيح . ومركز وانج فى سبيله لذلك أيضاً . وقد يخفت هبوب الرياح مع حلول الظلام ، ولكن لو لم يحدث هذا ، فإن كل مكان إلى الشرق من ماس بايك سيحترق تماماً مع حلول العاشرة مساءً " .

فقال ريكاردى : " ونحن إلى الغرب من هذا " .

رد كلاى : " نحن إذن فى مأمن . . . على الأقل من هذه الناحية " . توجه إلى النافذة الصغيرة بالمكتب ، ووقف على أطراف أصابعه ، وأخذ ينظر عبر شارع إيسيكس .

سألته آليس : " ما الذى تراه؟ . . هل ترى أناساً ؟ "

" كلا . . . بلى . هناك رجل واحد . على الجانب الآخر من الشارع " .

عادت لتسأله : " هل هو واحد من المجانين ؟ "

" لا يمكننى التحقق من هذا " . إلا أن كلاى كان يظن هذا . فقد علم هذا من طريقة ركضه ، وكثرة تلفته خلفه وهو يركض . بل إنه وقبل أن ينعطف عند ناصية شارع لينكولن كاد يصطدم بصناديق الفاكهة المعروضة أمام محل خضراوات . ومع أن كلاى لم يكن يستطيع سماعه ، إلا أنه كان يرى شفتيه وهما تتحركان . " لقد ابتعد الآن " .

سأله توم : " هل هناك أحد غيره ؟ "

" ليس فى هذه اللحظة ، إلا أن هناك دخاناً " ، ثم صمت قبل أن يضيف : " وهناك سخام ورماد أيضاً . ليس بوسعى تحديد كم كل هذا . فالرياح تقلبها فى الجو " .

قال توم : " حسناً ، لقد اقتنعت الآن . لطالما كنت أتعلم ببطء إلا أننى أتعلم فى نهاية الأمر . سوف تحترق المدينة ولن يبقى بها سوى المجانين " .

قال كلاى : " أعتقد أنك محق فى هذا " . لم يكن يعتقد أن هذا سينطبق على بوسطن وحدها ، ولكن الوضع الآن لا يسمح له سوى بالاهتمام بأمر بوسطن . بوسعه أن يوسع من نطاق اهتمامه ولكن ليس قبل أن يطمئن أن ابنه جونى فى أمان . أو ربما ستبقى الصورة الكبيرة دوماً خلفه . فهو فى نهاية الأمر لا يرسم سوى الأحياء . ولكن وبصرف النظر عن كل شيء ، فإن ذلك الأنانى القابع بداخل عقله وجد وقتاً ليرسل له بفكرة

واضحة . أتته بلونين (أزرق وذهبى براق داكن) . لماذا يحصل كل هذا اليوم بالذات ، من بين كل الأيام؟ وبعد أن وضعت قدمى على الطريق الصحيح ؟

سألته آليس : " هل يمكننى أن أرافقكم يا رجال ، هذا إن ذهبتم ؟ " .

قال كلاى : " بالتأكيد " ، ثم نظر إلى موظف الاستقبال وهو يضيف : " وبوسعك أنت كذلك ، ريكاردى " .

قال ريكاردى : " علىَّ أن أبقى فى موقعى " . قالها بنبرة متعالية . ولكن عينيه فضحتا ما بداخله قبل أن ينجح فى إبعادهما عن عينى كلاى .

قال توم فى لهجة رقيقة بدأ كلاى يحبها فيه : " لا أعتقد أن الإدارة ستوبخك لأنك أغلقت المكان ورحلت عنه فى ظل هذه الظروف " .

إلا أن ريكاردى قال مجدداً : " بل علىَّ أن أبقى فى موقعى . فقد خرج السيد " دونيللى " مدير وردية النهار لكى يودع مبالغ الظهيرة بالبنك وتركنى محله . ولو عاد فربما . . . " .

قال آليس : " أرجو أن تفهم يا سيد ريكاردى أن هناك خطورة عليك عند بقائك هنا " .

لكن ريكاردى الذى عاد من جديد ليعقد ذراعيه أمام صدره اكتفى بهز رأسه فى عناد .

١٥

قاموا بتنحية أحد المقاعد الكبيرة جانباً ، وفتح السيد ريكاردى الباب الأمامى لهم . أخذ كلاى يتطلع بالخارج . لم ير أحداً يتحرك فى أى اتجاه ، ولكن كان من الصعب أن يتأكد من

هذا لأن الهواء كان معبأً بالرماد الأسود . كان يتراقص وسط الرياح كثلج أسود .

قال : " هيا . . " . كانوا قد قرروا أن يتجهوا إلى المكان المجاور لهم كبداية ، وقد كان هذا مقهى ميتروبوليتان .

قال ريكاردى : " سوف أعاود غلق الباب ووضع المقعد فى مكانه من جديد ، ولكننى سأنصت إلى ما سيحدث . ولو صادفتكم مشاكل ولو كان هناك المزيد من هؤلاء الـ . . . الناس بداخل الميتروبوليتان ، وكان عليكم أن تتراجعوا . فكل ما عليكم هو أن تصرخوا سيد ريكاردى . . سيد ريكاردى . . . نحن بحاجة إليك ! وعندها سأعلم أن من الممكن أن أفتح الباب . هل هذا مفهوم ؟ "

قال كلاى : " نعم " . ثم ضغط على كتف ريكاردى النحيف . جفل الرجل ، ثم عاد لثباته (مع أنه لم يبد سعيداً وهم يودعونه) . " أنت بخير . لم أكن أظن أنك كذلك ، إلا أننى كنت مخطئاً " .

قال الأصلع فى ثبات : " أتمنى أن أبذل ما فى وسعى . تذكروا فقط . . . " .

قال توم : " سوف نتذكر . وسنبقى هناك ربما لعشر دقائق . ولو حدث خطب ما فسوف نصرخ لك " .

" حسناً " . قالها كلاى وهو لا يعتقد أن هذا سيحدث . فهو لا يعلم السبب فى هذا الظن ، فمن البديهى أن أى شخص يتعرض لخطر ما سوف يصرخ ، إلا أن كلاى كان يرى أن هذا لن يحدث معهم .

قالت آليس : " أرجو أن تغير رأيك ، سيد ريكاردى . فالوضع فى بوسطن غير مأمون ، ولابد أنك تعلم هذا الآن " .

اكتفى ريكاردى بإطراقة من رأسه . وخطر لكلاى وقد اندهش لهذا الخاطر أنه بهذه الإطراقة قد جسد منظر الرجل الذى يرى أن المخاطرة بالموت أفضل من المخاطرة بالتغيير .

قال كلاى : " هيا بنا . دعونا نحضر بعض الشطائر منتهزين فرصة وجود كهرباء تمكننا من الرؤية " .

فقال توم : " كما أن بعض المياه المعدنية لن تضر أيضاً " .

١٦

انقطعت الكهرباء وهم يغلفون آخر الشطائر بالمطبخ الأنيق الصغير بمقهى ميتروبوليتان . كان كلاى قد جرب أكثر من مرة أن يهاتف منطقة ماين : مرة لمنزله القديم ، ومرة لمدرسة كينت بوند الابتدائية ، حيث تعمل شارون مدرسة ، ومرة لمدرسة جوشوا تشامبرلاين المتوسطة ، حيث يدرس جونى . وفى كل المرات لم يستطع أن يتجاوز الخط الرئيسى لماين .

حينما انقطع التيار الكهربائى عن الميتروبوليتان ، صرخت آليس وسط ما بدا لكلاى وللوهلة الأولى ظلامًا دامسًا . ثم سرعان ما أضاءت مولدات الطوارئ المكان . لم تشعر آليس بكثير من الارتياح . كانت تتشبث بتوم بإحدى ذراعيها ، وبالذراع الأخرى تتشبث بسكين الخبز التى استخدمتها فى صنع الشطائر . وقد اتسعت عيناها عن آخرهما .

قال كلاى بنبرة خرجت أقسى مما كان يود : " آليس . . . نحى السكين جانبا . قبل أن تصيبى بها أحدنا " .

فقال توم بتلك النبرة المطمئنة : " أو أن تصيبى بها نفسك " . كانت نظارته تلمع تحت أضواء الطوارئ .

وضعتها على الطاولة ، ثم عادت تلتقطها من جديد وهى تقول : " بل أريدها . أريد أن آخذها معى . فأنت معك واحدة ، كلاى . وأنا أريد واحدة " .

فقال : " حسنا . ولكنك لا ترتدين حزاماً . وسوف نصنع لك حزاما من قماش الطاولة . وعليكِ من الآن فصاعداً أن تتحلى بالحذر " .

كانت نصف الشطائر مصنوعة من اللحم المشوى والجبن ، والنصف الآخر من اللحم البارد والجبن . غلفتها آليس بأغلفة قصديرية . ووجد كلاى أسفل ماكينة الحساب النقدى حزمة من الأكياس بنية اللون . وضع وتوم الشطائر فى كيسين منها . وفى الكيس الثالث وضعا ثلاث قنينات من المياه .

كانت الطاولات معدة لوجبات العشاء التى لن تقدم أبداً الآن . اثنتان أو ثلاث مقلوبة لكن معظمها كان مرتباً بأناقة ، تبرق كؤوسها وفضياتها تحت أضواء مصابيح الطوارئ بالجدران . خفق قلب كلاى لما أحسه فيها من انتظام هادئ . ونظافة مناديل الطاولات المطوية فى روعة ، والمصابيح الكهربية الصغيرة فوق كل طاولة . وقد أصبحت الآن مطفأة ، وخطر له أنه سيمضى وقت طويل قبل أن تضيء من جديد .

رأى آليس وتوم يتطلعان فى المكان وقد ارتسم على محياهما نفس التعابير الكئيبة التى شعر بها ، وعندها انتابته رغبة ملحة فى أن يروح عنهما . تذكر حيلة اعتاد أن يلعبها مع ابنه . وتساءل مجدداً عن هاتف جونى المحمول وعندها عاوده الفزع . تمنى كلاى من كل قلبه أن يكون هذا الهاتف اللعين فى مكان ما بين لعب جونى منسيا ، وبطاريته فى طريقها إلى النفاد .

www.rewity.com ARAYAHEEN

قال لهما وهو ينحى كيس الشطائر جانباً : " راقبا هذه فى عناية . وأرجو أن تلاحظا أن يدىَ لا تتحركان عن رسغى " . قالها وهو يمسك بطرف مفرش الطاولة .

فقال توم : " ليس هذا وقت مثل هذه الحيل " .

ولكن آليس بادرت تقول والابتسامة ترتسم على وجهها للمرة الأولى منذ أن لقياها : " بل أود أن أرى هذا " .

قال كلاى : " نحن بحاجة إلى مفرش الطاولة ، ولن يستغرق الأمر سوى ثانية ، كما أن سيدتنا تود أن ترى هذا " . ثم التفت إلى آليس قائلا : " ولكن عليك أن تنطقى بكلمة سحرية أولاً . . . شازام . . . مثلا " .

فقالت : " شازام ! " . وعندها سحب كلاى المفرش بكلتا يديه .

لم يكن قد فعلها منذ عامين أو ثلاثة أعوام . وكادت الحيلة تفشل . ومع هذا . فإن خطأه كان بسبب بعض التردد البسيط فى جذبه المفرش قد أضاف إلى جمال اللعبة السحرية . فبدلاً من أن تبقى فى مكانها أثناء جذب المفرش بهذه الطريقة السحرية . فإن كل ما كان عليها قد تحرك قرابة أربع بوصات إلى اليمين . وكادت الكأس التى كانت بالقرب من وقفة كلاى تهْوى وقد صار نصف قاعدتها المستديرة على الطاولة والنصف الآخر بالهواء .

أخذت آليس تصفق وهى تضحك . فانحنى كلاى محييا ملوحا بيديه .

بينما سأله توم : " هلا رحلنا الآن . . . أيها العظيم فيرميشيلي ؟ " . ولكنه قالها وهو يبتسم . وبدت أسنانه الصغيرة لكلاى وهى تلمع تحت الضوء .

قال كلاى : " ما إن أنتهى من صنع حزام لها بهذه . سيكون بوسعها أن تحمل السكين فى جانب ، وكيس الشطائر فى الجانب الآخر . وبوسعك أن تحمل المياه " . أخذ يطوى المفرش

بشكل مثلث ، ثم أخذ يلفها فى سرعة حتى صنع حزاماً . مرر الحزام فى مقبض كيس الشطائر . ثم لف المفرش حول خاصرة الفتاة النحيفة . لفه حولها لفة ونصفاً قبل أن يربط العقدة خلفها حتى تكون متينة . انتهى بأن وضع السكين عند جانبها الأيمن .

قال توم : " ألم أقل لك إن لك يدين ماهرتين " .

قال كلاى : " لابد أن ينتفع المرء من يديه " . قبل أن يحدث انفجار آخر بالخارج . وكان قريبا لدرجة أن المقهى قد ارتج بما فيه . وفقدت الكأس التى على حافة الطاولة اتزانها . لتهوى على الأرضية . وتتهشم . نظر ثلاثتهم إليها . وخطر لكلاى أن يقول لهما إنه لا يؤمن بالفأل . إلا أنه وجد أن هذا سيزيد الأمور سوءا على سوء . بالإضافة إلى أنه كان بالفعل يؤمن بالفأل .

١٧

كان لدى كلاى أسبابه التى تدفعه إلى الرغبة فى العودة إلى فندق أطلانطيك قبل أن يرحلوا . ومن بينها أنه يريد أنه يستعيد حقيبة رسوماته . والتى تركها قابعة فى البهو . أما السبب الآخر فهو أن يجد غمداً أشد متانة لسكين آليس . ورأى أن جراب أدوات حلاقة سيكون كافياً . لو أنه طويل بما يكفى . والسبب الثالث . هو أن يمنح ريكاردى فرصة أخرى كى ينضم إليهم . فقد اندهش من نفسه حينما وجد رغبة فى هذا تفوق رغبته فى استعادة حقيبة رسوماته التى نسيها . فقد نمَى لديه تعاطفاً مع الرجل .

حينما اعترفَ بهذا لتوم . فاجأه حينما أومأ برأسه قائلاً : " هذا نفس شعورى تجاه شرائح بيتزا الأسماك . فأبقى أذكر

نفسى بأن هناك شيئاً غير مريح فى هذا الخليط من الجبن وصلصة الطماطم والسمك . . . إلا أن هذه الرغبة المخجلة فى تناولها أحياناً ما تتغلب على ولا يكون بوسعى كبتها " .

اندفعت فى الشارع عاصفة من السخام والرماد الأسود عبر الشارع وبين البنايات . ومعها انطلقت أجراس الإنذار فى السيارات ، وأجهزة الإنذار بالمتاجر ، والأخرى الخاصة بإنذار وجود حريق . لم يبد أن الجو حار ، إلا أن كلاى سمع قرقعة النيران إلى الجنوب والشرق منهم . وكانت رائحة الحريق أقوى . سمعوا أصوات صياح ، إلا أنها كانت تأتى من ناحية الساحة العمومية ، حيث اتساع شارع بوليستون .

حينما اقتربا من فندق أطلانطيك ، ساعد توم كلاى على إزاحة أحد المقعدين من المدخل المهشم . وكان البهو من خلفه قد صار مليئاً بالرماد والذى غطى مكتب ومقعد السيد ريكاردى ؛ ولو لم يكن كلاى دخل إلى هنا من قبل ، لما كان قد عرفهما بسبب كل هذا السخام الذى يغطيهما حتى صارا كظلين . وفوق المصعد كان مصباح الطوارىء يومض فى سرعة ، مع صوت أزيز يطن بالمكان .

نادى توم : " سيد ريكاردي ؟ . . . سيد ريكاردى ، لقد عدنا لنرى إن كنت قد غيرت رأيك أم لا " .

لم يأتهم جواب . وبعد دقيقة ، بدأت آليس تطرق فى حرص على قطعة الزجاج التى بقيت معلقة بإطار النافذة .

عاد توم ينادى من جديد : " سيد ريكاردي ! " ، وحينما لم يأتهم رد ، التفت إلى كلاى قائلاً : " هل ستدخل إلى هناك ؟ "

" نعم . لأحضر حقيبتى . فبها كل رسوماتى " .

" أليس لديك نسخ منها ؟ "

قال كلاى بنبرة من يفسر كل شيء ، وكان هذا بالفعل يفسر فى نظره كل شيء : " هذه هى الأصلية " . كما أن هناك السيد

ريكاردى ، ولابد من البحث عنه . فقد قال السيد ريكاردى قبل مغادرتهما إنه سيبقى أذناً مصغية .

سأله توم : " ماذا لو أن ذلك المجنون بالأعلى قد نال منه ؟ "

" لو أن هذا قد حدث ، لكنا قد وجدناه هنا بالأسفل . ولكان قد هرع إلينا ما إن سمع أصواتنا ، وهو يهذى كذلك الرجل الذى حاول أن يطعننا عند الساحة العمومية " .

ردت آليس وهى تعض على شفتها السفلى : " أنت لا تعلم هذا . من المبكر أن تعرف كل شيء عنهم " .

كانت محقة بالطبع ، إلا أنه لم يكن من الممكن لهم أن يبقوا فى هذا النقاش طويلا ، فليس هذا من الصواب .

قال وهو يضع ساقاً على أسفل النافذة : " سوف أتوخى الحذر " . كان الحيز ضيقاً إلا أن من الممكن العبور خلاله . " سوف أكتفى بالتطلع داخل مكتبه . ولو لم يكن هناك ، فلن أبحث عنه فى كل مكان . بل سأجلب حقيبة رسوماتى ونرحل من هنا " .

قالت آليس : " لا تتوقف عن الكلام . . . حتى نطمئن عليك " .

" حسناً ، ولكن عليكما أن ترحلا من هنا سريعاً لو توقفت عن الصياح . لا تأتيا خلفى " .

قالت من دون ابتسامة : " لا تقلق . لقد شاهدت كل أفلام الرعب ، وأعلم ما علىَ أن أفعله عندها " .

١٨ ـ

صاح كلاى وهو يلتقط حقيبته ، ثم وضعها على مكتب الاستقبال : " أنا بخير " . رأى أنها بداية مطمئنة . ولكنها

ليست مطمئنة بما يكفى . نظر من فوق كتفه وهو يدور حول المكتب ليرى النافذة غير المسدودة وهى تومض . وتبدو وكأنها تطفو وسط هذا الجو الكئيب . وظلين يقطعان آخر أضواء النهار . " أنا بخير . ما زلت بخير . وسأفحص المكتب الآن . ومازلت بخير . مازل . . . "

بادر توم بصوت يملؤه الحذر : " كلاى ؟ " . ولكن كلاى لم يرح عقله بإجابة . كان هناك صندوق إضاءة من منتصف السقف العالى بالمكتب الداخلى . والسيد ريكاردى معلق منه بما بدا أنه حبل ستارة . ويغطى رأسه كيس أبيض . حدس كلاى أنه من نوعية الأكياس التى يمنحها لك الفندق لتضع فيها ملابسك المتسخة ليتم إرسالها للتنظيف . " هل أنت بخير يا كلاى ؟ "

خرج صوت آليس هيستيريا وهى تنادى : " كلاى ؟ "

وجد نفسه يقول : " بخير " . خرجت الكلمة دون سيطرة منه . " مازلت هنا " . كان يفكر فى تعبير وجه ريكاردى وهو يقول سأبقى فى موقعى . كانت الكلمات حازمة . إلا أن عينيه كانتا فزعتين . مثل عينى سنجاب صغير يحاصره كلب غاضب فى ركن مرآب . " سأخرج الآن " .

تراجع . كأنما سيسقط ريكاردى من مكانه ليتبعه بمجرد أن يستدير هو خارجا . انتابه بغتة شعور طاغ بالخوف على شارون وجوني ؛ وشعر بالحنين إلى منزله حتى أنه عاد بالذكريات إلى أول أيام مدرسته . وأمه تتركه عند بوابة ملعب المدرسة . بينما يقوم الآباء الآخرون باصطحاب أبنائهم إلى الداخل . لكن أمه تقول له : كل ما عليك هو أن تدخل إلى هناك . كلايتون عند هذه الغرفة الأولى . على الأولاد أن يعتمدوا على أنفسهم فى هذا . راقبها وهى تبتعد فى شارع سيدار . قبل أن يقوم بما أخبرته أن يقوم به . ذاك المعطف

الأزرق . وهو الآن يقف وسط هذا الظلام . يستعيد كل هذه الذكريات التى زادت حنينه إلى موطنه .

لا بأس بوجود توم وآليس . إلا أنه كان يتوق إلى من يحبهم .

حينما دار حول مكتب الاستقبال . واجه الشارع وعبر البهو . اقترب بما يكفى من النافذة الطويلة المهشمة ليرى وجهى صديقيه الفزعين . ثم تذكر حقيبته اللعينة مرة أخرى فكان عليه أن يعود إليها . هرع إليها . وهو يكاد يتيقن من أن يد ريكاردى سوف تمتد عبر الظلام من خلف المكتب لتمسك به . إلا أن هذا لم يحدث . ولكنه سمع صوت ارتطام آخر من فوقه . لا يزال هناك شيء ما . شيء لا يزال يتخبط فى الظلام . شيء كان بشريا حتى الساعة الثالثة من ظهيرة هذا اليوم .

هذه المرة . وحينما كان فى منتصف الطريق إلى الباب . ارتجف ضوء بطارية الطوارئ الوحيدة بالبهو . قبل أن تنطفئ . كان مصباح الإنذار ينذر بوجود حريق .

ناول حقيبته إلى توم .

سألته آليس : " أين هو ؟ . . . ألم يكن هناك؟ "

قال كلاى : " لقد لقى مصرعه " . خطر له أن يكذب . إلا أنه عجز عن هذا . فقد كان فى غاية الصدمة مما رآه . كيف يمكن لرجل أن يشنق نفسه هكذا ؟ لم يجد إمكانية لأن يفعل المرء هذا . " انتحر " .

انهارت آليس باكية . وخطر لكلاى أنها لم تعلم أنها على قيد الحياة حتى الآن بقرار من ريكاردى . إلا أنه لم يكن يشعر برغبة ملحة فى البكاء بدوره . فربما قام الكل بما فعله ريكاردى لو أن الفرصة قد واتتهم .

من جهة الغرب ناحية الشارع المظلم . نحو الساحة العمومية . أتاهم صوت صرخة بدت أعظم من أن تكون صادرة

www.rewity.com ARAYAHEEN

عن رئتى بشر . بدت لكلاى أشبه بأصوات الفيلة . لم يكن بها ألم ، أو بهجة . لم يكن هناك سوى الجنون . التصقت به آليس فى فزع ، ولف هو ذراعه حولها . كان شعوره بجسدها أشبه بشعوره بسلك كهربائى يمر به تيار قوى .

قال توم : " لو كان مقدرًا لنا أن نخرج من هنا ، فعلينا أن نقوم بهذا الآن . ولو لم يصادفنا الكثير من المشكلات ، فسوف يمكننا أن نصل شمالا حتى مايدين ، لنقضى الليل بمسكنى " .

قال كلاى : " هذه فكرة جيدة " .

ابتسم توم فى حذر : " أتعتقد هذا حقاً ؟ "

" بل متيقن من هذا . فمن يعرف فربما كان الضابط آشلاند هناك بالفعل " .

سألت آليس : " ومن هو الضابط آشلاند هذا؟ "

قال توم : " إنه شرطى قابلناه عند الساحة العمومية . وقد . . . ساعدنا " . سار ثلاثتهم نحو ساحة أطلانطيك ، خلال الرماد الهابط ووسط أصوات الإنذار . " لن نراه . لقد كان كلاى يمزح " .

قالت : " أوه . . . كم أنا سعيدة لأن هناك من يحاول هذا على الأقل " . كان هناك هاتف محمول أزرق ملقى على الرصيف وقد تحطم غطاؤه . ركلته آليس ليسقط فى بالوعة الصرف من دون حتى أن تنظر إليه .

قال كلاى : " ركلة جيدة " .

هزت آليس كتفيها وهى تقول : " لقد مارست كرة القدم لخمس سنوات " ، ومع كلماتها أضاءت مصابيح الشارع ، وكأنها تمنحها ثقة لم تفقدها بعد .

مالدين

١

وقف آلاف البشر عند جسر نهر ميستيك يراقبون النيران التى اشتعلت فى كل شيء واقع بين منطقة الساحة العمومية وميناء بوسطن . بقيت الرياح التى تهب من جهة الغرب سريعة دافئة حتى بعد غروب الشمس بسبب ارتفاع ألسنة النيران وكأنه الجحيم يكابد للصعود إلى عنان السماء . كان القمر بدراً وإن بدا الليلة قبيح المنظر . كان الدخان يغطيه أحياناً . إلا أنه فى أغلب الأوقات يتبدى بعين التنين القبيح التى تحدق فى كل ما فى الأسفل . وهو يلقى بنور برتقالى مشوش . خيل لكلاى أنه كذاك القمر الذى يراه فى القصص المصورة . إلا أنه لم ينطق بهذه الفكرة .

لم يجد أحد ما يمكن أن يقال . اكتفى الواقفون على الجسر بالنظر إلى المدينة التى غادروها للتو . يراقبون النيران وهى تصل إلى البنايات الفخمة المطلة على الميناء وتبدأ فى التهامها . وعبر المياه أتتهم أصوات متمازجة لأجراس الإنذار : إنذار الحريق وأصوات الإنذار الصادرة عن السيارات . مع الكثير من أصوات أجراس عربات الشرطة والمطافئ والإسعاف . وأخذ صوت صادر عبر مكبر يرشد المواطنين إلى أن " انزلوا إلى الشوارع " . ثم آخر ينصحهم : " غادروا المدينة سيراً على الأقدام عبر الطرق الرئيسية غرباً وشمالاً " . ظلت هاتان النصيحتان المتضاربتان تترددان لبضع دقائق . ثم توقفت

النصيحة الخاصة بالنزول إلى الشوارع . وبعد خمس دقائق توقفت النصيحة الأخرى بمغادرة المدينة سيراً على الأقدام . لم يبق سوى زئير النيران الجائعة التى تدفعها الرياح ، وأجراس الإنذار ، وصوت خفيض منتظم كالدمدمة ظنه كلاى صوت تهشم النوافذ بسبب الحرارة الهائلة .

تساءل عن عدد البشر المحبوسين هناك . ما بين النار والماء .

قال توم : " أتذكر أننى قد سألت نفسى ذات مرة عما قد يحدث لو أن مدينة حديثة قد احترقت ؟ " . بدا وجهه الصغير الذكى وسط أضواء النيران متعباً واهناً . على خديه آثار رماد . " أتذكرون شيئاً كهذا ؟ " .

فقالت آليس : " اصمت وهيا بنا " . كان من الواضح أنها مذهولة ، ولكنها تحدثت مثل توم بصوت خفيض . خطر لكلاى وكأنهم وسط مكتبة كبيرة ... لا بل قاعة جنائزية . " هلا ابتعدنا بالله عليكم ... فما أراه يحطم أعصابى " .

قال كلاى : " بالتأكيد . ما هى المسافة الباقية حتى مسكنك ، توم ؟ "

" أقل من ميلين من هنا . إلا أننى آسف لقولى بأن المسافة إلى هناك هى ليست كل الصعوبة التى علينا مواجهتها " . التفتوا ناحية الشمال ، حيث أشار جهة اليمين . فى العادة ما تكون تلك المنطقة مغطاة بقوس من الأنوار البرتقالية ليلاً حتى وإن كان الجو غائماً . أما الآن فقد كانت الليلة صحواً إلا أن الأنوار منطفأة . وعلى كل ، فإن أنوار الشوارع لم يمكنها أن تكشف لهم عن أعمدة الدخان المتصاعدة هناك .

تأوهت آليس فى ألم ، ثم سرعان ما غطت فمها وكأنها تخشى شخصاً قد يخرج من بين هذا الحشد الصامت المشدوه بما يراه كى يوبخها لقطعها هذا الصمت .

قال توم فى هدوء مريب : " لا تقلقا . سوف نذهب إلى مالدين . فحسبما نرى من اتجاه الرياح فإن من المحتمل ألا تكون هناك حرائق فى مالدين " .

تمنى كلاى فى عقله بأن يقف توم فى كلامه عند هذه العبارة ، إلا أن توم لم يكن ليصمت عند هذا الحد : " أقصد ليس بها حرائق ... حتى الآن بالطبع " .

٢

عشرات من السيارات التى تركها أصحابها ، وعربة إطفاء خضراء اللون تبين أنها تتبع شرق بوسطن وقد انقلبت على جانبها بعد اصطدام عربة نقل أسمنت بها وكلتاهما خاويتان من البشر ، إلا أن البشر كانوا هم الأغلبية فى هذا المستوى من الجسر . بل إن المرء يمكن أن يطلق عليهم الآن وصف اللاجئين ، وهذا هو ما خطر لكلاى ، وسرعان ما أدرك أنهم لا يختلفون عنهم فى شيء فإنهم لاجئون كما تصفهم الحكومة .

مازال الكلام قليلاً . الغالبية يقفون فى صمت يراقبون المدينة وهى تحترق . سار من سار فى بطء ، وهم يلتفتون خلفهم بين الحين والآخر . وما إن وصلوا إلى قرب الطرف الآخر من الجسر (حيث أمكنه أن يرى الضفة الحديدية القديمة أو كما أسماها هو كذلك والمتصلة بالميناء ، وكانت فى منأى حتى الآن من الحرائق) ، حتى لاحظ شيئاً غريباً . كان الكثير منهم ينظرون أيضاً إلى آليس . خيل إليه فى البداية أنهم يعتقدون أنه وتوم قد اختطفا الفتاة لسبب لا أخلاقى لا يعلمه إلا الله . ثم سرعان ما ذكر نفسه أن هؤلاء السائرين على جسر ميستيك مصدومون ، وقد اجتثوا من حيّاتهم العادية اجتثاثاً وكأنهم لاجئو إعصار كاترينا ، والذين وجدوا من ينبههم قبلها بفترة قصيرة - ومن

المستبعد أن يفكر هؤلاء المصدومون الذين يراهم الآن من حوله فى مثل هذه الأفكار الآن . فكل منهم مستغرق فى همومه الشخصية . ارتفع البدر بعض الشيء فى السماء وسطع نوره بشكل أقوى . وفهم هو سبب تلك النظرات . فقد كانت آليس المراهقة الوحيدة بين كل هذا الحشد . بل إن كلاى نفسه كان صغير السن مقارنة بهم . فأغلب من كانوا يحدقون فى النيران التى التهمت ما كانت تسمى بوسطن أو يزحفون ببطء نحو مالدين ودانفيرز قد تعدوا سن الأربعين . بل إن بعضهم يفوق هذا بكثير . رأى بعضهم ومعه صغار . وكان هناك رضع . إلا أن هؤلاء كانوا يمثلون القلة من صغار السن .

لاحظ شيئاً آخر على البعد من هذا . فقد كانت هناك هواتف محمولة ملقاة فى إهمال على الطريق . يرى واحداً مع كل بضع خطوات . وجميعها محطم . وقد خرجت أحشاؤها فبدت أشبه بثعابين خطرة هرستها الأقدام قبل أن تلدغ من جديد .

٣

سألته امرأة بدينة ، جاءتهم تقترب من الجهة الأخرى من الطريق السريع : " ما اسمك ، يا عزيزى ؟ " . كان هذا بعد خمس دقائق من مغادرتهم الجسر . قال توم بأنهم سوف يصلون بعد خمس عشرة دقيقة أخرى إلى مخرج شارع سالم ، ومن هناك سوف يصبحون على بعد أربع بنايات من مسكنه . أخبرهم بأن قطته ستكون فى غاية الفرح لرؤيته ، وهو ما رسم ابتسامة مرهقة على وجه آليس . رأى كلاى أنها كانت أفضل من لا شيء .

نظرت آليس بشك إلى البدينة التى نأت بنفسها عن المجموعة الصامتة وطوابير الرجال والنساء الذين كانوا أقرب

إلى ظلال . بعضها يحمل حقائب ، والبعض الآخر يحمل أكياس تسوق أو يحملون على أظهرهم حقائب ترحال الذين عبروا الجسر متوجهين شمالاً نحو الطريق السريع رقم واحد ، بعيداً عن النيران الكبرى وإلى الجنوب وهم مدركون تماماً للنيران الأخرى التى أحاطت بمنطقة ريفيرى ، فى الشمال الشرقى .

نظرت إليها البدينة فى عذوبة . كانت تصفف شعرها الأشيب مجعداً . وترتدى نظارة أشبه بعينى قطة ورداءً كانت تصفه أم كلاى بأنه " غطاء سيارة " . حملت فى يدها كيس تسوق ، وحملت فى اليد الأخرى كتاباً . بدت لهم مسالمة . فمن المؤكد أنها ليست من بين مجانين الهاتف وهم لم يروا أياً منهم منذ أن فارقوا الفندق ومعهم أكياسهم . لكن كلاى شعر بكثير من القلق . فمن غير الطبيعى أن يقترب منك أحدهم وكأنه يتعرف على ضيوف فى حفل شاى وليس وسط حشد فار من مدينة تحترق . ولكن ما الذى بيده أن يفعله فى ظل ظروف كهذه؟ وهو ليس وحده فى ذلك . فقد وجد أن توم كان بدوره يكتفى بالتحديق فيها ، تلك المرأة البدينة والتى تحمل عيناها نظرة أم .

فى النهاية قالت آليس بعد أن ظن كلاى أنها لن تنطق أبداً : " آليس " . بدت كصبية تحاول أن تجيب عن ما تخشى أنها مجرد أحجية صعبة . " اسمى هو آليس ماكسويل " .

قالت البدينة وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة أم تضاهى فى عذوبتها نظرات عينيها : " آليس " . لم يكن هناك سبب يدفع كلاى إلى الحذر من هذه الابتسامة بالقدر الذى هو عليه الآن . " كم هو اسم جميل . إنه يعنى التى باركها الرب " .

رد توم : " بل يعنى ، سيدتى ، المولودة الملكية ... والآن .. هلا سمحت لنا بالمضي؟ لقد فقدت الفتاة أمها اليوم ، و ... " .

قالت البدينة دون أن تنظر إلى توم : " كل منا قد فقد عزيزاً

www.rewity.com ARAYAHEENA

لديه اليوم ، أليس كذلك آليس؟ " . كانت تسير بنفس سرعة خطى آليس ، وشعرها المجعد يتأرجح مع خطواتها . كانت آليس تحدق فيها بنظرة هى مزيج من الدهشة وعدم الارتياح . كان الناس يجتازون من حولهم وهم مطرقو الرؤوس ، أقرب إلى الأشباح وسط هذه العتمة الاستثنائية ، ولم يجد كلاى حتى الآن صغير سن سوى بعض الرضع ، والأطفال ، وآليس . لم يكن هناك مراهقون لأن لدى معظمهم هواتف محمولة ، مثلهم مثل بيكسى الشقراء . أو مثل ابنه ، والذى لديه هاتف أحمر من طراز نيكستيل بنغمة من موسيقى فرقة نادى الوحوش وأم تعمل معلمة وقد تكون معه الآن أو فى أى مكان ...

توقف عن هذه الأفكار ، لا تدعها تستغرق تفكيرك . فهى تضر ولا تنفع .

لم تتوقف البدينة عن الهرولة جانبهم . " بالفعل ، جميعنا فقد أحداً ، فكأنه يوم القيامة " . ورفعت الكتاب الذى كانت تحمله لأعلى ، وكان هذا الكتاب كتابًا دينيًا ، وخيل لكلاى أنه رأى لمعة فى عينى البدينة خلف نظارتها . لم تكن لمعة اهتمام؛ بل لمعة جنون .

قال توم : " هكذا إذن ... فلقد خرج جميعنا من الأجداث إذن " . أحس كلاى فى نبرته مزيجاً من الامتعاض (فيما يبدو من نفسه ، لسماحه للبدينة بأن تقترب منه إلى هذا الحد) .

لم تلحظ البدينة كل هذا بالطبع؛ فقد كانت نظراتها مثبتة على آليس ، ومن يمكنه أن يبعدها عنها؟ كانوا سيستنجدون بالشرطة لو كانت موجودة . لم يكن هناك سوى لاجئين مصدومين ، ولم يكونوا يهتمون بأمر سيدة عجوز مجنونة بيدها كتاب دينى وفوق رأسها شعر مجعد .

صاحت البدينة بغتة : " لقد انسكبت قارورة الجنون فى أمخاخ الأشرار ، وأضرمت النيران فى مدينة الآثام

لتطهيرها ! " . كانت تضع أحمر شفاه . وكشف فمها عن طاقم أسنان قديم . " وترون الآن الذين لم يتوبوا بعد وهم يفرون ، حقاً ، كما يفر الدود من أحشاء الـ ... "

وضعت آليس يديها على أذنيها وهى تصيح وسط الأشباح المارة من حولها : " دعوها تصمت ! " ، والبعض منهم فقط هو الذى اهتم بإلقاء نظرة لامبالية قبل أن يلتفت مرة أخرى نحو الظلام حيث تقع نيو هامبشاير فى مكان ما .

بدأت البدينة تندمج فيما هى عليه ، الكتاب الدينى مرفوع ، والوجه يتصبب عرقاً ، والعينان تلمعان ، والشعر يتطاير . " أخفضى يديك ، أيتها الفتاة ، واسمعى وأعلنى توبتك قبل أن تسمحى لهذين الرجلين أن يبتعدا بكِ ليصلا بكِ إلى أبواب الجحيم " !

هنا لم يسع كلاى سوى أن يلكمها . حاول فى الثانية الأخيرة أن يخفف من قوة اللكمة ، إلا أنها هوت قوية على فكها ، وشعر برجع صداها حتى كتفه . وارتفعت نظارة البدينة عن أنفها قبل أن تعود لتستقر عليه من جديد . ومن خلفها فقدت عيناها بريقهما ودارتا فى محجريهما . وسرعان ما عجزت ركبتاها عن حملها فخارتا ، والكتاب الدينى يكاد ينفلت من قبضتها . إلا أن آليس التى لم يغادر الفزع والدهشة عينيها أبعدت يديها عن أذنيها وهى تحاول أن تلتقط الكتاب قبل أن يسقط . بينما أحاطت ذراعا توم بالمرأة حتى لا تسقط . كان هناك تناسق زمنى بين اللكمة وما تلاها من حركتين .

كان كلاى أقرب من أى وقت مضى لأن يفقد عقله . لماذا كان هذا أسوأ من منظر تلك الفتاة التى غرست أسنانها فى عنق المرأة أو رجل الأعمال الذى طعن الناس بسكينه ، وأسوأ من منظر ريكاردى وجسده معلق بالسقف وقد غطى كيس رأسه ، لم يكن يعرف سبب هذا الإحساس ، إلا أنه كان يخامره . فهو قد ركل

ذلك الرجل صاحب السكين . كما ركله توم كذلك . إلا أن ذلك الرجل كان مجنوناً من نوع مختلف . أما هذه العجوز البدينة فلم تكن سوى ...

قال : " يا إلهى ... لم تكن سوى سيدة مذعورة . وقد لكمتها بكل قسوة " . كان جسده يرتجف .

قال توم بنبرة أدرك كلاى أنها لم تكن تلك النبرة الهادئة بل كانت فى غاية البرودة : " لقد كانت تخيف فتاة صغيرة فقدت أمها اليوم ... وقد فعلت الشيء السليم . لم تكن لتحتمل كل هذا طويلا . فقد كانت تضايقنا . فساعدنى على أن ننحيها إلى جانب الطريق " .

٤

وصلوا إلى بداية الطريق رقم واحد . أحيانا ما يسمونه " الميل المعجزة " . وأحيانا " حارة الفساد " حيث يؤدى الطريق السريع محدود الدخول إلى كثير من الحانات . ومتاجر تبيع الملابس الرخيصة . وأخرى للمستلزمات الرياضية . والكثير من المطاعم . كانت حارات الطريق الست مزدحمة . بل تغص بالبشر والسيارات المحطمة أو التى تركها أصحابها بعد أن استعانوا بهواتفهم المحمولة فجن جنونهم . سار الفارون بين الحطام . وخيل لكلاى أنهم أشبه بنمل يفر بعيداً عن خطى حذاء ثقيل .

كانت هناك لافتة فسفورية خضراء عند حافة بناية خفيضة وردية اللون تقول : مخرج شارع " مالدين سالم " على بعد ربع ميل . كانت البناية قد تهدمت ولم يبق سوى الزجاج المهشم وصوت متداع لجهاز إنذار يلفظ أنفاسه الأخيرة . كان كل ما يحتاجه كلاى هو نظرة إلى اللافتة المعتمة حتى يعلم السبب فى

أن تلك البناية كانت هدفاً لكل من فر من كارثة النهار . أكبر تخفيض يقدمه " ميستر بيج " على جميع أنواع الشراب .

كان يمسك بذراع البدينة . بينما حمل توم الذراع الأخرى . بينما تسند آليس رأس المرأة فاقدة الوعى وهم يضعونها فى وضعية الجلوس وظهرها مستند إلى عمود لافتة الطريق . وحينما انتهوا وجدوها تفتح عينيها وتنظر إليهم مشدوهة .

طرقع توم أصابعه أمام عينيها . مرتين . رمشت . ثم التفتت إلى كلاى . قالت : " أنت ... لكمتنى " . رفعت أصابعها لتلامس الكدمة التي تورمت على فكها .

بادر كلاى قائلا : " أجل . وأنا آسف ... "

فقال توم : " ربما يكون هو آسفاً . أما أنا فلا " . كان يتحدث بنفس النبرة الباردة . " فلقد كنتِ تفزعيننا " .

ضحكت البدينة فى رقة . إلا أن الدموع كانت بمقلتيها . " ... كما لو كنت لا أعرف ما يريد رجلان مثلكما أن يفعلاه بفتاة رقيقة مثلها . وخاصة فى وقت كهذا . لم يندموا على ما اقترفوه من فواحش . ولا آثام . ولا ... " .

فقال توم : " اخرسى ... وإلا لكمتك أنا هذه المرة . وأنا لست كصديقى الذى أراه محظوظا لكونه لم يدرك حقيقتك . فأنا لن أخفف من قوة لكمتى . وهذا تحذير فلو صدرت منكِ كلمة أخرى " . قالها وكور قبضته أمام عينيها . ومع أن كلاى قد استنتج بالفعل أن توم رجل مثقف ومتحضر وهو ليس بمن يلكم أحداً فى ظل ظروف عادية . فلم يسعه سوى أن يشعر بالفزع لمرأى تلك القبضة الصغيرة . وكأنما ينظر إلى طالع العصر القادم .

حدقت فيه البدينة ولم تنبس ببنت شفة . وسالت دمعة كبيرة فوق خدها المتجعد .

فقالت آليس : " هذا يكفى . توم . فأنا بخير " .

www.rewity.com ARAYAHEEN

أسقط توم كيس التسوق الخاص بالبدينة فى حجرها . لم يدرك كلاى حتى أنه كان قد أنقذ هذا الكيس . ثم تناول توم الكتاب الدينى من آليس ، والتقط يد البدينة ووضع فيها الكتاب بقوة . ثم هم بالابتعاد ، قبل أن يعود ليلتفت .

قال كلاى : " توم ، هذا يكفى ، هيا بنا " .

تجاهله توم . ثم مال نحو المرأة التى تجلس مستندة إلى عمود اللافتة . كانت يداه على ركبتيه ، وبدا لكلاى أن كليهما ـ المرأة البدينة التى تحدق فى الرجل القصير الذى يميل عليها وقد أسند يديه على ركبتيه ـ أشبه بشخصيتين مصورتين بفن المحاكاة الساخر بين صفحات رواية لتشارلز ديكنز .

قال توم : " سأوجه إليكِ نصيحة واحدة ، أختاه . لم تعد هناك شرطة لتحميكِ كما اعتدت أنتِ ورفيقاتك من مدعى الصلاح وأنتن تدلفن إلى مراكز تنظيم الأسرة أو إلى عيادة إيميلى كاثكارت فى ولثام ... " .

ردت فى مقت وهى ترفع الكتاب الدينى وكأنه يحميها : " مستنقع الإجهاض ذلك ! " .

لم يلكمها توم لكنه كان يبتسم فى تجهم : " أنا جاهل بقارورة الجنون تلك ، إلا أن هناك بالتأكيد الكثير من المجانين فى هذه الليلة . هلا أوضحت أكثر؟ لقد فرت الأسود من أقفاصها ، وربما تعلمين بأنهم سينقضون على أمثالك أولاً . فقد انتهت حرية التعبير منذ الثالثة عصر هذا اليوم . هذه نصيحة منى " . رمق بعينيه كلاى وآليس ، ورأى كلاى شفته العليا أسفل الشارب ترتجف قليلاً . " هلا ذهبنا؟ "

فقال كلاى : " بالتأكيد " .

ما إن ساروا نحو شارع مالدين سالم ، ومروا على مقهى ميستر بيج حتى صاحت آليس : " هل تربيت متشددة مثل تلك المرأة ؟ "

رد توم : " لقد كانت أمى وكذلك أختى فى مثل هذا التشدد " .

سأله كلاى : " وأين هى أمك الآن ؟ " .

رمقه توم وهو يرد : " لقد توفيت ، ولكنى لست مثل تشددها " .

٥

بالقرب من علامة التوقف عند علية الشارع وجدوا رجلين يتشاجران بالقرب من مقهى . كان الرجلان زنجيين يتبادلان اللكمات وقد نزف كل منهما وقد بدا أنهما يتشاجران على صندوق به طعام .. احتمت آليس بكلاى ، فأحاط كلاى جسدها بذراعه . إلا أنه كان فى مشهد العراك هذا شيء من الطمأنينة . فقد كانا غاضبين ، إلا أنهما لم يكونا مجنونين . وليسا مثل أولئك الذين بالمدينة .

كان أحدهما أصلع ويرتدى سترة نادى سيلتيك . لكم الآخر لكمة قوية هرست شفتيه وأسقطته أرضاً . وحينما هم الرجل ذو السترة بالانقضاض على الساقط أرضاً ، راوغه الرجل ، ثم نهض وهو يتراجع . بصق دماً . وأخذ يصرخ بلهجة أهل بوسطن : " خذه أيها الوغد! أتمنى أن تأكله حتى الموت! " .

بدا أن الرجل ذا السترة الرياضية سيهجم عليه ، وفر الآخر ركضاً نحو الطريق رقم واحد . هم الرجل ذو السترة بأن يلتقط غنيمته ، إلا أنه انتبه لوجود كلاى وآليس وتوم ، فاعتدل من جديد . كانوا ثلاثة أمام واحد ، كانت هناك كدمة على إحدى عينيه ، والدم ينزف على جانب وجهه من جرح غائر فى شحمة أذنه ، لكن كلاى لم ير خوفاً على وجهه ، بالرغم من العتمة التى لا يقطعها سوى ضوء النيران البعيدة عند نهر

ريفيرى .

سألهم : " ما الذى تنظرون إليه بحق الجحيم ؟ "

قال توم بنبرة محايدة : " لاشيء . كنا نمر بك فقط ، لو لم يكن لديك مانع . فأنا أعيش فى شارع سالم " .

قال الأصلع : " اذهبوا إلى شارع سالم أو إلى الجحيم ، فلا يهمنى هذا . ألسنا فى بلد حر ، أليس كذلك؟ "

رد كلاى : " بل هو حر للغاية ... هذه الليلة بالذات " .

أخذ يفكر فى هذه الكلمات ، ثم أطلق ضحكة مريرة : " ماذا عن كل هذا الذى حدث؟ هل من سبب له؟ "

قالت آليس : " السبب هو الهاتف الخلوى . فقد تسبب فى جنون الناس " .

التقط الأصلع صندوق الطعام . حمله فى يسر ، قال : " تبا ... إننى لم أفكر أبدا فى امتلاك أحد هذه الهواتف اللعينة " .

لم يكن لدى أى منهم رغبة فى استمرار الحوار معه ، وربما كانت هذه فكرة جيدة . فقد ارتأى كلاى أن هذا الأصلع يحمل صفات تجعله أشبه بقنبلة لم تنفجر بعد .

سألهم الأصلع : " المدينة تحترق ؟ أليس كذلك ؟ "

رد كلاى : " بلى . ولا أعتقد أن السيلتيك سيلعبون فوق أرض ملعب فليت هذا العام " .

" إنهم فريق حثالة على أية حال . فمدربهم دوك ريفرز لا يستحق حتى أن يدرب فريقا من الطلبة الهواة " . وقف يراقبهم ، والصندوق على كتفه ، والدم ينزف على جانب وجهه . على أنه بدا هادئا عن ذى قبل . قال : " تابعوا سيركم . إلا أننى لن أبقى قريبا من هذه المدينة لمدة طويلة . فالأمور ستزداد سوءا . وستكون هناك المزيد من الحرائق . أتعتقدون أن كل هؤلاء الفارين إلى الشمال قد تذكروا أن يغلقوا

محابس الغاز؟ هذا ما أشك فيه " .

بدأ ثلاثتهم فى السير ، ثم توقفت آليس . وهى تشير إلى الصندوق وتقول له : " أكان هذا ملك لك ؟ "

نظر إليها الأصلع متأملا : " لا أحد يسأل سؤالا كهذا فى مثل هذه الظروف ، حلوتى . لم يبق شيء . الكل يعيش الآن وربما الغد . وهو ملكى الآن . وقد يبقى ملكا غدا ... هيا ابتعدى عن هنا " .

قال كلاى وهو يلوح بيده : " إلى اللقاء " .

رد الأصلع من دون أن يبتسم ، إلا أنه لوح بيده قائلا : " لا أعتقد أنى أود لقاءكم ثانية " . مرا على علامة التوقف وكانا يعبران الجانب البعيد مما خمن كلاى أنه شارع سالم حينما نادى الأصلع عليهم ثانية : " هاى ... أيها الوسيم ! "

التفت إليه كل من كلاى وتوم ، ثم رمقا بعضهما البعض فى دهشة . لم يكونا يريان الآن سوى شبح بعيد عند أعلى العلية ، فبدا لهما أقرب إلى رجل كهف يحمل هراوته .

سألهما الأصلع : " أين المجانين الآن ؟ لا تقولا لى إنهم قد لقوا مصرعهم جميعا ، أليس كذلك ؟ فأنا لن أصدق هذا " .

قال كلاى : " هذا سؤال وجيه "

" عليكما بحماية تلك الجميلة التى معكما إذن " . ومن دون أن ينتظر ردا منهم دار على عقبيه واختفى وسط الظلام .

٦

ما إن مضت عشر دقائق من السير حتى قال توم : " ها نحن ذا " . ومع كلماته بزغ القمر من خلف غمامة سوداء كانت تعتمه طيلة الساعة الماضية ، كما لو أن كلمات هذا القصير ذى الشارب هى المفتاح السحرى لظهوره . سقط نوره الذى صار فضيا

الآن وليس ذاك البرتقالى الغريب على منزل كان لونه إما أزرق داكناً أو أخضر أو ربما رمادياً ؛ فليس هناك ضوء بالشارع يبين يقيناً لونه الحقيقى . إلا أن ما تيقن منه كلاى هو أن المنزل جميل أنيق . ولكنه ليس بالحجم الذى يخيل لمن يراه أول مرة . حيث إن نور القمر كان يمنحه حجماً كبيراً خداعاً ، بالإضافة إلى العتبات التى كانت ترتفع من حديقة توم الأنيقة وحتى السقيفة عند الشارع .

قالت آليس بصوت مبحوح : " أوه ... توم ... كم هو جميل ! " . بدا لكلاى أنها مرهقة وتكاد تصل إلى حافة الهيستيريا . فهو لم ير فيه جمالاً ، ولكن من المؤكد أنه بدا منزلاً لرجل امتلك هاتفاً محمولاً وجميع الأجهزة الحديثة بالقرن الحادى والعشرين . وكذلك كان حال بقية المنازل فى هذه البقعة من شارع سالم . وكان كلاى يشك فى أن هناك كثيرين ممن صادفوا مثل حظ توم الحسن هذا اليوم . فأخذ يتلفت حوله فى عصبية . كانت جميع المنازل معتمة فلا كهرباء هناك وقد تكون مهجورة . لكنه كان يشعر بأن هناك أعيناً تراقبهم .

أعين المجانين ؟ مجانين الهاتف ؟ تذكر عندها السيدة ذات البذلة وبيكسى الشقراء ؛ والمجنون ممزق الملابس ؛ وذلك الذى قضم أذن الكلب . والعارى الذى كان يحمل هوائيى سيارة وهو يركض مذعوراً . كلا ... فليست المراقبة من أساليب مجانين الهاتف . فهم يهجمون عليك من فورهم . ولكن إن كان من بتلك المنازل من الأناس الطبيعيين أو بعضهم فقط فأين ذهب مجانين الهاتف ؟

هذا ما بعث الحيرة فى عقل كلاى .

قال توم : " لا أعلم إن كان من الممكن أن أصفه أنا بالجميل ، إلا أنه لا يزال قائماً ، وهذا يكفينى . فقد كنت قد أعددت نفسى لأن نصل إلى هنا فنجد حطاماً محترقاً " . أخرج

من جيبه سلسلة مفاتيح صغيرة . " هيا لندخل . واغفروا لى تواضع المكان " .

صعدوا الممشى ولم يسيروا حتى بضع خطوات حينما صرخت آليس : " انتظرا ! " .

التفت كلاى فى سرعة ، بكل ما فيه من توتر وإرهاق . كان فى أمس الحاجة إلى الراحة . حتى أنه شعر أن مخزون الإدرينالين قد نفد . إلا أنه لم يجد أحداً هناك ، ليس هناك مجانين هاتف ، ولا رجل أصلع يتدفق الدم على جانب وجهه من جرح غائر فى أذنه . ولا سيدة عجوز تهذى بكلام عن يوم القيامة . لم يكن هناك سوى آليس . وقد جثت على إحدى ركبتيها عند بداية الممشى .

سألها توم : " ما الخطب ، عزيزتى ؟ " .

نهضت . ورآها كلاى تحمل حذاءً رياضياً بالغ الصغر .

قالت : " انه حذاء لرضيع ... فهل ... " .

هز توم رأسه نافياً : " كلا ... أنا أعيش وحدى . أنا والقط رافى . وهو يعتقد نفسه الملك المتوج على المنزل " .

ترددت عيناها المتعبتان بينه وبين كلاى وهى تتساءل : " فمن تركه هنا إذن ؟ "

هز كلاى رأسه : " لن نعلم هذا ، آليس . بوسعك أن تلقيه " .

لكن كلاى علم أنها لن تفعل هذا ؛ خيل له أنه رأى هذا المشهد من قبل . كانت لا تزال تحمله فى يدها ، القابضة على خصرها ، وهى تقترب لتقف خلف توم ، الذى كان على العتبات يبحث عن المفتاح تحت الضوء الخافت .

قال كلاى لنفسه : " ها نحن ذا نسمع صوت القط رافى " . ومن المؤكد أن القط بالداخل يموء مرحباً بصاحبه .

www.rewity.com RAYAHEEN

٧

مال توم على قطه رافى (وهو اختصار رافائيل) الذى قفز إلى ذراعيه ، وهو يهر بصوت عال ويمد رأسه يتشمم شارب توم .

قال له توم : " بالفعل ، وأنا اشتقت إليك أيضاً . وصدقنى لقد غفرت لك فعلتك " . حمل رافى عبر السقيفة وهو يربت على رأسه . تبعته آليس وبعدهما كلاى . بعد أن أغلق الباب والمزلاج .

قال توم بعد أن دخلوا المنزل : " فى نهاية هذه الطرقة تجدان المطبخ " . كانت رائحة الأثاث مريحة ، رائحة طالما ربط كلاى بينها وبين من يعيشون حياة دعة لا تحتاج بالضرورة إلى وجود امرأة . " الطابق العلوى إلى اليمين . ولنكن على القرب من بعضنا البعض . فالردهة واسعة ، ولا شيء على الأرضية ، إلا أن هناك طاولات على الجانبين وهى سوداء كقبعتك ، كما ترين " .

قال كلاى : " إن صح القول " .

" ها ها ها "

سأله كلاى : " أليس لديك كشافات ؟ "

" سأجلب كشافات وفانوساً كذلك ، ولكن علينا الذهاب إلى المطبخ أولاً " .

تبعاه عبر الردهة ، وآليس تسير بينهما . كان بوسع كلاى سماع صوت أنفاسها المتسارعة ، وهى تحاول ألا تخاف مما حولها ، إلا أن هذا كان صعباً بالطبع . بل لقد كان صعباً عليه هو نفسه . بسبب غرابة المكان وعتمته . كم سيكون من الأفضل أن يتوافر بعض الضياء ، ولكن ... ..

اصطدمت ركبته بالطاولات التى ذكرها توم . واهتز شيء كاد يهوى متهشماً . توقع كلاى سماع صوت التهشم ، ومعه

صرخات آليس . فهذا بديهى . إلا أنه أياً كان هذا الشيء ، فقد قرر أن يعيش لفترة أطول فاستقر فى مكانه . بدا أنهم ساروا طويلاً قبل أن يقول توم : " ها هو ، حسناً ؟ كان هذا صعباً عن حق " .

كان المطبخ ذا لون أسود كلون الردهة ، وخطر لكلاى التفكير فى كل الأشياء التى كان يفتقدها ويفتقدها توم أكثر : تلك الأرقام المنيرة على جهاز الميكرو ويف وأزيز الثلاجة وأنوار منزل الجار تتسلل عبر نافذة المطبخ لتسقط على صنبور الحوض .

قال توم : " ها هى الطاولة . سأساعدك على الجلوس ، آليس . ها هو كرسى ، حسناً ؟ آسف لو كنا أشبه بمن يلعب الاستغماية " .

همت ترد : " لا بأ ... " ، إلا أنها صرخت فجأة صرخة أفزعت كلاى . وامتدت يده إلى مقبض السكين التى يعتبرها الآن سلاحاً شخصياً له من دون أن يدرك هذا .

سألها توم فى حدة : " ماذا؟ ... ماذا ؟ "

" لا شيء ... فقط ... القط ... ذيله ... مر على ساقى " .

" أوه ... أنا آسف " .

قالت بنبرة امتعاض جعلت كلاى يجفل وسط الظلام : " لا بأس .. كم أنا غبية " .

قال : " لا عليك آليس ... هونى على نفسك ... فقد كان يوماً صعباً على الجميع " .

رددت آليس : " يوماً صعباً على الجميع ! " وضحكت بطريقة لم يكترث لها كلاى . ولكنها ذكرته بنبرة صوتها عندما وصفت منزل توم بأنه جميل .

كان يفكر فى أنها على حافة الوقوع فى براثن الهيستيريا . إنه يرى فى الأفلام أن من تصاب بالهيستيريا تتلقى صفعة على

وجهها ، مما يعيدها إلى صوابها . إلا أن هناك على الأقل أضواء فى الأفلام .

لم يكن عليه أن يصفعها ، فيمكن أن يهزها ، أو أن يحتضنها . تنبهت آليس إلى ما كان صوتها ينم عنه ، وسيطرت عليه حتى صار هادئاً .

قال توم : " اجلسى فأنتِ متعبة ... وأنت أيضاً كلاى . سوف أحضر بعض وسائل الإضاءة " .

أخذ كلاى يتحسس الكرسى حتى تمكن من الجلوس إلى الطاولة التى بالكاد يراها ، بالرغم من أنه من المفترض أن تكون عيناه قد اعتادتا هذه العتمة الآن . هناك صوت مواء رافى الخفيض بالقرب من ساقه بالأسفل .

قال لشبح الفتاة التى أمامه وخطوات توم تبتعد : " خمنى ماذا ؟ لقد باغتنى صاحبنا رافى أنا أيضاً " . مع أن هذا لم يحدث فى حقيقة الأمر .

قالت : " علينا أن نغفر له هذا . فمن دون هذا القط ، لكان توم قد صار مجنوناً كبقية المجانين . وكم كنا سنأسف لهذا " .

" بالفعل " .

" أنا فى غاية الخوف . هل تعتقد أن الأمور ستتحسن فى الغد ، مع ضوء النهار ؟ أعنى أن سببًا من أسباب هذا الخوف يكمن فى الظلام ؟ "

" لا أعرف "

" لابد أنك فى غاية القلق على زوجتك وابنك الصغير " .

تنهد كلاى وهو يفرك وجهه : " الصعوبة فى أنى أحاول التغلب على هذا الشعور بانعدام الحيلة . فنحن بعيدون عن بعضنا البعض كما ترين .." . توقف وهز رأسه . لم يكن ليستطيع أن يكمل كلامه لولا أنها اقتربت منه لتمسك يده . كانت أصابعها ثابتة وباردة . " لقد انفصلنا فى الربيع الماضى .

وما زلنا نعيش فى نفس البلدة الصغيرة . أى أنه شبه زواج . زوجتى مدرسة بمدرسة ابتدائية " .

مال بوجهه إلى الأمام محاولاً أن يتبين تعبيرات وجهها فى الظلام .

" أتريدين الصراحة ؟ لو أن هذه الأحداث قد حدثت منذ عام مضى ، لكان جونى معها . إلا أنه فى سبتمبر هذا التحق بالمدرسة المتوسطة ، والتى تبعد قرابة خمسة أميال عن منزلنا . وأنا أحاول أن أتأكد من أنه كان بالمنزل حينما بدأ كل هذا الجنون . لقد استقل هو وأصدقاؤه الحافلة . أعتقد أنه سيكون بالمنزل . وأنه سيهرع إليها من فوره " .

أو أنه التقط هاتفه المحمول ليهاتفها ! عاد الفزع لينتابه من جديد ... وجد كلاى نفسه يقبض على أصابعها فتنبه لذلك . إلا أنه لم يستطع منع العرق من أن يتصبب على وجهه وذراعيه .

قالت : " من أين لك أن تعلم بما حدث ؟ " .

" لا حيلة لدىّ "

" والدى يدير مزرعةً ومطبعة فى نيوتن . وأنا متأكدة من أنه بخير . إلا أنه سيكون قلقاً علىّ . أنا و ... و ... أنت تعلم قصدى " .

كان كلاى يعلم .

" إننى أفكر دوماً فيما قام به بشأن طعام العشاء . أعلم أن هذه فكرة سخيفة ؛ ولكنه لا يستطيع أن يطعم نفسه " .

فكر كلاى فى أن يسألها عما إذا كان والدها يملك هاتفاً محمولاً أم لا . إلا أن شيئاً ما دفعه إلى السكوت . فسألها بدلاً من ذلك : " هل أنت بخير الآن ؟ "

هزت كتفيها قائلة : " بلى . فأياً كان ما حدث له فقد حدث . ولا سبيل لى كى أغيره " .

قال لنفسه : أتمنى لو لم تقولى هذا .

بدا صوته قاسيا خشنًا وهو يقول : " لدى ابنى هاتف محمول . هل أخبرتك بهذا ؟ "

" أجل . قبل أن نعبر الجسر " .

" بالتأكيد . صحيح " . كان يعض على شفته السفلى وأجبر نفسه على التوقف عن هذا : " إلا أنه لا يبقيه مشحونا على الدوام . قد أكون أخبرتك بهذا أيضا " .

" أجل " .

" لا سبيل لى لأن أعرف ما حدث له " . ها هو القلق ينبهه من جديد . كفأر يتقافز داخل صدره .

أمسكت يده بيديها . لم يود أن يترك نفسه لهذا الحنو . إلا أنه لم يشأ أن يسحب يده من بين يديها . ظلا على هذه الحال وأيديهما متشابكة ليبث كل منهما ما لديه من طمأنينة للآخر . من فوق طاولة مطبخ توم الصغير ، إلى أن عاد إليهما توم وبجعبته كشافات ضوئية وفانوس كان لا يزال جديدا فى صندوقه .

٨

صدر عن الفانوس ضوء يكفى للاستغناء عن الكشافات . كان ضوؤه أبيض ، إلا أن كلاى كان مشدوها بروعته بعد كل هذا الظلام ، وبعد أن أزاح كل الظلال السوداء من حولهم فيما عدا ظلالهم والقط الذى كان يتقافز على الجدار كديكور الهولوين المصنوع من ورق أسود اللون .

قالت آليس : " أعتقد أن عليك أن تسدل الستائر " .

كان توم يفتح أحد الأكياس البلاستيكية التى أحضروها معهم من الميتروبوليتان . فتوقف ليسألها فى فضول :

" لماذا ؟ " .

هزت كتفيها واكتفت بالابتسام . رأى فيها كلاى أغرب ابتسامة رآها فى حياته ترتسم على وجه مراهقة . كانت قد نظفت الدماء عن أنفها وخدها . إلا أنه كانت هناك هالات داكنة تحت عينيها ، وقد ساهم الفانوس فى شحوب وجهها ، والابتسامة التى تبدى أسنانًا صغيرة تلمع بين شفتين ترتجفان وقد غاب عنهما كل أثر لأحمر الشفاه . كانت محيرة بسبب هذا الاصطناع الظاهر لها . بدت له آليس أشبه بممثلة فى أفلام الأربعينيات تلعب دور مصلحة اجتماعية على شفا الانهيار العصبى . كانت تضع أمامها الحذاء الرياضى الصغير الذى وجدته ، تداعبه بأحد أصابعها . وكلما حركته ، أصدر رباطه صوتا . تمنى كلاى لو أنها انهارت خلال أسرع وقت ممكن . فكلما طالت فترة تظاهرها بالتماسك كان الأمر أسوأ حينما تنهار فى النهاية . وحتى لو أنها فى الفترة التى مضت قد أخرجت شيئا مما يعتمل بداخلها ، إلا أنه لم يكن بالقدر الكافى . فحتى الآن إنه كان أكثرهم ممارسة لهذا الدور .

قالت : " لا أعتقد أن من المفيد أن يرانا أحد ونحن هنا ، هذا كل شيء " . أخذت تقلب فى الحذاء الذى أمامها . فيحدث رباطه صوتا مع ملامسته لسطح الطاولة اللامع . " بل إنه قد يكون ... خطرًا " .

نظر توم إلى كلاى .

فقال كلاى : " قد تكون على حق . فلا أستسيغ فكرة أن يكون هذا المنزل هو الوحيد المضاء فى هذه المنطقة ، حتى لو كان الضوء فى مؤخرة المنزل " .

فنهض توم وأسدل الستائر المنصوبة عند النافذة فوق الحوض ومن دون أن يعلق .

كانت هناك نافذتان أخريان بالمطبخ ، فأسدل أستارهما

www.rewity.com ARAYAHEENA

أيضاً . ثم هم بالعودة إلى الطاولة قبل أن يغير مساره متجهاً لإغلاق الباب المفضى إلى الردهة . بقيت آليس تقلب فى الحذاء أمامها . تبين لكلاى وسط الضوء القوى للفانوس أن لونه كان ورديًا ممزوجًا بالبنفسجى . لونان يحبهما الأطفال . أخذ توم ينظر إلى الحذاء فى وجوم ، وخطر لكلاى أن يقول له : عليك أن تطلب منها أن تبعده عن سطح الطاولة . قل لها إنها لا تعلم مصدره وإنك لا تريده على الطاولة . وسيكون هذا كافياً لاستثارة أعصابها وسنعمل نحن حينها على تخليصها من توترها العصبى هذا . هيا اطلب منها هذا . وأعتقد أنها تريد منك أن تطلب منها ذلك . لهذا فهى تفعله .

لكن توم اكتفى بأن أخرج شطائر اللحم المشوى البارد مع الجبن ووزعها عليهم . وأخرج إبريقاً به شاى مثلج من الثلاجة وهو يعلق : ما زال باردًا ، ثم وضع بعضًا من اللحم النيئ للقط .

قال وكأنه يبرر ذلك : " هو يستحقه ... كما أنه سيفسد فى ظل انقطاع الكهرباء " .

كان هناك جهاز هاتف معلق بالجدار . جربه كلاى ، لكنه لم يجد به خطاً . كان الجهاز ميتًا كـ ... حسنًا ، كتلك المرأة التى لقيت مصرعها أمامه عند ساحة بوسطن . عاد للجلوس وأخذ يتناول طعامه . كان جائعاً إلا أنه لم يجد فى نفسه شهية للأكل .

وضعت آليس شطيرتها على الطاولة بعد ثلاث قضمات منها فقط . " لا يمكننى أن آكل . ليس الآن . فأنا متعبة جدًا . أريد أن أنام . وأريد أن أغير هذه الملابس . أعتقد أنه لن يكون بوسعى أن أغتسل أى أن أغتسل جيداً على كل حال لكننى أتوق لأن أخلع هذه الملابس اللعينة عنى . فهى معبأة برائحة العرق والدم " . حركت الحذاء فى توتر . فسقط فوق شطائرها التى لم تتناولها . " إننى أشم فيها رائحة أمى . عطرها " .

مضت لحظات دون أن يعلق أى منهما على كلامها . كان كلاى فى حيرة تامة . تخيلها للحظات وهى من دون تلك الملابس الخارجية . لا ترتدى سوى حمالة الصدر وسروالها الداخلى ، وعيناها الخاويتان اللتان تجعلانها أشبه بدمية . كم هو سلس وملح خياله الفنى . صدمه التخيل لا لكونه مثيراً ، بل لأنه لم يجد به إثارة . أتاهم من البعد صوت انفجار كبير .

عندها كسر توم حاجز الصمت ، وشعر كلاى بارتياح لهذا :

" أعتقد أن سروال جنز من عندى سيناسبك بعض الشيء " .

ونهض وهو يتابع كلامه : " أتعلمين ، إننى أعتقد أنكِ ستكونين جذابة حين ارتدائه . تعالى معى إلى الطابق العلوى حيث سأجهز لك بعض الملابس لترتديها فى الصباح . وبوسعك قضاء الليلة فى غرفة الضيوف . لدى الكثير من البيجامات . هل تريدين مصباحاً ؟ "

" أعتقد ... أعتقد أنه سيكفينى أحد الكشافات . ما رأيك ؟ "

" بالتأكيد " . تناول أحد الكشافات وناولها آخر . كان متأهباً لأن يعلق على الحذاء الصغير حينما وجدها تتناوله ، ثم بدا وكأنه قد فضل السكوت . " يمكنك الاغتسال كذلك . قد لا يكون هناك الكثير من المياه ، لكن الصنابير ستفرغ بعضها حتى مع انقطاع الكهرباء " . ثم نظر إلى كلاى قائلاً : " إننى أحتفظ دوماً بحاوية بها زجاجات مياه شرب فى القبو ، فلن نعانى من نقص المياه هنا " .

أطرق كلاى برأسه وقال لآليس : " نوماً هنيئاً ، آليس " .

قالت بنبرة واهنة وهى تسير فى وهن أيضاً : " وأنت أيضاً ... كم أسعدنى لقاؤك " .

فتح توم الباب لها . وانطلق نور كشافيهما عبره ، ثم أغلق الباب من جديد . سمع كلاى صوت خطواتهما على الدرج ، ثم

فوقه . ثم سمع صوت خرير مياه . انتظر ذلك الصوت المألوف لانسحاب الهواء في المواسير . إلا أن خرير الماء توقف قبل هذا . كان الماء كافيا لأن يملأ لها حوض الاستحمام بالفعل . كان كلاى بدوره يعانى من الدماء والغبار . ويود لو اغتسل وتخيل أن توم فى نفس معاناته هذه . وخمن أن هناك حماماً آخر فى هذا الطابق . ولو كان توم حريصًا على النظافة . كما هو حريص فى كل شيء آخر . فسوف يجد الماء نظيفاً بخزان الطارد فى الحمام بل وفى قاعدته أيضاً .

قفز رافى على مقعد توم . وبدأ يمدد مخالبه فى ضوء الفانوس الأبيض . كان كلاى يسمع صوت هريره حتى مع صوت هسيس الفانوس المنتظم . لم يبد له أن رافى قد وجد تغيراً للأسوأ فى حياته .

خطرت له آليس وهى تتلاعب بالحذاء الصغير ، وتساءل عما إذا كان من الممكن لصبية فى الخامسة عشرة أن تصاب بانهيار عصبى .

قال للقط : " لا تكن غبياً . بل إن هذا طبيعى . ويحدث على الدوام . بل ويصنعون حول موضوعه أفلاماً سينمائية " .

نظر إليه رافى بعينين حكيمتين خضراوين وواصل لعقه لمخالبه . بدت له عيناه تطلبان المزيد من الفضفضة . وكأنهما عينا طبيب نفسى . هل ضربك أحدهم وأنت طفل ؟

إننى أشم فيها رائحة أمى . عطرها .

تبدو له آليس دمية ورقية ، والأشرطة اللاصقة تلتصق بكتفيها وساقيها .

" لا تكن سخيفاً فالأشرطة تكون بالملابس وليست الدمية ، أى نوع من الرسامين أنت ؟ " هكذا قالت له عينا رافى .

قال : " النوع العاطل . اخرس . لِمَ لا تصمت ؟ " . أغلق عينيه ، إلا أن هذا كان أسوأ . فقد وجد عينيه الخضراوين

طافيتين فى عتمة عينيه ، وكأنهما عينا " شيشاير " قط لويس كارول : نحن كلنا مجانين هنا . عزيزتى آليس . ولم يزل يسمع صوت هريره حتى مع صوت هسيس الفانوس المنتظم .

٩

مضى على ذهاب توم خمس عشرة دقيقة . وحينما عاد أزاح رافى عن مقعده من دون أن يتكلم ، وتناول قضمة كبيرة من شطيرته . قال : " لقد نامت . ارتدت إحدى بيجاماتى وأنا أنتظرها فى الردهة . ثم ألقينا بملابسها فى سلة المهملات . ولا أعتقد أنها انتظرت طويلاً حتى تذهب فى سبات عميق . وأنا أعتقد أن تخلصها من تلك الملابس قد أسهم بشكل كبير فى تهدئة أعصابها ... لقد كانت رائحتها كريهة بالفعل " .

قال كلاى : " لقد توجت رافى رئيساً للولايات المتحدة وأنت بالخارج " .

رد توم : " هذا جيد . اختيار حكيم بالفعل . ومن أعطاه صوته ؟ "

اتسعت عينا كلاى وهو يقول : " الملايين . كل من بقى محتفظاً بعقله . أرسلوا إلى بأصواتهم الفكرية . فأنا أقرأ العقوووول " .

توقف توم عن المضغ ، ثم سرعان ما عاد إليه من جديد ولكن ببطء . قال : " لا أستطيع أن أشعر بكل هذا المرح ونحن فى هذه الظروف " .

تنهد كلاى وارتشف بعضاً من الشاى المثلج ، ودفع نفسه دفعاً لأن يتناول شيئاً من شطيرته . أقنع نفسه بأن الطعام لا يعدو أن يكون وقود الجسد ، وعليه أن يتزود به . " بالفعل . أنا آسف " .

قرع توم كأسه بكأسه قبل أن يشرب منه . " لا بأس . أقدر لك مشاعرك هذه . أين حقيبة رسوماتك ؟ "

" تركتها عند المدخل . كنت أريد أن أتخفف مما أحمله ونحن نعبرِ ردهة الموت بمنزل توم ماكورت "

" حسنا إذن . اسمعنى ، كلاى ، لأننى فى غاية الأسف والحزن تجاه عائلتك "

قال كلاى ببعض الصرامة : " لم يأت وقت الأسف بعد . لا يوجد ما نحزن لأجله حتى الآن " .

" .... لكننى فى غاية السعادة لتعرفى عليك . هذا ما كنت أقصده " .

قال كلاى : " هو نفس إحساسى كذلك . كما أننى أقدر هذا المكانِ الذى سنقضى به ليلتنا . ومن المؤكد أن هذا هو شعور آليس أيضا " .

" هذا ما لم تحترق مالدين هى الأخرى من حولنا " .

أطرق كلاى برأسه مع ابتسامة : " بالفعل . هل أخذت منها ذلك الحذاء الصغير الغريب ؟ "

" كلا . لقد أخذته معها إلى الفراش ... يبدو أنها تجد فيه بعض الراحة ، وكأنه دمية . سوف تكون أفضل حالاً فى الصباح لو نامت بعمق هذه الليلة " .

" هل تعتقد ذلك؟ "

" كلا . ولكنها لو استيقظت فزعة فسيكون علىَّ أن أقضى الليلة إلى جوارها . سوف أكون فى مأمن معها ، أليس كذلك ؟ "

" أجل " . كان كلاى سيشعر أنه فى مأمن هو الآخرِ معها . إلا أنه كان يعلم قصد توم ، فقال : " سوف أرحل شمالاً مع أول ضوء للصباح . وستكون فكرة جيدة لو صحبتنى أنت وآليس " .

فكر توم فى كلامه قليلاً قبل أن يسأله : " ماذا عن والدها ؟ "

" إنها تقول بأنه يجيد الاعتماد على نفسه . وأن أكثر ما يقلقها عليه هو تناوله للطعام . ما فطنته من هذا الكلام هو أنها لا ترغب فى أن تعرف بأى حال ما قد يكون جرى له . سيكون علينا بالطبع أن نستطلع رأيها فى هذا ، لكننى أفضل أن تأتى معنا . كما أننى لا أرغب فى أن أتجه غرباً عبر تلك المناطق الصناعية " .

" أنت لا تود أن تتجه غرباً على الإطلاق " .

اعترف له كلاى بذلك قائلا : " كلا " .

ظن أن توم سيجادله فى هذا ، إلا أنه لم يفعل : " وماذا عن الليلة ؟ هل ترى أن نتناوب الحراسة ؟ "

لم يفكر كلاى فى هذا الأمر من قبل هذه اللحظة . فقال : " لا أعلم إن كان لهذا فائدة أم لا . فلو أن مجموعة من المجانين اقتحمت شارع سالم وهى مسلحة . فما الذى سيكون بوسعنا أن نفعله للتصدى لهم ؟ "

" أن نختبئ فى القبو ؟ "

فكر كلاى فى الأمر قليلاً . بدا له الاختباء فى القبو نوعاً من أنواع استعجال النهاية . إلا أن من المحتمل أن يعتقد المجانين حينها أن المنزل مهجور فيرحلون . وهذا أفضل من أن يلقى المرء مصرعه فى المطبخ . بل وقد يكون هذا بعد أن تتعرض آليس للاغتصاب مثلا .

لن تصل الأمور إلى هذا الحد ، هكذا قال لنفسه فى انزعاج . بل أنت مبالغ . لن تصل الأمور إلى هذا الحد .

إلا أن بوسطن كانت تحترق حتى النهاية . وكان الناس يقتحمون المتاجر كالمجانين للحصول على ما فيها . لقد وصل الأمر إلى هذا الحد .

كان توم يراقبهً وهو غارق فى أفكاره ... وربما كانت هى نفس أفكاره هو . بينما قفز رافى إلى حجره . فترك توم شطيرته

وأخذ يمرر يده على ظهره .

قال كلاى : " أتعلم ... لو أن لديك فراش ترحال فعليك أن تجلبه لى ، فسوف أقضى ليلتى عند مدخل المنزل بالخارج . وهو مدخل مقفل ، كما أنه أعتم من الشارع . مما يعنى أننى سأتمكن من رؤية من يقترب من المنزل قبل أن يتمكن هو من رؤيتى . وخاصة لو كان من مجانين الهاتف . فلن يخطر له أن هناك من يترقبه " .

" كلا . لا أميل إلى هذه الفكرة . فماذا لو أتوا من خلف المنزل؟ من جهة ساحة لين " .

هز كلاى كتفيه قاصدًا أنه لن يكون بوسعهم أن يصدوا كل الهجمات .

قال توم بعد أن تناول شيئاً من شطيرته وأخذ يناول رافى قطعة لحم : " حسناً ، ولكن سيكون عليك أن تأتينى فى الساعة الثالثة . ولو بقيت آليس نائمة حتى تلك الساعة ، فسيكون الأقرب أنها ستبقى نائمة حتى الصباح " .

" سننتظر ونرى ماذا سيحدث ، سأسألك عن شىء رغم أنى أعلم الإجابة ... هل لديك مسدس ؟ "

" كلا . ولا أى سلاح " . نظر إلى شطيرته ثم وضعها على الطاولة . وحينما رفع عينيه إلى عينى كلاى ، وجدهما يائستين . فقال بصوت خفيض وكأنه يناقش معه سراً : " أتذكر ما قاله ذلك الشرطى قبيل أن يطلق النار على المجنون ؟ "

أومأ كلاى برأسه . فهو لن ينسى أبداً كيف كان الشرطى يسأل المجنون عن حاله قبل أن يقتله حيث قال : مرحبا يا صاح ، كيف حالك ؟ أعنى ماذا يحدث ؟

قال توم : " أعلم أن الأمور لا تسير كما نراها فى الأفلام ، إلا أننى لم أشك أبداً فى القوة الهائلة الكامنة فى تلك الكلمات . أو بما فيها من مباغتة ... وذلك الصوت الذى صدر عن رأس

المجنون حينما ... حينما ... " .

مال إلى الأمام بغتة ، وقد غطى فمه بيده . فاجأت الحركة رافى ، فقفز إلى الأرض . صدر عن توم صوت ينم عن أنه سيتقيأ ما فى جوفه ، فابتعد كلاى عنه متوقعاً أن يبدأ فى التقيؤ . وكان يتمنى ألا يصاب هو الآخر بالرغبة فى القيء . كان يجد فى نفسه رغبة ملحة فى هذا . لأنه كان يعلم ما كان يقصده توم من كلامه هذا . تلك الطلقة ، ثم كل ما حواه رأس ذلك المجنون المنفجر وقد لطخ الرصيف أسفله .

سيطر توم على نفسه فلم يتقيأ ، ثم نظر إليه بعينين دامعتين : " آسف ... لم يكن علىَّ أن أحكى هذا " .

" ليس عليك أن تأسف " .

" أعتقد أنه لو قدر لنا أن نجتاز أياً مما ينتظرنا ، فإن من الأفضل أن نجد وسيلة نتغلب بها على مشاعرنا المرهفة هذه . فمن لا يستطيع أن يفعل هذا ... " ، توقف لحظة قبل أن يواصل قائلا : " فمن لا يستطيع أن يفعل هذا ... " ، سكت ثانية . وفى المرة الثالثة نجح فى أن يقول : " .. فمن لا يستطيع أن يفعل هذا .. سيموت " .

حدقا فى عينى بعضهما البعض وسط ضوء الفانوس الأبيض ، من دون أية كلمة أخرى .

١٠

قال كلاى : " منذ أن تركنا المدينة وأنا لم أر أحداً يحمل مسدساً . لم أكن متنبهاً لهذا فى البداية ، إلا أننى سرعان ما تنبهت إليه " .

" أتعلمون السبب ؟ السبب هو أن ماساشوسيتس تطبق أكثر قوانين السلاح صرامة فى البلاد " .

تذكر كلاى أنه قد رأى لافتات إعلانية بالشوارع ترشد إلى بنود هذا القانون وذلك منذ بضع سنوات . وبعدها استبدلوها بأخرى تقول بأن قيادة السيارة فى حالة سكر تعرض صاحبها إلى السجن .

قال توم : " لو وجد الشرطى سلاحاً مخبأ فى سيارتك كأن تكون قد وضعته فى مقصورة سيارتك مع الرخصة وبطاقة التأمين فسوف يوجه إليك تهمة عقوبتها السجن لسبع سنوات . ولو أوقفك وفى عربتك بندقية محشوة بالذخيرة ، حتى ولو كنت فى موسم الصيد . فسوف تغرم بما يصل إلى ١٠ آلاف دولار مع قضاء عامين فى خدمة المجتمع " . التقط ما تبقى من شطيرته . وتأمله . ثم عاد ليضعه على الطاولة من جديد . " بوسعك أن تمتلك مسدساً وتحتفظ به فى منزلك ما لم تكن ذا سوابق ، ولكن أن تحمل مسدساً مرخصاً معك ؟ فهذا محال " .

" لا مسدسات يمكن أن تنقذ حياة بعض ممن خرجوا من المدينة " .

رد توم : " أتفق معك تماماً . فالحمد لله أن أحداً من هذين الشابين المتصارعين على برميل الجعة لم يكن معه مسدس من عيار ٣٨ مثلاً " .

أطرق كلاى برأسه موافقاً .

عاد توم بظهره إلى الوراء فى كرسيه ، وعقد ذراعيه أمام صدره الصغير ، وهو يتلفت حوله . كانت الكؤوس تومض بالضوء المنعكس عليها من الفانوس بشكل به بعض الروعة . " على أننى لن أرفض فى ظل وضعنا هذا حمل السلاح . حتى بعد أن رأيت الأثر الذى يحدثه استخدامه . هذا مع أننى أعتبر نفسى من مؤيدى حظر السلاح " .

" منذ متى وأنت تعيش فى هذا المنزل ، توم ؟ "

" قرابة اثنى عشر عاماً . وقت طويل بما يكفى لأن

أكون شاهداً على تنامى هذه البلدة حتى وصلت إلى تخوم شيتسفايل " .

" فكر معى إذن . أى من جيرانك أقرب لأن يكون لديه بمنزله سلاح أو أسلحة ؟ " .

رد توم من فوره : " آرنى نيكرسون ، منزله يقع عبر الشارع على بعد ثلاثة منازل . فهناك ملصقات على عربته الكامرى تنم عن أنه عضو فى نوادى صيد " .

" هذا جميل . علينا إذن أن نتسلل إلى منزله صباح الغد ونأخذ ما بداخله من أسلحة " .

نظر توم إليه وكأنه قد جن . " إن ذلك الرجل ليس من أمثال أولئك المصابين بالبارانويا من ميليشيات " أوتاه " ، أقصد أنه يعيش بالفعل فى تاكساشوسيتس .. لكنه يمتلك واحداً من أجهزة الإنذار التى تحدث الكثير من الصخب حول المكان إن حدث أى اقتحام . كما أنك تعلم بالقوانين التى تطبق على من يتم اتهامه بسرقة أسلحة وبالأخص التابعة لجهات بعينها " .

" أعتقد أن للأمر علاقة بمصالح جهات ما "

" ها قد فهمت مقصدى " .

مال كلاى إلى الأمام وحدد فى عقله ما كان واضحاً منذ لحظة دخولهم فى هذه المنطقة خارجين من الطريق السريع : فليست مالدين سوى بلدة بائسة حدث لها نفس ما حدث لبقية أرجاء أمريكا ، أى أنها أصبحت خارج نطاق الخدمة ، ولا أحد يعلم متى ستعود لتدخل هذا النطاق . كما أن شارع سالم مهجور . شعر بهذا وهم يسيرون فيه ... أليس كذلك ؟

... كلا .. تبا لك ... لقد كنت تشعر بأن هناك من يراقبكم .

حقا ؟ وحتى إن كان هذا قد حدث ، فهل هذا نوع من الحدس الذى يمكن الاعتماد عليه عملياً ، وخاصة بعدما مر به

طيلة اليوم؟ هذه فكرة سخيفة .

" اسمعنى ، توم . أحدنا سيتوجه إلى منزل ذلك المدعو نيكلسون غدًا ، وبعد أن تصعد الشمس فى ... "

قال توم مصححاً : " اسمه نيكرسون وليس نيكلسون ، وأنا لا أجدها فكرة ذكية ، خاصة وقد رأيته جاثياً بداخل حجرة معيشته ومعه بندقية آلية أعتقد أنه يحتفظ بها للطوارئ القصوى . ونحن الآن فى حالة طوارئ قصوى " .

فقال كلاى : " سوف أقوم أنا بذلك إذن . ولكننى سألغى الفكرة لو سمعت أى إطلاق نار يصدر من جهة منزله منذ الآن وحتى صباح الغد . كما أننى لن أقدم عليها لو رأيت أى شخص بحديقة منزله ، سواءً كان معه سلاح أم لا . فلقد شاهدت جميع حلقات مسلسل Twilight Zone وخاصة تلك التى بينت السرعة التى اندثرت بها حضارتنا " .

قال توم واجما : " لو كان الأمر هكذا فإننى لا أمانع إذن " .

" سأذهب إلى هناك أعزل . وأدق جرس الباب . ولو أجابنى أحد فسوف أخبره بأنى أود التحدث معه . فما هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث فى رأيك ؟ أن يطردنى وحسب " .

رد توم فى حدة : " كلا ، بل أسوأ شيء هو أنه من الممكن أن يطلق عليك النار من فوره ، فتتركنى وحدى مع هذه الفتاة التى فقدت أمها ... فكر فى حلقات ذلك المسلسل كما تشاء ، ولكن عليك ألا تنسى أولئك الذين رأيتهم اليوم ، وهما يتقاتلون عند محطة المترو فى بوسطن " .

" إنهم ... لا أدرى ما أقول ، ولكنهم كانوا مختلين عقلياً . وأنت لا تشك فى هذا ، توم " .

" وماذا عن العجوز صاحبة الكتاب ؟ وماذا عن اللذين تقاتلا بعنف بسبب صندوق الطعام ؟ هل هم مجانين أيضاً ؟ "

لم يكونوا بالطبع من المجانين ، إلا أنه لا يزال يرغب فى

الحصول على سلاح من ذلك المنزل ، لو كانت به أسلحة . كما يريد لتوم وآليس أن يحتفظ كل منهما بسلاح معه أيضاً .

قال كلاى : " إننى أفكر فى أن نتوجه شمالاً لبضعة أميال . قد نتمكن من الحصول على سيارة نقودها ، ولكن قد نضطر لأن نقطع المسافة مشياً على الأقدام . فهل تريد أن تفعل هذا وأنت غير مسلح سوى بسكين مطبخ؟ هذا سؤال رجل لرجل ، فمعظم من سنصادفهم سيكونون مسلحين . وأنت تعلم قصدى " .

" بالفعل " ، رد توم وهو يمرر أصابعه فى شعره الأنيق . " كما أعلم أن آرنى وزوجته بيث لن يكونا فى الأغلب داخل المنزل . فقد كانا شغوفين بالتكنولوجيا قدر شغفهم بالأسلحة . ودوماً ما كنت أراه يعبث بهاتفه المحمول وهو يقود عربته " .

" أرأيت ؟ ها قد وافقتنى " .

تنهد توم وقال : " حسنًا . لكن هذا سيعتمد على ما سيأتينا به الصباح . اتفقنا ؟ "

تناول كلاى شطيرته من جديد وهو يقول : " اتفقنا " .

" إلى أين ذهبوا ؟ أولئك الذين أسميتهم مجانين الهاتف . إلى أين ذهبوا فى رأيك ؟ "

" لا علم لى بهذا " .

" سأقول لك رأيى . أرى أنهم قد تسللوا إلى المنازل والبنايات مع حلول غروب الشمس ليموتوا هناك " .

نظر كلاى إليه فى شك .

" لو أمعنت التفكير فى الأمر لرأيت أن ظنى صحيح . ألا تتفق معى فى أن كل هذا الذى حدث نوع من أنواع الأعمال الإرهابية ؟ "

" قد يبدو هذا أقرب تفسير ممكن ، مع أننى لا أعرف كيف يمكن لإشارة ما ، مهما كانت قوية ، أن يتم برمجتها بحيث تحدث ما أحدثته هذه الإشارة " .

" هل أنت من العلماء ؟ "

" تعلم جيداً أنى لست كذلك ، فأنا رسام " .

" إذن فحينما تقول لك إدارتنا إن بوسعها أن ترسل قنبلة ذكية موجهة إلكترونياً فتخترق بوابات مستودع داخل أرض صحراوية من حاملة طائرات تبعد عن تلك النقطة ألفى ميل ، فإنك لا تجد أمامك سوى التسليم بوجود مثل هذه التكنولوجيا " .

سأله كلاى بجدية : " وهل يمكن لكاتب مثل توم كلانسى أن يكذب على قرائه ؟ "

" ولو كانت هذه التكنولوجيا موجودة بالفعل ، فلماذا لا نقتنع بوجود هذه التكنولوجيا التى نحن أمامها الآن ، ولو من حيث المبدأ ؟ "

" لم لا تفصل الأمر وبكلمات مفهومة لو سمحت ؟ "

" فى حوالى الساعة الثالثة من بعد الظهر قامت منظمة إرهابية ، وربما إحدى الحكومات المناهضة ، بتوليد نوع من الإشارات أو النبضات اللاسلكية . ونحن الآن نفترض أنها تنتقل مع إشارات الهواتف المحمولة عبر جميع أنحاء العالم . ونحن نأمل أن يكون هذا تصوراً مغلوطاً ، إلا أننى أرى أن علينا الآن افتراض الأسوأ " .

" وهل انتهى الأمر عند هذا الحد ؟ "

قال توم : " لا أدرى . وهل تريد أن تلتقط هاتفاً محمولاً لتجرب ؟ "

قال كلاى : " أقنعتنى " . كان ابنه قد اعتاد أن يرد عليه بهذه الكلمة . أوه ... يا ربى ... هل لا يزال قادراً على قولها .

استطرد توم : " لكن إذا كانت هذه الجماعة قادرة على بث إشارة تصيب كل من يتعرض لها بالجنون ، فما المانع من أن تحتوى هذه الإشارة كذلك على أمر موجه لمن يستقبلها بقتل

أنفسهم بعد مضى خمس ساعات مثلاً ؟ أو أن يتوجهوا للنوم ويتوقفوا عن التنفس ؟ "

" أرى أن هذا محال " .

" أما أنا فكنت أرى إلى وقت قريب أن من المحال أن يقترب منى مجنون يخرج من فندق الفور سيزونز ومعه سكين ، أو أن تحترق بوسطن عن آخرها ويفر منها هؤلاء الذين حالفهم الحظ ولم يمتلكوا هاتفاً محمولاً " .

مال بجذعه إلى الأمام ، وهو ينظر إلى كلاى فى تصميم . خيل لكلاى أنه مرتاح لهذه الفكرة . فعليه ألا يهدر المزيد من الوقت فى محاولة إقناعه بعكسها . فهو مصر على الاقتناع بها .

قال له : " أجد أنه لا اختلاف بين هذا التصور والإرهاب البيولوجى الذى صارت الإدارة تخشاه منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر . فمن خلال استغلال الهاتف المحمول ، الذى أصبح سيد عالم الاتصالات الآن ، فإنك تتحكم فى كل البشر وتحولهم إلى جنود لا يسعهم سوى إطاعة أوامرك . جيش لا يخشى من أى شيء ، بالمعنى الحرفى لهذه العبارة ، هذا لأنه فاقد للعقل وهكذا تدمر البنية التحتية بأسرها . أين هو الحرس الوطنى الليلة ؟ "

رد كلاى مخمناً : " قد يكون بالعراق ... أو بلويزيانا " .

لم تكن بدعابة ولم يبتسم لها توم . " إنه غير موجود . فكيف لنا أن نستخدم قوة وطنية صارت تعتمد الآن وبشكل كلى على الشبكة الخلوية حتى فى تحركاتها ؟ أما بالنسبة للطائرات ، فإن آخر طائرة شاهدتها تطير كانت تلك الصغيرة التى تحطمت عند تقاطع شارعى تشارلز وبيكون " . صمت لحظة ، ثم واصل كلامه وهو ينظر مباشرة إلى عينى كلاى : " إن كل ما قاموا به ... أياً كان هؤلاء ... هو أنهم راقبونا من المكان

www.rewity.com ARAYAHEENA

المجهول الذى يقبعون فيه . فماذا برأيك كان أهم ما رأوه ؟ "

هز كلاى رأسه وهو مشدوه بمنظر عينى توم ، اللتين كانتا تلمعان وراء عدستى نظارته . كانتا أشبه بعينى أحد المتنبئين .

" رأوا أننا قد عدنا فبنينا برج بابل جديداً ... برجاً مشيداً من شبكة إلكترونية ليس إلا . ففى ظرف ثوان قاموا بتحييد هذه الشبكة الإلكترونية فانهار البرج . هذا ما فعلوه . بينما نحن الثلاثة كنا أشبه بثلاث حشرات تصادف وبالمصادفة البحتة أن نجت من وقع قدم عملاقة كادت تهرسها تحتها . كل هذا الذى فعلوه ، وأنت تظن أنهم لم يقوموا بصنع إشارة تأمر من يتعرض لها بأن ينام ، ويتوقف عن التنفس بعد خمس ساعات من التعرض لها ؟ فما هى صعوبة هذه الحيلة ، مقارنة بحيلتهم الأولى؟ ليست بالصعبة كما أرى " .

قال كلاى : " أما أنا فأرى أن من المناسب الآن أن ننال قسطاً من النوم " .

ظل توم للحظات فى مكانه ، مستنداً إلى الطاولة ، وهو يحدق فى كلاى وكأنما لم يستطع فهم ما قاله . ثم ضحك قبل أن يقول : " بالطبع . . . بالطبع . . . عندك حق . فيبدو أن التعب قد نال منى . أنا أعتذر لك " .

" لا بأس . فأنا أتمنى أن تكون محقاً بخصوص موت كل المجانين " . صمت كلاى لحظة قبل أن يضيف : " أعنى . . . ما لم يكن ابنى . . . جونى . . . " . لم يسعه أن يتمم عبارته . ربما ظنا منه أنه لو كان جونى قد حاول أن يستخدم هاتفه هذا المساء ، وتلقى نفس المكالمة التى تلقتها بيكسى الشقراء والسيدة ذات الحلة ، فإنه يشعر بأن من الأفضل حينها ألا يكون جونى حياً الآن .

مد توم يده له عبر الطاولة ، فالتقطها كلاى بيديه . رأى

المنظر وكأنه يراقبه من خارج جسده . وحينما تكلم لم يعتقد لحظة أنه هو من يتكلم ، بالرغم من شعوره بحركة فمه . وبالدموع التى بدأت تنساب من عينيه .

كان فمه يتحرك ليقول : " إننى فى غاية الخوف عليه ، بل خائف عليهما معاً ، إلا أننى أخاف على ابنى أكثر " .

فقال توم : " سوف تجرى الأمور على خير " ، شعر كلاى بقلبه ينقبض لسماع هذه العبارة ، التى رأى أنها لا تقال إلا حينما لا يكون هناك شيء يمكن أن يقال سواها . تماماً كمن يقول لشخص مات عزيز لديه ... " إنه الآن فى مكان أفضل " .

١١

أيقظت صرخات آليس كلاى من وسط حلم محير إلا أنه لم يكن بالمزعج ، كان فيه بخيمة بينجو بمدينة ملاهى آكرون ستيت . كان بالحلم فى سن السادسة من جديد بل ربما أصغر ؛ ولكن من المؤكد أنه لم يكن أكبر وكان يزحف أسفل الطاولة الطويلة التى كانت أمه تجلس إليها ، ينظر إلى غابة سيقان السيدات ويشم روائحهن ، بينما ينادى المنادى على طاولة اللعب " لاعب بى ١٢ ، بى ١٢ ! " .

مرت عليه لحظة حاول فيها عقله الباطن أن يدمج بين صرخات الفتاة والحلم شعر خلالها أنه يسمع صافرة ظهيرة السبت ، إلا أنها لم تكن سوى لحظة . كان كلاى قد أسلم نفسه للنوم عند سقيفة منزل توم بعد ساعة من المراقبة اقتنع بعدها أن لا شيء سيحدث ، ليس الليلة على الأقل . لكن من المؤكد أنه كان مقتنعاً كذلك بأن آليس لن تبقى نائمة حتى الصباح . هذا

لأنه لم يشعر بارتباك حقيقى حينما تيقن من أنها تصرخ بالفعل . فمن لحظة كان فيها صبيا يزحف تحت طاولة البينجو فى أوهايو ؛ إلى لحظة يقفز فيها عن الأريكة الطويلة المريحة عند سقيفة منزل توم ماكورت ، والغطاء لا يزال ملتفا عند ساقيه . وفى مكان ما داخل المنزل كانت آليس ماكسويل تصرخ بكل قوة تكاد تحطم زجاج المنزل . وتعبر عن كل الرعب الذى مرت به خلال هذا النهار . وهى تلح بصرخاتها على أن هذا الذى تعانيه لا يمكن أن يحدث هنا .

حاول كلاى أن يخلص ساقيه من الغطاء . إلا أنه وجد صعوبة فى البداية . ووجد نفسه يتقافز نحو الباب الداخلى ، وهو يخلص نفسه فى عجلة فزعة وهو ينظر نحو شارع سالم ، فمن المؤكد أن هذه الأضواء ستبدأ فى التذبذب حتى بالرغم من أنه يعلم أن الكهرباء مقطوعة . ومن المؤكد أن شخصاً ما ربما كان ذلك الذى يمتلك أسلحة . ويحب الأجهزة الحديثة ... السيد نيكرسون القاطن بذاك المنزل عبر الشارع سيخرج إلى حديقته ، ويطلب من أحدهما أن يسكت هذه الفتاة . وألا يضطراه إلى أن يأتى بنفسه ليسكتها ! سيصرخ آرنى نيكرسون : " لا تضطرونى إلى أن آتى وأطلق النار عليها ! " .

أو يمكن لصرخاتها هذه أن تجتذب مجانين الهاتف كيعاسيب تقترب حثيثاً من مصباح منير . قد يظن توم أنهم قد ماتوا ، إلا أن كلاى لا يؤمن بهذه الفكرة مطلقا .

إلا أن شارع سالم غربى وسط المدينة وأدنى من ذلك الجزء من مايدين والذى يسميه توم مرتفعات جرانادا بقى مظلما وصامتا وبلا أى حراك . بل إن وهج الحرائق فى ريفيرى قد بدأ يخبو .

نجح كلاى فى النهاية فى تخليص نفسه من الغطاء ، ودلف إلى الداخل ووقف عند الدرج ، وهو يحدق عبر العتمة . يمكنه الآن أن يسمع صوت توم لا الكلمات ولكن النبرات ، وقد كانت

خافتة ومطمئنة . بدأت صرخات الفتاة فى التحول إلى لهاث للأنفاس ، ثم إلى بكاء تحول إلى كلمات غير مفهومة . فهم كلاى بعضاً منها ، وعرف أنه كان كابوساً . تواصل كلام توم ، وهو يطمئنها ببعض الأكاذيب : فكل شيء سيكون بخير ، وسوف ترى هذا ، وستكون الأمور أفضل فى الصباح . تخيلهما جالسين إلى جوار بعضهما البعض على فراش غرفة الضيوف ، وكل منهما يرتدى البيجاما . وسعه أن يتخيل نفسه يرسمهما هكذا . وابتسم لهذه الفكرة التى خطرت له .

حينما تيقن من أنها قد توقفت عن الصراخ تماماً . عاد إلى مدخل المنزل . والذى كان بارداً بعض الشيء ولكن هذا يتبدد بمجرد أن يلف نفسه بالغطاء . جلس إلى الأريكة ، وهو يتطلع عبر الشارع . إلى اليسار ، شرق منزل توم ، يقع الحى التجارى . ظن أنه يرى إشارة المرور التى تميز المدخل نحو ميدان البلدة . أما فى الجهة الأخرى وهى الجهة التى قدموا منها فبها المزيد من المنازل . وجميعها قابع فى عتمة الليل الشديدة .

تمتم قائلاً : " أين أنتم؟ بعضكم توجه شمالاً أو غرباً ، ولا تزالون صحيحى العقل . ولكن إلى أين ذهب بقيتكم ؟ "

لم يأته جواب . تباً . فربما كان توم على حق وأرسلت لهم الهواتف المحمولة رسالة تأمرهم بالجنون فى الثالثة والموت عند الثامنة . بدا الأمر أفضل من أن يتحقق ، إلا أنه تذكر أنه يشعر بالشعور نفسه تجاه الاسطوانات المدمجة القابلة للتسجيل عليها مرات ومرات .

الصمت يغلف الشارع أمامه ؛ ويغلف المنزل من ورائه . وبعد برهة من الوقت ، أسند كلاى ظهره إلى الأريكة وأغلق عينيه . ظن أنه قد يغفو ، ولكنه شك فى أنه سينجح فى العودة للنوم من جديد . على أنه غفا فى نهاية المطاف ، ولم تنتبه أحلام هذه

المرة . وقبيل ضوء الصباح اقترب كلب من نوع المونجريل من ممشى منزل توم ، وأخذ يتطلع إليه وهو نائم يشخر متدثراً بالغطاء . ثم مضى لحاله . لم يكن متعجلاً ؛ ففضلات الطعام كثيرة فى مالدين هذا الصباح . وستبقى كذلك لوقت طويل قادم .

١٢

" كلاى . استيقظ " .

كانت هناك يد تهزه . فتح كلاى عينيه ليرى توم . مرتدياً الجينز وقميصاً رمادى اللون . وهو يميل نحوه . كان المدخل الأمامى مضاءً بنور قوى باهت . رمق كلاى ساعته وهو يرفع ساقيه عن الأريكة ، وتبين له أنها السادسة وعشرون دقيقة .

قال توم : " لابد أن ترى هذا " . بدا شاحباً . قلقاً . أشهب على جانبى شاربه . كان طرف قميصه غير مهندم وشعره أشعث بعض الشيء .

تطلع كلاى إلى شارع سالم . ليرى كلباً يقبض بفمه على شيء ما وهو يخب الخطا بين سيارتين معطلتين على بعد نصف بناية منهما إلى الغرب ، ولم ير شيئاً آخر يتحرك . كان يشم عبق دخان حريق فى الهواء وافترض أنه آتٍ إما من بوسطن أو ريفيرى . ربما كان آتيا من الجهتين . إلا أنه حدس على الأقل أن الرياح قد توقفت . فعاد لينظر إلى توم .

قال توم بصوت خفيض : " ليس هنا . بل فى الباحة الخلفية . فقد رأيت وأنا بالمطبخ لأعد بعض القهوة وقبل أن أتذكر أن البن قد نفد ، و ... قد لا يكون فى الأمر شيء ... لكننى لم أحب ما رأيته " .

كان كلاى يبحث أسفل الغطاء عن جوربه : " هل لا تزال آليس نائمة ؟ "

" بلى ، وهذا جيد . لا تهتم بأمر الجورب والحذاء ، فنحن لسنا ذاهبين لتناول العشاء فى الريتز . هيا بنا " .

تبع توم الذى كان يرتدى خفاً مريحاً عبر الردهة وحتى المطبخ . كان هناك على المنضدة كأس بقى بها بعض الشاى المثلج .

قال توم : " لا يمكننى أن أفعل أى شيء فى يومى من دون تناول بعض الكافيين فى الصباح . لذا فقد صببت لنفسى كأساً من هذا فتناول بعضاً منه فهو لا يزال جيداً بارداً وقد أزحت الستارة فوق الحوض حتى ألقى نظرة إلى الحديقة . لا لسبب معين ، فقط كى أرى العالم الخارجى . وعندها رأيت ... انظر أنت بنفسك " .

تطلع كلاى عبر النافذة فوق الحوض . كانت هناك باحة من القرميد الصغير لطيف اللون خلف المنزل وبها شواية غاز . وخلف الباحة كانت الساحة الخلفية لمنزل توم . يغطى العشب نصفها وحديقة تغطى النصف الآخر . وخلفها سور خشبى به بوابة . كانت البوابة مفتوحة . وكان من الواضح أن أحدهم قد أطلق على المزلاج النار لأنه قد صار الآن معلقاً بالكاد ، ويبدو لكلاى كمعصم مكسور . خطر لكلاى أنه قد كان بوسعه أن يعد القهوة على شواية الغاز . لولا ذلك الرجل القابع فى حديقته إلى جوار ما كانت عربة يد أنيقة ، وهو يأكل محتويات قرعة عسل ويلفظ حبوبها . كان يرتدى رداء ميكانيكى سيارات وقبعة بها بقع من الشحوم يبدو عليها حرف بى بالكاد . وعلى يسار صدر ردائه انطبع اسمه ... " جورج " . أمكن لكلاى أن يسمع الصوت الذى يحدثه الرجل فى كل مرة يدس وجهه فى قرعة العسل .

قال كلاى بنبرة خفيضة : " تبا ... إنه واحد منهم " .

" أجل . وطالما هناك واحد فهناك المزيد " .

" هل كسر البوابة حتى يستطيع الدخول ؟ "

" بالطبع . أنا لم أره يفعلها ، إلا أنها كانت مغلقة حينما غادرت المنزل بالأمس ، وهذا ما أنا متيقن منه . كما أن علاقتى مقطوعة مع " سكوتونى " ذلك الذى يسكن فى الجهة المقابلة لمنزلى . فلا حاجة له " بأشخاص من أمثالى " كما قال لى عدة مرات " . توقف قبل أن يتابع بصوت خفيض . كان يتحدث بهدوء . وأصبح على كلاى الآن أن يقترب منه أكثر حتى يسمعه . " أتعرف ما الجنون فى الأمر؟ إننى أعرف هذا الرجل . فهو يعمل بمحطة تيكساكو التابعة لسونى . بوسط البلدة . وهى ليست سوى محطة غاز لا تزال تقوم بالإصلاحات كذلك . أو هذا ما كان يفعله بالطبع . وقد حدث أن استبدل لى خرطوم الراديياتور ذات مرة . وقد حكا لى كيف أنه وأخاه قد قاما برحلة إلى ستاد اليانكى العام الماضى . ورأى الفريق وهو ينتصر . بدا لى أنه شخص لطيف . فانظر الآن إليه! وهو قابع فى حديقتى يلتهم قرعة نيئة ! " .

سألتهما آليس من خلفهما : " ما الذى يجرى يا رفاق ؟ " .

التفت توم إليها وعلى وجهه خيبة أمل : " لا أريدك أن ترى هذا " .

فقال كلاى : " لا جدوى من هذا ... فعليها أن تراه " .

ابتسم لآليس ، ووجد أنه لم يكن من الصعب عليه أن يبتسم . كانت البيجامة التى ترتديها كما تخيلها ، إلا أنها كانت زرقاء اللون ، وقد بدت شديدة البهاء وهى ترتديها ، وقدماها حافيتان وقد شمرت ساقى البيجاما لأعلى وشعرها أشعث بسبب النوم . وبغض النظر عن كوابيسها ، فقد بدت مرتاحة بشكل أكبر من توم . كان بوسع كلاى أن يراهن على أنها كانت أكثر راحة منه هو شخصيا .

قال : " ليس بحطام سيارة أو شيء آخر . بل مجرد شخص يتناول قرعة عسل فى حديقة توم " .

وقفت بينهما ، وهى تضع يديها على حافة الحوض وتقف على أصابعها حتى تنظر إلى الخارج . لامس ذراعها ذراع كلاى ، فشعر بدفء النوم الذى تشعه بشرتها . أخذت تنظر لفترة طويلة ، ثم التفتت إلى توم .

قالت وكلاى لا يعلم إن كانت تتهمهما أم تسخر منهما : " لقد قلتم بأنهم قد انتحروا " . خطر له أنها ربما لا تعلم هى نفسها .

رد توم فى تسليم : " لم أقل بأن هذا أكيد " .

عادت لتنظر من جديد وهى تقول : " بل لقد كنت متأكداً تماماً من هذا " . ورأى كلاى أنها لم تكن فزعة . بل بدت له رابطة الجأش بدرجة ملحوظة فى البيجاما الواسعة . " أوه ... أيها الرفاق ؟ "

ردا فى آن واحد : " ما الأمر ؟ "

" انظرا إلى العربة الصغيرة التى يجلس إلى جوارها . انظرا إلى الإطار "

كان كلاى قد رأى بالفعل ما تتحدث عنه . قطع قشر القرعة ، ومحتواها ، وبذورها .

قالت : " لقد هشم قرعة العسل على الإطار حتى يفتحها ويأكل ما بداخلها . وأعتقد أنه واحد منهم " .

قال كلاى : " إنه بالفعل واحد منهم " . كان جورج الميكانيكى جالسًا فى الحديقة مباعدًا بين ساقيه ، وقد بدا وكأنما يبول على نفسه .

" ... لكنه استخدم الإطار كأداة . وهو ما لا يمكن أن يصدر عن مجنون " .

رد توم : " لقد استخدم لمحدهم بالأمس سكيناً . وآخر كان يقبض على هوائيى سيارة " .

" أجل ، إلا أن هذا يبدو لى مختلفاً ... نوعاً ما " .

www.rewity.com ARAYAHEEN

عاد توم ليرمق هذا الدخيل وهو يقول : " تقصدين أنه مسالم ؟ ما كان لى أن أخرج إلى هناك حتى أتيقن من هذا الأمر " .

" كلا . لم أقصد هذا . لم أقصد أنه مسالم . ولكننى عاجزة عن شرح ما أعنيه " .

اعتقد كلاى أنه يعلم ما تتحدث عنه . فلقد كان العدوان الذى شهدوا عليه بالأمس أعمى . يتعدى على أى شيء يقع فى طريقه . عشوائياً . كان هناك بالفعل رجل الأعمال ذو السكين والشاب مفتول العضلات الذى يطوح بهوائيى السيارة وهو يركض . ولكن هناك كذلك ذلك الرجل بالمتنزه والذى مزق أذن الكلب بأسنانه . وقد استخدمت بيكسى الشقراء أسنانها كذلك . أما هذا فمختلف كثيراً عنهم . لا لأنه يأكل بدلاً من أن يقتل . ولكن كلاى وجد نفسه عاجزًا مثل آليس عن أن يضع يده على هذا الاختلاف .

هنا صاحت آليس : " يا إلهى ... هناك اثنان آخران " .

دلفت امرأة عبر البوابة المفتوحة . كانت فى الأربعين من عمرها . ترتدى حُلّة رمادية متسخة ومعها رجل عجوز يرتدى سروالاً رياضياً قصيراً وقميصًا قطنيًا . كانت المرأة ترتدى قميصاً أخضر ممزقاً . وقد كشف عن حمالة صدر خضراء باهتة . كان العجوز يعرج . وهو يطوح بمرفقه مع كل خطوة يخطوها حتى يحفظ اتزانه . كانت ساقه اليسرى الهزيلة مخضبة بالدماء . وقدمه اليسرى حافية إلا من بقايا جورب رياضى متسخ بالأتربة والدماء . كان شعره الأشيب الطويل يحيط برأسه كالقلنسوة . بينما كانت المرأة تهذى بكلمة متكررة لا معنى لها . وهى تمسح بعينيها الفناء والحديقة . نظرت إلى جورج آكل القرعة بإهمال وكأنه لا يستحق . ثم تجاوزته نحو ثمرات الخيار التى بقيت فى الحديقة . وعندها انحنت وقطعت واحدة . وبدأت

تأكلها . أما العجوز فقد توجه نحو حافة الحديقة ومن ثم اكتفى بالوقوف هناك وكأنه إنسان آلى قد فرغت بطاريته . كان يرتدى نظارة مذهبة خمن كلاى أنها نظارة قراءة تلمع فى ضوء الصباح . بدا لكلاى كشخص كان بالغ الذكاء وتحول فجأة إلى منتهى البلاهة .

تقارب الثلاثة فى المطبخ من بعضهما البعض . وهم يحدقون عبر النافذة . ويحاولون كتم أنفاسهم .

استقرت نظرات العجوز على جورج . والذى ألقى بعيداً قطعة من قشرة قرعة العسل . وتفحص بقيتها . ثم عاد ليدس وجهه فيها مكملاً إفطاره . وبعيداً عن أنه كان مسالماً مع القادمين الجدد . إلا أنه قد بدا غير متنبه لهما إطلاقاً .

عرج العجوز إلى الأمام . ثم انحنى . وبدأ يجذب قرعة عسل فى حجم كرة القدم . كان على بعد أقل من ثلاث خطوات عن جورج . تذكر كلاى تلك المعركة عند مدخل نفق المترو . فحبس أنفاسه ترقباً .

شعر بآليس تتشبث بذراعه . وقد فارقها ذلك الدفء . سألته بصوت خفيض : " ما الذى سيفعله ؟ "

اكتفى كلاى بهز رأسه فى حيرة .

حاول العجوز أن يقضم القرعة إلا أنه فشل وارتطمت هى بأنفه . كان المنظر ليبدو مضحكاً فى ظروف غير هذه . عاد العجوز ليعدل من وضع نظارته . كانت لمحة طبيعية جداً حتى أن كلاى قد شعر للحظة بأنه هو المجنون ولا أحد غيره .

صاحت المرأة صيحة غير مفهومة وهى تلقى بثمرة الخيار نصف المأكولة بعيدا . لمحت بضع ثمار من الطماطم فزحفت نحوها وشعرها يغطى وجهها . كانت مؤخرة سروالها متسخة بدرجة شديدة .

لمح العجوز العربة . فأخذ ثمرة القرع معه نحوها . وحينها

رأى جورج الجالس إلى جوارها . نظر إليه فى ترقب . أشار جورج بيده الملطخة بالعصارة البرتقالية نحو الإطار ، إشارة رآها كلاى من قبل آلاف المرات .

تمتم توم : " تبا ... إنه يشير إليه بأن يتفضل " .

جثا العجوز على ركبتيه فوق أرض الحديقة . فى حركة كان من الواضح أنها سببت له ألما شديداً . رفع رأسه نحو السماء المنيرة ، وتمتم كلمات ما . ثم رفع الثمرة فوق الإطار . أخذ يحدد هدفه للحظات . وذراعاه ترتجفان ، ثم هوى بها عليه . لتنكسر مفتوحة . انشطرت إلى قسمين . أما الذى حدث بعد ذلك فقد حدث فى سرعة . فقد أسقط جورج ثمرته التى كادت تفرغ فى حجره . واندفع نحو العجوز ليمسك رأسه بكلتا يديه ثم يلوى عنقه . سمعوا صوت قرقعة عنق العجوز المكسورة بالرغم من زجاج النافذة . ارتجف جسد العجوز للحظة قبل أن يهمد تماما . تركه جورج . همت آليس بالصراخ إلا أن توم غطى فمها بيده . كانت عيناها متسعتين فى ارتياع . بينما التقط جورج الثمرة الجديدة بكل هدوء وأخذ فى التهامها .

أخذت المرأة ممزقة القميص تنظر حولها للحظات فى لا مبالاة ، ثم التهمت ثمرة طماطم أخرى . كانت العصارة الحمراء تنساب من فمها وحتى عنقها المتسخ . جلست وجورج فى حديقة توم ، يتناولان الخضراوات . ولسبب لا يدريه كلاى . فقد تذكر حينها واحدة من لوحاته المفضلة : والتى أسماها " مملكة السلام " .

لم يدرك أنه قد نطق باسمها بصوت عال إلا حينما نظر إليه توم بائسا وهو يقول : " ليس بعد الآن " .

١٣

كان ثلاثتهم يقفون عند نافذة المطبخ بعدها بخمس دقائق حينما اندلع صوت جرس إنذار على البعد . كان الصوت نفسه مبحوحا متعبا ، كما لو أنه سيصمت قريباً .

سأل كلاى : " أيدرى أحدكما سبب هذا الصوت؟ " . وفى الحديقة كان جورج قد تخلى عن ثمار القرع العسلى ، واستخرج من الأرض ثمرة بطاطس كبيرة . كان قد اقترب من المرأة ، إلا أنه لم يبد اهتماما بوجودها . حتى الآن على الأقل .

قال توم : " أخمن أنه مولد الطاقة عند مركز سيفواى بوسط المدينة وقد فرغ . وفى حال حدوث هذا يتم تشغيل جرس الإنذار الذى يعمل بالبطارية . إلا أن هذا ليس سوى تخمين . فحسب علمى أن هناك بنكا ما ... " .

صاحت آليس : " انظرا ! " .

توقفت المرأة عن تناول ثمرة الطماطم ، ثم نهضت وسارت نحو الجانب الشرقى من منزل توم . نهض جورج بدوره وهى تمر ، وكلاى يؤمن بأنه يقصد قتلها كما قتل العجوز . جفل فى ترقب ورأى توم يقترب من آليس ، حتى يبتعد بها عن المنظر . إلا أن جورج اكتفى بأن تبع المرأة ، ليختفيا حول ركن المنزل من خلفهما .

استدارت آليس وهرعت نحو باب المطبخ .

ناداها توم بصوت خفيض وهو يتبعها : " لا تدعيهما يرونك! " .

" لا تقلق " .

تبعهما كلاى وهو فى غاية القلق .

وصلا إلى باب غرفة الطعام فى الوقت المناسب ليروا المرأة رثة الثياب وجورج ذا الملابس المزرية وهما يجتازان غرفة

الطعام عبر الستارة التى كانت مسدلة غير أنها لم تكن مربوطة . لم ينظر أى منهما نحو المنزل ، وصار جورج الآن قريبا جدا من المرأة لدرجة يسعه معها أن يغرس أسنانه فى عنقها . توجهت آليس يتبعها توم وكلاى نحو الردهة المفضية إلى مكتب توم الصغير . كانت الستائر هنا مغلقة ، إلا أن كلاى رأى ظلال المجنونين بالخارج وهى تمرق وراءها . تحولت آليس عبر الردهة نحو باب مدخل المنزل والذى كان مفتوحا . كان نصف الغطاء على الأريكة والنصف الآخر على الأرض ، كما تركه كلاى . كانت أشعة الشمس المشرقة تغطى سقيفة مدخل المنزل .

ناداها كلاى : " انتبهى لنفسك ، آليس . انـ .. .. " .

إلا أنها توقفت . واكتفت بالنظر . ووقف توم إلى جوارها ، وهو يكاد يقاربها طولا . كانا أقرب إلى أخ وأخت . ولم يحرصا على تفادى أن يراهما المجنونان .

قال توم : " تبا " . بدا وكأنما قد طار عقله . وإلى جواره بدأت آليس تبكى . كان أشبه بنحيب طفل أنهكه البكاء . طفل اعتاد تلقى العقاب .

لحق بهما كلاى . كانت المرأة تسير عبر العشب أمام منزل توم . وجورج لا يزال خلفها . يتبعها خطوة بخطوة . وحينما اقتربا من عتبات المدخل تحول ليسير على يسارها كتفا بكتف .

كان شارع سالم يعج بالمجانين .

قدر كلاى عددهم بما يزيد على الألف . وعندها تغلبت عليه عين الفنان وأدرك أن تقديراته هذه مبالغ فيها . وسببها الدهشة من رؤية أحد من الأصل فى شارع توقعه خاليا ، ومن ثم وجد نفسه أمام هذا الجمع كله . لا يمكنه أن يخطئ هذه الوجوه الخاوية ، والأعين التى تتعدى بنظراتها كل شيء . والملابس المتسخة الملطخة بالدماء (بل هناك من لا يرتدى ملابس من

الأصل) . والصيحات والصرخات التى تنطلق بين الآن والآخر . هناك رجل لا يرتدى سوى قطعتين داخليتين . ولا يتوقف عن توجيه التحية إلى مجهول بشكل متكرر ؛ وامرأة شديدة البدانة انشطرت شفتها السفلى إلى شطرين ، لتكشف عن أسنانها ؛ والفتى الطويل الذى يرتدى سروالا قصيرًا من الجينز ويسير عبر الشارع وهو يحمل ما بدا أنه إطار معدنى ملطخ بالدماء ؛ ورجل هندى أو باكستانى مر بجوار منزل توم وهو يلوى فكه من جانب لآخر وأسنانه تصطك باستمرار ؛ وهناك صبى . . . يا ربى . . . صبى فى سن جونى يسير من دون أن يتبدى عليه الألم رغم أن إحدى ذراعيه كانت متدلية أسفل كتفه المكسورة ؛ وفتاة جميلة ترتدى تنورة قصيرة وقميصًا قطنيًا بدا له أنها تلتهم غرابا . كان بعضهم يتأوه والبعض الآخر يصدر أصواتا يمكن أن تكون كلمات ، وجميعهم يسير نحو الشرق . لم يدر كلاى إن كانوا منجذبين إلى صوت أجراس الإنذار أم إلى رائحة الطعام ، إلا أنهم كانوا يسيرون جميعا نحو مركز مالدين .

علق توم قائلا : " يا إلهى ... إنهم أشبه بالزومبى " .

لم يهتم كلاى بالرد . فهؤلاء ليسوا زومبى بمعنى الكلمة ، إلا أن توم قدم وصفا قريبا جدا لهم . لو أن أحدهم نظر نحونا ، ورآنا وقرر أن يتوجه نحونا ، فسوف ينتهى أمرنا . ولن يكون أمامنا مفر . حتى ولو اختبأنا فى القبو . ولن تكون هناك فرصة لجلب تلك الأسلحة من ذاك المنزل .

ارتعب حينما تبين له أن زوجته وابنه يتعاملان الآن مع أمثال هذه المخلوقات . إلا أن هذه ليست قصة مصورة وليس هو بطلها : فلا شيء بيده . قد يكون ثلاثتهم آمنين فى المنزل ، ولكن المستقبل القريب ينبئهم بألا مفر لهم من كل هذا .

١٤

قالت آليس وقد مسحت الدموع عن خدها براحة يدها : " إنهم أشبه بالطيور .. .. سرب من الطيور " .

فهم كلاى ما تعنيه فاحتضنها مطمئنا . كانت قد وضعت يدها على أمر خطر له أول مرة وهو يراقب جورج يتبع المرأة بدلاً من أن يقتلها . كما قتل ذلك العجوز . فمع أنه لا شك فى جنون الاثنين . إلا أنه كان من الواضح أنهما ملتزمان باتفاق خفى .

أما توم فقال : " لم أفهم ما تعنيه " .

" لابد أنك لم تشاهد فيلم مسيرة البطريق "

" بل لقد شاهدته . فحينما أريد أن أرى شخصاً يتمايل فى حُلّته التوكسيدو . فإننى أذهب إلى مطعم فرنسى " .

سأله كلاى : " ألم تلاحظ من قبل الطريقة التى تتحرك بها الطيور . وخاصة فى الربيع والخريف ؟ .. لابد أنك قد لاحظتها . إنهم يحتشدون على نفس الشجرة . أو فوق نفس أسلاك الهاتف ... " .

قالت آليس : " أحياناً ما يكونون بالكثرة التى لا تحتملها الشجرة . وعندها يطيرون فى الآن نفسه . يقول والدى إنه لابد أن يكون لهم قائد . إلا أن مدرس العلوم السيد سوليفان بمدرستنا المتوسطة قال لنا بأنهم يتبعون سلوك الجماعة ، كالنمل الخارج من حفرة أو النحل من خليته " .

قال كلاى : " يتحرك السرب من اليمين إلى اليسار . جميعاً وفى ذات الوقت . ولا يحدث أن يصطدم طائر بآخر . وأحياناً ما يغطون السماء بكثرتهم محدثين صخباً يدفعك إلى الجنون " ، توقف لحظة قبل أن يضيف : " هذا ما كنت أراه فى البلدة التى أعيش فيها " ، ثم صمت قبل أن يستطرد : " توم ... هل

تعرفت على أى من هؤلاء البشر؟ " .

" بعضا منهم . فهذا هو السيد " بوتو وامى " ، من المخبز " ، كان يشير نحو الهندى الذى يهز رأسه . " وهذه الفتاة الجميلة تعمل فى البنك . وهل تذكر سكوتونى الذى حدثتك عنه ، ذلك الذى يعيش فى المنزل المقابل لى ؟ " .

أومأ كلاى برأسه بالإيجاب .

وسرعان ما تغير وجه توم وهو يشير إلى امرأة حامل لا ترتدى سوى جلباب به بقع ببقايا الطعام . وشعرها الأشقر يحيط بوجهها المتلئ ، وأنفها متورم . قال : " هذه هى زوجة ابنه . جودى . لقد اعتادت أن تكون لطيفة معى " ، ثم أضاف بنبرة جافة محايدة : " إن هذا لينفطر له قلبى " .

أتاهم صوت عيار نارى من جهة مركز المدينة . صرخت آليس . ولم يضطر توم هذه المرة لأن يغطى فمها ؛ فقد غطته بنفسها . على أن أحدا من الحشد الذى فى الشارع قد نظر نحو مصدر الصوت . بل إن ما بدا لكلاى أنه صوت عيار نارى لم يزعجهم من الأصل . بل واصلوا السير وبنفس الإيقاع . انتظر كلاى سماع صوت عيار نارى آخر . إلا أنه سمع بدلا من ذلك صرخة قصيرة وكأن هناك ما قطعها .

بقى الثلاثة يراقبون وهم يقفون فى الظلال خلف السقيفة مباشرة . وفى صمت . كان كل من مر بهم يتجه شرقاً ، ومع أنهم لم يسيروا فى انتظام معين ، إلا أنه كان من الواضح أنهم يتبعون منظومة ما . لم يلحظ كلاى هذا فى مجانين الهاتف أنفسهم ، والذين يعرجون ويترنحون ، ويهذون بكلمات غير مفهومة . بل من خلال انتظام ظلالهم الساقطة على الرصيف . تذكر حينها أفلام الحرب العالمية الثانية الوثائقية التى كان قد رآها ، حينما كانت موجات قاذفات القنابل تسرى عبر السماء . أحصى منهم مائتين وخمسين قبل أن يمل (رجالاً ، ونساء .

www.rewity.com ARAYAHEEN

ومراهقين وصبية من عمر جونى) عدد الأطفال يفوق بكثير العجائز ، مع أنه لم ير سوى البعض منهم أقل من عشر سنوات . لم يود أن يفكر فيما قد يكون قد حدث للفتية والصبية الذين لم يجدوا من يرعاهم حينما حدثت النبضة .

أو أولئك الذين كانوا تحت رعاية أناس معهم هواتف محمولة .

أما بالنسبة للأطفال ذوى الأعين الخاوية الذين أمكن أن يراهم ، فقد تساءل كلاى عن عدد من مروا به ممن ألحوا على آبائهم لشراء هواتف محمولة ذات نغمات خاصة فى العام الماضى ، تماماً كما فعل جونى .

علق توم قائلاً : " عقل واحد ... هل تتصوران هذا ؟ "

قالت آليس : " أكاد أتصوره .. .. فهم بلا عقل من الأصل " .

قال كلاى : " إنها على حق " .

أخذ عدد المارين يقل (ما إن ترهم على هذا الوصف فلن تراهم فى صورة أخرى خلاف ذلك) إلا أنه لم ينته ، حتى بعد مضى نصف الساعة ، يمر ثلاثة رجال يسيرون جنباً لجنب يرتدى أحدهم قميصاً رياضياً ، وأحدهم فى بقايا بدلة ، والثالث تغطى الدماء أسفل وجهه المشوه ، ثم مر رجلان وامرأة ، بعدهم امرأة متوسطة السن تبدو أقرب إلى أمينة مكتبة هذا لو تجاهلت صدرها العارى وهى تسير مع فتاة خرقاء تبدو كأنها مساعدتها بالمكتبة . تمر برهة قبل أن يمر بهم عشرات آخرون ، يشكلون ما يشبه المربع المفرغ ، وكأنهم وحدة قتالية فى الحروب النابليونية . وبدأ كلاى يسمع على البعد أصواتًا قتالية وطلقات نارية متقطعة وعلى البعد كذلك ربما من بلدة ميدفورد المجاورة أو هنا فى مايدين هدير الأسلحة الآلية . وكذلك المزيد من الصرخات . معظمها من مسافة بعيدة ، إلا أن كلاى كان متيقناً من حقيقتها .

لابد أن هناك بعض العقلاء فى تلك البقاع ، بل العديد منهم ، ونجح بعضهم فى الحصول على السلاح . على أن بعضهم لم يكن حسن الحظ فيحتمى بمنزله وقت أن أشرقت الشمس وزحف المجانين مع شروقها . تذكر جورج الميكانيكى وهو يحطم عنق العجوز بيديه ، تلك الالتواءة السريعة ، وسقوط النظارة على الأرض حيث ستبقى هناك للأبد .

قالت آليس : " أود الذهاب إلى حجرة المعيشة وأن أجلس هناك . لم أعد أريد النظر إليهم بعد الآن . أو أن أستمع إلى أصواتهم ، فإنها تصيبنى بالغثيان " .

قال كلاى : " بالتأكيد . توم ، لِمَ لا .. .. ؟ "

قاطعه توم قائلاً : " كلا . اذهبا أنتما . وسوف أبقى هنا لأراقب . أرى أن من اللازم أن يبقى واحد منا كى يراقب ، أليس كذلك ؟ " .

أومأ كلاى برأسه موافقاً .

" كما يمكنك أن تحل محلى بعد ساعة . ونتبادل نوبات المراقبة " .

" حسناً . اتفقنا " .

قال توم وهما يتوجهان عبر الردهة ، وذراع كلاى تحيط بكتفى آليس : " بقى شيء " .

التفتا إليه .

" أعتقد أن من اللازم علينا أن نحاول نيل أكبر قسط من الراحة . هذا إن كنا لا نزال عازمين على التوجه نحو الشمال " .

حدق فيه كلاى ليتأكد من أن توم جاد فى كلامه . بدا له كذلك ، لكن ...

" ألم تشاهد ما يحدث هنا ؟ ... ألم تسمع صوت الأعيرة النارية ؟ ... " ، لم يشأ أن ينطق بالصرخات مع وجود آليس

معهما ، مع أنه كان يدرك أنه قد فات أوان الحفاظ على أحاسيسها .

رد توم : " بالطبع ... لكن المجانين قد دخلوا البلدة الليلة الماضية ، أليس كذلك ؟ "

لم ينبس أى منهما ببنت شفة . إلا أن آليس سرعان ما أخذت تصفق بيديها وقد فهمت مغزى كلامه . بينما ارتسمت ابتسامة على وجه كلاى . شعر بها جافة وغريبة على وجهه ، كما أن الأمل الذى صاحبها كان مؤلماً .

" أنت عبقرى ، توم " .

لم يبتسم توم ، لكنه قال : " لا تعولا على هذا كثيراً . فلم أكن أحقق نتائج جيدة فى اختبارات الذكاء " .

١٥

لاحظ كلاى أن آليس تتحسن وهو الأمر الجيد وهو يشاهدها تصعد الدرج لتبحث فى ملابس توم عما يناسبها كى ترتديه . جلس كلاى إلى الأريكة ، وهو يفكر فى شارون وجونى ، ويحاول أن يخمن ما قد يكونان فعلاه والمكان الذى يمكن أن يتوجها إليه . وهو يفترض دوماً أن الحظ الحسن لا يزال حليفاً لهما . غفا ليراهما بوضوح فى مدرسة شارون كينت الابتدائية . كانا مختبئين فى صالة الألعاب الرياضية ومعهما العشرات ، يتناولون شطائر من الكافتيريا ويشربون عبوات من الحليب . وهما ...

أيقظته آليس وهى تناديه من فوق الدرج . نظر إلى ساعته ووجد أنه قد نام على الأريكة قرابة عشرين دقيقة . كان اللعاب يسيل على خده .

اقترب من الدرج وهو يقول : " آليس ؟ هل كل شيء على ما

يرام ؟ " . كان توم يراقبهما .

" بلى . هلا أتيت لحظة ؟ "

نظر إلى توم هازاً كتفيه : " بالتأكيد " .

كانت آليس فى غرفة نوم الضيوف التى بدت كأنها لم تستقبل العديد من الضيوف من قبل ، مع أن الوسادتين توحيان بأن توم قد قضى معظم الليلة هنا بصحبتها ، أما مظهر أغطية الفراش فأوحت بنوم متقطع . كانت قد وجدت سروالاً مناسباً كاكى اللون وقميصاً قطنياً طويل الأكمام . على الأرضية يقبع جهاز استيريو طالما كان كلاى يتوق إليه تماماً كما تاق جونى إلى ذلك الهاتف المحمول أحمر اللون .

قالت : " لقد وجدته فى خزانة الملابس وبطارياته تبدو جديدة . فرأيت أن أديره بحثاً عن محطة إذاعة ، إلا أننى خشيت هذا " .

نظر إلى الجهاز القابع على الأرضية الخشبية ، وخشى هو أيضاً أن يديره . فقد كان أشبه بمسدس محشو بالذخيرة . إلا أنه شعر بدافع لأن يمد يده ، ويضغط على الزر الخاص بموجة الـ F.M . شعر بأن لدى آليس نفس الحافز ، وهذا هو السبب فى أنها قد نادته . نفس الإحساس الذى يلح على المرء كى يستخدم مسدساً محشواً بالذخيرة .

باغتهما توم بقوله وهو عند الباب : " أهدتنى أختى هذا فى عيد ميلادى منذ عامين . وضعت به البطاريات فى يوليو الماضى وأخذته معى إلى الشاطئ . اعتدنا منذ أن كنت صبياً صغيراً أن نذهب إلى الشاطئ ونستمع إلى محطات الإذاعة . إلا أننى لم أمتلك من قبل واحداً بهذا الحجم " .

فقال كلاى : " ولا أنا أيضاً . إلا أننى حلمت بامتلاك واحد " .

" أخذته معى إلى شاطئ هامبتون فى نيو هامبشاير مع

العديد من أسطوانات أغانى " فان هالين " و " مادونا " . إلا أننى لم أرتح لذلك الشاطئ . ولم أستخدمه منذئذ . وأنا أعتقد أن جميع المحطات الإذاعية قد تعطلت الآن . أليس كذلك ؟ "

قالت آليس : " أعتقد أن بعضها لا يزال يعمل " . كانت تعض على شفتها السفلى . حتى أن كلاى اعتقد أنها لو لم تتوقف عن هذا . فسوف تدميها . " تلك المحطات التى تبث آلياً . ومصدرها جميعاً جهاز كمبيوتر عملاق فى كولورادو يرسلها إلى قمر صناعى . وهو بدوره يعيد بثها . هذا ما عرفته من أصدقائى و ... " . لعقت شفتها التى كانت تعض عليها قبل أن تضيف : " وهذه هى نفس الوسيلة التى يتم بها بث إشارات الهواتف المحمولة . أليس كذلك ؟ عن طريق الأقمار الصناعية " .

قال توم : " لا أعلم هذا . لكن أعتقد أن الإشارات طويلة المدى قد ... ومن المؤكد أن الإشارات عابرة المحيط تستخدمها ... وأعتقد أن بوسع عبقرى أن يخترق إشارة القمر الصناعى التى تبث إلى أبراج الميكروويف التى تراها ... تلك التى تعيد توزيع الإشارات ... " .

كان كلاى يعرف أن الأبراج التى يتحدث عنها ، تلك الهياكل من الصلب . والتى تحمل أطباقاً رمادية ملتصقة بها . وقد انتشرت فى بقاع عديدة خلال العشر سنوات الأخيرة .

قال توم : " لو أمكننا التقاط بث محطة محلية . فربما تمكنا من معرفة الأخبار . أو إرشاد إلى ما يتوجب علينا أن نفعله . أو نتوجه إليه .... " .

قالت آليس : " أجل . ولكن ماذا لو كانت تلك الإشارة فى محطات الراديو كذلك ؟ هذا ما كنت أود أن أقوله . ماذا لو أنكم حولتم المؤشر إلى ما ... " . لعقت شفتها ثم واصلت عضها وهى تضيف : " ما سمعته أمى ؟ وأبى ؟ هو أيضاً ... أجل .. فقد امتلك هاتفاً محمولاً جديداً . به أحدث التقنيات! " . ضحكت

ضحكة تجمع بين الهيستيرية والحزن . ويالـه من مزيج ! " ماذا لو أدرنا المؤشر إلى هذا الذى سمعوه ؟ كل هؤلاء ؟ هل تودان المخاطرة بذلك ؟ "

لم يقل توم شيئاً فى بداية الأمر . ثم قال فى حذر وكأنما يختبر الفكرة : " بوسع أحدنا أن يقوم بهذه المخاطرة . بينما يغادر الباقيان إلى الخارج وينتظرن ... " .

قاطعه كلاى قائلاً : " كلا " .

فقالت آليس : " كلا أرجوك . فأنا أريدكما معى . أنتما الاثنان " .

وقفوا حول الجهاز يحدقون فيه . وجد كلاى نفسه يتذكر روايات الخيال العلمى التى قرأها وهو مراهق أحياناً عند الشاطئ . وهو يستمع إلى أغانى فرقة نيرفانا عبر المذياع . لقد وجد فى العديد منها أن العالم ينتهى . ومن ثم يعيد أبطال الرواية بناءه من جديد . بالطبع هناك مصاعب ومعوقات . إلا أنهم يستخدمون الأدوات والتقنيات فى إعادة بنائه من جديد . إلا أنه لم يتذكر أن أبطال أية رواية قد وقفوا فى غرفة نوم محدقين فى جهاز استيريو . فعاجلاً أم آجلاً سوف يأتى شخص ما فيلتقط أداة أو يدير مذياعاً . فلابد أن يفعل هذا أحد .

أجل . لكن ليس هذا الصباح .

شعر بأنه يخون شيئاً أكبر من أن يفهمه وهو يلتقط جهاز الاستيريو الخاص بتوم . ويعيده إلى مكانه فى خزانة الملابس . ويغلق بابها .

١٦

بعد قرابة الساعة . بدأت الهجرة المنتظمة نحو الشرق فى الانحسار . كانت نوبة مراقبة كلاى . بينما كانت آليس فى

المطبخ ، تتناول إحدى الشطائر التى أحضروها معهم من بوسطن وقد نبهتهما إلى ضرورة الانتهاء من جميع الشطائر قبل أن يفكروا فى تناول أى من المعلبات الموجودة فى مخزن توم ، والذى كان بحجم غرفة . فلا أحد منهم يعلم متى سيتمكنون من تناول لحم طازج بعد الآن ، بينما نام توم فى حجرة المعيشة ، على الأريكة . وعلا صوت شخيره حتى وصل إلى مسامع كلاى .

انتبه إلى وجود بعض الأشخاص الذين يسيرون على عكس التيار المتجه شرقا ، ثم أحس بنوع من الإبطاء فى الانتظام السائر بشارع سالم ، بدا غير ملحوظ حتى أن عقله نبه عينيه إلى أن هذا ليس سوى حدس . ففى البداية اعتبره خطأ سببه بعض الأشخاص كونهم أكثر تشوشا من الباقين فاتجهوا غربا بدلا من الاتجاه شرقا . وعندها نظر إلى الظلال . فوجد أن النسق المنتظم الذى لاحظه فى السابق قد بدأ يختل . حتى لم يعد هناك نسق من الأصل .

زاد الآن عدد من يتجهون غربا . وبعضهم يأكل طعاما نهبوه من متجر بقالة ، ربما متجر سايفواى الذى ذكره توم . كانت زوجة ابن السيد سكوتونى جودى تحمل مخروطا ضخما من آيس كريم الشوكولاتة . وقد لطخ صدر ردائها بالكامل ؛ وجعلتها الشوكولاتة التى تغطى وجهها أشبه بالسيدة بونز فى ذلك الاستعراض الكوميدى . أما السيد " بوتو وامى " فلم يعد ذلك النباتى الذى كان يسير وهو ينهش فى كتلة كبيرة من لحم الهامبرجر النيئ . بينما تبعه رجل بدين يرتدى حلة متسخة وهو يسير وبيديه فخذ ضأن شبه متجمدة . وحينما حاولت جودى سكوتونى أن تأخذها منه . لطمها بها البدين على أم رأسها عدة مرات . فهوت على الأرض فى صمت ، سقطت على بطنها الحامل ، فوق مخروط الآيس كريم الذى اندهس أسفلها .

كان هناك الآن الكثير من المشاحنات . والمزيد من العنف .

إلا أنه لم يصل إلى الدموية التى كان عليها ظهيرة الأمس . ليس هنا على أية حال . ومضى وقت طويل منذ أن صمتت أصوات أجهزة الإنذار فى مركز مالدين ، وللأبد . وعلى البعد ، تواصلت أصوات الأعيرة النارية بين الحين والآخر ، إلا أنه لم يكن هناك شيء قريب منذ تلك الطلقة فى وسط المدينة . راقب كلاى حتى يتبين إذا ما كان أحد من المجانين سيحاول أن يقتحم أيًا من المنازل ، ولكن بالرغم من دخولهم إلى حدائق المنازل من حين لآخر ، إلا أنهم لم يبدوا أية نية لاقتحام تلك المنازل . فما اكتفوا بفعله هو الصعلكة ، مع محاولة اختطاف الطعام من بعضهم البعض . وأحيانا ما يصل الأمر إلى العراك . بينما رقد ثلاثة أو أربعة منهم السيدة سكوتونى إما أمواتا أو فاقدى الوعى . وبقى معظم من مروا بمنزل توم فى السابق بميدان البلدة ، حتى أن كلاى ظن ساخرا أنه حفل من نوع ما . كان هذا غريبا ، بسبب ذلك الإحساس بوجود سرب ما ، والذى بدأ يتفكك وينحسر .

بعد الظهر ، وحينما بدأ النوم يداعبه بقوة ، توجه نحو المطبخ ووجد آليس تغفو على طاولة المطبخ تسند رأسها على ذراعيها . كانت يدها تقبض بعض الشيء على الحذاء الرياضى الصغير . وحينما أيقظها ، نظرت إليه ناعسة وهى تحتضن الحذاء إلى صدرها ؛ وكأنما تخشى أن يحاول أخذه منها .

سألها عما إذا كان يمكنها أن تراقب من عند نهاية الردهة لبعض الوقت من دون أن تغفو ، أو أن يراها أحد . فوافقت . فحمل كلاى لها كرسيا . وقفت للحظة عند الباب المفضى إلى حجرة المعيشة . وقالت : " انظر لهذا " .

نظر من فوق كتفها ليرى القط رافى وقد نام على بطن توم . ووجد المنظر فريدا .

جلست حيث وضع لها الكرسى ، إلى الداخل من الباب بما

www.rewity.com ARAYAHEEN

يكفى لكى لا يراها أحد . وبعد أن ألقت نظرة قالت : " لم يعودوا سربا بعد الآن . ما الذى حدث ؟ "

" لا أعرف "

" كم الساعة الآن ؟ "

رمق الساعة وهو يقول : " الثانية عشرة وعشرون دقيقة " .

" وكم كانت الساعة حينما لاحظنا أنهم يكونون سربًا ؟ "

" لا أعرف . آليس " . كان يحاول أن يتحلى بالصبر معها فهو يجد صعوبة شديدة فى إبقاء عينيه مفتوحتين . " ربما كانت السادسة والنصف ؟ السابعة ؟ لا أعرف . وهل هذا يهم ؟ "

" لو أمكننا أن ندرس الأمر . فربما كانت هناك أهمية لهذا . ألا ترى ذلك ؟ "

أخبرها بأنه سيفكر فى هذا حينما ينال قسطاً من النوم .

" ساعتان . ثم أيقظينى أو أيقظى توم . أو قبل هذا إن حدث شيء ما " .

قالت فى رقة : " لن تزداد الأمور سوءاً عن هذا . اصعد إلى الطابق العلوى . فأنت متعب بالفعل " .

صعد إلى الطابق العلوى نحو غرفة نوم الضيوف . وخلع حذاءه . ورقد فوق الفراش . فكر لدقيقة فيما قالته له . لو أمكننا أن ندرس الأمر . ربما كانت لديها فكرة ما . ومع أن فرصة ذلك ضعيفة . لكن ربما ...

كانت حجرة جميلة . جميلة جداً . مشمسة للغاية . ما إن ترقد فى حجرة كهذه حتى يسهل عليك أن تنسى أن هناك مذياعًا فى خزانة الملابس لم تجرؤ على تشغيله . ولن يكون من السهل أن تنسى زوجتك . التى جافيتها ولكنك لا تزال تحبها . وقد تكون ميتة الآن وقد يكون ابنك الذى تعشقه تحول هو الآخر إلى مجنون . إلا أن للجسد أحكامه . أليس كذلك ؟

وإذا ما كانت هناك فسحة من الوقت لبعض من النوم . فهذه هى . سكن ما بداخل كلاى من فزع . وغط فى نوم عميق بمجرد أن أغلق عينيه .

١٧

كانت آليس هى من أيقظته هذه المرة . كان الحذاء الصغير المعلق فى رسغها الأيسر يتأرجح بمنة ويسرة وهى توقظه . كانت قد ربطته ربما ليصبح تعويذة لها . تغير النور الذى كان يملأ الحجرة . صار يتجه إلى الناحية الأخرى منها وقد أصبح أضعف . انقلب على جانبه ووجد أنه بحاجة للذهاب إلى الحمام . وهو ما ينم عن أنه قد نام لوقت طويل نسبياً . فجلس فى موضعه بسرعة وهو مندهش بل ملتاع حينما علم أن الساعة السادسة إلا الربع . كان قد نام لقرابة خمس ساعات . إلا أن الليلة الماضية لم تكن هى أول ليلة ينام فيها نوماً متقطعًا ؛ فقد نام مسهدا الليلة السابقة عليها كذلك . فقد كانت أعصابه متوترة بسبب العرض الذى كان سيقدمه أمام أصحاب شركة دارك هورس للقصص المصورة .

سألها وهو يمسك برسغها : " هل كل شيء على ما يرام؟ لماذا تركتنى أنام كل هذا الوقت ؟ "

قالت : " لقد كنت بحاجة ماسة إلى النوم . وقد نام توم حتى الثانية ونمت أنا حتى الرابعة . وبعدها بقينا نراقب معا . تعال وانظر . فالمنظر فى غاية العجب " .

" هل انتظموا فى سرب من جديد ؟ "

أومأت برأسها قائلة : " إلا أنهم يتجهون فى الاتجاه المعاكس هذه المرة . وليس هذا كل شيء . تعال وانظر " .

أفرغ مثانته قبل أن يهرع هابطا الدرج . كانت آليس تقف

مع توم عند الباب بالمدخل وهما يحيطان خاصرة بعضهما البعض بذراعيهما . كانت السماء غائمة وقد امتلأت سقيفة توم بالظلال الآن . لم يعد هناك سوى بعض الأشخاص فى شارع سالم . وجميعهم يتجهون غرباً ، ليس ركضاً ولكن فى خطوات سريعة منتظمة . مرت جماعة من أربعة أشخاص فى الشارع ذاته ، مارين فوق بعض الجثث وركام من بقايا الطعام ، اشتمل على فخذ ضأن ، لم يعد به سوى العظم ، وعدد كبير من الأكياس الورقية وأكياس السوليفان الممزقة ، وثمار الفاكهة والخضراوات المتناثرة . وخلفهم أتت جماعة من ستة أشخاص ، ومنهم من يسير فوق الرصيف . لم ينظروا إلى بعضهم البعض إلا أنهم كانوا يسيرون معاً بشكل منظم حتى أنهم حينما مروا بمنزل توم مرِوا وكأنهم رجل واحد ، وتبين لكلاى أنها مشية عسكرية تماما . بعدهم مر شاب ربما كان فى الرابعة عشرة من عمره ، وهو يعرج ، ويهمهم بأصوات غير مفهومة ، وهو يحاول أن يلحق بهم .

قال توم : " لقد تركوا وراءهم الأموات وفاقدى الوعى ، إلا أنهم ساعدوا حقا شخصين كانا فى حالة هياج " .

أخذ كلاى يبحث بعينيه عن المرأة الحامل فلم يجدها .

" وماذا عن السيدة سكوتوني ؟ "

رد توم : " كانت أحد هذين الشخصين اللذين تم مساعدتهما " .

" إذن فهل بدأوا التصرف بشكل آدمى مرة أخرى ؟ " .

فقالت آليس : " لا تأخذ عنهم هذه الفكرة ، فواحد من الرجال الذين حاولوا مساعدته لم يكن يستطيع المشى ، وبعد أن سقط أرضاً عدة مرات ، أصاب التعب أحد الذين كانوا يحملونه و ... " .

أكمل توم كلامها قائلاً : " ... وقتله . لا بيديه ، مثل

الشخص الذى فعل ذلك فى الحديقة . بل بأسنانه . مزق رقبته بأسنانه " .

قالت آليس : " رأيت ما سيحدث فأشحت بوجهى بعيداً ، إلا أننى سمعته . لقد ... كان يئن " .

فقال كلاى وهو يضغط على ذراعها فى رقة : " اهد ... اهدئى " .

يكاد الشارع يكون خاوياً الآن . ولحق بمن مضى اثنان كانا يعرجان ، ومع أنهما كانا يسيران جنباً لجنب نوعاً ما ، إلا أنهما كانا يعرجان بشدة تجعل من الصعوبة الإحساس بوحدة مشيتهما .

سأل كلاى : " إلى أين هم ذاهبون ؟ "

قال توم بنبرة مشدوهة : " تعتقد آليس أنهم ربما كانوا متجهين إلى الداخل . قبل أن يحل الظلام . وربما كانت على حق " .

" إلى أين ؟ إلى أين يذهبون ؟ هل رأيتما أياً منهم يدلفون إلى المنازل ؟ "

ردا معاً : " كلا " .

قالت آليس : " لم يعودوا كلهم . لم يصل من عادوا إلى عدد من كانوا قد ذهبوا شرقا هذا الصباح . لذا فهناك الكثير ممن لا يزالون عند مركز مالدين ، أو ما وراءه . وقد احتشدوا حول المبانى العامة ، مثل صالات الألعاب الرياضية بالمدارس ... " .

لم يرتح كلاى لذكر صالات الألعاب الرياضية بالمدارس هذه .

سألت : " هل شاهدت فيلم صحوة الموتى ؟ "

قال كلاى : " بلى . هل تقولين بأن هناك من سمح لك بدخول دار سينما كى تشاهديه وأنتِ فى هذه السن ؟ "

نظرت إليه وكأنه معتوه أو عجوز . " لدى إحدى صديقاتى

جهاز دى فى دى . شاهدناه حينما كنا فى الصف الثامن " . كانت نبرتها حالمة وهى تضيف : " فى ذلك الفيلم ، كان جميع الموتى ـ ليسوا كلهم فى الحقيقة بل معظمهم ـ قد توجهوا إلى المركز التجارى حينما استيقظوا " .

تأملها توم ماكورت وعيناه جاحظتان من الدهشة ، ثم اندفع ضاحكاً . لم تكن ضحكة قصيرة ، بل كانت سلسلة من القهقهات ، القوية لدرجة أنه اضطر لأن يستند بجسده إلى الجدار ، وظن كلاى أن من الحكمة أن يغلق الباب بين الردهة والسقيفة . لم يكن هناك ما يدل على مدى قدرة تلك الكائنات التى فى الشارع على سمعهم ؛ إلا أن كل ما كان يفكر فيه هذه اللحظة أن حاسة السمع لدى الراوى المجنون " بو " فى تلك الرواية " لإدجار آلان " كانت حادة .

قالت آليس وهى تضع يديها على خاصرتها : " لكن هذا ما فعلوه " . كان الحذاء الصغير يتأرجح . " واتجهوا إلى المركز التجارى مباشرة " . زادت قهقهات توم . حتى أنه بدأ يجثو على ركبتيه ، وهو يخفق بيديه على قميصه .

قال وسط أنفاسه اللاهثة : " لقد ماتوا ... وعادوا ... ليتوجهوا إلى المركز التجارى . فهل يعرف ... " . انتابته نوبة ضحك أخرى . بدأت الدموع تنساب من عينيه فى قوة . إلا أنه سيطر على نفسه بما يكفى لأن يتمم كلامه : " هل يعرف " جيرى فولويل " مركز نيو كاسل التجارى ؟ "

وجد كلاى نفسه يضحك بدوره . وكذلك آليس ، رغم أن كلاى ظن أنها ساخطة بعض الشيء لأنهما لم يقابلا فكرتها بالاهتمام ، أو حتى ببعض الدعابة لا بكل هذه السخرية . إلا أنها وجدت نفسها تضحك لضحكهما . حتى وهى ساخطة .

كانوا على وشك التوقف عن الضحك حينما قالت آليس : " لو كانوا يحتشدون للمبيت فى الصالات الرياضية والمراكز

التجارية ، فبوسع الناس أن يقتلوهم جميعاً بالأسلحة الآلية " .

توقف كلاى عن الضحك . ثم تبعه توم . ونظر إليها ، وهو يمسح الدموع التى استقرت عند شاربه الأنيق .

أومأت آليس برأسها . وقد احمر خداها من فرط الضحك . وكانت لا تزال مبتسمة . لقد بدت ولو لدقيقة غاية فى الجمال . " سيقتلونهم بالآلاف لو أنهم استقروا فى مكان واحد " .

قال توم : " يا ربى " . خلع نظارته وبدأ يمسح عدستيها وهو يضيف : " إنكِ لا تمزحين إذن " .

قالت آليس فى بساطة : " إنها مسألة حياة أو موت " . نظرت إلى الحذاء المربوط برسغها ، ثم إلى الرجلين . أطرقت برأسها من جديد . " علينا أن نحلل سلوكهم . وأن نحدد ما إذا كانوا يتجمعون فى أسراب أم لا . وموعد هذه التجمعات ، وأماكن احتشادهم إن كانوا يحتشدون فى مكان . فلو أمكن تحليل سلوكهم .... " .

١٨

كان كلاى هو من أخرجهما من بوسطن . ولكن حينما غادر ثلاثتهم المنزل الكائن بشارع سالم بعد ذلك بقرابة أربع وعشرين ساعة ، صارت آليس ماكسويل ابنة الخمسة عشر ربيعاً هى القائدة بلا شك . وكلما فكر كلاى فى هذه الحقيقة قلت دهشته .

إن توم لا يفتقر إلى شجاعة المعارك ، إلا أنه لم ولن يكون قائداً . بينما يتحلى كلاى ببعض صفات الزعامة ، إلا أن آليس تمتعت بميزة تفوق ذكائها ورغبتها فى البقاء : فقد عانت من مرارات الفقد وتجاوزتها وبدأت تواصل حياتها . فقد تغيرت شخصياتهم وهم يغادرون المنزل إلى الشارع . بدأ كلاى يعانى من اكتئاب فظيع ظن فى البداية أنه بسبب قراره ـ والذى لم يكن

منه بد ـ بأن يترك حقيبة رسوماته بالمنزل . على أنه ومع مرور ساعات الليل أدرك أن هذا كان نذيراً بما يمكن أن ينتظره حينما يصل إلى كينت بوند .

أما بالنسبة لتوم فقد كان الأمر أبسط . فكل ما ضايقه هو أنه اضطر لترك رافى .

قالت له آليس والتى بدت أشد حزماً الآن : " اترك الباب مواربا له . ومن المؤكد أنه سيكون بخير ، توم . سيجد الكثير من الطعام . سيمضى وقت طويل قبل أن تتضور القطط جوعاً ، أو أن يصل الأمر بمجانين الهاتف إلى التهام القطط " .

قال توم : " تبا ، إنه سيموت " . كان يجلس إلى أريكة حجرة المعيشة تعساً وهو يرتدى معطف المطر والقبعة العريضة . كان رافى على حجره ، يصدر هريره بشكل ملول .

فقال كلاى : " كلها ستموت . تذكر جميع أنواع الكلاب كبيرها وصغيرها . جميعها ستموت " .

نظر إليهما وهو يكاد يبكى : " لقد كان معى منذ أمد بعيد . منذ أن كان هراً صغيراً . كما أننى أجد فيه الحظ الحسن . وتذكرا أنه قد أنقذ حياتى " .

قال كلاى : " نحن الآن حظك الحسن " . لم يشأ أن يذكره بأنه هو بدوره قد أنقذ حياته بالفعل ، إلا أن هذا كان صحيحًا . " أليس كذلك ، آليس ؟ " .

قالت : " بالطبع " . كان توم قد وجد لها ملابس مناسبة ، كما وضعت على ظهرها حقيبة ، ولم تضع بداخلها سوى بطاريات لأجل الكشافات ... وكان كلاى متأكداً من أنها قد وضعت بها أيضاً ذلك الحذاء الصغير الذى لم تعد تربطه إلى رسغها . كان كلاى بدوره يحمل بطاريات فى حقيبته ، وكذلك الفانوس . لم يكن معهم شيء آخر ، وهو ما اقترحته عليهما آليس . قالت بأنه لا سبب يدعوهم إلى حمل ما يمكنهم توفيره

خلال الطريق . " نحن الفرسان الثلاثة ، توم . الكل فى واحد وواحد للكل . لنتوجه الآن إلى منزل جارك ذاك ونرى إن كنا سنستطيع الحصول على بعض الأسلحة " .

قال وهو لا يزال يربت على القط : " اسمه نيكرسون " .

كانت من الذكاء بل والحنو الذى يمنعها من أن تسخر من رده الساذج هذا . إلا أن كلاى أمكنه أن يتبين أن صبرها قد بدأ يفرغ . فقال : " هيا بنا ، توم " .

" بالفعل . أعلم هذا " . هم بتنحية القط جانباً . إلا أنه رفعه وقبله بشدة بين أذنيه . بينما اكتفى رافى بتضييق عينيه . وضعه توم على الأريكة ونهض . " هناك طعام كاف لك بالمطبخ عند الموقد يا صغيرى . كما أن هناك وعاء كبيراً مليئًا بالحليب . والباب الخلفى مفتوح . حاول أن تتذكر موقع المنزل . وربما ... ربما أعود فألقاك " .

قفز القط ليخرج من الغرفة نحو المطبخ رافعاً ذيله . ولم يلتفت خلفه بصورة بدت تليق بالقطط وعدم وفائها .

كانت حقيبة رسومات كلاى مسجاة عند جدار حجرة المعيشة وآثار طعنات السكين بادية فى منتصفها . رمقها وهو فى طريقه للخروج مقاوماً رغبة فى لمسها . فكر لبرهة فى كل تلك الشخصيات الحبيسة داخلها ، والتى عاش معها طويلاً ، فى كل من مرسمه الصغير ، ومن بعده مرسمه الكبير . وأخرجها من بنات أفكاره : " فلاك الساحر وجين النائمة وجاك فلاش وبويزون سالى . والمغامر الغامض بالطبع . كان يعتقد منذ يومين أنها ستصبح نجوماً . أما الآن ففقد قطعت أوصالهم فجوة بوسط الحقيبة ولم يعد هناك من يؤنس وحدتهم سوى القط رافى .

تذكر جيف النائمة وهى تغادر البلدة على متن روبى الآلى ... وتقول بصوت مرتعش .. وداعاً يا أولاد! رربما أأأعود

www.rewity.com ARAYAHEEN

إليكم مممجدداً !

قالها بصوت عال وبنصف وعى : " وداعاً يا أولاد " . فها هى نهاية العالم . لو كان الأمر بيده لظل يودعهم طويلاً وبالأخص جين النائمة .

تبع كلاى كلا من آليس وتوم إلى الخارج . ونحو صوت مطر فصل الخريف الهادئ .

١٩

كان توم يرتدى قبعته . بينما كان برداء آليس قلنسوة . ووجد توم قبعة ريد سوكس ليرتديها كلاى حتى تبقى رأسه جافاً لبعض الوقت . إذا لم تزدد كثافة الأمطار التى بدأت تهطل بالفعل . ولو حدث هذا ... فلن تمثل القلنسوة مشكلة . كما بينت له آليس هذا . أمكنهم أن يروا عبر السقيفة بنايتين من بنايات شارع سالم . كان من المحال التأكد من هذا فى ظل العتمة . إلا أن الشارع بدا مهجوراً بالكامل فيما عدا بضعة أجساد وبقايا الطعام الذى خلفه المجانين على أرضيته .

حمل كل واحد منهم سكيناً وضعها فى غماد خاص صنعه كلاى لكل منهم . ولو كان توم محقاً فيما يخص آل نيكرسون ، فإنهم سرعان ما سيمتلكون أسلحة كافية . كان هذا ما يأمله كلاى . فقد يتمكن من استخدام السكين التى جلبها معه من بوسطن مرة أخرى . إلا أنه لم يكن واثقاً من قدرته على استخدامها فى القتل .

حملت آليس فى يسراها كشافاً . وتأكدت من أن توم يحمل بجعبته واحداً أيضاً . وهى تومئ برأسها قائلة : " حسناً ... هل ستقودنا إلى منزل نيكرسون ؟ "

" بالفعل " .

" ولو صادفنا أحداً هناك . فسنتوقف من فورنا . ونسلط كشافاتنا على وجهه " . نظرت إلى توم ، ثم إلى كلاى وعلى محياها بعض القلق . لقد مروا بهذا الموقف من قبل . وخطر لكلاى أنها تصاب بنفس هذا التوتر مع كل موقف خطير تمر به ... وهذا الموقف واحد منها بالطبع .

رد توم : " بالطبع . سنقول مثلا : أسماؤنا هى توم وكلاى وآليس . ونحن طبيعيون . ما هى أسماؤكم ؟ " .

قال كلاى : " ولو كان معهم كشافات مثلنا . فيمكننا أن نفترض أن .. .. " .

قالت فى توتر وتذمر : " لا يمكننا افتراض أى شيء . كان والدى يقول إن افتراض الشيء يصيبك ويصيبنى بالحماقة . فهل فهمت ... "

بادر كلاى قائلاً : " لقد فهمت " .

مسحت آليس على عينيها . إما لتمسح عنهما المطر أو الدموع .

لم يكن كلاى متيقناً من هذا . وخطر له خاطر سريع مؤلم . عما إذا كان جونى فى مكان ما الآن يصرخ منادياً باسمه . كم تمنى كلاى هذا . تمنى لو أن ابنه لا يزال قادراً على البكاء . وعلى التذكر .

قالت آليس : " لو أمكنهم الرد ، ولو أمكنهم نطق أسمائهم . فسنعلم أنهم طبيعيون . ومن الآمن التعامل معهم .. أليس هذا صحيحًا ؟ "

رد كلاى : " صحيح " .

ووافقه توم قائلاً فى شرود : " أجل " . كان ينظر إلى الشارع حيث لم يعد هناك بشر أو أنوار كشافات تنير . قريباً أو بعيداً .

رأوا على البعد وميض أعيرة نارية يأتى من مكان بعيد .

بدا كالألعاب النارية . كان الهواء معبقاً برائحة الحريق والفحم . ظن كلاى أنهم يشمونها بشكل أقوى الآن بسبب الرطوبة التى سببها المطر . وتساءل عن المدة التى ستنقضى قبل أن تفوح رائحة جثث الأموات لتعبق كامل أجواء منطقة بوسطن . ورأى أن هذا سيعتمد على مدى دفء الأيام القادمة .

قالت : " لو قابلنا أناساً طبيعيين وسألونا عما نفعله أو عن وجهتنا ، فأنتم بالطبع تعرفون القصة "

قال توم : " إننا نبحث عن ناجين " .

" هذا صحيح . لأنهم أصدقاؤنا وجيراننا . وأى ممن سنلاقيهم سيمرون علينا مراً ، فسيودون أن يستمروا فى سيرهم . وبعدها ربما سنرغب فى الالتحاق بالطبيعيين الآخرين ، فالكثرة تبعث على الأمان ، أما الآن ... ... " .

قال كلاى : " أما الآن فعلينا جلب تلك الأسلحة . هذا لو كانت هناك أسلحة من الأصل . هيا بنا يا آليس ، هيا " .

نظرت إليه فى قلق : " ما الأمر؟ هل نسيت شيئاً ؟ بوسعك أن تخبرنى به ، فأنا أعرف أننى ما زلت صغيرة " .

قال كلاى وهو يحاول التحلى بأقصى درجات الصبر : " لا شيء ، عزيزتى . بل أود فقط أن نتحرك . فأنا لا أعتقد أننا سنرى أحدا . وأظن أن فى هذا بعض التعجل " .

قالت : " أتمنى أن تكون على حق . فشعرى أشعث ، وقد انكسر لى ظفر " .

نظرا إليها فى صمت ، ثم أخذا يضحكان . وبعدها صار الجو أفضل فيما بينهما ، وظل هكذا حتى النهاية .

٢٠

قالت آليس بصوت مكتوم : " كلا . كلا .. لا أستطيع " . ثم علا صوتها المكتوم قليلاً وهى تضيف : " سوف أتقيأ . آسفة " .

واندفعت نحو عتمة حجرة معيشة منزل نيكرسون ، والتى تلاصق المطبخ عبر قوس عريض . سمع كلاى صوت طرقة ضعيفة وهى تجثو على ركبتيها على السجادة ، ثم سرعان ما بدأت تتقيأ . فانتابه شعور بالارتياح .

قال توم : " أوه ، يا إلهى " . تنفس فى صعوبة وهو يصيح بصوت أشبه بالعويل : " أوه ، يا إلهى " .

قال كلاى : " توم " . رأى كيف أن القصير يترنح وأحس أنه على وشك فقدان الوعى . ولم العجب ؟ فقد كانت تلك البقايا الدموية تمثل جيرانه يوما ما .

سارع ليقف بين توم وهاتين الجثتين الراقدتين على أرضية المطبخ وهو يصيح : " توم ! " ، بين توم وبين بركة الدم ، التى تحولت لتصبح سوداء كالحبر . ربت على جانب وجه توم بيده الحرة . " لا تفقد الوعى ! " وما إن رأى أن توم قد عاد لاتزانه ، حتى خفض صوته قليلاً وهو يقول : " اذهب إلى الحجرة الأخرى واعتن بآليس . وأنا سأعتنى بهذا المطبخ " .

سأله توم : " ولماذا تريد أن تذهب إلى هناك؟ ... فهذه " بيث نيكرسون " ومخها ... محتوى مخها يلطخ أرجاء المكان كله ... " كان يتحدث وهو يحاول أن يزدرد لعابه . " معالم وجهها ضاعت تماماً ، إلا أننى تعرفت عليها . وهذه هى " هيدى " على الأرضية . ابنتهما . وقد تعرفت عليها أيضا رغم ... " . هز رأسه وكأنه يحاول أن ينفض عنه ما علق به ، ثم كرر سؤاله : " لماذا تريد الذهاب إلى هناك؟ "

فقال كلاى : " إننى متأكد من أننى أرى ما جئنا هنا لنبحث

عنه " . دهش هو نفسه من النبرة الهادئة التى خرجت بها كلماته .

" فى المطبخ ؟ "

حاول توم أن يرى ما وراءه فتحرك كلاى ليعيق رؤيته . " ثق بى . اذهب أنت لتعتنى بآليس . وإذا وجدتها قد تعافت فتجولا أنتما الاثنين بحثا عن مزيد من الأسلحة . وصيحا بصوت عال إن وجدتما أى مكروه . وتوخيا الحرص . فقد يكون السيد نيكرسون موجودًا هنا أيضاً . أعنى أن من الممكن أن نفترض أنه قد كان بالخارج حينما وقع كل هذا . ولكن وكما يقول والد آليس ... " .

قاطعه توم قائلاً : " الافتراض يصيبنى ويصيبك بالحماقة " . نجح فى أن يرسم على وجهه ابتسامة وإن بدت مريضة . " فهمتك " . هم بأن يستدير إلا أنه عاد ليلتفت إليه : " لا يهمنى إلى أين سنذهب . كلاى . إلا أننى لا أريد أن أبقى هنا لفترة أطول من اللازم . لم أكن أحب آرنى وبيث حبا كبيرا . إلا أنهما كانا جيرانا لى . وقد كانا يحسنان التعامل معى مقارنة بذلك المعتوه سكوتونى " .

أضاء توم كشافه ودلف إلى حجرة المعيشة . سمعه كلاى يتمتم بكلمات لآليس محاولاً أن يطمئنها .

شجع كلاى نفسه على أن يدلف إلى المطبخ وهو ممسك بالفانوس . متفاديا المشى على الدم المتخثر فوق الأرضية . كان قد تخثر بشدة . إلا أنه كان يفضل ألا يخطو عليه ما لم يكن هناك بد .

كانت الفتاة المسجاة على ظهرها طويلة . إلا أن قوام جسمها ينم عن أنها أصغر سناً من آليس بسنتين أو ثلاث . كان رأسها ملتويًا بزاوية حادة . وعلى وجهها ارتسمت ملامح الاستفهام . بينما جحظت عيناها الميتتان . كان شعرها أشقر . وجميعه على

الجانب الأيسر من رأسها وهو الجانب الذى تلقى الضربة التى قتلتها . والذى صار الآن على نفس دكانة البقع التى لطخت الأرضية .

كانت أمها راقدة أسفل الطاولة على يمين الموقد . حيث تشكل الكبائن الخشبية ركناً بالمطبخ . كانت يدها بيضاء شاحبة من أثر الدقيق . بينما ساقاها الداميتان مفلطحتان بشكل غريب . كان كلاى قد قام ذات مرة قبل أن يبدأ العمل على قصة مصورة لم تستمر لفترة طويلة . اسمها جحيم المعركة . بالاطلاع عبر الإنترنت على مجموعة من صور ضحايا تم إطلاق النار عليهم . ظناً منه أن من الممكن الاستفادة منها فى رسوماته . إلا أنه لم يستفد منها . فالطلقات النارية لها لغتها الخاصة المروعة . وها هو يرى نموذجًا آخر لها من جديد . فقد كانت رأس بيث نيكرسون من عينها اليسرى وإلى أعلى عبارة عن بقايا وشرائح . بينما انجرفت عينها اليمنى إلى أعلى محجرها . كأنما قد ماتت وهى تحاول النظر إلى داخل رأسها . وعلق على خشب الركن الذى استندت إليه لحظات قبل أن تلقى مصرعها مؤخرة رأسها وقسم كبير من محتويات مخها . بينما حط بعض الذباب عليها .

أحس كلاى برغبة فى التقيؤ . فأشاح بوجهه وهو يغطى فمه . ألح على نفسه أن تقاوم . وكانت آليس فى الحجرة الأخرى قد توقفت عن القيء وكان يسمعها وتوم يتحدثان وهما يجولان بداخل المنزل .

تخيل أنهما دمى مما يستخدم فى السينما . هكذا قال لنفسه . إلا أنه كان يعلم أن هذا محال .

تعمد حينما عاد بنظره إلى المكان أن ينظر إلى أشياء أخرى . وساعده هذا بعض الشيء . ورأى المسدس الذى كان قد رآه من قبل . كان المطبخ رحبا والمسدس على الجانب الآخر منه . بين

الثلاجة وإحدى الكابينات الخشبية . كان قد رآه أول مرة مصادفةً حينما حاول أن يشيح بناظريه عن منظر المرأة الصريعة وابنتها .

لكن ربما كان لدى إحساس بأن هناك مسدسًا .

بل إنه رأى مكانه : حيث استقر فوق رف بين جهاز التلفاز المعلق بالجدار ، وفتاحة علب كبيرة الحجم . إنهم كانوا بالفعل شغوفين بأحدث الأجهزة والمعدات بنفس شغفهم بالأسلحة . فها هو مسدس فى متناول يدك ... ولو لم يكن هذا هو أفضل ما يمكن التحصل عليه الآن ، فماذا يكون ؟

نادته آليس من مكان بعيد : " كلاى ؟ "

" ماذا ؟ "

تبع هذا صوت قدمين تصعدان الدرج فى سرعة ، ثم هتفت آليس من حجرة المعيشة تقول : " كان توم يود أن يخبرك باننا قد صادفنا أمرا ما . فهناك عشرات من الأسلحة بالأسفل فى حجرة المكتب . بنادق ومسدسات من جميع الأنواع ، موجودة داخل دولاب زجاجى مغلق ، وعليه ملصق لإحدى شركات أجهزة الإنذار . فربما ألقى القبض علينا لو حاولنا التحصل عليها ... تلك كانت مزحة بالطبع . هل ستأتى معي؟ "

" انتظرينى لحظة . ولا تأتى إلى هنا " .

" لا تقلق . ولكن لا تبق عندك أكثر من اللازم " .

كان قد تعدى هذه المرحلة بكثير . كان قد رأى شيئين آخرين على الأرضية الخشبية الغارقة فى الدماء . أحدهما شوبك العجين ، وكان وجوده مبررا ؛ بالنظر إلى وجود وعاء العجين وهذه الصينية ، وكيس دقيق أصفر اللون ، وجميعها كانت على المنضدة التى تتوسط المطبخ . أما الشيء الآخر الذى كان على الأرضية ، والذى لم يكن بعيداً عن متناول يد هيدى ، فكان هاتفا محمولاً من النوع الذى تحبه أية مراهقة ، لونه

مزيج من الأزرق والبرتقالى الأقحوانى .

هنا أمكن لكلاى أن يتخيل ما قد حدث . كانت بيث تعد الفطيرة . هل علمت بشيء مروع يحدث فى منطقة بوسطن ، وربما فى أمريكا ، أو العالم أجمع ؟ هل كانت تشاهده عبر التلفاز ؟ لو كان هذا صحيحًا ، فإن التلفاز لم يرسل لها أية إشارة من إشارات الجنون تلك . كان كلاى متيقنا من هذا .

على أن ابنتها هى من تلقى تلك الإشارة . بالطبع وهاجمت هيدى أمها . هل حاولت بيث أن تتناقش مع ابنتها قبل أن تلطمها بالشوبك ، أم أنها ضربتها من فورها ؟ لا بدافع الكراهية ، ولكن ألماً وخوفاً ؟ على أن ضربتها لم تكن كافية . ولم تكن بيث ترتدى سروالاً ، بل ملابس رثة ، وكانت ساقاها عاريتين .

جذب كلاى المرأة الصريعة للأسفل من ملابسها الرثة . فعل هذا برفق ، ليغطى به جسدها .

من المؤكد أن هيدى التى لم تتعد الأربعة عشر عاماً ، بل ربما كانت فى الثانية عشرة كانت تهذى بتلك الكلمات غير المفهومة والتى يبدو أن جميعهم يتعلمها على الفور بعد أن يتلقوا الجرعة الكاملة من الجنون عبر هواتفهم! ألقتها اللطمة الأولى من على الأرض إلا أنها لم تفقدها الوعى ، فغرست الفتاة المجنونة أسنانها فى ساقى أمها . لم تكن مجرد قرصات ، بل عضات قوية مدمية ، وصلت حتى العظم . لم ير كلاى علامات الأسنان فقط بل وقطع ممزقة من جوربها بفعل عضات هيدى . ومن المؤكد أنها كانت تصرخ في ألم بلا شك . وهى لا تعى ما كانت تفعله لطمتها بيث ثانية . وبقسوة أشد هذه المرة . بل يكاد كلاى يسمع تلك القرقعة فى فقرات رقبة الفتاة وهى تتحطم . ابنتها الحبيبة صريعة على أرضية هذا المطبخ الحديث ، فى أسنانها بعض من القطع التى مزقتها من

www.rewity.com ARAYAHEEN

جوربها . وهاتفها المحمول إلى جوار يدها الممدودة .

هل تمهلت الأم قليلاً قبل أن تسحب المسدس من فوق رفه ، حيث كان ينتظر لصاً أو مغتصباً لينال منه؟ لم يعتقد كلاى أن هذا قد حدث . رأى كلاى أن الأم كانت مصممة على الانتحار لتلحق بروح ابنتها .

التقط كلاى المسدس وهو يتوقع أن يجده ـ خاصةً فى منزل محب لكل ما هو حديث مثل آرنى نيكرسون ـ من النوع الآلى ، بل وبه محكم تصويب بالليزر . إلا أن هذا كان مسدساً عادياً جداً ، من طراز كولت ٤٥ . إلا أنه اعتقد أن لهذا تفسيره . فربما كانت زوجته مرتاحة أكثر مع هذا النوع من المسدسات ؛ وبالطبع فهو محشو بالذخيرة إن حدث وتم الاحتياج إليه فلا يمكن أن يضيع الوقت فى البحث عن ذخيرة ، لذا قام بتحريك المزلاج حتى يتأكد من وجود رصاصة ما فى الماسورة . كان قد تعامل خيالاً مع جميع المسدسات وهو يصيغ شخصية " المغامر الغامض " . وكما توقع حينما أخرج بكرة المسدس . وجد رصاصة واحدة مفقودة بين الفوهات السته . أخرج إحدى الرصاصات وهو يعلم ما سوف يراه . فقد كان المسدس محشواً برصاصات ممنوعة قانوناً . فلا عجب مما حدث لرأسها . بل إن من العجيب أنه قد بقى من رأسها شيء . نظر إلى بقايا المرأة المسجاة على الأرضية وبدأ يبكى .

ناداه توم الذى صعد الدرج قادماً من القبو : " كلاى ؟ ... ستندهش حينما تعلم أن آرنى هذا كان لديه كل شيء ! إن لديه من الأسلحة الآلية ما يستلزم اعتقاله ... كلاى ؟ هل أنت على ما يرام ؟ "

" أنا آت " قالها كلاى وهو يمسح عينيه . أمن المسدس ووضعه فى حزامه . ثم أخرج السكين ووضعها على المنضدة ، وكانت لا تزال فى الجراب الذى صنعه . بدا الأمر وكأنه نوع من

المقايضة . " أمهلنى دقيقتين " .

" حسناً "

سمعه كلاى وهو يهبط الدرج عائداً إلى مستودع أسلحة آرنى نيكرسون فابتسم بالرغم من الدموع التى كانت لا تزال تنساب على وجهه . ها هو شيء عليه أن يتذكره منذ هذه اللحظة : امنح رجلاً قصيراً غريب الأطوار من مالدين غرفة مليئة بالأسلحة وستلحظ الإثارة عليه طيلة الوقت .

بدأ كلاى يبحث فى الأدراج . ووجد فى ثالثها علبة حمراء ثقيلة مطبوعًا عليها بأحرف كبيرة : **أميريكان ديفيندر** عيار ٤٥ . **أميريكان ديفيندر ٥٠** لفة . كانت موضوعة أسفل ماسح الأطباق . وضع العلبة فى جيبه وتوجه إلى حيث توم وآليس . كان يريد الخروج من هنا الآن . وبأسرع وقت ممكن . كان سيعمل على إقناعهم بأن يرحلوا من دون أن يحملوا معهم كل الأسلحة التى وجدوها .

توقف فى منتصف الطريق والتفت خلفه . وهو يرفع الفانوس عالياً . وينظر إلى الجثتين . ووجد أن تغطيته لجسد المرأة لم يغير من المنظر كثيرا . فقد بقيتا م جرد جثتين . كان بوسعه أن يبحث عن غطاء يغطيهما به . ولكن ما إن يخطو خطوة كهذه حتى يكون عليه أن يسأل نفسه : متى سيتوقف عن تغطية الجثث ؟ وأين ؟ ومع من ؟ شارون ؟ ابنه ؟ .

همس لنفسه قائلاً : " لا سمح الله " . لكنه قالها وهو يشك فى أن هذا لن يحدث لمجرد أنه دعا الله ألا يحدث . أدنى الفانوس وتبع الوهج المتراقص نحو الأسفل حيث توم وآليس .

٢١

ارتدى كلاهما حزامين يحملان فى غمديهما مسدسين ، وكانت مسدسات آلية . ألقى توم حمالة ذخيرة على كتفه . لم يجد كلاى أمامه سوى أن يضحك أو يبدأ بالبكاء ثانية . ود جزء منه لو فعل كلا الأمرين فى نفس الوقت . فلو فعل هذا لظنا أنه قد أصيب بالهيستيريا . وسيكون الحق معهما عندئذٍ .

كان التلفاز البلازما المعلق على الجدار هنا بالأسفل من الحجم الكبير جداً لنفس الطراز الذى كان بالمطبخ . وهناك جهاز آخر ، إلا أنه أصغر قليلاً ، به مجموعة من ألعاب الفيديو ، ومن النوع الذى كان كلاى فى زمن مضى يحب أن يتفحصه . فى الركن وإلى جوار طاولة لعبة البينج بونج جهاز تشغيل أسطوانات من أحدث طراز . وبالطبع كان هناك دولاب الأسلحة ، بل دولابان منهما ، كانا مغلقين إلا أن الواجهة الزجاجية قد تحطمت .

قال توم : " كان هناك قفل عريض ، إلا أننا وجدنا صندوق أدوات فى المرآب ... واستخدمت آليس مفتاحاً ثقيلاً فى كسره " .

قالت آليس فى تواضع : " كان هذا سهلاً . لقد وجدته فى المرآب خلف صندوق الأدوات ، ملفوفاً فى غطاء . فهل هو ما أظن أنه هو بالفعل؟ " . التقطته من فوق طاولة البينج بونج ، وهى تحمله فى حرص ، وحملته إلى كلاى .

قال وهو يحدق فى النقش فوق الزناد : " تباً . هذا ... هذا روسى الصنع " .

فقال توم : " أنا متأكد من هذا . هل تعتقد أنه من طراز كلاشينكوف ؟ "

" لقد سبقتنى إلى هذا . هل تعتقد أن لدينا خراطيش

تناسبه ؟ فى علب يتطابق ما هو مكتوب عليها مع ما هو مكتوب عليه ؟ "

" هناك نصف دستة من علب الذخيرة . هل تعتقد أنها آلية ، أليس كذلك ؟ "

رد كلاى وهو يقلب فيه : " بوسعك أن تعتبرها كذلك . وأنا متأكد تماماً من أن من الممكن تعديلها على الوضعيتين الآلية وغير الآلية " .

سألته آليس : " كم رصاصة يمكن أن تطلقها فى الدقيقة ؟ "

" لا أعلم . لكننى أعتقد أن هذا يحسب بالثانية " .

اتسعت عيناها فى انبهار وهى تقول : " أوه ... هل يمكنك التعرف على كيفية استخدامها ؟ "

" آليس ... إننى متأكد من أن صبيًا ريفيًا يعلم كيف يطلق النار بهذه ... إلا أنه كان يتمنى فى قرارة نفسه ألا تنطلق النار منها وهى بين يديه .

سألته : " هل هذا قانونى فى ماساشوسيتس ؟ "

قال توم فى جدية : " أصبح قانونياً الآن يا آليس . ألم يحن وقت الرحيل ؟ "

قالت : " أجل " ، ثم نظرت إلى كلاى وهى غير مرتاحة تماماً لكونها هى من يتخذ القرار .

فقال : " بلى . إلى الشمال " .

قالت : " لا بأس بهذا " .

www.rewity.com ARAYAHEENA

أكاديمية جايتين

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

١

حينما أشرقت شمس الصباح التالى المطير ، كان كلاى وآليس وتوم مخيمين فى حظيرة مجاورة لمزرعة جياد مهجورة فى ريدينج الشمالية . راقبوا من الباب المجموعات الأولى من المجانين وقد بدأت بالظهور ، ليتجمّعوا فى المنطقة الجنوبية الغربية على طريق ٦٢ فى اتّجاه ويليمنجتون . بدت ملابسهم مبقّعة ورثة بشكل موحّد . وبعضهم من دون أحذية . ومع حلول الظهر كانوا قد ذهبوا . وفى حوالى الساعة الرابعة . والشمس تبزغ من بين السحب بأشعة قوية . بدأوا يتجمعون من جديد فى الاتجاه الذى أتوا منه . كثيرون كانوا يمشون وهم يمضغون . البعض كانوا يساعدون أولئك الذين كانوا يواجهون صعوبة فى المشى وحدهم . ولو كانت قد حدثت حوادث قتل اليوم فإن كلاى وتوم وآليس لم يروا أيا منها .

ربما كان هناك ستّة مجانين يسحبون أشياءً كبيرةً الحجم بدت مألوفة لكلاى ؛ فقد وجدت آليس واحدا منها فى خزانة ملابس حجرة نوم الضيوف بمنزل توم . ووقف ثلاثتهم أمامه وهم خائفون من أن يديروه .

سألت آليس : " كلاى ؟ لماذا يحمل عدد منهم أجهزة الاستيريو هذه ؟ "

" لا أعرف " .

www.rewity.com RAYAHEENA

قال توم : " لا يعجبنى هذا . لا يعجبنى سلوك السرب هذا . ولا يعجبنى أن يساعد بعضهم البعض هكذا ، وبالطبع لا يعجبنى أن أراهم ومعهم مثل هذه الأجهزة الضخمة " .

هم كلاى بأن يقول : " إنهم فقط بضعة ... " .

فقاطعه توم وهو يشير إلى امرأة متوسطة العمر وهى تترنح فى طريقها عبر الطريق السريع رقم ٦٢ ومعها جهاز استيريو فى حجم وسادة كبيرة . حملتها إلى صدرها كما لو أنه طفل نائم . خرجت توصيلته الكهربائية لتنسحب خلفها على الطريق . " وأنت لا ترى أيًا منهم يحمل مصابيح أو محامص ، أليس كذلك ؟ ماذا لو كانوا مبرمجين لتنصيب أجهزة الراديو العاملة بالبطاريات ، وفتحها ، وبدء بث تلك النغمة ، أو النبضة ، أو الرسالة اللا شعورية ، أيا كانت هذه ؟ ماذا لو أرادوا أن ينالوا ممن نجوا من البث الأول ؟ "

هم هؤلاء البارانويون . أخرجت آليس حذاءها الصغير من مكان ما وكانت تضغط عليه بيدها ، ولكن صوتها جاء هادئا بما يكفى حينما تحدثت . " لا أعتقد أن الأمر كذلك " .

سألها توم : " وما المانع ؟ "

هزّت رأسها . " أنا لا أستطيع التأكد . إلا أن ما أراه لا يبدو مريحا " .

قال مبتسماً من دون سخرية : " هو حدس المرأة إذن ؟ "

" ربما ... لكننى أعتقد أن هناك شيئًا واضحًا " .

سألها كلاى وهو يكاد يكون متأكداً من أنها ستنطق بالفكرة التى تخامره بالفعل : " وما هو هذا ، آليس ؟ " .

" إنهم يصيرون أذكى . ليس بمفردهم ، لكن لأنهم يفكرون معًا . من المحتمل أن هذا قد يبدو جنونا ، لكنى أعتقد أن هذا الاحتمال أقوى من احتمال أنهم فقط يجمعون كومة كبيرة من

هذه الأجهزة العاملة بالبطاريات لحصارنا جميعاً فى أرض مجنونة " .

قال توم وهو يفكر فى الأمر : " إنهم يفكرون تفكيرًا جماعيًا موحدًا " . راقبته آليس وهو يفعل هذا . كلاى ، الذى قرّر أنّها على حق ، كان يتطلع عبر باب الحظيرة إلى سماء الغروب . كان يفكّر بأنّهم بحاجة للتوقّف فى مكان ما ، والحصول على أطلس طريق .

كان توم يومئ برأسه وهو يقول : " ياه ، لم لا ؟ ومع ذلك ، فإن هذه هى طبيعة السرب : إنهم يفكرون تفكيرًا جماعيًا موحدًا " .

" هل تعتقد ذلك حقًا ، أو أنت فقط تقول ذلك لكى ... " .

إلا أنه قاطعها قائلاً : " بل أعتقد هذا حقا . مد يده لتلمس يدها ، والتى كانت الآن تضغط على الحذاء الصغير فى سرعة . أعتقد هذا بالفعل . هلا توقفت عن هذه الحركة ؟ "

منحته ابتسامة سريعة شاردة . رآها كلاى وتأمل من جديد فى مدى جمالها ، وقد كانت جميلة بالفعل . كم هو قريب من الانهيار . " يبدو هذا القش ناعماً وأنا متعبة . وأود أن أستمتع بإغفاءة طويلة " .

قال كلاى : " خذى راحتك " .

٢

حلم كلاى بأنه قد رأى شارون وجونى يمضيان وقت عطلة سعيدة خلف منزلهم الصغير فى كينت بوند . فردت شارون المفرش على العشب . كانوا يتناولون الشطائر مع الشاى المثلج . وفجأة أعتم النهار . وأشارت شارون من فوق كتف كلاى وهى

تقول : انظر ! المجانين ! . ولكنه ما إن التفت إلى اتجاه إشارتها لم ير سوى سربٍ من الغربان . سرب هائل لدرجة أنه غيب الشمس وراءه تماما . بعدها بدأ الرنين . بدا أشبه بصوت رنين أجراس عربة الآيس كريم التى تطلق نغمة برنامج شارع سمسم . إلا أنه أدرك أنها نغمة هاتف محمول . وكان خائفا أثناء نومه . وحينما التفت وجد أن جونى قد اختفى . وحينما سأل شارون عنه وهو خائف ويعلم الإجابة بالفعل قالت بأن جونى أسفل الغطاء يرد على هاتفه المحمول . دخل كلاى بدوره أسفل الغطاء . وسط رائحة القش القوية . وهو يصرخ منبهًا جونى ألا يجيب على الهاتف . وأخذ يبحث عنه فلم يجد سوى ملمس بارد لبلورة زجاجية : كانت ثقالة الورق التى ابتاعها من ذلك المتجر . تلك التى بها سديم الزغب والطافى وكأنه غمامة مصغرة .

ثم وجد أن توم يحاول إيقاظه . وهو يخبره بأن الساعة الآن قد تعدت التاسعة . وقد صار البدر فى كبد السماء . وأن الوقت مناسب الآن للرحيل . وجد كلاى نفسه سعيداً لأنه استيقظ . فهو لم يحب هذا النوع من الأحلام .

بينما كانت آليس تحدق فيه بشكل غريب .

فقال كلاى : " ماذا ؟ . كان يفحص مسدسه حتى يتأكد من أنه مؤمن . ووجد أنه قد بدأ يفعل مثل هذه الأمور بشكل غريزى " .

" لقد كنت تتكلم أثناء نومك . كنت تقول : لا تجب على المكالمة . لا تجب على المكالمة " .

قال كلاى : " لم يكن من الواجب أن يجيب أحد على أية مكالمة . كنا سنصبح أفضل حالاً الآن " .

سأله توم : " آه ... ولكن من يمكنه مقاومة الرد على نغمة هاتف محمول ؟ "

رد كلاى : " صرت تتحدث بلسان الفلاسفة الآن " . عندها ضحكت آليس حتى البكاء .

٣

غادروا مزرعة الجياد بينما كان البدر يصارع فى بزوغه الغمام التى تحاول إخفاءه وراءها فى صورة ذكرت كلاى بقصص الأطفال المصورة عن القراصنة والكنز الدفين . وواصلوا المسير نحو الشمال . وفى تلك الليلة بدأوا يلتقون بآخرين من نفس طبيعتهم مرة أخرى .

تذكر كلاى وهو يقلب مسدسه الآلى من يد لأخرى أغنية " ها قد عاد زماننا من جديد " . كان ثقيلاً وهو محشو بالذخيرة . النهار لمجانين الهاتف ؛ أما نحن فالليل لنا . نحن أشبه بمصاصى الدماء . لم يعد لنا سوى الليل . إلا أننا نعرف بعضنا البعض لكوننا ما زلنا قادرين على الكلام المفهوم ؛ أما على البعد فنتعرف على بعضنا البعض من تلك الحقائب التى نحملها . وما نتسلح به من أسلحة يتزايد عددها؛ كما أن العلامة المؤكدة على البشر الطبيعيين قد صارت الأنوار الصادرة عن الكشافات . لم نكن نكتفى منذ ثلاثة أيام فقط بحكم الأرض كلها . بل كانت لدينا أيضاً عقدة ذنب تجاه الأجناس الأخرى التى محوناها من الوجود أثناء إقامتنا لحضارتنا هذه . أما الآن فقد صرنا حاملى كشافات إضاءة ليس إلا .

التفت إلى توم قائلاً : " إلى أين يذهبون ؟ إلى أين يذهب المجانين بعد غروب الشمس ؟ "

حدق فيه توم قائلاً : " إلى القطب الشمالى . فكلّ الجان ماتوا من مرض الرِّنَة المجنون . وهؤلاء الرجال يعملون على ظهور المحصول الجديد " .

قال كلاى : " تباً ... هل استيقظ أحدنا على الجانب الخطأ من كومة القش الليلة ؟ "

إلا أن توم لم يبتسم لهذه الدعابة . قال : " لقد تذكرت قطى . وإنى أتساءل إن كان على ما يرام الآن . ولا عجب أنك ستجد فى هذا غرابة أطوار " .

قال كلاى : " كلا بالطبع " . خاصةً وهو القلق على زوجته وابنه .

٤

تحصلوا على أطلس للطرق من أحد محال الكتب والتذكارات فى شارع بولاردفايل . كانوا متجهين نحو الشمال ، ورضوا بأن يتوقفوا عند تقاطع طريقى ٩٣ و ٩٥ . أخبرهم المسافرون الآخرون والذين كانوا يرحلون فى معظمهم نحو الغرب باختناقات مرورية مروعة وحوادث سيارات فظيعة . قال أحد القلائل المرتحلين نحو الشرق إن ناقلة وقود قد اصطدمت بمخرج طريق ويكفيلد ، وإن النيران الناتجة عن الانفجار قد أدت إلى سلسلة من الانفجارات امتدت لمسافة تبلغ الميل وحاصرت وسطها طابوراً من السيارات بركابها . قال إن الرائحة الكريهة قد ذكرته بشواية لحوم في الجحيم .

قابلوا عدداً متزايداً من حاملى الكشافات وهم يمشون خلال أطراف حى أندوفر سمعوا إشاعة وصلت من فرط تكرارها إلى حد الحقيقة : لقد تم إغلاق حدود نيو هامبشاير . وأن شرطة ولاية نيو هامبشاير وقواتها الخاصة يطلقون النيران على المتسللين . ومن دون تحذير مسبق . ولا يفرقون فى هذا بين المجنون والعاقل .

" ليس هذا سوى تنويع جديد على الشعار اللعين الذى يضعونه على لوحات سياراتهم منذ الأبد " . قالها رجل عجوز ارتسمت المرارة على وجهه طيلة الفترة القصيرة التى سار جوارهم خلالها . كان يحمل فوق معطفه الثمين حقيبة صغيرة وبيده كشاف طويل . يطل من جيب معطفه الخفيف عقب مسدس . " طالما كنت فى نيوهامبشاير فبوسعك أن تعيش حراً . أما لو أردت أن تدخلها ، فسوف تموت " .

قالت آليس : " هذا ... أمر يصعب تصديقه " .

قال رفيقهم المؤقت : " صدقى ما شئت أن تصدقيه ، آنستى . فلقد التقيت بعض من حاولوا أن يتجهوا شمالاً مثلكم أيها الرفاق ، وسرعان ما عادوا فى سرعة نحو الجنوب حينما رأوهم يطلقون النيران عشوائياً على كل من يحاول التسلل إلى نيو هامبشير " .

سأله كلاى : " متى ؟ "

" الليلة الماضية " .

فكر كلاى بعدّة أسئلة أخرى ، لكنه فضل الصمت . وعند أندوفر ، تركهم الرجل وأغلب من كانوا يسيرون بجوارهم عبر الطريق الذى تسده السيارات المتوقفة ليسيروا فى الطريق السريع رقم ١٣٣ ، غرباً نحو لويل . وكان على كلاى وتوم وآليس أن يتخذوا قرارهم وهم وسط شارع أندوفر الرئيسى الذى صار مهجوراً سوى من بعض المزارعين الذين يلوحون بكشافاتهم الضوئية .

بادر كلاى بسؤال آليس : " هل تصدقين هذا الكلام ؟ "

قالت وهى تنظر إلى توم : " كلا " .

بينما هز توم رأسه قائلاً : " ولا أنا . فما رواه هذا الرجل يبعث على الريبة " .

www.rewity.com ARAYAHEEN

أومأت آليس برأسها توافقه الرأى : " لم تعد الأخبار تنتشر بهذه السرعة الآن . ليس من دون الهواتف " .

قال توم : " بلى . وقد تكون هذه مجرد خرافة . إلا أننا أيضاً نتحدث عن ولاية لا يرتاح إليها الكثيرون . وهو ما يجعلنى أطلب أن نعمل على اجتياز حدودها من أبعد نقاطها عن الحراسة " .

قالت آليس : " هذه خطة جيدة ، ومع هذه الكلمات عاودوا السير . على الرصيف طالما كان هناك رصيف يمكن السير عليه " .

٥

عند أطراف أندوفر ، خرج رجل بيديه كشافان ضوئيان يقربهما من وجهه عبر واجهة زجاجية مكسورة لمتجر . لوح لهم فى ود ، ثم سارع تجاههم وهو يمر من بين عربات التسوق المتراكمة أمام المتجر فى عشوائية ، وهو يملأ كيساً كبيراً بالأطعمة المعلبة . توقف إلى جوار عربة نقل منقلبة على جانبها ، وعرفهم بنفسه ، السيد " روسكو هانت " من بلدة ميثوين ، وسألهم عن بغيتهم . وحينما أخبره كلاى بأنهم قاصدون بلدة ماين هز هانت رأسه قائلا :

" لقد أغلقت حدود نيو هامبشاير . لقد التقيت شخصين منذ نصف الساعة وهما عائدان . قال أحدهما بأنهم يحاولون التمييز بين مجانين الهاتف والطبيعيين أمثالنا ، إلا أنهم لم يجعلوا من هذا الأمر هدفهم الوحيد ، فقد يطلقون النار عليكم " .

سأله توم : " هل رأى هذان الشخصان الحدود المغلقة بأعينهما ؟ "

نظر روسكو هانت إلى توم وكأنه مجنون . قال : " عليك أن تثق بكلام الآخرين يا رجل . أقصد أنه لم يعد بوسعك الآن أن تهاتف أحدهم هناك ، وتطلب منه تأكيد المعلومة ، أليس كذلك ؟ " . صمت لحظة قبل أن يستطرد : " إنهم يحرقون الجثث فى سالم وناشوا . هذا ما أخبرنى به هؤلاء . حتى صارت رائحة البلدتين لا تطاق . هذا ما أخبرونى به أيضا . نحن مجموعة من خمسة أفراد ننتوى التوجه غربا . ونريد أن نقطع مسافة معقولة قبل شروق الشمس . فالطريق مفتوح إلى الغرب " .

سأله كلاى : " هذا ما قد سمعته ، أليس كذلك ؟ "

نظر إليه ببعض ازدراء . " نعم هذا ما سمعته ، وماذا فى ذلك ؟ بعض الكلمات تكفى الحكيم . هذا ما كانت والدتى تقوله لى . ولو كنتم عازمين فعلا على الذهاب شمالاً ، فاعملوا على أن تصلوا إلى الحدود مع حلول منتصف الليل ؛ فالمجانين لا يخرجون بعد حلول الظلام " .

قال توم : " نعلم هذا " .

تجاهل الرجل ـ الذى ثبت الكشافين إلى جانبى رأسه ـ ما قاله توم وواصل حديثه إلى كلاى . فقد رأى أن كلاى هو قائد الثلاثة . " وهم لا يحملون معهم كشافات . فعليكم أن تلوحوا بكشافاتكم . وأن تتكلموا . بل تصيحوا بصوت عال . فهم لا يفعلون هذه الأشياء كذلك . وأنا أشك فى أن يسمح لكم حرس الحدود بالمرور ، بل سيكون من حظكم الحسن ألا يطلقوا النيران عليكم " .

قالت آليس : " إنهم يزدادون ذكاءً مع الوقت . ألا تعلم هذا ، سيد هانت ؟ "

قال هانت متهكما : " صاروا يرحلون وهم يحملون حقائب ولم يعودوا يقتلون بعضهم البعض . وأنا لا أعلم إن

كـان هـذا دلالـة علـى الـذكاء أم لا . إلا أنهـم مـا زالـوا يقتلوننا " .

لابد أن هانت قد لاحظ الشك على وجه كلاى ، لأنه ابتسم . وحينها أسهمت أنوار الكشافين التى سلطها على وجه كلاى فى تغيير هذه الابتسامة .

قال : " لقد رأيتهم بعينىَ وهم يمسكون بامرأة هذا الصباح . لم يخبرنى بذلك أحد " .

أومأ كلاى برأسه قائلاً : " حسناً " .

" أظن أننى أعلم سبب تواجدها فى الشارع . كان هذا فى توبسفيلد ، على مسافة عشرة أميال من هنا ، وكنت مع رفاقى فى المنزل رقم ٦ . كانت تسير فى ذلك الاتجاه . لم تكن تمشى بل تهرول . وهى تلتفت وراءها . رأيتها لأنى لم أستطع النوم " . هز رأسه ثم أضاف : " فمن الصعب حقاً الاعتياد على النوم بالنهار حتى نستطيع التحرك ليلاً " .

خطر لكلاى أن يخبره بأن ثلاثتهم اعتادوا على ذلك ، إلا أنه سكت . لاحظ أن آليس قد عادت لتمسك بتعويذتها من جديد . لم يرد لآليس أن تسمع هذا إلا أنه علم أن لا سبيل إلى منع هذا . فهذه معلومات قد تساعد على نجاتهم كما أن الرجل قد شاهد ما حدث بعينيه ، ولم يسمع به على غرار تلك المعلومات حول منطقة الحدود؛ كما أن العالم كله سيتداول مثل تلك القصص ولفترة طويلة قادمة . ولو سمعوا إلى كثير منها ، فسرعان ما ستكون لديهم خلفية تاريخية كاملة عن كل ما حدث .

ربما كانت تبحث عن ملجأ أفضل لتختبئ به ، ليس إلا . فرأت المنزل رقم ٦ وقالت لنفسها : " ها هى غرفة بها فراش . إلى جوار محطة وقود إيكسون . ها هو على القرب " . ولكن قبل أن تقطع منتصف المسافة حتى خرج من عند الناصية

مجموعة منهم . كانوا يسيرون ... أتعلمون كيف صاروا يسيرون الآن ؟

سار روسكو نحوهم بخطوات صارمة ، كجندى ، والكيس يتأرجح فى يده . لم تكن هذه طريقة مشى مجانين الهاتف ، إلا أنهم أدركوا ما يحاول أن يخبرهم به .

استند إلى عربة النقل المنقلبة محاولاً تمثيل ما حدث لها ، ومسح على وجهه فى سرعة وهو يستطرد : " وعندها ... هذا ما أود أن تفهموه . وهذا هو السبب فى حرصنا على ألا يمسكوا بنا ، وألا ننخدع بأنهم سيصيرون طبيعيين لأنه وبين الحين والآخر يتصادف أن يضغط أحدهم على أزرار تشغيل جهاز استيريو ويبدأ فى تشغيل أسطوانة و ... " .

سأله توم : " هل رأيت هذا ؟ هل سمعته ؟ "

" أجل ، مرتين . ثانى شخص رأيته كان يسير وهو يؤرجحها فى قوة من جنب لجنب ، والجهاز يشغل إحدى الأسطوانات . لذا فهم يحبون الموسيقى ، ومن المؤكد أن مثل هذه التصرفات التى قد تبدو طبيعية هى التى يجب أن تستدعى الحذر فى ذات الوقت " .

سألته آليس : " وما الذى حدث للمرأة ؟ تلك التى أمسكوا بها " .

قال هانت : " لقد حاولت أن تتظاهر بأنها واحدة منهم . وظننت وأنا أقف فى مكانى عند النافذة أنها ستنجو من خلال اتباعها لهذه الحيلة إلى أن تصل إلى مكان آمن . فهم لا يحبون الدخول إلى أى مكان ، ألم تلاحظوا هذا ؟ "

هز كلاى وتوم وآليس رؤوسهم نفياً .

فأومأ الرجل برأسه قائلاً : " قد يفعلونها ، وقد رأيت بعضهم يفعلها ، إلا أنهم لا يميلون لهذا " .

سألته آليس مجدداً : " وكيف كشفوا حقيقتها ؟ "

لا أعلم هذا تحديداً . " ربما تشمموها . أو شيء من هذا القبيل " .

فقال توم : " أو ربما لامسوا أفكارها " .

فقالت آليس : " أو ربما فشلوا فى تلمسها " .

" لا أفهم هذا الذى تتحدثون عنه ، إلا أن ما أعلمه هو أنهم قد مزقوها إرباً . هكذا وبالمعنى الحرفى للكلمة " .

سأله كلاى : " ومتى حدث هذا ؟ " . رأى آليس تترنح فأحاطها بذراعه .

" فى التاسعة هذا الصباح . فى توبسفيلد . فلو رأيتم عدداً منهم وهم يسيرون فى طريق " يالا " ومعهم أجهزة تشغيل أسطوانات تصدح بأغنية " لم لا نكون أصدقاء " ... أخذ ينظر إلى وجوههم متجهماً وسط وهج الكشافين المربوطين إلى جانبى رأسه . ثم قال : " فلن أتظاهر أننى واحد منهم . كما أننى لم أكن لأتجه شمالاً . فحتى لو لم يطلق الجنود النيران عليكم عند الحدود فإنها ستكون مضيعة للوقت .

إلا أنهم قرروا بعد عدة مشاورات عند موقف سيارات النجر أن يتجهوا شمالاً رغم كل هذه المحاذير .

٦

توقفوا بالقرب من أندوفر الشمالية ، واقفين على جسر مشاة فوق الطريق ٤٩٥ . كان الغمام يتراكم فى السماء من جديد . إلا أن نور البدر كان كافياً لأن يبين لهم الطريق الخالى ذا الحارات الست . وبالقرب من الجسر حيث وقفوا رقدت ناقلة ضخمة منقلبة وكأنها فيل ميت . كما كانت هناك خلفها سيارتا شرطة مهجورتان . إحداهما مقلوبة على جنبها . كانت مؤخرة الناقلة

محروقة . ولم تكن هناك جثث ، أو هذا ما رأوه تحت نور القمر . كان هناك بعض من يسيرون غرباً فى الحارة الفرعية من الطريق . إلا أنهم كانوا يسيرون ببطء .

علق توم قائلا : " هذا المنظر يساعدنى على الاقتناع بأن كل هذا الذى يحدث حقيقى . أليس كذلك ؟ "

ردت آليس : " كلا . فهذا يبدو لى أقرب إلى المؤثرات الخاصة التى تستخدم فى الأفلام السينمائية . وكل ما عليك هو أن تتسلى بمشاهدة كل هذا ... كل هذه الأحداث اللعينة " . ثم رفعت الحذاء الصغير وهى تمسك برباطه قائلةً : " هذا هو كل ما أحتاج إليه كى أقتنع بأن ما يحدث حقيقة . شيء صغير بما يكفى لأن أمسكه بيدى . هيا بنا ؛ لنرحل من هنا " .

٧

كان هناك الكثير من العربات المتروكة على الطريق السريع ٢٨ . لكنه كان مفتوحاً كثيراً مقارنة بالطريق ٤٩٥ . وبحلول السّاعة الرّابعة كانوا يقتربون من ميثوين ، بلدة السّيد روسكو هانت . ذى الكشافات المعلقة برأسه . وقد صدقوا قصص هانت بما يكفى لأن يعملوا على أن يختبئوا عن العيان قبل شروق الشمس . اختاروا نزلاً عند تقاطع طريقى ٢٨ و ١١٠ . توقفت عشرات السيارات عند وحدات النزل ، إلا أنه كان يشعر بأن المكان مهجور . سبب هذا هو أن الطريقين كانا مفتوحين لكل من يسير على قدميه . وقف كلاى وتوم عند حافة موقف السيارات . وهما يلوحان بالكشافات من فوق رأسيهما .

صاح توم : " نحن طبيعيون ! أناس طبيعيون ! نود الدخول " .

www.rewity.com
RAYAHEENA

انتظروا . لم يأتهم جواب من الفندق الذى وجدوا أن اسمه هو الوادى السعيد . ومما حوله من مقهى ومحال .

فقالت آليس : " هيا . فقدماى تؤلماننى . كما أن الشمس ستشرق قريبا . أليس كذلك ؟ "

قال كلاى : " انظرا لهذا " . التقط أسطوانة مدمجة من فوق الأرض وسلط عليها ضوء كشافه . كان مطبوعاً عليها أغانى الحب لـ " مايكل بولتون " .

علق توم ساخرا : " وتقولون إنهم قد صاروا أذكى " .

قال كلاى وهم يتوجهون نحو وحدات النزل وهو يتهكم بدوره : " لا تتسرع فى أحكامك . فأيا كان صاحبه فقد تخلص منه . أليس كذلك ؟ "

رد توم : " ربما سقط منه " .

سلطت آليس ضوء كشافها على الأسطوانة . " من هو هذا المطرب ؟ "

قال توم : " من الأفضل ألا تعرفيه " . تناول الأسطوانة وألقاها من وراء كتفه .

فتحوا أبواب ثلاث وحدات متلاصقة عنوة ، ولكن بشكل يسمح لهم بإغلاقها من الداخل عليهم ، وسرعان ما قضوا معظم ساعات النهار فى نوم عميق فوق أسرة مريحة . لم يقلق نومهم شيء ، على أن آليس أخبرتهما بأنها قد سمعت صوت موسيقى يأتى من على البعد . إلا أنها صارحتهما بأن هذا قد لا يعدو أن يكون جزءا من حلم كانت تحلم به .

٨

كانت هناك خرائط للبيع فى بهو النزل ، والتى تقدم مزيدًا من التفاصيل مقارنة بأطلس الطرق . كانت فى خزانة عرض

زجاجية تهشمت . تناول كلاى واحدة تخص ماساشوسيتس ، وواحدة تخص نيو هامبشاير ، وهو يحاذر أن يجرح يده . ورأى شابا مسجى على الجانب الآخر من مكتب الاستقبال . كانت عيناه تلمعان فى موات . ظن كلاى للحظة أن هناك من وضع قطعة قماش ملونة فى فم الجثة . لكنه رأى النقاط المخضرة البارزة من خلال خديه ، وأدرك حينها أنها تتطابق مع الأرفف الزجاجية التى فى واجهة العرض . تذكر كلاى السيد ريكاردى أثناء تحديقه فى تلك الجثة .

كان توم وآليس ينتظرانه عند باب البهو . كانت الساعة التاسعة إلا الربع ، وبالخارج حل الظلام كاملا . سألته آليس : " ماذا وجدت ؟ " .

" ستفيدنا هاتان الخريطتان " . أعطاها الخريطتين ، ثمّ رفع الفانوس كى تتمكن هى وتوم من دراستها ، ومقارنتها مع أطلس الطريق ، ويخططان لرحلة الليلة . بينما كان يحاول أن يزرع فى نفسه إحساسًا بجبرية تقبل القضاء والقدر فيما يخص جونى وشارون . ويحاول إبقاء الحقيقة المرة لحالة عائلته الحالية فى محور تفكيره : فما حدث فى كينت بوند قد حدث . فإما أن زوجته وابنه فى خير حال ، أو أنهما ليسا كذلك . وإما أن يجدهما أو لن يجدهما . وكان نجاحه فى الاقتناع بهذا الأسلوب من التفكير متناوبا .

كان يخبر نفسه حينما يجمح تفكيره بأنه حسن الحظ لكونه لا يزال على قيد الحياة ، ومن المؤكد أن هذا صحيح . إلا أن فى مقابل الحظ الحسن هذا هو أنه كان فى بوسطن ، على بعد مائة ميل جنوب كينت بوند حتى من خلال أسرع الطرق ، وهو ليس الطريق الذى يتخذونه . هذا حينما حدثت هذه النبضة . إلا أنه تصادف أن تعرف على رفيقين طيبين . تلك كانت الحقيقة .

رفيقان يمكنه أن يعتبرهما صديقين . ولقد قابل عددًا كبيرًا من الآخرين الذين لم يكونوا من المحظوظين .

لو لجأ إليك يا شارون . لو جاء جونى إليك . فمن الأفضل أن تعتنى به . من الأفضل أن تعتنى به .

لكن لنفترض أن هاتفه المحمول كان معه ؟ لنفترض أنه قد أخذ معه هاتفه المحمول إلى المدرسة؟ هل يكون قد أبقاه معه لوقت متأخر من اليوم ؟ لأن عددًا كبيرًا من الأولاد قد أخذوه معهم كذلك ؟

تبا .

سأله توم : " كلاى ؟ هل أنت على ما يرام ؟ "

" بالتأكيد . لماذا تسأل ؟ "

" لا أعرف . لكنك تبدو واجماً بعض الشيء " .

" هناك رجل صريع وراء المكتب . ولم يكن منظره مقبولاً " .

قالت آليس وهى تتبع بإصبعها مساراً على الخريطة : " انظرا هنا " . كان إصبعها يتتبع مساراً مائلاً عبر الولاية ، ومن ثم بدا أنه ينضم إلى طريق نيو هامبشاير رقم ٣٨ إلى الشرق قليلا من بيلهام . قالت : " هذا يبدو لى مناسبا جدا . فلو أننا اتجهنا غربا على الطريق السريع لمسافة ثمانية أو تسعة أميال ـ أشارت إلى الطريق ١١٠ ـ حيث كان كل من السيارات والأسفلت يلتمعان بضعف فى رذاذ ضبابى فعلينا أن نسير فيه . ما رأيكما ؟ "

قال توم : " أرى أن هذا مناسب " .

نظرت إلى كلاى . لم يكن بيدها الحذاء الصغير ربما وضعته فى حقيبتها إلا أن كلاى رأى فى عينيها رغبة فى أن تعاود الضغط عليها . رأى حينها أن من حسن حظها أنها لم تكن من المدخنين ، وإلا لكانت قد دخنت فى هذه الفترة ما يصل إلى أربع

علب فى اليوم . قالت : " لو أنهم قد وضعوا حراسة على الطريق المتقاطع لهـ ... " .

قاطعها كلاى قائلاً : " سنهتم بهذا الأمر فى وقته " ، إلا أنه لم يكن قلقاً . فسوف يصل إلى ماين بأية طريقة كانت . حتى ولو كانت زحفاً عبر الأسلاك الشائكة ، وكأنه متسلل غير شرعى يجتاز الحدود الكندية كى يجمع التفاح فى شهر أكتوبر ولو قرر توم وآليس أن يتخلفا عن مواصلة الطريق ، فسيكون هذا من حظه السيئ . سيكون آسفاً على مفارقتهما ... إلا أنه سيرحل فى كل حال . لأن عليه أن يعرف حقيقة ما حدث .

كان للخط الأحمر المائل الذى وجدته آليس بالخريطة اسم : طريق جدول دوستى ، وكان طريقا واسعا مفتوحا . كانت المسافة هى أربعة أميال مشيا حتى حدود الولاية ، لم يقابلوا خلالها سوى خمسًا أو ست سيارات مهجورة وسيارة واحدة محطمة . كما مروا على منزلين تصدر منها أصوات مولدات كهربائية وأضواء . خطر لهم أن يتوقفوا عند أحد هذين المنزلين ، إلا أنه كان خاطراً سريعا .

قال كلاى : " ربما دخلنا فى قتال بالأسلحة النارية مع شخص يدافع عن منزله . ومع دوام الافتراض بأن هناك شخصًا ما بالداخل . إلا أن هناك احتمالاً بأن تكون هذه المولدات قد انطلقت بشكل آلى عند انقطاع التيار الكهربائى الرئيسى ، وسوف تظل دائرة إلى أن ينفد وقودها " .

قال توم : " حتى لو كان هناك عقلاء بالداخل وسمحوا لنا بالدخول . وهو ما لن يعود أبداً عملاً عاقلاً . فما الذى علينا أن نقوم به ؟ أن نطلب استخدام الهاتف ؟ "

كما تناقشوا حول التوقف عند مكان ما واستخدام سيارة ، إلا أنهم صرفوا النظر عن هذه الفكرة أيضا . فلو كان هناك

حراس للحدود فإن الوصول إلى هناك بسيارة لن يكون هو الحل الأنسب والأكثر سلاسة .

هكذا قرروا مواصلة السير . وبالطبع لم يجدوا عند خط الحدود سوى لافتة صغيرة بما يتناسب مع طريق من حارتين يمر عبر أرض زراعية تقول : أنت الآن تدخل نيو هامبشاير وبينيفينو ! . لم يكن هناك صوت سوى تساقط الندى فى الغابة على الجانب الآخر من الحدود . وصوت مسموع للنسيم من آن لآخر . وربما حركة خفيفة لحيوان . توقفوا للحظات حتى يقرأوا اللافتة ومن ثم عاودوا المسير . مخلفين ماساشوسيتس وراءهم .

٩

انتهى إحساسهم بالوحدة منذ أن وصلوا إلى طريق جدول دوستى . عند لافتة تقول طريق ٣٨ وطريق مانشستر ١٩ . كان هناك بضعة أشخاص مرتحلين بالطريق ٣٨ . ولكنهم حينما تحولوا إلى الطريق ١٢٨ وهو طريق واسع ممتلئ بالحطام ويتجه شمالاً بعد نصف الساعة . وجدوا ازدياداً فى عدد المرتحلين . كانوا يرتحلون فى جماعات صغيرة تتكون من ثلاثة أو أربعة أشخاص . وما أدهش كلاى هو أنهم لم يهتموا بأحد سوى أنفسهم .

قابلوا امرأة فى الأربعين من عمرها ورجلاً ربما كان أكبر منها بعشرين عاما يدفعان عربتى تسوق . تحوى كل منهما طفلا . كان الذى بعربة الرجل ولداً . وأكبر سناً من أن يحمل فى عربة . إلا أنه استطاع أن يحشر جسده بداخلها لينام . وبينما كان كلاى ورفيقاه يمرون على هذه العائلة . انخلعت عجلة من عربة التسوق . فانقلبت على جانبها . لينزلق منها الصبى .

الذى بدا أنه فى السابعة من عمره . لحق به توم وأمسكه من كتفيه فقلل من قوة ارتطام الصبى بالأرض . إلا أنه جرح إحدى ركبتيه . وكان الصبى ملتاعاً بالطبع . رفعه توم عن الأرض . إلا أن الصبى لم يكن يعرفه . وحاول أن يفلت منه . وقد علا صوت بكائه .

فقال الرجل : " لا بأس . أشكرك . سوف أعتنى به " . تناول الصبى وجلس معه إلى جانب الطريق . حيث بذل الكثير من الجهد فى تهدئته . قبل الرجل الجرح فى ركبة الصبى . وأسند الصبى رأسه على كتف الرجل . كان فى طريقه للنوم ثانية . ابتسم الرجل لتوم وكلاى وهو يومئ برأسه . بدا مرهقا جداً . بدا أقرب إلى رجل مسن فى السبعين من عمره يحاول الفرار من معسكر نازى فى بولندا أثناء الحرب العالمية .

قال لهما : " سنكون فى خير حال . بوسعكما المضى الآن " .

هم كلاى بأن يقول كلمات من قبيل : ما المانع فى أن نرحل جميعنا معًا ؟ لماذا لا نشكل مجموعة واحدة ؟ ما رأيك يا رجل ؟ . كلمات من النوع الذى يقوله أبطال روايات الخيال العلمى التى كان يقرؤها وهو مراهق .

إلا أن المرأة سألته قبل أن ينطق بكلمة : " لماذا أنتما واقفان ؟ لماذا لا ترحلان عنا ؟ " . كانت هناك بنت فى الخامسة من عمرها نائمة فى عربتها . وقفت المرأة إلى جوار عربتها تحميها . وكأنها تخشى أن يخطف كلاى أو أحد رفيقيه شيئاً ثمينا منها . " هل تعتقدان أن لدينا ما يهمكما التحصل عليه ؟ " .

قال الرجل الذى عرفنا أن اسمه " جريجورى " فى صبر مجهد : " توقفى عن هذا . ناتالى " .

www.rewity.com ARAYAHEENA

إلا أن ناتالى لم تتوقف . وأدرك كلاى سبب هذا المنظر البائس . فلم يكن بؤس هذا الرجل نابعاً من أن هذه السيدة التى بلغ منها الإجهاد والرعب مبلغه هى التى تتولى أمر طعامه ؛ فهذا مفهوم بل ومقبول . فما حط من روحه المعنوية إلى أدنى مستوياتها هو الأسلوب الذى يسير به كل هؤلاء الناس وهم يلوحون بكشافاتهم الضوئية . ويتهامسون فيما بينهم ووسط جماعاتهم الصغيرة . وينقلون حقائبهم من يد لأخرى . اندفع أحد الشباب المستهترين بدراجته البخارية فى سرعة مناورًا بين الحطام والأشلاء ، وكان الناس ينأون بأنفسهم عن طريقه . وهم يتمتمون فى امتعاض . خطر لكلاى أنه لم يكن ليصبح هناك فارق كبير فى ردة الفعل لو أن الصبى قد سقط فاندقت عنقه بدلاً من أن تصاب ركبته . ولن يكون هناك فارق لو أن هذا الرجل ثقيل الوزن السائر هناك ، والذى يلهث على طول جانب الطريق بحقيبته الثقيلة قد سقط بصوت راعد ، أو أنه واصل المسير . فلم يكن أحد يحاول أن يسعفه . وبالطبع فإن أيام طلب عربة الإسعاف بالهاتف قد مضت .

فلم يعبأ أحدهم حتى أن يقول له لم لا تجعلها تكف عن الصياح يا سيدى ؟ فجميع الناس كانت تكتفى بالسير . السير فحسب .

أردفت السيدة ناتالى قائلة : " لأن كل ما لدينا الآن هو هذان الصبيان . وهى مسئولية لم نسع إليها ونحن لا نستطيع رعاية أنفسنا من الأصل ، إنه يتنفس من خلال منظم للقلب . فما ظنك أننا سنفعله حينما ينفد شحن بطاريته . أريد أن أعرف؟ والآن معنا هذان الصبيان! فهل تود أن تأخذ الصبى ؟ " . ثم أخذت تنظر حولها وتقول وقد علا صوتها : " هاه ! هل هناك من يود أن يأخذ هذا الصبى ؟ "

بدأت الفتاة الصغيرة تتململ فى نومها .

قال جريجورى : " ناتالى ، إنك تقلقين نوم بورتيا " .

بدأت المرأة تضحك . " تبا ... فالعالم بأكمله قلق ! " . من حولها واصل اللاجئون السير . لم يعرها أحد اهتماما ، وخطر لكلاى أن هذا قد صار سلوكا جديدا . هذه هى سلوكيات البشر حينما يفقدون كل شيء . حينما لا تكون هناك كاميرا تصور ، أو مراسل يقرأ تقريره . هذا ما يحدث حينما تختفى قوات الأمن بداعى الجنون .

فقال لها كلاى : " دعينى أحمل الصبى . سأحمله حتى تجدا شيئا مناسبا تضعانه فيه . فقد تحطمت العربة " . نظر إلى توم فهز كتفيه فى عدم ممانعة .

إلا أن ناتالى صاحت به وقد ظهر بغتة مسدس فى يدها : " ابتعد عنا " . لم يكن بالمسدس الكبير ، بل هو من عيار ٢٢ مللم فى الأغلب ، إلا أنه بالطبع يطلق الرصاص .

سمع كلاى صوت انسحاب المسدسات من أغمادها إلى جواره . وعلم أن توم وآليس يصوبان الآن المسدسات التى حملوها معهما من منزل نيكرسون إلى تلك المرأة المسماة ناتالى . ويبدو أن هذا أيضا هو جانب سبق مما صارت إليه الأمور .

فقال : " ابعدى سلاحك . فسوف نمضى الآن إلى حال سبيلنا " .

قالت وهى تزيح خصلة شعر عن جبهتها براحة يدها الأخرى : " من الأفضل أن تكون على حق " . بدا له أنها غير مدركة لكون الشاب والفتاة اللذين إلى جواره مسلحين يصوبان السلاح تجاهها . صار المارة الآن ينظرون . إلا أن ردود أفعالهم كانت بالطبع المسارعة بالبعد عن بقعة الشجار هذه .

قالت آليس فى هدوء " هيا بنا . كلاى " . وضعت يدها على معصمه وهى تضيف : " قبل أن يصاب أحدنا بطلق نارى " .

عاودوا المسير من جديد . سارت آليس ويدها على معصم كلاى . كما لو كان حبيبها . شبه كلاى الأمر بأنه أشبه بنزهة منتصف ليل قصيرة ، مع أنه لم يكن يعرف ، ولم يهتم بأن يعرف الوقت تحديدا هذه اللحظة . كان قلبه يخفق بشدة . وسار توم إلى جوارهما . وحينما وصلا إلى المنعطف التالى صار خلفهما ، وهو لا يزال يمسك بمسدسه . رأى كلاى أن توم يريد أن يبقى مستعداً لأن يطلق النار إذا ما قررت ناتالى أن تستخدم مسدسها الصغير . ففى ظل ما صارت إليه حال الدنيا الآن لم تبق سوى لغة المسدسات .

١٠

بدأوا وهم يسيرون عبر الطريق ١٠٢ بمانشستر خلال ساعات ما قبل الفجر يسمعون صوت موسيقى يأتى من على البعد .

قال توم وهو يتوقف : " تباً . إنها موسيقى فرقة الفيل الصغير " .

قالت آليس فى دهشة : " الـ ... ماذا ؟ "

" إنها فرقة كبيرة قديمة . كانت أمى تحتفظ بأسطوانات لهم " .

توقف مع توقفهم رجلان آخران . كانا عجوزين ، إلا أن صحتهما جيدة . شبههما كلاى برجلى بريد تقاعدا حديثاً . يحمل أحدهما حقيبة كبيرة الحجم ويحمل الآخر حقيبة يعلقها على كتفه . وعلى كتفه اليسرى ما بدا أنها بندقية .

مسح أحدهما العرق عن وجهه بساعده وهو يقول : " ربما كانت لدى والدتك أسطوانة قديمة يا بنى . إلا أن ما نسمعه الآن موسيقى لدون كوستا أو هنرى مانشينى . فهى الأشهر . أما هذه

التى بدأت الآن فهى ... صمت كى ينصت أكثر إلى النغم الآتى من بعيد . ثم قال : هى لحن لورانس ويلك " .

قال توم مشدوها : " لورانس ويلك " .

فقالت آليس : " ومن هذا أيضاً ؟ "

رد كلاى وهو يضحك : " استمعوا لهذه . موسيقى الفيل تلك رائعة " . كان مجهداً يشعر بخواء . وخطر له أن جونى كان ليعجب بهذه الموسيقى .

رمقه الرجل فى ازدراء . ثم عاود النظر لتوم قائلاً : " هذا بالتأكيد لحن لورانس ويلك وليس فرقة الفيل الصغير . إن بصرى قد ضعف . لكن أذنى بخير . لقد اعتدت وزوجتى على مشاهدة عرضه التلفزيونى ليلة كل سبت " .

بينما قال الرجل الآخر : " لقد أمضى " دودج " وقتاً سعيداً أيضاً " . وكانت تلك هى الإضافة الوحيدة التى أضافها للمحادثة ، ولم يجد كلاى أى معنى فى عبارته هذه .

قال توم : " لورانس ويلك وفرقة شامبين . فكر فى هذا " .

رد الرجل : " إنه لورانس ويلك مع فرقة صناع الموسيقى ... تباً " .

فقال توم : " لا تنس الأخوات لينون وآليس لون " .

على البعد تغيرت الموسيقى . فقال الرجل معلقاً : " هذه موسيقى كالكتا " . ثم تنهد وهو يضيف : " حسناً ، سوف نمضى الآن فى طريقنا . كان لطيفاً تمضية بعض وقت يومنا معكم " .

قال كلاى : " تقصد ليلكم " .

" لا . فقد صار الليل هو اليوم الفعلى لنا . ألم تلاحظوا هذا بعد ؟ استمتعوا بيومكم إذن . وأنتِ بالذات سيدتى الصغيرة " .

قالت السيدة التى تقف بين كلاى وتوم : " أشكرك " .

بدأ الرجال فى المضى فى طريقهما . ومن حولهما مر أناس تقودهم أنوار كشافاتهم إلى داخل نيو هامبشاير . ولكن الرجل ذا الحقيبة على ظهره توقف ليلقى إليهم بكلمة أخيرة :

" لا يجب أن تبقوا بالطريق لأكثر من ساعة تالية . عليكم أن تبحثوا عن منزل ، أو غرفة النزل لتتواروا بداخلها . فأنتم بالطبع تعلمون أمر الأحذية ، أليس كذلك ؟ "

سأله توم : " ماذا عن الأحذية ؟ "

نظر إليه الرجل فى صبر ، تلك النظرة التى ينظر بها الحكيم إلى معتوه . وعلى البعد حلت موسيقى من نوع البولكا محل موسيقى كالكتا . بدا الأمر جنونيا وسط هذه الليلة الضبابية . وها هو هذا الرجل يزيد الأمر جنوناً بحديث عن الأحذية .

قال : " حينما تدخلون إلى مكان فعليكم أن تتركوا أحذيتكم عند عتبته . لا تقلقوا ، فلن يأخذها المجانين ، ولكنها رسالة للطبيعيين الآخرين بأن هذا المكان مأهول ، وأن عليهم أن يبحثوا عن مكان آخر . إلا أن الأمر لا يخلو من ... " سقطت عيناه على السلاح الآلى الذى كان كلاى يحمله قبل أن يضيف : " لا يخلو من حوادث " .

سأله توم : " هل كانت هناك حوادث ؟ "

قال الرجل فى لا مبالاة وبرود : " أوه ... بالطبع . هناك دوماً حوادث . إلا أن هناك العديد من الأماكن ، لذا فمن المستبعد أن تصادفوا شيئاً من هذا القبيل . عليكم فقط أن تتركوا أحذيتكم بالخارج " .

فسألته آليس : " وكيف عرفتم بهذه المعلومة ؟ "

ابتسم لها ابتسامة غيرت من ملامح وجهه للأفضل . فقد كان من الصعب ألا يبتسم أحد فى وجه آليس؛ فهى صغيرة ، وجميلة ، حتى وهى ساهرة حتى الثالثة فجراً " إن الناس

يتحدثون ؛ وأنا أستمع لهم . وأنا أتحدث ، وبعض الأحيان يسمعنى غيرى . ألم تستمعى إلى ؟ "

قالت : " بالطبع . فقد تعلمت حكمة الإنصات " .

" عليكِ إذن أن تعرفى غيرك بهذه المعلومة . فأسوأ شيء أن يتعرض أى منا لحادث " .

تذكر كلاى منظر ناتالى وهى تصوب إليه مسدسها الصغير ، فقال له : " أنت على حق . نشكرك " .

بينما قال توم : " هذه المقطوعة هى بولكا " بيد باريل " . أليس كذلك ؟ "

" أنت على حق يا بنى . إنها لمايرون فلورين . رحمه الله . ربما رغبتم فى التوقف عند جايتين . وهى قرية صغيرة لطيفة تبعد قرابة الميلين عن هنا " .

سألته آليس : " أهى المكان الذى تقصدانه ؟ "

" أوه ... قد نذهب أنا ورولف إلى أبعد من ذلك " .

" لماذا ؟ "

" لأننا قادران على هذا ليس إلا ، سيدتى الصغيرة . طاب يومكم ؟ "

لم يجادلوه هذه المرة ، ومع أن الرجلين أقرب إلى سن السبعين ، إلا أنهما سرعان ما قطعا مسافة بعيدة ، وارتهم عن أنظارهم ، وهما يتتبعان شعاع الضوء الصادر عن الكشاف الذى يحمله رولف .

قال توم فى شرود : " لورانس ويلك وشامبين وفرقة صناع الموسيقى "

فرد كلاى ضاحكاً : " وفرقة الفيل الصغير " .

بينما تساءلت آليس : " لماذا تمتع دودج بوقت سعيد هو الآخر ؟ "

فقال توم : " لأنه قادر على هذا . ليس إلا . ثم تملكه الضحك بسبب الحيرة التى ارتسمت على وجه آليس " .

١١

كانت الموسيقى آتية من جايتين . تلك القرية الصغيرة التى نصحهم الرجل بأن يتوقفوا فيها . لم يكن الصوت صاخباً كما كان فى الحفلة الموسيقية التى حضرها كلاى مراهقاً فى بوسطن . والتى أتعبت أذنيه لأيام بعدها إلا أنه كان عاليا لدرجة تكفى لتذكيره بفرق الصيف الموسيقية التى كان يحضر عروضها مع والديه . وخطر له أنهم سيكتشفون أن مصدر الموسيقى هو الساحة العمومية ببلدة جايتين هذه . والأقرب أن من يديرها هو شخص عجوز . ليس من المجانين . بل ممن ذهبت الكارثة بعقله . فقرر أن يسرى عن هؤلاء النازحين بموسيقى هادئة يشغلها من جهاز استيريو مزود بالبطاريات .

كانت هناك بالفعل ساحة عمومية بالبلدة . إلا أنها كانت مهجورة سوى من بضعة أناس يتناولون طعامهم على وهج وأضواء الفوانيس والكشافات . كان مصدر الموسيقى إلى الشمال قليلا من الساحة . كانت الموسيقى الآن عبارة عن صوت منغم لناى .

سأل كلاى : " هل هذه موسيقى " وينتون مارساليس " ؟ . كان الإجهاد قد بلغ منه مبلغه وكذلك حال آليس .

فقال توم : " إما هو أو أنه " كينى جى " . أتعلم ماذا قال حينما استقل مصعداً ؟ "

" كلا . من المؤكد أنك ستخبرنى "

قال : " أوه ... إن هذا المكان يرتج ! "

" يالها من دعابة لم أعد أحتملها "

قالت آليس : " أما أنا فلم أفهمها " .

رد توم : " هى لا تستحق التفسير . اسمعونى يا رفاق . لابد أن نكتفى بهذا القدر الليلة . فأنا على وشك أن أنهار من التعب " .

قالت آليس : " وأنا أيضاً . لقد كنت أظن أن لياقتى البدنية جيدة لممارستى كرة القدم . إلا أننى مجهدة بالفعل " .

وافقهم كلاى قائلاً : " وأنا ثالثكم " .

كانوا قد مروا بالفعل بالحى التجارى بالبلدة . وبالشارع الرئيسى - الذى كان هو نفسه الطريق ١٠٢ . وصار يسمى بساحة الأكاديمية . لم يندهش كلاى لذلك . حيث إن تلك اللافتة عند تخوم البلدة كانت تقول بأن جايتين هى مقر أكاديمية جايتين التاريخية . وهى عبارة عن معهد سمع عنه كلاى من قبل بعض المعلومات المبهمة . ظن أنه أحد المعاهد الإعدادية . كان يعتقد أنهم سرعان ما سيجدون منطقة النزل . إلا أن هذا الجزء من طريق نيو هامبشاير ١٠٢ كان محاطاً بمنازل أنيقة الطراز . لكن المشكلة كانت هى أن أمام معظم أبواب تلك المنازل أحذية .

قل عدد المارة بعد أن أوى معظمهم إلى أماكن عدة ليقضوا بها النهار التالى . إلا أنهم وهم يمرون بالأكاديمية . ويقتربون من الأعمدة المحيطة بمدخلها . بدأوا يلحقون بثلاثة أشخاص أمامهم : كانوا رجلين وامرأة . فى أواسط العمر . بينما سار هؤلاء الثلاثة ببطء عبر الممشى . كانوا يفحصون كل منزل حتى يجدوا واحداً لم تقبع الأحذية عند بوابته الأمامية . كانت المرأة تعرج بشدة . وأحد الرجلين يربط ذراعه حول خاصرته .

كانت أكاديمية جايتين إلى يسارهم . وأدرك كلاى أنها مصدر الموسيقى التى صارت تعزف الآن تنويعا على نغمات " طر بى إلى القمر " الشهيرة . كما لاحظ أمرين . أن القمامة هنا وهى

www.rewity.com YAHEENA

مكونة من أكياس ممزقة وخضراوات وعظام وفيرة ، ومعظمها على طريق الحصباء الذى يقود إلى الأكاديمية . أما الأمر الآخر فهو أن هناك شخصين يقفان هناك . أحدهما عجوز يستند على قصبة خشبية . أما الرجل الآخر فكان صبياً يضع بين قدميه فانوساً يضاء بالبطاريات . بدا وهو يستند إلى أحد الأعمدة أنه لم يتعد الثانية عشرة من عمره بعد . كان يرتدى ما بدا أنه زى مدرسى : سروالاً رمادياً ، وسترة خفيفة رمادية ، وفوقها سترة قرمزية اللون عليها شعار المدرسة .

حينما اقترب الثلاثة السائرون أمام كلاى وصديقيه من ممشى الأكاديمية ، صاح فيهم العجوز الذى كان يرتدى سترة وقورة بصوت أكاديمى عال : هاه ... أنتم ! ألن تدخلوا ؟ يمكننا أن نوفر لكم المأوى ، والأهم ، أن علينا أن ... .

فقالت المرأة : " ليس علينا القيام بشيء ، سيدى . فبقدمى أربعة بثور ، وأنا بالكاد أستطيع أن أمشى " .

فقال العجوز : " لكن هناك العديد من الأماكن ... . " إلا أن الرجل الذى تستند المرأة إليه حدجه بنظرة صارمة ، أسكتت الرجل . مر ثلاثتهم على الممشى وبجوار الأعمدة وفوقها لافتة تقول : أكاديمية جايتين ... أسست عام ١٨٤٦ . ليس العقل الصغير سوى حمل يتخبط فى الظلام .

عاد العجوز ليستند إلى عصاه ثانيةً ، لكنه سرعان ما رأى كلاى وتوم وآليس وهم يقتربون فعاد ليعتدل . بدا أنه سيهم بمناداتهم ، إلا أنه رأى فى اللحظة الأخيرة أن أسلوبه الأكاديمى هذا لن يجدى نفعاً . فوكز رفيقه فى وسطه بعصاه كى يقوم بهذه المهمة بدلاً منه . اعتدل الصبى فى وقفته وهو ينظر إليهم نظرة غريبة ومن خلفهم حيث تقبع البنايات الحجرية فى الظلام عبر أرض مرتفعة بعض الشيء لا تزال الموسيقى الهادئة

تصدح ، وإن حلت موسيقى جديدة محل موسيقى " طر بى إلى القمر " .

قال له : " جوردان " ... إنه دورك الآن ... اطلب منهم الدخول ! "

انتبه الصبى المسمى جوردان ، وغمز للرجل قبل أن ينظر إلى الثلاثة الجدد الذين يقتربون بنظرة تمتلئ بعدم الثقة . ذكر هذا المنظر كلاى بقصص آليس فى بلاد العجائب . ربما كان مجهداً جداً ليس إلا . قال الصبى : " لن يختلفوا عن غيرهم ، سيدى . فلن يدخلوا . لن يدخل أحد . فلنحاول ليلة الغد . النعاس يغلبنى " .

علم كلاى أنهم سواءً كانوا متعبين أم لا فسوف يكتشفون ما يريده هذا العجوز ... هذا مالم يرفض توم وآليس . يعود هذا إلى أن رفيق العجوز هذا يذكره بجونى . أجل ، وكذلك لأن الصبى قد قرر مسبقاً أنهم سيرفضون الدخول إلى هذا العالم الجديد .

شجع العجوز الصبى على أن يناديهم . ووكزه بطرف عصاه ثانيةً بخفة . " أخبرهم بأن فى وسعنا أن نوفر لهم المأوى ، فلدينا العديد من الغرف ، إلا أن عليهم أن يروا أولاً . فلابد أن يرى هذا أحد . ولو رفضوا ، فسوف نتوقف عن هذا حتى الغد " .

" حسناً ، سيدى " .

ابتسم العجوز ، ليكشف عن صفين من الأسنان كبيرة الحجم . " أشكرك ، جوردان " .

توجه الصبى نحوهم بشكل آلى ، وحذاؤه مترب ، وطرف قميصه يظهر من أسفل سترته . كان يمسك بفانوسه بيد ، وصوته الهسيس يصدر منه فى ضعف . كانت الهالات السوداء تحيط بعينيه ، وشعره أشعث بحاجة شديدة للاغتسال .

سأل كلاى : " توم ؟ "

فقال توم : " لنر ماذا يريد ، فأنا أجد أن هذه هى رغبتك أيضاً ، لكن " ...

" سادتى ؟ المعذرة سادتى ؟ "

قال توم للصبى : " لحظة " ، ثم التفت إلى كلاى . كان وجهه شاحباً . ربما لم يبق سوى أقل من ساعة قبل أن تشرق الشمس . فمن الأفضل أن نصدق هذا العجوز فى كونه قادراً على توفير المأوى لنا " .

عندها قال جوردان : " أوه ... بالطبع سيدى . كان يحاول ألا يبدو متلهفاً إلا أنه فشل فى إخفاء انفعاله . هناك العديد من الأماكن . منات الغرف ، بالإضافة إلى منتجع شيتهام . لقد حضر إلى هنا " توبياس وولف " فى العام الماضى . حيث ألقى محاضرة عن كتابه المدرسة القديمة " .

قالت آليس فى اندهاش : " لقد قرأت هذا الكتاب " .

" الصبية الذين لم يمتلكوا هواتف محمولة فروا . أما من يمتلكونها فقد ... "

قالت آليس : " أنت تعلم ما حل بهم " .

" إننى أدرس بمنحة دراسية . وأعيش فى هولواى . ولم أمتلك هاتفاً محمولاً . وكنت أستخدم الهاتف العادى وسط سخرية زملائى " .

علق توم قائلاً : " يبدو لى أنك أنت من ضحك أخيراً ، جوردان " .

قال فى جدية . وكشاف كلاى المسلط إلى وجهه يعكس ما ارتسم عليه من مزيج من الاحترام والارهاق : " أجل ، سيدى . ألن تتفضلوا بالمجيء والتعرف على المدير ؟ "

ومع أنه كان متعباً جداً بدوره ، إلا أن توم تجاوب معه بأدب . وكأنهما قد أمضيا طيلة اليوم فى استجمام وهدوء : " سيكون هذا شرفاً لنا ، جوردان " .

١٢

" كنت أسميه دوماً بجهاز استدعاء الشيطان " ، هكذا بدأ كلامه " تشارلز آردای " والذى كان رئيساً لقسم اللغة الإنجليزية بأكاديمية جايتين على مدار خمس وعشرين سنة . وهو الآن يقوم بمهام رئيس الأكاديمية منذ بدء زمن النبضة . كان يسرع الخطى بشكل ملحوظ وهو يستند على عصاه . فوق الرصيف . حتى يتفادى نهر المياه الآسنة التى صارت تغطى ممشى الأكاديمية . بينما سار جوردان إلى جواره متنبهاً . وسار الثلاثة الآخرون خلفه . كان جوردان يحاذر أن يختل توازن العجوز . بينما كان كلاى قلقاً من أن يصاب الرجل بأزمة قلبية . وهو يحاول أن يتحدث بينما يصعد عبر هذا المرتفع حتى وإن كان منخفضاً نسبياً فى الوقت نفسه .

تابع العجوز كلامه وهو يلهث : " أنا لم أكن أقصد هذا المعنى حرفياً بالطبع ؛ كانت مزحة ، مبالغة كوميدية . إلا أننى للحق لم أعجب أبداً بتلك الأجهزة . وخاصة فى الوسط الأكاديمى . كان من الممكن أن أنادى بمنع استخدامها داخل الأكاديمية ، إلا أننى كنت سأقابل بالرفض بطبيعة الحال . وربما كنت سأحاول أن أنادى بإصدار تشريع يقنن استخدامه ، ولكن ما الجدوى ؟ ... لقد أهدانى أخى واحداً فى عيد ميلادى الخامس والستين . إلا أننى ما إن نفدت بطاريته ... حتى قررت ألا أعيد شحنه . إن الإشعاعات تصدر عنها . هل أنتم واعون لذلك ؟ رغم أن ذلك القدر منها ضئيل ... إلا أنه يبقى ... مصدراً إشعاعياً قريباً من رأس ... مخ الـ ... " .

عندها قال جوردان " سيدى ، من الأفضل أن تنتظر حتى نصل إلى تونى " . حافظ على اتزان آردای حينما زلت عصاه فوق ثمرة فاكهة متعفنة .

علق كلاى : " هذه فكرة جيدة " .

وافقهما الرئيس قائلاً : " بلى . لكننى أردت فقط أن أبين أننى لم أثق بها أبداً . والأمر يختلف بالنسبة لتعاملى مع الكمبيوتر . فعلاقتى معه علاقة البطة بالماء " .

تفرع الطريق عند قمة التل إلى فرعين . يقود الفرع الأيسر إلى بنايات سكن الطلبة . أما الأيمن فيؤدى إلى قاعات المحاضرات ، وهى عبارة عن مجموعة من المبانى إدارية الطابع ، يؤدى إليها طريق يمر بقوس بياضه واضح وسط الظلام . كان نهر الفضلات يمر أسفله . قادهم آردای عبر هذا الطريق ، وهو يحاذر الفضلات ما أمكنه هذا . بينما يمسك جوردان بمرفقه . كانت الموسيقى تصدح الآن بأغنية " بيتى ميدلر " رياح أسفل جناحىّ . كانت تأتى من وراء القوس . ورأى كلاى عشرات الأسطوانات مهملة بين أكياس البطاطس وعظام الدجاج . بدأ يساوره احساس سيئ تجاه ما يراه .

" أوه ، سيدى ؟ أيها الرئيس ؟ ربما كان من الأفضل أن ... "

رد الرئيس : " سوف نكون على ما يرام ... هل حدث وأنت صغير أن أدرت أسطوانة موسيقية ؟ بالطبع فعلت . لذا أقول لك إنه ليس هناك ما نقلق بشأنه طالما ظلت هذه الموسيقى تصدح . سوف نلقى نظرة سريعة ، ثم نتوجه إلى نزل شيتهام . حيث مقر رئيس الأكاديمية . وهو لا يبعد سوى مائتى ياردة عن هنا . أعدكم " .

نظر كلاى إلى توم الذى اكتفى بهز كتفيه غير ممانع ، بينما أومأت آليس برأسها .

تصادف أن جوردان كان يلتفت إليهم فى قلق ، ورأى ردود أفعالهم هذه . فقال لهم : " عليكم أن تروا هذا . فالرئيس محق بشأنه . فلن تعرفوا حتى تروا " .

سألته آليس : " نرى ماذا ، جوردان ؟ "

إلا أن جوردان نظر إليها فى صمت ، قبل أن يكتفى بقوله : " انتظرى وسترين " .

١٣

صاح كلاى : " تباً ... اللعنة " . تردد صدى الكلمات فى عقله ممزوجًا بالدهشة والرعب ، وربما بعض الغضب إلا أنها لم تخرج من فمه سوى ساخطة . ربما كان هذا لأنه حين اقترب من صوت الموسيقى صار عالياً صاخباً كتلك الحفلات ، وربما لأنه كان يشعر بالصدمة الشديدة . لقد ظن أنه ومنذ حدثت تلك النبضة وما تلاها من رحيل عن بوسطن قد أصبح مستعداً لتقبل حدوث أى شيء ، إلا أنه كان مخطئاً .

لم يخطر بباله أن يكون فى مدرسة كهذه نشاط رياضى على نطاق واسع . إلا أن المدرجات المحيطة بملعب تونى تكفى لاستيعاب ألف متفرج ، وكانت مثبتة بمشدات قوية بدأت تتأثر بالطقس الماطر خلال الأيام الماضية . كانت هناك لوحة لتسجيل النتائج فى الناحية الأخرى من الملعب تراصت فوقها أحرف كبيرة لتشكل عبارة ما . لم يتمكن كلاى من قراءتها فى الظلام ، وربما لم يكن ليمكنه ذلك حتى فى ضوء النهار . إلا أنه وجد نوراً كافياً لأن يرى أرضية الملعب ذاتها ، وكان هذا هو كل ما يهمه .

فقد كانت أرضية الملعب مكتظة عن آخرها بمجانين الهاتف . كانوا راقدين على ظهورهم كسمك سردين متراص داخل علبة معدنية ، من دون بوصة واحدة بين جسد وآخر . كانت وجوههم تحدق فى سماء ما قبل الفجر المظلمة .

صاح توم : " أوه ... يا ربى . كان صوته مكتوماً وهو يضع قبضته على فمه " .

صاح الرئيس : " الحق بالفتاة ... فسوف يغمى عليها ! " .

ردت آليس : " كلا . . أنا بخير " . إلا أنها سرعان ما ارتمت على كلاى حينما أحاط جسدها بذراعه ، وهى تتنفس فى قوة . كانت عيناها متسعتين بنظرة ثابتة مخدرة .

قال جوردان : " إنهم أسفل المدرجات أيضا " . كان يتحدث بهدوء مدروس لم يصدقه كلاى . فقد بدا كصبى يحاول أن يطمئن زملاءه بأنه لم يرتعب من رؤية الدود المتراقص داخل عينى قط ميت . .. قبل أن يفرغ ما فى جوفه مباشرة . " أعتقد أنا والرئيس أن هذا هو المكان الذى يبقون فيه المصابين الذين لا أمل فى تحسن حالتهم " .

" عليك أن تقول الرئيس وأنا . جوردان "

" عذرا . سيدى "

كانت الأغنيات تتوالى . وسمعوا موسيقى الفيل الصغير ثانية . فتذكر كلاى الرجلين اللذين مر بهما .

سأل كلاى الرئيس آردای : " كم عدد أجهزة الاستيريو التى وضعوها هنا جنبا لجنب ؟ ... وكيف تمكنوا من توصيلها ببعضها البعض ؟ إنهم بلا عقل ... زومبى ! " . خطر له خاطر مفزع ، يجمع بين اللا منطقية والإقناع فى الوقت ذاته . فقال : " هل قمت أنت بذلك كى تبقيهم هادئين . أم ... لا أدرى ماذا أقول ... " .

قالت آليس : " ليس هو من فعلها " . كانت تتحدث بهدوء وهى فى حضن كلاى .

فقال الرئيس : " كلا . كما أن افتراضكما خاطئ " .

" لكننى لم ... " .

علق توم مشدوهاً : " لابد أنهم شغوفون بالموسيقى ، لأنهم لا يحبون دخول البنايات . لكن هذه البنايات (التى دخلوها) هى التى تحوى أسطوانات الأغانى ، أليس كذلك ؟ "

فقال كلاى : " وكذلك أجهزة تشغيلها " .

" لا وقت لدىَّ للشرح الآن . فقد بدأ نور الصباح يتسلل إلى السماء ، و ... أخبرهم أنت جوردان " .

قال جوردان بنبرة من يردد شيئاً يحفظه من دون أن يفهمه : " على مصاصى الدماء أن يتواروا عن الأنظار قبل صياح الديك ، سيدى " .

" هذا صحيح ، قبل صياح الديك . أما الآن فعليكم بأن تنظروا فقط . هذا كل ما يتوجب عليكم القيام به . إنكم لم تتخيلوا وجود أماكن كهذه ، أليس كذلك ؟ "

رد كلاى : " بل لقد توقعت آليس هذا " .

تأملوا المنظر . ولأن الليل قد بدأ ينجلى فقد تبين كلاى أن أعين كل هؤلاء مفتوحة . إلا أنه كان متأكداً من أنهم لا يرون شيئاً ؛ بل هى ... مفتوحة فقط .

خطر له أن هناك أمرًا ما سيئًا يجرى هنا . وأن ظاهرة السرب تلك لم تكن سوى البداية .

كان النظر إلى الأجساد المتراصة والأوجه الخاوية (ومعظمهم من البيض ، فنحن هنا فى نيو إنجلاند) مؤلماً ، إلا أن الأعين الشاردة التى تتطلع إلى سماء الليل بعثت فى نفسه رعباً لا سبب له . سمعوا من مسافة ليست بالبعيدة زقزقة أول عصافير الصباح . لم يكن غراباً ، إلا أن جسد الرئيس بدأ يفقد توازنه ، وكان توم هو من أسنده هذه المرة .

قال لهم : " هيا بنا . المسافة قصيرة حتى نصل إلى شيتهام . إلا أن علينا أن نتوجه إليها الآن . كما أن الندى يؤذينى الآن بأشد من ذى قبل . أمسك بمرفقى ، جوردان " .

www.rewity.com ARAYAHEENA

ابتعدت آليس عن أحضان كلاى وسارت إلى جوار العجوز . ابتسم لها وهو يهز رأسه قائلاً : " بوسع جوردان أن يعتنى بى . نحن نعتنى ببعضنا البعض الآن ... أليس كذلك ، جوردان ؟ "

" بلى ، سيدى " .

سأل توم فى تعجب : " جوردان ؟ . كانوا يقتربون من بناية كبيرة بنيت على الطراز التودورى خمن كلاى أنها التى تحوى نزل شيتهام .

رد عليه جوردان قائلاً : " سيدى ؟ "

تلك اللافتة فوق لوحة النتائج ... لم أستطع أن أقرأها . فماذا كان مكتوبًا عليها ؟ "

" مرحباً بكم . فريق ألومنى فى مباريات عطلة هذا الأسبوع " . ابتسم جوردان ، ثم تذكر أنه لن تكون هناك أية مباريات لبقية هذا العام على الأقل كما أن مشدات المدرجات بدأت تبلى . وعندها فارقت البهجة وجهه . ولولا أن التعب قد بلغ منه مبلغه ، لكان قد نجح فى الاحتفاظ برباطة جأشه وهم فى طريقهم إلى النزل قبل أن يطلع الفجر ، إلا أن الأوان كان قد فات ، فلم يستطع آخر طلاب أكاديمية جايتين أن يمنع نفسه من البكاء بحرارة .

١٤

قال كلاى : " كان هذا رائعاً ، سيدى " . وجد أنه قد اعتاد على نفس أسلوب حديث جوردان إلى سيده . وكذلك صار حال توم وآليس . " نشكرك " .

قالت آليس : " أجل . شكراً . فلم أتناول من قبل قطعتى هامبرجر فى نفس الوجبة كما أنها لم تكن بمثل هذا الحجم " .

كانت الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالى . وكانوا يجلسون فى القسم الخلفى من النزل . وقد أعد لهم تشارلز آرادى الرئيس كما يسميه جوردان قطع الهامبرجر المشوية فوق شواية غاز صغيرة . قال بأن اللحم سليم وآمن لأن المولد الذى يشغل ثلاجة الكافتيريا بقى دائراً حتى ظهر الأمس وكانت اللحوم التى جلبوها منها مجمدة بالفعل . قال أيضاً إن شوى اللحم سوف يكون صحياً حتى الخامسة .

سأله كلاى : " ألن يشموا رائحة الشواء ؟ "

رد الرئيس : " لنقل بأننا غير راغبين فى أن نكتشف هذا . أليس كذلك ، جوردان ؟ "

قال جوردان وهو يتناول قضمة من قطعة اللحم الثانية : " بالطبع ، سيدى " . كان يأكل فى تمهل ، إلا أن كلاى تصور أنه قد نجح فى مهمته ويجب أن نكون بالداخل حينما يستيقظون . وبالداخل حينما يعودون من البلدة . فهم لا يذهبون سوى إلى البلدة . إنهم يأتون على كل شيء فيها ، كطيور حطت على حقل حبوب . هذا ما وصفهم به الرئيس .

قالت آليس : " لقد كانوا يحتشدون للعودة فى وقت مبكر حينما كنا فى مالدين . إلا أننا لم نكن نعلم شيئاً عن مكان تجمعهم . رأت صينية عليها أطباق البودينج فقالت : " هل يمكننى أن أتناول واحدة من هذه ؟ "

قرب الرئيس الصينية إليها وهو يقول : " أجل ... بالطبع . وها هى قطعة هامبرجر أخرى لكِ ، لو أحببت . فما لن نأكله يفسد " .

إلا أن آليس اكتفت بطبق البودينج ، وكذلك فعل توم .

قال آردای متأملاً فى كلماته : " يبدو لى أنهم يغادرون فى الوقت نفسه كل صباح ، إلا أن سلوك احتشادهم وعودتهم إلى مكان بعينه لم يبدأ سوى لاحقاً ... فما هو سبب ذلك ؟ "

سألته آليس : " هل يقومون بجمع شتاتهم ؟ "

" ربما ... " . قضم قضمة أخيرة من قطعة الهامبرجر ، ثم غطى ما تبقى بمنديل ورقى فى عناية : " فهناك العديد من الأسراب كما تعلمون . ربما يصل عددها إلى العشرات فى مساحة قطرها خمسون ميلا . وقد علمنا ممن رحلوا نحو الجنوب أن هناك أسرابًا فى سانداون وفريمونت وكانديا . يتحركون على غير هدى طيلة النهار ، بحثا عن الموسيقى وكذلك الطعام ، ومن ثم يعودون من حيث أتوا " .

قال توم : " وأنت أعلم بمثل هذه الأماكن بالتحديد " . أنهى طبقه ومد يده ليتناول آخر .

إلا أن آردای هز رأسه نفياً وهو يقول : " لا شيء مؤكد ، سيد ماكورت " . لاحظ كلای أن شعره الأشيب مصفف كنموذج لما يجب أن يكون عليه شعر أستاذ فى اللغة الإنجليزية . كان الغمام قد تبدد . ومكنهم موضعهم من الإطلال بشكل جيد على أنحاء الأكاديمية ، التى كانت مهجورة حتى الآن . كان جوردان يقوم بجولات فى أنحاء النزل بين الحين والآخر حتى يطمئن على أمان المكان بالخارج : " ألم تروا أيا من هذه الأماكن فى موضع آخر ؟ "

قال توم : " كلا " .

إلا أن كلای ذكره قائلاً : " لكننا نرتحل فى الظلام ، وقد صار الظلام هذه الأيام ظلاماً فعلياً " .

وافقه الرئيس على كلامه . وقال بصوت حالم : " تماماً كما فى العصور المظلمة التى كانت فى مادة الترجمة يا جوردان " .

قال كلای : " حتى الأسراب الكبيرة منهم يمكن ألا نراها . وهم لا يهتمون بأن يكونوا مختبئين أم لا " .

وافقه الرئيس وقال وهو يطرقع أصابعه : " إنهم بالفعل لا يختبئون . ليس بعد على الأقل . بل يحتشدون فى أسراب ... .

ويمكن أن تضعف عقليتهم الجمعية هذه أثناء احتشادهم ... وتقل تدريجياً مع مرور كل يوم " .

قال جوردان بغتة : " لقد احترقت مانشستر عن آخرها . كان يمكننا أن نرى النيران من هنا ، أليس كذلك يا سيدى ؟ "

قال الرئيس : " أجل ... لقد كان هذا مؤلماً ومخيفاً " .

سألهم جوردان : " أصحيح أنهم يطلقون النيران على كل من يحاول الدخول إلى مانشستر ؟ ... هذا ما سمعته من الناس . يقولون بأن عليك الذهاب إلى فيرمونت فقط إذا كنت تريد مكاناً آمناً " .

قال كلای : " هذا كذب . لقد سمعنا الشيء نفسه عن حدود نيو هامبشاير " .

رمقه جوردان للحظات ، ثم أخذ يضحك . كانت ضحكته جميلة نقية وسط الجو الساكن . ثم سمعوا صوت عيار نارى ينطلق من مسافة بعيدة . وعلى القرب سمعوا صوت شخص يصيح إما غضباً أو رعباً .

فتوقف جوردان عن الضحك .

قالت آليس فى هدوء : " خبرنا عن تلك الحالة العجيبة التى كانوا عليها ليلة أمس . . والموسيقى . . هل يستمعون جميعهم إلى الموسيقى ليلاً ؟ "

نظر الرئيس إلى جوردان فى صمت .

فقال الصبى : " بلى . وكلها موسيقى هادئة ، فليست هناك موسيقى روك أو موسيقى الغرب ... " .

أضاف الرئيس : " ومن المؤكد أنهم لا يستمعون إلى الموسيقى الكلاسيكية كذلك . ليس على أى مستوى " .

قال جوردان : " يعتقد الرئيس وأنا أنهم يجدون تسليتهم فى هذا " .

www.rewity.com ARAYAHEENA

وافقه الرئيس قائلاً : " هذا ما نعتقده . رغم أننى أشك فى أن هناك مغزى أكبر من ذلك . أكبر من ذلك بكثير " .

انتابت الحيرة كلاى . لم يكن يدرى الخطوة التالية المناسبة . فنظر إلى رفيقيه ورأى على وجهيهما ما يدور فى عقله . ليست الحيرة فقط ، بل تردد مخيف خشية أن يعرفوا المزيد .

قال الرئيس وهو يميل بجذعه إلى الأمام : " هلا صارحتكم القول ؟ بل لابد أن أكون صريحاً معكم ؛ ومن عادتى الصراحة مع الغير . فأنا أريد منكم أن تساعدونا على القيام بشيء مفزع هنا . والوقت المتاح أمامنا قصير . ومع أن هذه العملية قد لا تأتى بشيء ، إلا أننا لا ندرى ما الذى يمكن أن تأتى به . فنحن لا نعرف شيئاً عن طبيعة التواصل بين تلك ... تلك الأشياء . .. الذين لم يسرقوا منى المدرسة فقط ، بل وضوء النهار ذاته . ربما كنت سأقوم بهذا وحدى ، إلا أننى عجوز كما أن جوردان صبى صغير . صغير جدا . فأياً كان ما هم عليه الآن ، إلا أنهم كانوا بشرا منذ فترة ليست بالطويلة . ولن أسمح بأن يكون هذا الصغير جزءا من هذه العملية " .

قال جوردان : " بل يمكن أن يكون لى دور ، سيدى " . ذكرت كلماته كلاى بالمراهق الانتحارى .

رد الرئيس عليه بقوله : " أحيى فيك شجاعتك ، جوردان ، إلا أننى أرفض مشاركتك " . كان ينظر إلى الصبى فى حنو ، ولكنه سرعان ما تحول إلى صرامة حينما حول ناظريه إليهم . معكم أسلحة جيدة وليس معى سوى بندقية قديمة الطراز ربما تكون قد تعطلت من الأصل . وحتى لو كانت تعمل ، فإن الذخيرة التى لدى قد فسدت . إلا أن لدينا مضخة بنزين بمحطتنا الصغيرة ، ويمكن لتلك الكمية أن تسهم فى إنهاء حياتهم .

من المؤكد أنه قد رأى الرعب يرتسم على محياهم ، لأنه أطرق برأسه . صار كلاى يرى فيه ذلك العجوز البيوريتانى الذى يراه فى اللوحات الزيتية . من النوع الذى يمكنه أن يحكم على شخص بالإعدام حرقاً دون أن يطرف له رمش .

أومأ برأسه إلى كلاى على وجه الخصوص . كان كلاى متأكداً من هذا : " إننى أدرى ما أقوله . وأعلم وقع ما قلته عليكم . إلا أن هذه ليست جريمة قتل فى الواقع . بل هى عملية تطهير . وليست لى سلطة عليكم . ولكن على أية حال ... سواءً ساعدتمونى فى حرقهم أم لم تساعدونى ، فإن عليكم أن توصلوا رسالة " .

سألت آليس فى خوف : " لمن ؟ "

" لكل من تلتقونه ، آنسة ماكسويل " . مال ناحية ما تبقى من طعامهم ، وعيناه الصغيرتان تلمعان فى حدة : " لابد أن تخبروا الناس بما يحدث لهؤلاء ممن سمعوا رسالة الجحيم عبر أجهزتهم الشيطانية . لابد أن تعرفوا كل من فقد نهاره ، قبل أن يفوت الأوان " . وضع يده على أسفل وجهه ، ولاحظ كلاى أن أصابعه ترتجف قليلا . سيكون من السهل أن يعد هذا علامة على كبر سن الرجل ، إلا أنه لم يلحظ ذلك عليه من قبل . " ونحن نخشى من أنه سرعان ما سيفوت . أليس كذلك ، جوردان ؟ "

" أجل سيدى " . أدرك جوردان أنه يعلم شيئاً ما ؛ فبدا خائفاً .

فسأل كلاى : " ماذا ؟ ما الذى يحدث لهم ؟ ألهذا الأمر علاقة بالموسيقى ، وتلك الأجهزة الموصولة ببعضها البعض ؟ "

قال الرئيس وقد بدا عليه التعب فجأة : " إنها ليست موصولة ببعضها . ألا تتذكر بأنى قد قلت لك بأن فرضياتك هذه خاطئة ؟ "

" بلى . إلا أننى لا أفهم ما ... " .

" هى منظومة صوتية واحدة بها أسطوانة موسيقى ، وهذا وحده ما ينطبق مع تصورك . إنها أسطوانة تشتمل على مجموعة كبيرة من الأغانى والموسيقى . وهذا هو السبب فى أنها تعود لتلعب من جديد " .

تمتم توم قائلا : " يا لنا من محظوظين " . سمعه كلاى بالكاد . كان يحاول أن يتبين معنى ما قاله آردای للتو ، وخاصة قوله بأنها ليست موصولة ببعضها البعض . فكيف يمكن هذا ؟ هذا محال .

" إن أجهزة الاستيريو هذه موضوعة بالكامل حول الملعب ، وجميعها فى وضعية التشغيل . ويمكنك أن ترى مصابيح التشغيل الحمراء أثناء الليل ... " .

فقالت آليس : " بالفعل . لقد لاحظت بعض المصابيح الحمراء ، إلا أننى لم أفهم شيئاً وقتها " .

" ... لكن ليس بها أى شيء ، لا أسطوانات مدمجة أو أشرطة كاسيت ، ولا توجد أسلاك تصلها ببعضها البعض . فهى مجرد مشغل للأسطوانة الصوتية الرئيسية " .

عندها قال جوردان : " ولو كانت أفواههم مفتوحة فإن الموسيقى تصدر منها كذلك . هى ليست سوى همس ، إلا أن من الممكن سماعه " .

فقال له كلاى : " كلا ... هذا لا يحدث سوى فى خيالك ، أيها الصبى . من المحتم أنه كذلك " .

قال آردای : " أنا لم أسمع هذا بنفسى ، إلا أن سمعى لم يعد بتلك القوة التى كان عليها حينما كنت شاباً " .

علق جوردان قائلاً : " أنت من مدرسة قديمة جداً ، سيدى " . وقد تكلم بجدية لطيفة ومودّة واضحة .

وافقه الرئيس : " أجل ، جوردان ، بالفعل " . ربت على كتف الصبى ، ثم التفت إلى الآخرين قائلا : " لو أن جوردان قال إنه سمع شيئاً فقد سمع شيئاً بالفعل ... إننى أصدقه " .

قال كلاى : " هذا غير ممكن . ليس من دون جهاز إرسال " .

رد الرئيس : " إنهم هم جهاز الإرسال . إنها مهارة يبدو أنهم قد اكتسبوها منذ النبضة " .

قال توم : " تمهل " . رفع يده كشرطى مرور ، ثم خفضها ، وتحدث ، ثم رفعها ثانية . راقبه جوردان باهتمام من مكانه حيث يقف إلى جوار الرئيس آردای . وفى النهاية قال توم : " هل نتحدث الآن عن فكرة التيليباثى أو التخاطب الفكرى ؟ "

قال الرئيس : " أعتقد أن هذا هو تحديداً المصطلح المناسب لهذه الظاهرة ، ولكن ما الذى يدعونا إلى الوقوف عند الفنيات ؟ ومع هذا فإنى أراهن بكل ما فى هذه الثلاجة من هامبرجر أنكم قد تناقشتم من قبل حول هذا الأمر " .

قال كلاى : " لقد فزت برهانك إذن " .

فرد توم : " أجل . إلا أن ارتباط هذا بهؤلاء أمر مختلف " .

رفع الرئيس حاجبيه قائلا : " لماذا ؟ "

" لأن ... " ، لم يجد توم كلمات يكمل بها تعليله ، وكان كلاى يعلم السبب . فالسبب هو أنه لم يكن هناك اختلاف . حيث إن التجمع فى أسراب ليس بالسلوك البشرى ، وقد عرفوا بهذا منذ اللحظة التى رأوا فيها جورج الميكانيكى وهو يتبع تلك المرأة داخل حديقة منزل توم . كان يسير على مقربة شديدة منها تسمح له بأن يغرس أسنانه فى رقبتها ... إلا أنه لم يفعل . والسبب ؟ السبب هو أن مرحلة التعدى على الغير من

مجانين الهاتف قد انتهت ، لتحل محلها مرحلة التجمع فى أسراب .

توقفوا عن قتل بعضهم البعض على الأقل . ما لم ....

" يا أستاذ آردای لقد كانوا فى البداية يقتلون الجميع ... " .

وافقه الرئيس قائلاً : " بالفعل . وكنا محظوظين بأن أفلتنا من هذا . أليس كذلك جوردان ؟ "

ارتجف جسد جوردان وهو يومئ برأسه موافقاً : " كان الصبية يفرون إلى كل مكان . وحتى الأساتذة . يقتلون ... يعضون ... يهذون بكلمات غير مفهومة ... وقد اختبأت فى إحدى الصوبات الزراعية لفترة من الوقت " .

وأضاف الرئيس : " بينما اختبأت أنا فى صنَدرة هذه البناية . كنت أراقب ما يحدث عبر النافذة الصغيرة ، بينما تحول كل شيء إلى جحيم بمعنى الكلمة " .

قال جوردان : " معظم من أفلتوا من الموت فروا إلى وسط المدينة . والآن يعود كثير منهم . هناك " . كان يشير برأسه تجاه ملعب الكرة .

سألهما كلای : " إلى ماذا يقودنا كل هذا ؟ "

" أعتقد أنك تعلم الإجابة ، سيد ريدل " .

" نادني بكلای " .

" حسناً ، كلای . أعتقد أن ما يحدث الآن يتعدى كونه فوضى مؤقتة . بل هى بداية حرب . ستكون حرباً قصيرة لكنها الشر بعينه " .

" ألا تعتقد أنك تبالغ فى ... " .

" كلا . ومع أننى أعتمد فقط على ملاحظات تخصنى ، وتخص جوردان إلا أن أمامنا سربًا كبيرًا منهم قمنا بملاحظته ، ورأيناهم حال حركتهم بل ووقت راحتهم ، إن صح القول . فلقد

توقفوا عن قتل بعضهم البعض . إلا أنهم يواصلون قتل البشر الطبيعيين . وأنا لا أجد فى هذا سوى سلوك حربى " .

سأله توم : " أشاهدتهم بعينيك وهم يقتلون الطبيعيين ؟ " وإلى جواره فتحت آليس حقيبتها ، وأخرجت الحذاء الصغير ، لتقبض عليه بيدها .

نظر الرئيس إليه فى حزم وهو يقول : " لقد حدث هذا . وآسف لكون جوردان قد شاهد ذلك أيضاً " .

قال جوردان بعينين دامعتين : " لم يمكننا تفادى هذا . فقد كان هناك الكثير منهم . وكان الضحية رجلاً وامرأة . أنا لا أعلم ما الذى كانا يفعلانه داخل الأكاديمية قبل أن يحل الظلام . إلا أنهما بالطبع لم يكونا يعلمان بأمر ملعب تونى هذا . كانت قد أصيبت . وكان هو يساعدها . صادفا حوالى العشرين منهم وهم فى طريق عودتهم إلى البلدة . فحاول الرجل أن يحملها " . بدأ صوت جوردان يتهدج وهو يضيف : " كان يمكنه أن يفلت منهم ، إلا أن حمله لتلك المرأة ... لم يستطع سوى أن يصل إلى قاعة هورتون . وهو تابع لمساكن الطلبة . حيث سقط أرضاً فنالوا منه . و ... " .

لم يستطع جوردان أن يكمل حكايته فدفن وجهه فى صدر العجوز . ربتت يد الرئيس الكبيرة على رقبة جوردان الصغيرة .

قال الرئيس متأملاً : " كان من الواضح أنهم يعرفون عدوهم . ربما كان هذا جزءاً من الرسالة الأصلية . ألا تتفقون معى فى هذا ؟ "

قال كلای : " ربما " . لم يكن معنى كلامه يبعث على الارتياح .

" أما بالنسبة لما يفعلونه ليلاً وهم راقدون هناك مفتوحو الأعين ، يستمعون إلى موسيقاهم... " . تنهد الرئيس ، وتناول

www.rewity.com ARAYAHEENA

منديلاً من جيب معطفه ، ومسح به عينى الصبى . تبين لكلاى أنه شديد الخوف وشديد التيقن من الاستنتاج الذى توصل إليه . فقال : " أعتقد أنهم يقومون بإعادة برمجة " .

١٥

قال الرئيس بصوت أكاديمى : " لقد لاحظتم المصابيح الحمراء ، أليس كذلك ؟ ولقد أحصيت ستين منها على الأ ... " .

بادر توم منبهاً : " صهٍ " . لكنه فعل كل شيء سوى أن يضع يده على فم العجوز .

نظر الرئيس إليه فى هدوء : " هل نسيت ما قلت لك فى الليلة الماضية عن الكراسى الموسيقية ، توم ؟ "

كان توم وكلاى وآردای يقفون خلف الأبواب الدوارة . وخلفهم القوس المفضى إلى ملعب تونى . بينما بقيت آليس فى نزل شيتهام مع جوردان بعد اتفاق بينهم . كانت الموسيقى التى تصدح من عند الملعب موسيقى جاز وتنويعة على أغنية " تلك الفتاة من إيبانيما " . رأى كلاى أن هذه الموسيقى تناسب جداً مجانين الهاتف .

قال توم : " كلا . فطالما لم تتوقف الموسيقى فليس هناك ما نقلق من أجله . إلا أننى لا أريد أن أكون ضحية لمجنون ظل مستيقظاً استثناءً للقاعدة " .

" لن يحدث هذا " .

سأله توم : " وما الذى يجعلك واثقاً هكذا ؟ "

" لأن هذا الذى هم فيه لا يمكن أن يسمى نوماً . هيا بنا " .

هبط العلية الخرسانية التى كان اللاعبون يمرون عليها نحو الملعب ، ورأى أن توم وكلاى مترددان ، فنظر إليهما وهو يقول

فى صبر : " المعرفة الحقة لا تنال إلا بالمخاطرة ، واننا فى حاجة إلى الكثير من المعرفة أليس كذلك ؟ هيا " .

تتبعا مسارٍ عصاه أسفل العلية نحو الملعب ، وكان كلاى يسبق توم قليلا . أمكنه أن يرى المصابيح الكهربائية الحمراء لأجهزة الاستيريو التى تحيط الملعب . كان عددها ما بين الستين أو السبعين . أنظمة صوتية بحجم جيد بين كل منها عشر أو خمس عشرة قدماً . وكل واحد منها محاط بالأجساد . كان منظر الأجسام تحت ضوء النجوم تجفل له العين . لم يكونوا متكدّسين ، فلكل منهم حيزه الخاص لكن لا توجد أيةٍ بوصة مهدرة . حتى الأذرع متشابكة ، فكان الانطباع هو أنهم عبارة عن دمى تغطى أرض الملعب ، كتفاً لكتف ، بينما لاحظ كلاى أن الموسيقى التى تصدح الآن أشبه بتلك التى يمكن للمرء أن يسمعها فى المتجر . كان المكان معبقاً برائحة الخضراوات العفنة ، مع رائحة أثخن من النفايات والعفن البشرى أسفلهم .

تلاشى الرئيس مرمى الملعب الذى نحوه جانبا ، وقلبوه بعد أن مزقوا شباكه . يرقد عند بداية هذه البركة البشرية شاب فى حوالى الثلاثين من عمره وقد بدت على ذراعه آثار العض . بدت أماكن العضات ملوثة . بيده قبعة حمراء ذكرت كلاى بذلك الحذاء الصغير فى يد آليس . حدّق بشرود فى النجوم بينما عادت أغنية " بيتى ميدلر " من جديد .

صاح الرئيس بصوته الثاقب : " مرحبا ! " . وكز الشاب بسرعة فى منتصف جسده بطرف عصاه ، وأخذ يوكزه حتى صدرت ريح من مؤخرة الشاب . قلت لك مرحبا !

صاح به توم صيحة مكتومة : " توقف عن هذا ! " .

نظر الرئيس إليه نظرة ازدراء ، ثم أعمل طرف عصاه فى القبعة فطارت مسافة عشر أقدام قبل أن تستقر على وجه امرأة متوسطة العمر . راقبها كلاى مندهشا ، وهى تنزاح قليلا عن

وجهها لتكشف عن عين شاردة لا ترمش . عاد الشاب بحركة بطيئة مغيبة ليقبض أصابع يده من جديد .

همس كلاى منبهراً : " إنه يعتقد أنه قد عاد للإمساك بها من جديد " .

رد الرئيس بلا مبالاة : " ربما " . وكز طرف عصاه فى أحد أماكن عضات ذراع الشاب . من المفترض أن يكون هذا شديد الإيلام ، إلا أن الشاب لم يبد أية ردة فعل . وبقى محدقاً فى السماء وسط أغنية دين مارتن التى حلت محل الأغنية قبلها . " بوسعى أن أدخل العصا فى حلقه ولن يحاول حتى أن يمنعنى ، ولن يقوم هؤلاء من حوله ليدافعوا عنه ، ومع هذا فلو كنا نهاراً لكانوا قد مزقوا جسدى إرباً " .

كان توم جالساً القرفصاء إلى جوار أحد الأجهزة . قال : " هذا الجهاز به بطاريات . بوسعى إدراك ذلك بسبب ثقل الجهاز " .

قال الرئيس : " أجل . بها جميعاً بطاريات . يبدو أنهم بحاجة دوماً إلى توفير البطاريات " . ثم سكت لحظات ، قبل أن يضيف تعليقاً رآه كلاى عديم الأهمية : " حتى الآن على الأقل " .

قال كلاى : " بوسعنا أن نبدأ من فورنا ، ما المانع ؟ بوسعنا محوهم من الوجود فى أسرع وقت ، وبنفس الطريقة التى كان الصيادون يتخلصون بها من الحمام الزاجل فى القرن التاسع عشر " .

أومأ الرئيس برأسه : " كانوا يفجرون رؤوسها بمجرد أن تحط على الأرض ، أليس كذلك ؟ مقارنة طريفة بالفعل . إلا أن هذا لن يتحقق بسرعة لا بعصاى ولا حتى بمسدسك الآلى هذا " .

" على أية حال فليس معى عدد كافٍ من الرصاصات . ولابد أنهم ... " . مسح كلاى المنطقة بعينيه قبل أن يقول : " يفوقون

الستمائة أو السبعمائة شخص . هذا مع عدم حساب من هم أسفل المدرجات " .

هنا قال توم : " سيدى ؟ سيد آردای ؟ متى ... أقصد كيف ... ؟ "

" تقصد كيف أمكن لى تحديد مدى عمق غيابهم هذا عن الوعى ؟ هل هذا ما قصدته ؟ "

أومأ توم برأسه بالإيجاب .

" لقد أتيت أول ليلة إلى هنا لأراقبهم . كان عددهم أقل من هذا بكثير طبعاً . كان دافعى هو الفضول . ولم يكن جوردان معى . فلم يكن قد اعتاد بعد على أن يقلب يومه " .

فقال كلاى : " تعلم أنك قد خاطرت بحياتك " .

" لم يكن أمامى العديد من الخيارات . كنت كالمنوم مغناطيسياً . وسرعان ما استوعبت حقيقة أنهم فاقدو الوعى حتى وأعينهم مفتوحة . وقد تأكدت من هذا بعصاى " .

خطر لكلاى أن يسأله عما إذا كان قد وضع فى اعتباره هذا العرج فى ساقه . عما كان ليحدث له لو كان مخطئاً حينها . إلا أنه فضل الصمت . فقد كان الرئيس سيكرر حينها نفس كلامه السابق عن أن المعرفة الحقة هى نتاج المخاطرة . لقد كان جوردان محقاً ـ فهو من المدرسة القديمة بالفعل . وبالتأكيد فلم يكن كلاى ليرغب فى المجيء إلى هنا لو كان فى مثل سن ذلك الصبى .

كان الرئيس يقول فى هذه الأثناء : " إن الستمائة أو السبعمائة التى تتحدث عنها تقدير متدن للغاية . كلاى . فهذا ملعب كرة قدم قانونى . أى أن مساحته ستة آلاف ياردة مربعة " .

" فكم عددهم إذن ؟ "

" بهذه الطريقة التى يرقدون بها ؟ أقول بأنهم لن يقلوا عن الألف " .

" وهل أنت متأكد من أنهم مغيبون عن الوعى تماماً ؟ "

" بالتأكيد . يمكنك أن تثق بكلمتى وكلمة جوردان ، فقد جاءت بعد ملاحظة طويلة " .

سأل توم : " هل بوسعنا العودة إلى النزل الآن ؟ " . كان يبدو متعبًا .

قال الرئيس : " بالطبع " .

إلا أن كلاى قال : " انتظرا لحظة " . مال إلى جوار الشاب الراقد . لم يكن يود أن يفعل هذا فلم يكن يستطيع أن يبعد تفكيره عن أن اليد التى عادت لتتكور ثانيةً لن تكون هى اليد التى تمسك به إلا أنه صمم أن يفعله . كانت الرائحة أسوأ كلما اقترب من أرضية المكان . كان قد اعتقد أنه قد ألف هذه الرائحة إلا أنه كان مخطئاً .

قال توم : " كلاى ، ما الذى تحاول أن ... " .

" اصمت " . مال كلاى نحو فم الشاب الذى كان مفتوحاً جزئياً . تردد إلا أنه سرعان ما اقترب منه ، حتى أمكنه أن يرى بصقة تراكمت على شفة الشاب السفلى . ظن فى البداية أن خياله يلعب دوره الآن ، إلا أنه حينما اقترب لبوصتين أخريين أدرك أنه أبعد ما يكون عن الخيال .

تذكر قول جوردان بأنه صوت ضعيف ، أشبه بالهمس ... إلا أن بوسعك سماعه .

سمع كلاى الصوت ، والذى كان يسبق بكلمتين أو أكثر كلمات الأغنية التى تصدح من الأجهزة . كانت أغنية لدين مارتن .

نهض ، وهو يكاد يئن من صوت عظام ركبتيه الواهنتين . رفع توم الفانوس وهو ينظر إليه بعينين تحاولان أن تفهما . " ماذا ؟ ماذا ؟ لا تقل لى إن الصبى كان ... " .

" هيا بنا لنعود أدراجنا " .

فى منتصف طريق العودة أمسك بكتفى الرئيس فى قوة . ومع أن آردای قد التفت ليواجهه ، وهو فى هدوء لم يعكره هذا التصرف .

" أنت على حق ، سيدى . فعلينا أن نتخلص منهم . نتخلص من أكبر عدد ممكن ، وفى أسرع وقت ممكن . ربما كانت هذه هى فرصتنا الوحيدة . أم أنك ترانى مخطئاً ؟ "

رد الرئيس : " كلا . من المؤسف أننى لا يمكن أن أجدك مخطئاً فهى الحرب كما قلت لكم أو كما أعتقد أنا ، والمرء فى الحرب يقتل عدوه . لماذا لا نعود فنتناقش حول هذا الأمر ؟ بوسعنا أن نتناول الشيكولاته الساخنة هناك . كما أننى أتوق إلى تناول بعض البوربون " .

ألقى كلاى نظرة أخيرة على الملعب بعد أن وصل إلى أعلى العلية . كان الملعب معتماً ، إلا أنه لم يكن معتماً جداً تحت أضواء النجوم . خطر له أن المرء لا يدرى حقيقة ما ينظر إليه إن كان رؤيته هذه من قبيل المصادفة ، أما حينما ... حينما ... .

خيل إليه للحظات أن عينيه تتلاعبان به ، وأنه يرى هؤلاء الثمانمائة أو الألف وقد صاروا ككائن واحد . وهو ما أصابه بالفزع فسارع ليلحق بتوم والرئيس آردای ، وهو يكاد يركض .

١٦

أعد الرئيس شراب الشيكولاته الساخنة بالمطبخ ، وتناولوه بصالة الاستقبال الرسمية ، تحت أضواء فانوسى غاز . ظن كلاى أن العجوز سيقترح عليهم أن يخرجوا إلى الدرب المفضى إلى الأكاديمية بعد قليل ـ تصيّداً لمتطوعين أكثر فى جيش آردای ، إلا أنه بدا قانعاً بمن تحصل عليهم .

أخبرهم الرئيس بأن مضخة البنزين تسحب من خزان سعته أربعمائة جالون . وكل ما عليهم أن يفعلوه هو أن يسحبوا السدادة ليس إلا . كما كان هناك ثلاثون جالوناً من المواد التى ترش بالصوب الزراعية . وعدد هذه الصوب لا يقل عن عشر . وبوسعهم أن يحملوا عربة نقل حمولة كاملة منها . وإطلاقها من فوق إحدى العليات و ... .

قال كلاى : " انتظر . قبل أن نبدأ فى الحديث عن هذه الاستراتيجية . فلو كانت لديك نظرية عن كل هذا ، سيدى ، فأود أن أسمعها " .

فقال العجوز : " لا يوجد شيء راسخ إلى الآن . إلا أننى وجوردان كونا ملاحظات . وحدساً . ولدينا كم جيد من الخبرات تكونت فيما بيننا ... " .

علق جوردان وهو يرتشف من قدح الشيكولاته : " إننى مهووس بالكمبيوتر " . وجد كلاى فى هذا التعليق الواجم غموضًا غريبًا : " إننى شغوف به . تعلقت به طيلة حياتى ، أو معظمها بالطبع . وأنا أؤكد لكم أن تلك الأشياء تعاود التشغيل . بل ربما تعاد برمجتها " .

قال توم : " إننى لم أفهم منك شيئاً " .

بينما ردت آليس قائلة : " لكننى أفهمك . أنت تعتقد يا جوردان أن النبضة كانت بالفعل نبضة ، أليس كذلك ؟ وكل من سمعها ... تم مسح محتوى أمخاخهم " .

فقال جوردان : " بلى ... فى الواقع " . كان مهذباً جداً فى نبرته .

نظر توم إلى آليس فى حيرة . وحده كلاى علم أن توم لم يكن على هذا القدر من عدم الفهم . كما أنه ليس بطيء الفهم إلى هذا الحد .

قالت آليس لتوم : " لديك جهاز كمبيوتر . لقد رأيته فى مكتبك الصغير " .

" أجل ... " .

" وقد نصبت به برنامجاً . أليس كذلك ؟ "

" بالتأكيد ، ولكن ... " . توقف توم بغتة وهو ينظر إلى آليس مليا . نظرت إليه بدورها ، فتابع كلامه قائلا : " أمخاخهم ؟ تعنين أمخاخهم ؟ "

قال جوردان : " وما الذى يمثله المخ فى رأيك ؟ ليس سوى قرص صلب ضخم قديم . دائرة عضوية مغلقة . ولا أحد يعلم سعته من المعلومات . ما لا نهاية له من وحدات البايت " . وضع يديه على أذنيه الصغيرتين : " إنه يقع فى هذه المنطقة " .

فقال توم : " أنا لا أصدق هذا " . إلا أنه تحدث بنبرة خافتة وقد ظهر الإعياء على وجهه . فرأى كلاى أنه قد صدق الكلام بالفعل . وحينما عاد بذاكرته إلى الجنون الذى ضرب بوسطن . اقتنع بأن الفكرة مقنعة بالفعل . إلا أنها مروعة كذلك : " فملايين بل بلايين الأمخاخ تم مسحها تماماً فى نفس اللحظة . بنفس الوسيلة التى تمسح بها قرص كمبيوتر قديم بمغناطيس قوى " .

لم يدر لماذا تذكر لحظتها بيكسى السمراء ، صديقة الفتاة ذات الهاتف الخلوى نعناعى اللون . لقد كانت تصرخ وتقول : " من أنت ؟ ما الذى يحدث ؟ ... من أنت ؟ من أنا ؟ ثم أخذت تلطم جبهتها بباطن يدها . وركضت لترتطم برأسها فى عمود الإضاءة . لا مرة بل مرتين . ليتهشم رأسها .

من أنت ؟ من أنا ؟

لم تكن هي صاحبة الهاتف المحمول . لقد استمعت فقط إلى المكالمة عبر أحد طرفى السماعة . ومع هذا تلقت الجرعة كاملة .

www.rewity.com
RAYAHEENA

لقد تكونت لدى كلاى الذى اعتاد أن يفكر بالصور معظم ساعات يومه صورة حية لشاشة كمبيوتر تشغلها بالكامل هذه الكلمات : من أنت ؟ من أنا ؟ من أنت ؟ من أنا ؟ من أنت ؟ من أنا ؟ من أنت ؟ من أنا ؟ من أنت ؟ من أنا ؟ من أنت ؟ من أنا ؟ من أنت ؟ من أنا ؟ ... وفى النهاية ، وعند أسفل الشاشة ، وبلون شاحب وصريح كمصير بيكسى السمراء ، عبارة :

انهيار فى النظام .

هل ما حدث لبيكسى هو نفس ما يحدث لقرص صلب تم مسح أغلب ما هو مخزن عليه ؟ الأمر مفزع ، إلا أنه أقرب إلى الحقيقة .

تناول الرئيس طرف الحديث ليقول : " لقد تخصصت فى اللغة الإنجليزية ، إلا أننى حينما كنت شاباً قرأت الكثير فى علم النفس ... بدأت بفرويد بطبيعة الحال ، والكل يبدأ به ... ثم " يونج " ... " أدلر " ... إلى أن تعمقت فى بحور هذا العلم . ووجدت أن هناك نظرية كبرى تشمل فى نطاقها كل نظريات وظائف العقل البشرى : وهى نظرية داروين . وهذه النظرية تقول ، حسب صياغة " فرويد " لها ، إن فكرة البقاء كتوجيه رئيسى معبر عنها من خلال مفهوم الهوية . أما يونج فيصيغها بأنها الفكرة الأكبر للوعى الدموى . إلا أن كليهما لم يختلف فى رأيى حول فكرة أنه لو تم نزع كل الفكر الواعى ، وكل الذكريات ، وكل قدرات التحفيز العقلانى من العقل البشرى فى ذات اللحظة ، فإن ما سيتخلف بالمخ شيء بدائى مروع " .

سكت ، وهو ينظر فى الوجوه بحثاً عن تعليق على كلامه . إلا أن أيًا منهم لم ينبس ببنت شفة . فأومأ برأسه راضياً ثم تابع سرده .

" ومع أن أيًا من أتباع كلتا مدرستى فرويد ويونج لم يصرح بها علانية ، إلا أنهم يقترحون وبشدة وجود مثل هذا الجوهر ، وأننا نحمل بداخلنا موجة حاملة أساسية ، أو بلغة أسهل سطرًا واحدًا من الشفرة المكتوبة والتى لا يمكن محوها " .

علق جوردان قائلاً : " إنه يقصد الموجه الرئيسى فى جهاز الكمبيوتر أو ما يسمى اختصاراً PD " .

وافقه رئيسه قائلاً : " نعم . بمعنى أننا لسنا بهذا العقل الذى نتصوره على الإطلاق . فجوهرنا هو القتل . الموجه الرئيسى فينا هو الجريمة . وهو ما وصفه داروين بلغة مهذبة بأننا لم نصل إلى تسيد كوكب الأرض لأننا الأذكى ، أو الأكثر تصميماً ، بل لأننا كنا الأكثر جنوناً ، والأكثر دموية فى تلك الغابة الكبيرة . وهذا هو ما قامت النبضة بكشف النقاب عنه منذ خمسة أيام مضت " .

١٧

اندفع توم قائلاً : " إننى أرفض أن نُنْعَت جميعاً بالجنون والقتل بالفطرة . تباً يا رجل ... وماذا عن إبداعات البشرية ... ماذا عن البارثينيين ؟ ماذا عن لوحات مايكل أنجلو ؟ ماذا عن تلك اللوحة التى غرسناها على سطح القمر لتقول لقد جئنا بالسلام للإنسانية جمعاء ؟ "

قال آردای فى جفاء : " وعلى تلك اللوحة أيضاً نقشوا اسم ريتشارد نيكسون ... قد يكون رعديداً ، إلا أن من الصعب أن نصفه بأنه قد كان رجل سلام . سيد ماكورت - توم - ليست لى

مصلحة فى أن أصم البشرية بهذا . ولو كانت لى مصلحة لقلت لك إنه فى مقابل كل " مايكل أنجلو " هناك " ماركيز دى ساد " ، ومقابل كل " غاندى " هناك " آيخمان " ، وأمام كل " مارتن لوثر كنج " يقف " هتلر " . عليك أن تقتنع بأن سيادة هذا الكوكب قد دانت للإنسان لصفتين مهمتين فيه : إحداها الذكاء ، وأما الأخرى فهى الرغبة والاستعداد المطلق لقتل أى شيء ، أو أى شخص يقف فى طريقه " .

مال بجسده للأمام وهو يمسح بعينيه اللامعتين وجوههم . قبل أن يستطرد قائلا :

" كانت الغلبة فى النهاية للذكاء على غريزة القاتل لدى الإنسان . وسيطر عقله على أكثر دوافعه جنوناً . وكان هذا أيضاً نوعاً من أنواع الرغبة فى البقاء . وأنا أعتقد أن آخر مواجهة بين هاتين الخصلتين هى تلك التى وقعت فى أكتوبر من العام ١٩٦٣ حول مجموعة من الصواريخ التى تم نصبها فى كوبا ، إلا أن هذا ليس محور نقاشنا الآن . فالحقيقة هى أن أغلبنا قد نجح فى كبح الأسوأ بداخله إلى أن حدثت تلك النبضة ومحت كل شيء عدا ذلك السطر التعريفى الأساسى بنا " .

تمتمت آليس قائلة : " لقد أخرج أحدهم ذلك الشيطان من قفصه ... ولكن من هو ؟ "

رد الرئيس : " لابد ألا ننشغل بهذا السؤال كذلك . فأنا أشك فى أنه ليس لديهم فكرة عما يقومون به ... أو قدر تأثير ما كانوا يقومون به . فاعتماداً على ما كان ، كان هناك بالتأكيد تجارب تمت على عجل ، وعلى مدار بضع سنوات ، بل ربما لم تتعد بضعة أشهر فإنهم ربما ظنوا أن بوسعهم أن يشنوا هجمة إرهابية شديدة الدمار ليس إلا . لكنهم كانوا السبب بدلاً عن ذلك فى حدوث تسونامى عنيفة ... عنف لم يحدث من قبل على الإطلاق . عنف لا يتخذ قالباً واحداً بل هو يتبدل . فهو فى هذه

الأيام مرعب ، وربما نراه فيما بعد وقد صار وبكل حجمه هذا مجرد هدنة بين عاصفتى عنف أشد . وهذه الأيام بالذات قد تصير فرصتنا الوحيدة لإحداث الفارق .

سأله كلاى : " ما الذى تعنيه بأنه لا يبقى على حال واحد ؟ "

لم يجبه الرئيس . وبدلاً من هذا ، التفت إلى جوردان قائلاً : " أجبه أنت أيها الشاب " .

سكت جوردان لحظة قبل أن يقول : " حسناً ... إن عقلك الواعى لا يستخدم سوى نسبة ضئيلة جداً من سعة مخك . وأنتم تعلمون هذا ، أليس كذلك ؟ "

قال توم ببعض التسليم : " بلى . لقد قرأت عن هذا من قبل " .

أومأ جوردان برأسه وهو يضيف : " وحتى حينما تضيف فيه جميع الوظائف المستقلة ، ومفردات العقل الباطن من أحلام ، وتفكير خاطف ، وغريزة جنسية ، وخلاف هذا فإن هذا لا يشغل من مخنا ذلك الحيز الكبير "

علق توم قائلاً : " لقد أدهشتنى ، هولمز الصغير " .

ردت آليس : " لا تدَّعى الذكاء ، توم " . نظر إليها جوردان وعلى وجهه ابتسامة جذلة .

" لست أتذاكى ... فالصبى مبهر بالفعل " .

قال الرئيس بأسلوب جاف : " هو بالتأكيد كذلك . ربما كان من الصعب عليه إتقان الإنجليزية الملكية ، إلا أنه لم ينل شهادته مصادفة " . لاحظ خجل الفتى فمسح على شعر رأسه بأصابعه الرفيعة . " تابع كلامك ، لو سمحت " .

لاحظ كلاى أن الصبى قد ارتبك وهو يحاول أن يعود إلى نفس السياق الذى كان عليه ، قبل أن يقول : " حسناً ... لو شبهنا المخ بالقرص الصلب ، فعندها سيكون فارغاً تقريباً " . لم يجد

الصبى الفهم مرتسماً على وجوههم سوى آليس . فقال : " بمعنى أن شريط معلومات المخ سيبين لنا أن نسبة اثنين بالمائة فقط هى التى قيد الاستخدام . بينما تبقى ثمانية وتسعون بالمائة فارغة متاحة للتخزين . ولا أحد يعلم يقيناً ما تمثله هذه النسبة الطاغية . إلا أننا أمام العديد من المكنات . فنجد مثلاً أن ضحايا الصدمات أحياناً ما يرجعون إلى مناطق خاملة فى أمخاخهم حتى يستطيعوا معاودة المشى والكلام من جديد . فالأمر أشبه بأن الأمخاخ البشرية تحلق فوق منطقة منكوبة . فتنير الأضواء فى منطقة مشابهة من المخ . إلا أنها فى الجانب الآخر .

سأله كلاى : " هل درست هذه الأمور ؟ "

قال جوردان وهو يهز كتفيه : " إنه تطور طبيعى لاهتمامى بأجهزة الكمبيوتر وعلم التحكم الآلى . كما أننى قرأت الكثير من قصص الخيال العلمى ... ويليام جبسون وبروس ستيرلنج وجون شيرلى ...

سألته آليس : " وما رأيك فى نيل ستيفنسون ؟ "

ابتسم جوردان وهو يقول : " نيل ستيفنسون نسيج وحده " .

وبخه رئيسه فى رقة : " أكمل ما كنت تشرحه " .

" كنت أقول بأنك لو قمت بمسح قرص كمبيوتر صلب . فلا يمكن له أن يتجدد آنياً ... إلا فى روايات الخيال العلمى بالطبع " . ابتسم مجدداً . إلا أن كلاى لاحظ أنها ابتسامة سريعة وعصبية . كان يبتسم فى الغالب لآليس . ويبدو أنه قد انشغل بها . وأردف قائلا : " فالبشر يختلفون عن هذا بالطبع " .

قال توم : " لكن هناك فارقاً هائلاً بين من يعاود تعلم المشى من جديد بعد تعرضه لصدمة . وبين من يتمكن من تشغيل

مجموعة من أجهزة الاستيريو عن طريق التخاطر العقلى فقط ... فارق هائل " . حدق فيهم بشكل غريزى وهو ينطق بكلمة تخاطر ، وكأنما يتوقع أن يضحكوا سخرية منه . إلا أن أحداً لم يكن يضحك .

رد جوردان : " بلى . لكن الشخص الذى تعرض لصدمة أو نوبة يختلف تماماً عن ذلك الذى كان يستخدم هاتفه المحمول وقت حدوث النبضة ... فأنا والرئيس أقصد الرئيس وأنا نعتقد أنه بالإضافة إلى محو محتوى أمخاخ هؤلاء وصولاً إلى تلك الشفرة التى لا تمحى . فإن النبضة قد حفزت شيئاً آخر بداخلهم . شيئاً ربما كان كامناً فينا لملايين السنين . ودفيناً فى ذلك الخامل من قرصنا الصلب والذى تبلغ مساحته ثمانية وتسعين فى المائة " .

تسللت يد كلاى إلى مقبض مسدسه الذى كان قد التقطه من أرضية مطبخ بيث نيكرسون وهو يقول : " كالزناد " .

التمعت عينا جوردان وهو يقول : " بلى . بالضبط ! زناد تحويلى . لم يكن لهذا أن يحدث من دون النبضة . إنه محو كلى على نطاق واسع . لأن ما بزغ . وما بلغ ذروته لدى هؤلاء الـ ... لا يمكن أن نسميهم إذن بالبشر ... ما بلغ ذروته هو ... " .

قاطعه الرئيس قائلاً : " عضو واحد فقط . إنه كيان واحد بعيد عن سمات البشر . هذا هو ما نعتقده " .

فقال جوردان : " أجل ، ولكن بما يفوق مجرد فكرة اجتماعهم معاً كالسرب . لأن ما يمكنهم فعله بأجهزة الاستيريو لا يعد سوى البداية . تماماً كطفل صغير يتعلم أن يرتدى حذاءه . فكروا فيما يمكنهم أن يصيروا قادرين على القيام به بعد أسبوع من الآن . أو بعد شهر . أو سنة " .

قال توم : " قد تكونان على خطأ " ، إلا أن صوته خرج جافاً كالحطب .

ردت آليس : " قد يكون على صواب " .

علق الرئيس : " وأنا متأكد من أنه على حق " . ارتشف رشفة من قدحه قبل أن يضيف : " إننى رجل عجوز بالطبع ، ولم يبق من عمرى سوى القليل . وأنا ملتزم بأى قرار تتوصلون إليه " . صمت لحظات وعيناه تترددان بين كلاى وآليس وتوم . ثم قال : " إذا كان هو القرار الصائب بالطبع " .

قال جوردان : " ستحاول الأسراب أن تتجمع . كما تعلمون . وإن لم يكونوا قد سمعوا بعضهم البعض بالفعل ، فسوف يتمكنون من هذا قريباً " .

قال توم فى عدم ارتياح : " كل هذا محض هراء ... قصص خرافية " .

قال كلاى : " ربما ... إلا أن هناك ما يستحق التفكير فيه . إن الليل متاح لنا حتى الآن . ولكن ماذا لو رأوا أن ساعات أقل من النوم ستكفيهم ؟ أو أنهم لم يعودوا يهابون الليل ؟ "

لم يعلق أحد لبضع دقائق . كانت الرياح تشتد بالخارج . ارتشف كلاى رشفة من قدحه الذى صار باردا الآن . وحينما نظر إليهم من جديد وجد أن آليس قد نحت قدحها جانباً وعادت لتمسك بتعويذتها الصغيرة من جديد .

قالت : " كم أود لو محوتهم من الوجود . أولئك الذين فى ملعب الكرة . أنا لن أسمى هذا بالقتل فأنا أعتقد أن جوردان محق ، كما أننى لا أود القيام بهذا لأجل البشرية ، بل أريد أن أفعلها انتقاما لوالدتى ووالدى . وأنا أعلم أنه قد رحل بدوره . أعلم هذا ، وأشعر به . كما أود أن أفعلها لأجل صديقتىّ فيكى وتيس . لقد كانتا من أعز الصديقات ، إلا أنهما كانتا تحملان هاتفين محمولين على الدوام . أما الآن فأعلم ما صارتا عليه ،

وبأى مكان ستنامان . فى مكان كملعب الكرة اللعين ذاك تماما " . رمقت الرئيس فقالت : " المعذرة سيدى " .

قبل الرئيس اعتذارها فى حنو .

سألته : " هل بوسعنا القيام بذلك ؟ هل يمكننا إبادتهم ؟ "

ابتسم تشارلز آردای الذى كان يكاد ينهى حياته العملية كمدير للأكاديمية قبيل أن ينتهى العالم ابتسامة برزت معها أسنانه . ورآها كلاى جديرة بأن تصور بالفرشاة على لوحة ؛ لم يكن فى ابتسامته أى نوع من الشفقة أو الرحمة وهو يقول : " يمكننا أن نحاول آنسة ماكسويل " .

١٨

فى الرابعة من صباح اليوم التالى . جلس توم ماكورت على طاولة طعام بين صوبتين زراعيتين فى أكاديمية جايتين ، واللتين تعرضتا لضرر بالغ منذ حدوث النبضة . كانت قدماه ، وقد استبدل فى مالدين حذاءه بحذاء رياضى خفيف ، على منضدة ، بينما أسند رأسه على ذراعيه . واللتين استندتا بدورهما على ركبتيه . كانت الريح تتلاعب بشعره يمنة ويسرة . وقبالته جلست آليس وقد أسندت ذقنها على يديها ، وأشعة الشمس ترسم ظلالاً وزوايا على وجهها . زادها الضوء القوى جمالاً بالرغم من الإنهاك البادى عليها ؛ ففى سنها هذه يتبدى السحر تحت النور . وفى أقرب الصوبتين إليهما يوجد فانوسا غاز وكأنهما روحان قلقتان . تلاقى نور الفانوسين عند نهاية الصوبة . واستخدم كلاى وجوردان الباب ، حتى مع وجود تلك الفجوات الكبيرة فى الواجهات الزجاجية على كلا الجانبين . وبعدها بلحظات جلس كلاى إلى جوار توم بينما وقف جوردان كالعادة إلى جوار رئيسه . كانت رائحة الصبى

www.rewity.com ARAYAHEENA

مزيجاً من البنزين والأسمدة . وزادها قوة إحساسه بالاكتئاب . ألقى كلاى عدة سلاسل من المفاتيح تحت ضوء الكشافات . وهو يعتقد أنها لم تعد ذات جدوى إلا لمن سيأتى بعد آلاف السنين من علماء الآثار ليكشف النقاب عنها .

قال الرئيس آردای فى رقة : " إننى آسف . فلقد بدا الأمر غاية فى البساطة " .

قال كلاى : " أجل . . أجل . فلقد بدا الأمر بالفعل بسيطاً : أن نملأ بخاخات الصوب الزراعية بالبنزين ، ونحمل البخاخات فى عربة النقل ، ونقودها عبر الملعب ، ونحن نرش كلا جانبيه بالسائل ، ثم نلقى بعود ثقاب " . خطر له أن يقول لآردای إن مغامرة " جورج دبليو بوش " فى العراق قد بدت فى بدايتها على مثل هذه البساطة . حمل البخاخات ثم ألقى بعود ثقاب إلا أنه لم يتكلم . فقد وجد فى ذلك سخرية لا محل لها الآن .

سأل كلاى : " توم ؟ ... هل أنت على ما يرام ؟ . لقد أدرك منذ الوهلة الأولى أن قدرة التحمل العضلية لدى توم فى أدنى مستوياتها " .

رفع رأسه وقال وهو يبتسم : " بلى . أنا متعب فقط . ولست معتادا على هذه النوبات الليلية . ما الذى سنقوم به الآن ؟ "

قال كلاى : " أرى أن عليك أن تذهب لتنام . فسرعان ما سيبزغ الفجر " . كان نور الصباح قد بدأ يتسلل إلى السماء بالفعل من جهة الشرق .

علقت آليس قائلة وهى تمسح على وجهها : " ليس هذا بعدل ... ليس هذا بعدل ، لقد بذلنا جهداً كبيراً فى التجربة " .

كانوا بالفعل قد جربوا بجهد بالغ ، ولكن من دون نتيجة . فكان انتصارًا صغيرًا بلا معنى ، كان يعد نوعاً من الكفاح المخبل الأقرب إلى الهراء . كان كلاى يجد فى نفسه رغبة فى إلقاء اللوم

على الرئيس ... وعلى نفسه كذلك ، لكونه قد ألقى بالاً لفكرة آردای هذه . فجزء منه قد رأى أن فكرة رجل متقدم فى العمر يعمل كمعلم لغة إنجليزية بحرق الملعب بمن فيه أشبه باستخدام سكين فى معركة بالأسلحة النارية ، ومع هذا فقد كانت تبدو فكرة جيدة بالفعل .

لكنهم اكتشفوا أن خزان الوقود كان بداخل مستودع مغلق . وقضوا قرابة نصف الساعة بالمكتب المجاور ، وهم يحاولون تجربة عدد من المفاتيح غير المميزة وسط ضوء الفانوس فى لوحة تحكم خلف مكتب المدير . إلى أن نجح جوردان فى النهاية فى العثور على المفتاح الذى فتح باب المستودع .

عندها تبينت لهم مدى صعوبة المهمة . فقد وجدوا أمامهم طبة ولم يجدوا تلك السدادة التى وعدهم بها الرئيس . ومثلها مثل المستودع الذى به الخزان ، كانت الطبة محكمة الإغلاق . وبعد أن عادوا إلى المكتب ليقضوا المزيد من الوقت بحثاً عن المفتاح المناسب ، وجدوا فى النهاية مفتاحاً بدا أنه مناسب لفتح الطبة . وكانت آليس هى من لاحظت أنه بما أن الطبة فى أسفل الخزان ، ومع وضع عوامل الجاذبية فى الاعتبار ، فإنهم سيكونون أمام فيض من الوقود من دون خرطوم أو منظم طرد . فأمضوا ساعة بحثاً عن خرطوم قد يناسب الطبة إلا أنهم لم ينجحوا فى هذا . اللهم إلا ذلك القُمْع الذى ما إن وجده توم حتى انتابتهم جميعاً حالة من السخرية الهيستيرية .

ولعدم وجود مفتاح مميز على الأقل بالنسبة لشخص غير خبير فى محطات الوقود ، فإن تحديد المجموعة المناسبة من المفاتيح صار عملية تجربة وخطأ أخرى . لكن العملية كانت أسرع هذه المرة ، فلم يكن هناك سوى ثمانى عربات متوقفة خلف المرآب .

جاء دور الصوبات الزراعية ، حيث لم يجدوا هناك سوى ثمانى بخاخات ، سعة كل منها لا تزيد على عشرة جالونات . قد يتمكنون من ملئها من خزان الوقود ، إلا أنهم سيبتلون جميعاً بالسائل أثناء هذا ، ولن يتحصلوا سوى على ثمانين جالوناً من الغاز القابل للاستخدام . لقد كانت فكرة التخلص من قرابة الألف من مجانين الهاتف هى الحافز الوحيد لكل من توم وآليس والرئيس . ومع أن كلاى وجوردان قد ظلا لفترة أطول يبحثان عن بخاخات أكبر حجماً إلا أنهما لم يجدا شيئاً .

قال كلاى : " لم نجد سوى بخاخات ذات العبوات الصغيرة ، أشبه بتلك الخاصة بالمبيدات الحشرية " .

فعقب جوردان على كلامه قائلاً : " كما أن البخاخات الكبيرة التى وجدناها كانت معبأة بمبيدات الحشائش الضارة أو بالسماد وأشياء من هذا القبيل . سيكون علينا أن نفرغها جميعها أولاً ، مما سيستلزم أن نرتدى كلنا أقنعة حتى نقى أنفسنا من السموم " .

علقت آليس فى وجوم : " يا للواقع المرير " . رمقت الحذاء الصغير للحظات ، ثم عادت لتضعه فى جيبها من جديد .

التقط جوردان المفاتيح التى نجحوا فى مطابقتها مع إحدى عربات الصيانة وهو يقول : " بوسعنا أن نستقلها حتى وسط المدينة . حيث يوجد متجر للمعدات يمكننا أن نجد به بخاخات " .

هز توم رأسه فى غير اقتناع وهو يقول : " إنه يبعد مسافة تفوق الميل والشوارع تكتظ بحطام السيارات وتلك التى تركها أصحابها . وقد لا نتمكن من القيادة وسطها . كما أن من المحال أن تقود العربة فوق المساحات الخضراء بين المنازل ، فالمنازل تكاد تكون متلاصقة . ولهذا ترى أن الكل يسير على قدميه . كانوا قد رأوا البعض يستقل دراجات ، إلا أن عددهم كان

قليلاً ؛ وحتى تلك المزودة بمصابيح كانت خطرة لو قادها المرء بأية سرعة " .

سألهم الرئيس : " هل من الممكن لعربة خفيفة أن تسير فى الشوارع الجانبية ؟ "

فقال كلاى : " بوسعنا أن نستكشف إمكانية ذلك فى ليلة الغد . وأن نختار مساراً مناسباً ونحن نسير على الأقدام ، ومن ثم نعود فنستقل العربة " . ثم أضاف : " ربما كان فى ذلك المتجر أنواع مختلفة من الخراطيم أيضاً " .

قالت آليس : " أراك لا تبدو متحمساً " .

فتنهد كلاى قائلاً : " من المتوقع أن نجد تلك الشوارع الصغيرة مسدودة . وقد ينتهى بنا المطاف ونحن نبذل جهوداً كبيرة لأجل إخلائها حتى ولو كنا أسعد حظاً مما كنا عليه الليلة . إلا أننى لا أود أن أستقر على رأى وأنا على هذه الحالة من الإجهاد " .

وافقه الرئيس قائلاً : " سيكون هذا هو المتوقع بالنسبة لنا جميعاً " .

تساءل جوردان فى نبرة أمل : " وماذا عن محطة الوقود فى الجهة المقابلة من المدرسة ؟ "

سألت آليس بدورها : " أية محطة وقود ؟ "

رد الرئيس : " إنه يتحدث عن محطة سيتجو . إنها نفس المشكلة ، جوردان ، فهناك الكثير من الوقود بالخزانات أسفل المضخات . ولكننا نفتقد إلى الطاقة اللازمة . كما أننى أشك فى أنها قد لا تحتوى على الكثير من الوقود " . سكت لحظات قبل أن يسأل كلاى : " ما الأمر ، كلاى ؟ "

كان كلاى يتذكر لحظتها أولئك الأشخاص الثلاثة الذين مروا وهم يعرجون على تلك المحطة ، وحيث قال أحدهم وكان يحيط خصر المرأة بذراعه : " أهذه أكاديمية سيتجو ؟ "

فردت قائلة : " بالفعل " .

قال كلاى : " أعتقد أن هذه المحطة لا تبيع الوقود فقط " . بل كان متأكداً من هذا . لأنه رأى تلك العربتين المتوقفتين إلى جوارها . كان قد رآهما ولم يستلفت انتباهه شيء . وقتها بالطبع . فلم يكن هناك ما يستدعى ذلك .

قال الرئيس : " لا أدرى ما الذى ... " ، إلا أنه سكت بغتة عندما التقت عيناه بعينى كلاى . وظهرت أسنانه المتآكلة مرة أخرى وراء تلك الابتسامة عديمة الرحمة وهو يقول : " أوه ... أوه ... أجل ... أجل " .

كان توم ينظر إليهما فى حيرة متزايدة . وكذلك آليس . بينما وقف جوردان فى ترقب .

سألهما توم : " هلا أخبرتمانا بما توصلتما إليه ؟ "

هم كلاى بأن يشرح فقد تبين له أن الخطة أقرب إلى النجاح منها إلى الفشل حينما صمتت الموسيقى الآتية من جهة الملعب بغتة . لم يكن ذلك التوقف المعتاد بداية كل صباح ؛ بل توقفت بغتة وكأن هناك من حطم مصدر تشغيلها .

علق جوردان بصوت خفيض : " لقد استيقظوا مبكراً "

أمسك توم بساعد كلاى . " ليس هذا ما يتم فى كل مرة ... كما أن أحد تلك المصادر اللعينة ما زال يصدر الموسيقى ... يمكننى أن أسمعه ، ضعيف جدا " .

الريح كانت قوية ، وأدرك كلاى بأنها تهب من جهة ساحة كرة القدم بسبب الروائح التى حملتها : طعام ولحم متعفن ، ومئات من الأجساد التى لم تستحم . كما أنها حملت معها صوتًا هامسًا لموسيقى " لورانس ويلك " .

ثمَ ، من مكان ما إلى المنطقة الشمالية الغربية ربما على بعد عشرة أميال ، أو ربما ثلاثين . فمن الصعب تحديد المسافة التى حملته الريح منها ، أتى صوت نواح شبحى نوعاً ما . حل

الصمت ... ثم الصمت ... وبعدها قامت تلك المخلوقات الواقعة بين الصحو والمنام بإصدار نفس ذلك الصوت فى آن واحد . كان صوتهم أعلى بكثير ، وكأنه آهة شيطانية تطاول السماء .

غطت آليس فمها بيدها . والحذاء الصغير يتقلب بين يديها . اتسعت عيناها . بينما أحاط جوردان خصر رئيسه بذراعه وهو يدفن وجهه فى جسد العجوز .

قال توم : " انظر ، كلاى ! " . نهض على قدميه ثم سار مترنحاً نحو الممر العشبى بين الصوبتين الزجاجيتين المحطمتين ، وهو يشير إلى السماء مضيفاً : " هل ترى ؟ يا إلهى ، هل ترى ؟ "

قال المنطقة الشمالية الغربية ، ومن حيث أتت تلك الآهة البعيدة، ظهر وهج برتقالى محمر فى الأفق . كان الوهج يزداد قوة ، بينما تحمل الريح ذلك الصوت المريع ... والذى ترد عليه المخلوقات بأصوات مماثلة .

التحقت بهما آليس ، ثم الرئيس ، وهو يضع يده على كتف جوردان .

سأله كلاى وهو يشير نحو الوهج : " ما تلك المنطقة هناك ؟ " . كان قد بدأ يخفت من جديد .

قال الرئيس : " ربما كانت شلالات جلين أو هى ليتلتون " .

فقال توم : " أياً كان مكانها فإن هناك مجموعة منهم تحترق هناك . وأصحابنا هنا يدركون ذلك . بل يسمعونه " .

قالت آليس : " أو يشعرون به " . ارتجفت قليلاً ، إلا أنها سرعان ما استعادت رباطة جأشها وهى تقول : " آمل أن يكونوا قد شعروا بذلك " .

أجابتها أصوات آهات أخرى قادمة من ناحية الملعب : أصوات عدة ارتفعت فى آن واحد وكأنها صرخة تعاطف وربما

www.rewity.com
RAYAHEEN

إحساس مشترك بالعذاب . بينما واصل جهاز الاستيريو الرئيسى إصداره للموسيقى . كانت تصدح بإحدى أغنيات فرقة كاربينترز ، إلا أنها وبعد عشر دقائق توقفت بغتة كما حدث معها منذ قليل . وقتها كان الرئيس آردای قد قادهم من خلفه وهو يعكز قليلا على عصاه إلى النزل . وسرعان ما توقفت الموسيقى تماماً . إلا أنها هذه المرة توقفت بصورة طبيعية كما يحدث كل صباح . ومن على البعد ، وعبر مكان مجهول تماماً أتاهم صوت إطلاق عيار نارى . ثم عمَّ الصمت المطبق المخيف أرجاء عالمهم انتظارا لمجيء النهار .

١٩

ما إن بزغت الشمس خلال الأشجار عند الأفق الشرقى ، حتى بدأوا يشاهدون مجانين الهاتف وهم يهمون بمغادرة ملعب الكرة فى تشكيلات منتظمة متراصة ، تتوجه نحو وسط المدينة وضواحيها . كانوا ينتشرون بشكل مروحى ، قاصدين أسفل التل نحو ساحة الأكاديمية وكما لو أن شيئا لم يحدث خلال الربع الأخير من الليل . إلا أن كلای لم يطمئن لما يراه . ورأى أن عليهم الإسراع بتنفيذ ما انتووه فى محطة سيتجو اليوم ، هذا إن كانوا سيقومون به من الأصل . قد يضطرون خلال قيامهم بهذا نهاراً إلى أن يطلقوا النار على بعض هؤلاء ، ولكنهم ماداموا يتحركون جماعة عند بداية ونهاية النهار فإنه مستعد للقيام بهذه المخاطرة .

كانوا يشاهدون ما وصفته آليس بأنه " صحوة الموتى " وهم داخل حجرة الطعام . بعدها توجه توم والرئيس إلى المطبخ . وجدهما كلای يجلسان إلى الطاولة عند المكان الذى يضم المشروبات ، والذى كانت تنيره أشعة الشمس . وقبل أن يهم

كلای بشرح ما أراد القيام به فى هذا النهار ، لامس جوردان معصمه قائلا بصوت خافت : " لا يزال بعض المجانين هناك ... منهم زملاء لى فى المدرسة " .

فقال توم : " كنت أظن أنهم جميعاً يتبضعون الآن بالمركز التجارى " .

تدخلت آليس فى الحوار وهى لدى الباب : " من الأفضل أن تتحقق من ذلك . أشك فى أن هذا ينم عن حالة تطور أخرى إن صح التعبير ولكن لا شيء يمنع حدوث هذا " .

فقال جوردان واجما : " بل إن هذا مؤكد " .

كان مجانين الهاتف الذين بقوا بالمكان ـ وقدرهم كلای بقرابة المائة ـ يرفعون جثث الموتى من أسفل المدرجات الخشبية . كانوا فى البداية يكتفون بحملهم إلى موقف السيارات جنوب الملعب ، وخلف مبنى حجرى طويل منخفض الارتفاع . ومن ثم يعودون .

قال لهم الرئيس : " يحوى هذا المبنى مضمارًا لرياضة العدو . كما أن به مخزناً للأدوات الرياضية . وبمؤخرته بقعة منخفضة من الأرض . لذا أعتقد أنهم يلقون بالجثث من فوق حافتها " .

قال جوردان فى إعياء : " أتفق معك . فهذا يليق بهم . وستتعفن أجسادهم هناك " .

قال توم بهدوء : " سوف يتعفنون فى أى مكان كان ، جوردان " .

رد جوردان وقد زاد إعياؤه : " أعلم هذا ، إلا أنهم سيتحللون بشكل أسرع تحت أشعة الشمس ... سيدى ؟ "

" ماذا جوردان ؟ "

" لقد رأيت بينهم " نواه تشوتسكى " . عضو نادى قراءة الدراما الذى تشرف عليه " .

ربت الرئيس على كتف الفتى الذى شحب وجهه وهو يقول : " هون عليك " .

همس جوردان قائلاً : " الأمر صعب . لقد التقط لى صورة ذات مرة . التقطها بـ . . "

قطع عليه كلامه منظر بعضهم وقد انفصل عن المجموعة ومن دون أى نقاش ليتوجهوا إلى الصوبات الزراعية المهشمة ، وكانوا يتحركون فى تشكيلة على شكل حرف V ذكرتهم وهم ينظرون إليهم بسرب الأوز الطائر . كان بينهم ذلك الذى عرفه جوردان باسم نواه تشوتسكى . بينما راقبهم بقية أفراد فريق رفع الجثث لدقائق ، قبل أن يعودوا أدراجهم عبر المنحدر وهم يسيرون ثلاثة ثلاثة ليستكملوا رفع الجثث من أسفل المدرجات .

عاد الفريق الذى توجه إلى الصوبات بعد عشرين دقيقة ، وقد تشكل فى صف واحد الآن . كانت أيدى بعضهم خاوية ، إلا أن معظمهم قد عاد وبجعبته إما إطارات أو عربات يد من النوع الذى يستخدم فى نقل أكياس السماد أو الجير كبيرة الحجم . وسرعان ما استخدموها فى التخلص من الجثث بإيقاع أسرع .

علق توم على المشهد قائلاً : " نقلة أخرى إلى الأمام " .

أمن الرئيس على كلامه قائلاً : " ينظفون منزلهم باستخدام أدوات استفادوا منها "

أما كلاى فقد أبدى قلقه : " لست مرتاحاً لهذا الأمر " .

نظر إليه جوردان ، وقد شحب وجهه المنهك فظهر أكبر من عمره بكثير ، قبل أن يعلق بدوره : " كلنا هذا الرجل " .

٢٠

ناموا حتى الواحدة من بعد الظهر . ومن ثم ، وبعد أن تأكدوا من أن عملية نقل الجثث قد انتهت وأنهم قد انتقلوا

لينضموا إلى بقية الحشد ، توجهوا إلى الأعمدة عند مدخل أكاديمية جايتين . كانت آليس قد سخرت من فكرة كلاى أن يقوم هو وتوم بهذه المهمة وحدهما . قالت : " لا أميل إلى نظرية باتمان وتابعه روبن " .

قال توم ساخراً وهو يغير من صوته : " أوه ... لطالما تمنيت بأن أكون الفتى الخارق " إلا أنه تراجع عن هذا آسفاً حينما لاحظ نظرة آليس الجدية وقد زادت من قوة قبضتها على الحذاء الصغير الذى بدأ يبدو رثاً .

قالت : " بوسعكما الذهاب إلى محطة الوقود وحدكما . هذا منطقى . إلا أن بقيتنا سيبقى يراقب الموقف من الجهة المقابلة " .

اقترح الرئيس أن يبقى جوردان خلف النزل . ومن قبل أن يجيب الصبى وقد بدا شديد الحماس سألته آليس : " كيف حال عينيك ، جوردان ؟ "

ابتسم لها وهو ينظر قائلاً : " جيدة . بخير " .

" وهل كنت تلعب بألعاب الفيديو ؟ تلك التى تحتاج إلى تصويب نحو هدف ؟ " .

" بالتأكيد ، الكثير منها " .

ناولته مسدساً . لاحظ كلاى اضطراب الصبى حينما تلامست أصابعهما : " هل إذا طلبت منك أو طلب منك الرئيس آردای أن تطلق النار ، فهل ستطلق النار ؟ "

" بالتأكيد "

نظرت آليس إلى آردای نظرة هى مزيج من المواجهة والاعتذار . " نحن بحاجة إلى تعاضد الجميع " .

استسلم الرئيس للأمر الواقع ، وهاهم الآن عند الأكاديمية ومحطة الوقود فى الجهة المقابلة ولا يفصل بينهم ووسط المدينة سوى مسافة قصيرة . ومن مكانهم قرأوا لافتة تقول : محطة

وقود الأكاديمية . كانت السيارة الوحيدة التى تقف عند مضخات الوقود مفتحة الأبواب وقد علاها الغبار . وكانت الواجهة الزجاجية لمحطة الوقود مهشمة . وإلى اليمين عربتان ضخمتان متوقفتان عند ظلال ما بدا أنها واحدة من أشجار الدردار القلائل الباقيات فى منطقة نيو إنجلاند . مطبوع على جانب كل منهما عبارة محطة وقود الأكاديمية ... تخدم نيو هامبشاير الجنوبية منذ ١٩٨٢ .

خلف مجانين الهاتف آثاراً وراءهم فى هذه البقعة من ساحة الأكاديمية ، ومع أن معظم المنازل التى يراها كلاى من مكانه تميزت بوجود أحذية عند أبوابها ، إلا أن هناك بعضاً منها بقى من دون أحذية أمام بابه . وبدا له أن عدد المارة من اللاجئين قد قل إلى حد كبير . لكنه كان على دراية بأن من المبكر الحكم على هذا .

سأل جوردان : " سيدى ؟ كلاى ؟ ما هذا ؟ " . كان يشير إلى وسط الساحة والذى كان جزءاً من الطريق ١٠٢ ، ومع سهولة نسيان هذا فى ظل هذه الظهيرة الهادئة المشمسة . والتى خلت من أصوات سوى زقزقة الطيور وحفيف أوراق الأشجار . إلا أنه كان هناك شيء مكتوب بالطبشور الفسفورى وردى اللون على الأسفلت ، إلا أن كلاى لم يكن ليستطيع قراءته من موضعهم هذا . فهز رأسه فى حيرة .

سأل كلاى توم قائلا : " هل أنت مستعد ؟ "

فقال توم : " مؤكد " . كان يحاول أن يبدو هادئ الأعصاب ، إلا أنه أحس باختلاج أعصابه واضطراب نبضات قلبه . " فأنت باتمان وأنا تابعك روبن " .

سارا فى هدوء عبر الشارع ، يحمل كل منهما مسدساً . كان كلاى قد ترك سلاحه الآلى الروسى مع آليس ، وهو غير متأكد من قدرتها على تحمل استخدامه إن استدعى الأمر ذلك .

كانت الرسالة المدونة على الأسفلت تقول :

KASHWAK=NO-FO

سأله توم : " هل يعنى لك هذا شيئاً ؟ "

هز كلاى رأسه فى حيرة . فهى لا تعنى له شيئاً ، كما أنه لا يهتم بها فى الوقت الحالى . كان كل ما يريده هو الخروج من منتصف ساحة الأكاديمية ، فقد شعر وكأنه نملة وسط وعاء من الأرز . بدا له بغتة ، مع أنها لم تكن المرة الأولى ، بأنه على استعداد لأن يبيع روحه لمجرد أن يطمئن على أن ابنه ، وأنه فى مكان لا يسلم فيه أحد أسلحة لأطفال لمجرد أنهم يجيدون ممارسة ألعاب الفيديو . بدا له هذا غريباً . فقد ظن أنه قد حدد أولوياته ، وأنه يتعامل مع كل واحدة منها على حدة ، إلا أن تلك الفكرة لا تزال لا تبارحه بكل ما فيها من ألم وأسى .

اخرج من هنا ، جونى . مكانك ليس هنا . ليس هذا بمكانك أو زمانك .

كانت الشاحنتان خاويتين ومغلقتين ، لا بأس بهذا ؛ ويبدو أن الحظ يحالفهما حتى الآن هذا النهار . كانت المفاتيح معلقة على لوح فى المكتب ، أسفل لافتة تقول : يمنع السحب فى الفترة بين منتصف الليل والسادسة صباحاً ومن دون أية استثناءات . فى طرف كل سلسلة مفاتيح نموذج لزجاجة بروبين . وفى منتصف طريق عودتهما إلى الباب نبه توم رفيقه إلى شيء ما .

كان هناك اثنان من مجانين الهاتف يسيران فى منتصف الشارع جنباً لجنب وبخطى متحاذية . كان أحدهما يأكل إحدى قطع شيكولاتة تويتكيز وهو يحمل علبة كاملة منها ؛ وقد تلطخ وجهه بكريمتها ، وفتاتها . أما الأخرى وكانت امرأة فكانت

تحمل كتاباً كبير الحجم أمام صدرها . بدت لكلاى أشبه بعضو جوقة موسيقية يحمل كتاب أناشيد كبيرًا جدًا . على غلافه ظهرت صورة فوتوغرافية لكلب حراسة يقفز عبر إطار سيارة . لا يدرى لماذا شعر كلاى بالارتياح وهو يرى المرأة تمسك الكتاب بالمقلوب . وزاد ارتياحه لرأى تلك التعبيرات الخاوية على وجهيهما وحقيقة أنهما يتجولان وحدهما . والتى تعنى أن فترة الظهر ما زالت فترة لا تشهد ظاهرة السير فى سرب واحد .

إلا أنه لم يرتح لذلك الكتاب بالذات .

لم يرتح له إطلاقا .

تخطيا الأعمدة . وأمكن لكلاى أن يرى آليس وجوردان والرئيس وهم يحدقون فيهما بأعين متسعة . سار المجنونان فوق تلك الرسالة المدونة بالطبشور على الأسفلت KASHWAK=NO-FO والمرأة تمد يدها لتتناول واحدة من قطع الشيكولاته من العلبة التى يحملها رفيقها . إلا أن الرجل أبعد العلبة عن متناولها . فألقت المرأة بالكتاب ليستقر على الأرض فى وضع مكن كلاى من قراءة عنوانه ... أفضل ١٠٠ كلب محبوب فى العالم . وعادت لتمد يدها نحو العلبة . لطمها الرجل بشدة على وجهها . وكان صوت اللطمة مسموعاً جداً فى ظل كل هذا السكون . صاحت المرأة قائلة : " آوه ! " فرد الرجل أو هكذا خيل لكلاى : " إيبين ! " . مدت المرأة يدها إلى العلبة ثانية . كانا الآن يمران على المحطة . هذه المرة لطمها الرجل فى رقبتها . لطمة خطافية بقبضته . ثم غاص بيده داخل العلبة ليتناول قطعة أخرى . توقفت المرأة عن المشى . ونظرت إليه . ومن بعدها توقف الرجل بدوره . كان قد سبقها بخطوات . لذا فقد كان ظهره مكشوفا لها .

شعر كلاى بشيء ما وسط هذا السكون الدافئ داخل مكتب محطة الوقود . لم يكن شيئاً بالمكتب ، إنه شيء به . قصور فى التنفس ، كالذى يشعر به المرء عند صعود السلالم فى سرعة .

إلا أن من الواضح أنه شيء يخص حجرة المكتب ذاتها .

لأن توم بدوره سأله وهو يقف على أصابع قدميه وهو يهمس فى أذنه : " هل تشعر بهذا ؟ "

أطرق كلاى برأسه وهو يشير إلى المكتب . لم تكن هناك ريح ، ولا نسيم ، إلا أن الأوراق فوقه كانت تتحرك وكأن هناك تيارًا يحركها . وبدأ رماد السجائر فى المطفأة يدور حول نفسه فى بطء ، بطريقة أشبه بالمياه التى تنساب فى سرعة داخل بالوعة حوض حمام . كان هناك عقبا سجائر لا بل ثلاثة وبدا أن الرماد المتحرك يدفعها نحو منتصف المطفأة .

التفت الرجل نحو المرأة . كان ينظر إليها . وهى تبادله نفس النظرات . لم يجد كلاى أية تعبيرات على وجهيهما . إلا أنه شعر برعدة تشمل جسده كله ، وسمع صوت جلجلة مكتومة . كان صوت المفاتيح المعلقة على الجدار أسفل اللافتة . بل كانت تتلاطم مع بعضها .

قالت المرأة : " آوه ! " . كانت تمد يدها نحوه .

قال الرجل : " إيبين ! " . كان يرتدى حُلّة رثة ممزقة . وفى قدميه حذاء بال . ربما كان منذ ستة أيام فقط أحد المدراء ، أو رجل مبيعات ، أو مدير مربع سكنى . أما الآن فإن العقار الوحيد الذى يهمه لا يتعدى علبة الشيكولاته هذه . كان يقربها إلى صدره ، وفمه يزدرد القطعة التى تناولها .

كانت المرأة مصرة . . " آوه ! " . مدت كلتا يديها بدلاً من يد واحدة . فى حركة تنم عن رغبتها فى أن يمنحها هو بنفسه . وسط صوت المفاتيح الذى زاد قوة . ومن فوقهم صدر عن مصباح الفلورسنت صوت شرارة كهربية رغم انقطاع التيار ؛

ولكنه سرعان ما اختفى . بينما سقط الخرطوم عن إحدى مضخات الوقود ليرتطم بالسطح الخرسانى أسفله بصوت معدنى .

قال الرجل : " أوه ! " . تهدل كتفاه وزال كل توتر عنه . وزال كل توتر عن الجو أيضاً . وصمتت جلجلة المفاتيح . وكذلك حركة الرماد فى المطفأة . خطر لكلاى أن أحداً لم يكن ليشعر بحدوث شيء غير عادى فى هذه الأجواء لولا ما رآه من حركة الرماد ، وسقوط خرطوم إمداد الوقود .

قالت المرأة : " أوه ! " . كانت لا تزال تمد يديها . واقترب رفيقها ليصبح فى متناولهما . فتناولت بكل يد قطعة شيكولاته وبدأت تأكلهما بغلافيهما . عاود كلاى شعور الارتياح بعض الشيء . تابعا خطاهما البطيئة نحو البلدة ، إلا أن المرأة توقفت كى تبصق قطعة من غلاف الشيكولاته من جانب فمها . لم تبد اهتماماً بالكتاب الذى كانت قد ألقت به على الطريق .

سأله توم بصوت خفيض مرتجف بعد أن ابتعدا عن أنظارهما : " ما كان هذا ؟ "

لا أدرى . إلا أن ما حدث لم يعجبنى . كان قد وجد مفاتيح الشاحنتين . وسلم أحدهما لتوم . " هل بوسعك قيادتها ؟ "

" لقد تعلمت القيادة على متن واحدة مثلها ... هل يمكنك أنت قيادتها ؟ "

ابتسم كلاى فى صبر وهو يقول : " أنا رجل خارق ، توم . والرجال الخارقون يجيدون قيادتها من دون تعليمات . فهذه طبيعة فينا " .

" اسخر كما شئت " . لم يكن توم يستمع إليه بكل حواسه . فقد كان ينظر فى المكان الذى كان يقف عنده الرجل والمرأة الغريبان . وشعر بقوة تلك النبضات التى تختلج فى عنقه .

" إنها نهاية العالم ... إنه عصر الأشخاص الغريبين غير الطبيعيين أليس كذلك ؟ " .

" هذا صحيح . ولكن هناك فرصة الطبيعيين أيضاً ، هذا إن عاودوا السيطرة على مجريات الأمور . هيا بنا " .

توجه نحو الباب ، إلا أن توم أوقفه . " اسمع . قد يكون بقية الرفاق قد شعروا بما شعرنا وقد لا يكونون قد شعروا به . ولو لم يكونوا قد شعروا بذلك فربما كان من الأفضل أن نبقى ما حدث فيما بيننا حتى وقت مناسب . ما رأيك ؟ "

رسم كلاى فى ذهنه صورة لجوردان الذى لا يفارق رئيسه ، ولآليس التى تبقى فى يدها ذلك الحذاء الصغير . وتلك الهالات أسفل أعينهم ، ثم ما خططوا للقيام به هذه الليلة . بدا له أن ما أوشكوا على تنفيذه أمر أشبه بأرماجيدون . وإن كان وصفاً مبالغاً إلا أنه ليس مبالغاً بدرجة كبيرة . فأياً كان حالهم الآن ، إلا أن مجانين الهاتف هؤلاء كانوا فى الأصل أناساً طبيعيين ، وحرق ألف منهم وهم أحياء يلقى عليهم بعبء ثقيل . بل إن مجرد تخيل الأمر يؤذى خياله .

قال : " لا بأس . تذكر أن تقود الشاحنة فوق المرتفع ببطء " .

قال توم : " سأضع متحكم السرعة عند أدنى درجة " . كانا يسيران نحو الشاحنتين الآن . " كم عدد درجات السرعة بالشاحنة فى رأيك ؟ "

" يكفى أن تضعه عند الدرجة الأولى " .

" تبعاً لطريقة وقوفها فإن عليك أن تضعه أولاً عند وضع الحركة للوراء " .

www.rewity.com
RAYAHEENA

قال كلاى : " تباً لها . ما أهمية أن تكون هذه هى نهاية العالم إن لم يكن متاحاً لك أن تسير بها للأمام محطماً هذا السور الخشبى ؟ "

وكان هذا بالفعل ما فعلاه .

٢١

كان منحدر الأكاديمية هو الوصف الذى يطلقه الرئيس آردای وتلميذه الوحيد الباقى ، على ذلك المسار الطويل الممتد منخفضاً من الحرم الأكاديمى وحتى الطريق الرئيسى . كان العشب لا يزال أخضر تتخلله الأوراق المتساقطة . وحينما أفسحت الظهيرة المجال لبوادر المساء كان هذا المنحدر لا يزال خاوياً ولا علامة بعد على عودة مجانين الهاتف . بدأت آليس تغدو وتروح عبر القاعة الرئيسية بالنزل ، وتقف فقط حينما تلقى نظرة من نافذة حجرة المعيشة . كانت ترى كامل منطقة المنحدر بوضوح ، وقاعتى المحاضرات ، وملعب الكرة . وقد عادت لتربط الحذاء الصغير إلى معصمها .

كان الباقون بالمطبخ ، يتناولون الكوكا . قالت لهم وهى تنهى إحدى جولاتها : " ربما حدسوا ما كنا نخطط له ، وقرروا ألا يعودوا إلى هنا " .

عادت لتجول بالمكان ، وهى تلقى بين الحين والآخر نظرة عبر النافذة ، ثم عادت لتنظر إليهما من جديد وهى تقول : " وربما كانت هجرة عامة . ألم تفكروا فى هذا الاحتمال ؟ ربما توجهوا جنوباً فى هجرة جماعية " .

تركتهم لتجول من جديد دون انتظار الرد عبر القاعة جيئة وذهاباً . جيئة وذهاباً .

علق الرئيس عليها قائلاً : " لقد صارت أشبه بإهاب فوق متن سفينته موبى " .

قال توم فى وجوم : " ربما كان " إيمينيم " مغنياً أحمق ، إلا أنه كان محقاً بشأن ذلك الرجل " .

لم يفهم الرئيس مقصده ، فسأله : " معذرة توم ؟ "

فأشاح توم بيده ألا عليه من هذا .

ألقى جوردان نظرة على ساعة يده . قال : " لم يعودوا فى الليلة الماضية قبل مرور نصف الساعة من الآن . بوسعى أن أطمئنها بهذا إن أردتم " .

قال كلاى : " لا أعتقد أن هذا سيطمئنها . الحقيقة أنها لن تهدأ بالاً حتى تراهم " .

" يبدو لى أنها خائفة جداً ، أليس كذلك ، سيدى ؟ "

" ألست خائفاً أيضاً ، جوردان ؟ "

قال جوردان بصوت خجول : " بلى . بل فى غاية الارتياع " .

قالت آليس حينما عادت مرة أخرى إلى المطبخ : " ربما كان من الأفضل ألا يعودوا . لا علم لى إذا ما كانوا يعيدون برمجة أمخاخهم بأسلوب جديد ، إلا أننى متيقنة من أن هناك نوعًا من الفودو أو السحر الأسود يجرى هنا . لقد شعرت بهذا من خلال الاثنين اللذين مرا بنا هذه الظهيرة . المرأة حاملة الكتاب والرجل حامل علبة الشيكولاته ... سحر فودو شديد " .

لم تنتظر الرد مجدداً وذهبت فى جولة حراسة جديدة ، وذلك الحذاء يتأرجح متعلقاً بيدها .

نظر الرئيس نحو جوردان قائلاً : " هل شعرت بشيء ، بنى ؟ "

تردد جوردان قبل أن يقول : " لقد شعرت بشيء ما بالفعل . وقف له شعر رأسى " .

التفت الرئيس إلى الرجلين الجالسين إلى الناحية الأخرى من الطاولة متسائلا : " وماذا عنكما ؟ وقد كنتما شديدى القرب منهما " .

أنقذتهما آليس من مغبة الإجابة عن هذا السؤال . فقد هرعت نحوهما ، وقد احمر وجهها من فرط الانفعال ، واتسعت عيناها وهى تقول : " لقد عادوا " .

٢٢

وقفوا جميعهم ينظرون عبر النافذة إلى مجانين الهاتف وهم يصعدون المنحدر فى صفوف متقاربة ، وظلالهم الطويلة تتخذ شكل ترس هائل الحجم فوق العشب الأخضر . وبينما كانوا يقتربون مما سماه الرئيس قوس تونى ، زاد تقارب الصفوف وبدا ترس الظلال أقرب إلى الدوران تحت أشعة الشمس الذهبية وهم يزدادون تقارباً .

لم تستطع آليس منع نفسها من القبض على الحذاء . كانت قد انتزعته عن معصمها لتعتصره فى شدة وبشكل مستمر . قالت بنبرة خفيضة متسارعة : " سوف يرون ما قمنا ويعودون أدراجهم . لقد وصولوا إلى مستوى الذكاء هذا على الأقل ، وهو ما اتضح من عودتهم إلى امتلاك الكتب كما رأينا " .

علق كلاى قائلا : " سنرى " . كان شديد التيقن من أنهم سوف يدخلون إلى الملعب ، حتى وإن لم يطمئنوا إلى ما سيرونه هناك ؛ فسرعان ما سيحل الظلام وليس لهم من مكان آخر يتوجهون إليه . عندها ترددت داخل عقله ترنيمة اعتادت أمه أن تغنيها له وهو صغير ... أيها الصغير لقد كان يومك حافلاً .

قالت وقد ازداد صوتها خفوتاً : " أتمنى لو دخلوه وبقوا فيه . أشعر أن أعصابى لن تحتمل أكثر من هذا ... ستنفجر " .

ثم ضحكت ضحكة غريبة وهى تقول : " إلا أنهم هم من سينفجرون . . هم " . التفت توم إليها فقالت : "أنا بخير . أنا بخير . فلا تنطق بشىء " .

قال : " كنت سأقول إن هذا ما سيحدث بالفعل ... اهدئى وسترين ، آليس " .

" حسناً . . حسناً ... سأحاول " .

بينما قال جوردان فى تململ : " وتوقفى عن التلاعب بهذا الحذاء . فصوته هذا يصيبنى بالجنون " .

نظرت إلى الحذاء ، كما لو أنها تفاجأت به ، ثم عادت لتلفه حول معصمها من جديد . راقبوا مجانين الهاتف وهم يتقاربون عند المرور عبر قوس تونى بشكل يفوق فى انتظامه أى حشد عاقل قد يمر من أسفل هذا القوس . كان كلاى متنبهاً لحركتهم المنتظمة هذه . راقبوهم وهم يعودون إلى الانتشار فى صفوف عريضة بعد أن مروا أسفل القوس . انتظروا ليروا ذلك الحشد الزاحف يتباطأ حتى تسكن حركته تماماً ، إلا أن هذا لم يحدث . كان الذين يجدون صعوبة فى الحركة منهم ، وقد كانوا طيلة الوقت يلقون المساعدة من الآخرين فى صف طويل يتحرك قبل أن تهبط الشمس التى تحولت إلى قرص أحمر فى الأفق أكثر عند الجانب الغربى من حرم أكاديمية جايتين . لقد عادوا مرة أخرى ، وكأنه سرب حمام يعود إلى أعشاشه . وقبل أن تمضى خمس دقائق على ظهور نجم المساء فى كبد السماء المعتمة ، حتى صدح المكان بنغمات أغنية " دين مارتن " الشهيرة ... " الكل يحب أحياناً " .

قالت آليس : " لم يكن هناك معنى لقلقى ، أليس كذلك ؟ . أحياناً ما أكون طائشة هكذا كان يقول لى أبى " .

قال لها الرئيس : " كلا . فجميع الطائشين امتلكوا هواتف محمولة ، عزيزتى . ولهذا صاروا هم من بالخارج بينما بقيت أنت هنا ، معنا " .

عندها قال توم : " إننى لأتساءل إن كان رافى لا يزال بخير أم لا "

فرد كلاى بقوله : " أما أنا فقلق على جونى ... جونى وشارون " .

٢٣

فى تمام الساعة العاشرة من تلك الليلة الخريفية العتية ، وفى ضوء قمر يدخل الآن ربعه الأخير ، وقف كلاى وتوم فى المجال المخصص للفرقة الموسيقية عند طرف ملعب الكرة . أمامهم مباشرة حاجز أسمنتى يصل إلى منتصف طولهم . إلى جانبهم بقايا حوامل آلات موسيقية وقد غاصت أقدامهم فى أكوام الفضلات ؛ بينما تتلاعب الرياح بالأكياس والأوراق الممزقة من خلفهم وفوقهم . هناك عند الأبواب الدوارة ، كانت آليس تسند جسد الرئيس الذى استند بدوره على عصاه .

بينما يتردد صوت " ديبى بون " عبر أرجاء المكان . كانوا قد علموا من فرط التكرار أن بعدها سيأتى صوت " لى آن وماك مغنيا " أتمنى لو ترقصين " ، ثم لورانس ويلك بأغنيته الشهيرة . إلا أن هذا قد لا يكتمل هذه الليلة .

كانت الرياح تأتيهم بروائح الجثث المتعفنة خلف ذلك المبنى ، وعبق ذلك المزيج من الغبار والعرق فى أجساد هؤلاء الأحياء الممددين جنبا لجنب فوق أرضية الملعب . هذا إن صح تسميتهم بالأحياء . . هكذا خطر لكلاى وقد ارتسمت بداخله ابتسامة خاطفة مريرة . إن التفكير العقلانى أعظم مزايا البشر .

إلا أنه لن يخدع نفسه هذه الليلة : إنهم بالفعل أحياء . أياً ما كانوا وأيا كان ما صاروا إليه . إلا أنهم أحياء مثله تماما .

غمغم توم متسائلا : " ما الذى تنتظره ؟ "

" لا شىء ... لا شىء " .

أخرج كلاى من الغمد الذى وجدته آليس فى قبو نيكرسون مسدس بيث نيكرسون القديم . وقد صار الآن محشوا بالذخيرة . كانت قد عرضت عليه البندقية الآلية - والتى لم يختبرها أحد بعد - إلا أنه أبى ، قائلا بأن فشل المسدس فى أداء المهمة التى حددوها سيعنى أن لا شيء آخر يمكن أن يؤديها .

قالت : " لا أدرى سبب عدم تفضيلك للبندقية الآلية ، رغم أنها تطلق ثلاثين أو أربعين رصاصة فى الثانية ... بوسعك أن تحول الشاحنتين إلى مصفاة فى ثوان " .

كان يوافقها الرأى ، إلا أنه ذكرها بأن هدفهم الليلة ليس التدمير بل إشعال حريق . ثم شرح لها أن تلك الذخيرة بالمسدس من النوع المحظور دوليا . من النوع الذى يسمونه رصاصات الدمدم .

قالت : " حسناً ... ولكن ما المانع فى أن تجرب الآلية أيضاً ، حال فشل المسدس فى مهمته . هذا مالم يقم هؤلاء بـ ... أنت تعلم قصدى " . لم تشأ أن تنطق بكلمة هجوم ، إلا أنها أفصحت عن ذلك بحركة من أصابع يدها التى تمسك بالحذاء الصغير . " عندها سيكون عليك أن تهرب " .

مزقت الرياح جزءًا من لوحة تسجيل النتائج وحملتها لتحوم فوق النيام . كانت أشبه بطائرة شراعية وسط الظلام الذى تتخلله تلك المصابيح الحمراء لأجهزة الاستيريو الصادحة بالموسيقى . حل ذلك الجزء فى نهاية المطاف فوق زجاج إحدى الشاحنتين قبل أن ينزلق فوقه إلى الأسفل وسط الظلام . كانت الشاحنتان متوقفتين جنبا لجنب وسط الملعب ، كشاهد يعلو فوق

www.rewity.com ARAYAHEENA

كل تلك الأجساد . نام مجانين الهاتف أسفلهما وحولهما . تذكر كلاى الحمام الزاجل من جديد ، وكيف كان صيادو القرن التاسع عشر يحطمون رؤوسها على الأرض بالهراوات . حتى أن جنسها بالكامل اختفى مع بدايات القرن العشرين ... إلا أنها كانت طيورا على كل حال ، بلا عقل يمكن إعادة برمجته .

سأله توم بصوت خفيض : " كلاى ؟ ... هل أنت متأكد من رغبتك فى القيام بهذه المهمة ؟ "

" كلا " . ها قد صار وجهاً لوجه مع كل تلك الأسئلة التى بقيت من دون إجابة . ومن بينها ما يكون عليهم أن يقوموا به لو جرت الأمور على هواهم . وكذلك ما سيكون عليهم أن يفعلوه إن سارت على هواهم . فطيور الحمام الزاجل لم تكن قادرة على الثأر . أما هؤلاء فـ ...

" لكننى سأنفذها على أية حال " .

فقال توم : " قم بها إذن ... فتلك الأغنية تثير أعصابى بالفعل " .

رفع كلاى المسدس وهو يثبت رسغه الأيمن بيده اليسرى . صوب المسدس إلى خزان الشاحنة إلى اليسار . سيطلق رصاصتين عليه ، ثم رصاصتين على خزان الشاحنة الأخرى . سيحتفظ برصاصة لكل شاحنة إن استدعت الحاجة استخدامهما . ولو لم يفلح الأمر فسيستخدم السلاح الآلى الذى سلمته آليس إياه .

قال لتوم : " عليك أن تنبطح عند حدوث الانفجار " .

" لا تقلق على " . كان التجهم بادياً على وجهه وهو يترقب انطلاق الرصاصة وما سيلى ذلك .

كانت أغنية " ديبى بون " على وشك الانتهاء . وأحس كلاى بغتةً بحتمية أن يسبق إطلاقه الرصاص انتهاء الأغنية ، فضغط الزناد .

لم تكن هناك فرصة لرصاصة أخرى بل لم تكن هناك حاجة إليها . فقد انفجر الخزان بدوى هائل بينما اندلعت النيران فى تكوين هائل قانى اللون ، ورأى انبعاجة عميقة فى سطح الخزان المعدنى . لقد اندفع الجحيم من الداخل وها هو ينتشر . نهر من اللهب ينساب بلون هو مزيج من البرتقالى والأبيض .

صاح وهو يدفع توم : " انبطح أرضاً ! " . سقط فوق الرجل والليل يتحول بغتةً إلى ظهيرة حارقة . صوت هائل صم الآذان وارتجفت له أوصال كلاى . تطايرت الشظايا من فوقهم . خيل له أن توم كان يصرخ . إلا أنه لم يكن متأكداً وسط هذه السلسلة من أصوات الانفجارات ، وقد زادت سخونة الهواء من حولهم إلى درجة لا تحتمل .

أمسك بتوم من مؤخرة عنقه ومن ياقة قميصه وبدأ يجره نحو الأبواب الدوارة ، كانت عيناه مغلقتين بسبب كل هذا الوهج الصادر من منتصف ملعب الكرة . سقطت شظية هائلة الحجم على المدرج الفرعى إلى يمينه . ربما كان محرك الشاحنة . إلا أن ما كان متيقناً منه هو أن القطع المحطمة ولفات المعدن تحت أقدامه كانت فيما سبق تمثل مدرج الفرقة الموسيقية لأكاديمية جايتين فيما سبق .

كان توم يصرخ وقد انبعجت نظارته . إلا أنه كان يقف على قدميه سليما . هرعا عبر العلية بأقصى ما يمكنهما من سرعة . رأى كلاى ظلالهما العنكبوتية تمتد أمامهما ، وسرعان ما أدرك أن هناك أشياء تتطاير من حولهما : أذرعاً وسيقاناً وشظايا من الشاحنتين ، ورأس امرأة اشتعل شعرها . من خلفهما أتاهما صوت انفجار ثان بل ربما كان ثالثاً وعندها كان هو من صرخ هذه المرة . تعثرت قدماه وسقط أرضاً . صار العالم من حوله أشبه بقلب الجحيم . . حرارة لا تطاق وضوء يعمى البصر .

خطر له وهو ينظر إلى ما سقط عليه من فضلات من حلوى جونيورمينتس وعبوات البيبسي أنهم لم يقدروا تأثير ما قاموا به وأنهم سيدفعون حياتهم ثمنا لهذا .

صاح فيه توم : " انهض ! " . خيل له أن توم يصرخ . إلا أن صوته يأتى من على بعد ميل . شعر بأصابع توم الطويلة الرقيقة وهى تمسك بذراعه . ثم رأى آليس كذلك . كانت تجذبه من ذراعه الأخرى . بينما تتوهج وسط كل هذا الضوء . رأى الحذاء الصغير يتأرجح من معصمها . كانت قد تلطخت بالدماء المتناثرة من حولها . وبقايا الملابس . والأشلاء المحترقة .

حاول كلاى النهوض إلا أنه عاد ليجثو على ركبته . فجذبته آليس بكل ما فيها من قوة . كانت الشاحنتان المحترقتان تزأران كالتنين . ها هو جوردان ورئيسه يسير خلفه متعكزاً ووجهه متورد اللون يتصبب عرقاً .

صاح توم : " كلا . جوردان . كلا . عليك فقط أن تبعده عن هنا ! " . فأبعد جوردان رئيسه ليفسح لهم الطريق . حطت أشلاء بطن محترقة وقد تعلق قرط بسرتها عند قدمى آليس فركلتها بشكل غريزى بعيداً . تذكر كلاى أنها مارست كرة القدم لخمس سنوات كما قالت . وعلى مؤخرة رأسها حطت قطعة من قميص مشتعلة . وسرعان ما أزاحها كلاى بعيداً قبل أن تمسك النيران بشعرها .

طار إطار مشتعل من إطارات الشاحنة هو ومحوره المعدنى ليستقر فوق العلية عند آخر صف من المقاعد . ولو أنه سقط ليسد الطريق عليهم لكانوا قد لقوا مصرعهم حرقاً وخاصة الرئيس . لكنهم تمكنوا من المضى فى طريقهم وهم يحبسون أنفاسهم عن رائحة الدخان المحترق . سرعان ما كانوا يجتازون البوابات الدوارة . وقد صار كلاى وجوردان على جانبى الرئيس . يحملونه حملاً . لم تمض ثلاثون ثانية أخرى حتى كانوا يقفون

عند قوس تونى . ينظرون إلى عمود النيران الهائل الذى ارتفع فوق المدرجات ومكان الصحافة وهم مشدوهون لا يكادون يصدقون ما يرونه .

طارت قطعة مشتعلة من السقف القماشى للأماكن المخصصة بالفريق الزائر لتصل إلى الرصيف المجاور لبقعة بيع التذاكر .

سأل توم : " هل كنت تعلم أن كل هذا سيحدث ؟ " . كان وجهه شاحباً فيما حول عينيه . بينما احمرت جبهته وخداه . بدا أن نصف شاربه قد احترق . كان كلاى يسمعه . إلا أن صوته بدا آتياً من مكان بعيد . كل شىء كان يبدو كذلك . كان يجد صعوبة فى السمع وكأن أذنيه مسدودتان بالقطن . وربما كان هذا بسبب تلك الرصاصة التى أطلقها .

وشعر كأنما كان يضع سدادة الأذن والتى كانت بيث نيكرسون تضعها على أذنيها عندما كانت تذهب إلى أماكن الصيد المفضلة هى وزوجها . حيث ربما كانت تعلق هاتفها المحمول فى حافظته على جانب خصرها بينما تضع جهاز الاستدعاء على الجانب الآخر .

" هل كنت تعلم ؟ " . حاول توم أن يهز جسده . إلا أنه لم يمسك بشيء سوى قطعة من قميصه فمزق صدر القميص تماماً .

خرج صوت كلاى مبحوحاً شديد الجفاف وهو يرد : " تباً لك . هل جننت ؟ ... هل تظن أننى كنت لأقف هناك ومعى مسدسى لو أنى كنت أعلم أن هذا ما سيحدث ؟ فلولا ذلك الحاجز الخرسانى لكنا قد تمزقنا أشلاء . بل لتبخرنا تماماً " .

المذهل هو أن توم قد انقلب ضاحكاً وهو يقول : " لقد مزقت قميصك . باتمان " .

فشعر كلاى برغبة فى أن يلكمه فى وجهه . وأن يحتضنه ويقبله لنجاتهما ... هكذا وفى آن واحد .

قال جوردان وقد لاحظ الكل كم الخوف الكامن فى نبراته : " أود العودة إلى النزل " .

وافقه الرئيس قائلاً : " أجل ... علينا التوجه إلى مكان آمن . كان جسده يرتجف بشدة ، وعيناه تحدقان فى ذلك الجحيم المتصاعد فوق القوس والمدرجات . الحمد لله أن الرياح تهب باتجاه منحدر الأكاديمية " .

سأله توم : " هل تستطيع المشى ، سيدى ؟ "

" نعم . أشكرك . أنا متأكد أن بوسعى السير بمساعدة جوردان حتى النزل " .

علقت آليس قائلة : " لقد نلنا منهم " . قالتها وهى تمسح بقعة من الدماء كانت على وجهها . لم يجد كلاى شبيهًا لعينيها تلك اللحظة سوى فى بضع صور القصص المصورة التى كانت تصدر فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى . تذكر أنه قد توجه إلى مؤتمر خاص بالقصص المصورة ذات مرة ، وكان لا يزال صبيا ، واستمع إلى " والاس وود " وهو يتحدث عن محاولة رسم عين فزعة . وها هو كلاى يرى تجسيداً لها على وجه فتاة مراهقة من الريف تبلغ الخامسة عشرة .

قال : " هيا يا آليس . علينا التوجه عائدين إلى النزل . علينا الخروج من هنا " . ما إن نطق بهذه الكلمات حتى وجد أن عليه أن يكررها حتى يتأكد من صدقها . وعندها تبين له أنها تحمل بالإضافة إلى الصدق نبرة خوف .

هى قد لا تكون خائفة . بل لقد بدت مبتهجة . تشعر بالنصر . متخمة به ، وكأنها طفل أكثر من تناول الحلوى التى يحبها . عيناها تبرقان وهى تقول : " لا يمكن أن يخرج أحدهم منها حياً " .

جذب توم كلاى من ذراعه . شعر بألم فى بشرته مشابه لما يشعر به عند المكوث طويلاً تحت الشمس . " ما الذى جرى لك ؟ "

قال كلاى : " أعتقد أننا قد أخطأنا " .

رد توم فى حدة : " أهو شعور مشابه لما شعرت به ونحن بمحطة الوقود حينما كان ذلك الرجل ورفيقته يتشاجران حول علبة الشيكولاته اللعينة ... " .

" كلا ، بل أعتقد فقط أننا قد أخطأنا " . كان بالفعل متيقناً من ارتكاب خطأ . " هيا بنا . علينا الرحيل هذه الليلة " .

" لا مانع إن كانت هذه هى رغبتك ... هيا بنا ، آليس " .

رافقتهم إلى الطريق المفضى إلى النزل ، حيث كانوا قد تركوا فانوسى غاز مشتعلين بالقرب من النافذة الكبيرة بالقاعة ، ثم التفتوا ليلقوا نظرة أخرى . كانت النيران قد اشتعلت الآن بالمدرجات والمكان المخصص للصحافة . اختفت النجوم فوق ملعب الكرة ؛ بل إن القمر صار شبحاً يتراقص رقصة برّية وسط سديم الحرارة . قالت : " لقد ماتوا ، لقد ذهبوا ، لقد احترقت أجسادهم ... احترقوا ... احـ . . "

حينها انطلقت صرخة هائلة لم يكن منبعها هذه المرة من عند شلالات جلين أو ليتلتون على بعد عشرة أميال . بل كانت تأتى من خلفهم تماما . لم يكن ما يسمعونه من باب التهيؤات . بل كانت صرخة عذاب ، صرخة عاقل مدرك ، صرخة من استيقظ من نوم عميق ليجد نفسه وهو يحترق حيا .

صرخت آليس بدورها وهى تصم أذنيها ، وعيناها متسعتان تعكسان ضوء النيران .

فقال جوردان وهو يقبض على معصم الرئيس : " علينا أن نعيده ، سيدى ... علينا أن نعيده ! " .

" لقد فات الأوان ... فات الأوان ، جوردان " .

٢٤

كانت حقائبهم منتفخة وهم يستندون إلى البوابة الأمامية لنزل شيتهام بعد ساعة مما قاموا به . كان هناك زوج من القمصان فى كل حقيبة ، بالإضافة إلى أكياس من المعلبات وعلب العصير بالإضافة إلى بطاريات وكشافات ضوئية . كان كلاى قد استعجل توم وآليس كى يجمعوا حاجاتهم فى أسرع وقت ممكن ، أما هو فكان يجول فى حجرة المعيشة ويسترق النظر بين الآن والآخر عبر النافذة .

كانت النيران قد بدأت تخمد ، إلا أن المدرجات ومدرج الصحفيين كانا لا يزالان مشتعلين . حتى أن قوس تونى ذاته قد أمسكت به النيران ليتوهج وسط عتمة الليل وكأنه حدوة حصان فى ورشة حدادة . من المحال أن يكون هناك من بقى حياً وسط جحيم الملعب ذاك . وقد كانت آليس محقة فى هذا الصدد إلا أنهم وفى طريق عودتهم إلى النزل (وقد عانوا من الرئيس الذى كان يترنح فى سيره وكأنه عجوز سكير) كانوا يسمعون صرخات الأسراب الأخرى الشيطانية والتى حملتها الرياح إليهم . قال كلاى لنفسه إنه لم يلحظ غضباً فى تلك الصرخات ، ولكن خياله هو السبب . خياله المذنب ، خيال القاتل القتل الجماعى ، خيال السفاح بداخله ، لكنه لم يصدقه تماماً على أية حال .

كان ما حدث خطأ ، ولكن ما الذى كان بوسعهم أن يفعلوه سوى هذا ؟ لقد شعر هو وتوم بقواهم الخفية تلك الظهيرة ، بل رأوها ، ومن اثنين منهما فقط ، اثنين فقط . فكيف كان يمكنهم أن يغضوا النظر عن هذا ؟ هكذا ببساطة ؟

قال لنفسه هامساً وهو يستدير بعيداً عن النافذة : " تباً لك إذا فعلت ، وتباً لك إذا لم تفعل " . لم يكن يدرى كم من الوقت

مضى وهو ينظر إلى الملعب المحترق وقاوم رغبة ملحة فى أن ينظر إلى ساعته . من السهل لحظتها أن يقع فريسة نوبة فزع عصبية ، كان أقرب ما يكون إلى ذلك الآن ، وعندها سينهار الجميع بسرعة . سيبدأ الأمر بآليس . لقد نجحت آليس فى أن تستعيد سيطرتها على أعصابها ، إلا أنها ستنهار عند أى عارض . ومع أنها لا تزال صغيرة السن ، إلا أنها نجحت فى أن تترك انطباعاً متفائلاً عنها لدى الآخرين وخاصة من الأجل الصبى الآخر حتى لا ينهار .

الصبى الآخر جوردان .

أسرع كلاى نحو القاعة الأمامية ، ولاحظ عدم وجود حقيبة رابعة لدى الباب ، ورأى توم وهو يهبط الدرج وحده .

سأله كلاى : " أين الصبى ؟ كان قد استعاد كثيراً من قدرته على السمع بوضوح ، إلا أنه كان يسمع صوته هو بعيد بعض الشيء ، وكأنه غريب عليه . " كان من المفترض عليك أن تساعده على جمع حاجاته . لقد ذكر آردای أنه قد أحضر حقيبة معه من غرفته ... " .

مسح توم على وجهه وهو يقول : " لن يأتى " . بدا منهكاً ، حزيناً ، مشوشاً . كما بدا مرآه مضحكاً بعض الشيء وقد احترق نصف شاربه .

" ماذا ؟ "

" اخفض صوتك ، كلاى . لست أنا السبب . إننى مجرد مرسال " .

" أخبرنى إذن عما تقصده بحق السماء "

قال : " لن يرحل من دون رئيسه . يقول بأن من غير الممكن إجباره على غير ذلك . ولو كنت مصراً على الرحيل هذه الليلة فإنى أرى أنه كن يرحل " .

www.rewity.com ARAYAHEENA

أتت آليس قادمة من المطبخ . كانت قد اغتسلت ، وعقصت شعرها للوراء . وارتدت قميصًا جديداً كان يصل حتى ركبتيها إلا أن بشرتها كانت لا تزال متوهجة . عندها علم كلاى أنهم محظوظون لكونهم لم يصابوا ببثور فى وجوههم من أثر حرارة الحرائق .

قال : " آليس ... أريد منك أن تستغلى قدراتك النسائية فى التأثير على جوردان . فلقد قرر ... " .

مرت إلى جواره وكأنه لم يكن يحدثها هى ، وجثت على ركبتيها عند حقيبتها . وفتحتها . راقبها متحيراً وهى تخرج محتوياتها . نظر إلى توم ليرى على محياه مزيجاً من الفهم والتعاطف .

سألها كلاى : " ماذا ؟ " . ماذا بحق السماء ؟ أحسَ بنفس الانزعاج الماثل جدا لما كان يشعر به نحو شارون أثناء السنة الأخيرة التى عاشاها معًا ، ولام نفسه لأنه قد تذكر هذا الآن ، دوناً عن أى وقت آخر . ولكن تباً لهذا ... فآخر ما يتمنونه هو حدوث مثل هذه التعقيدات . فمرر يده على شعره وهو يقول : " ماذا ؟ "

فقال توم : " انظر إلى معصمها " .

فنظر كلاى . كان لا يزال رباط الحذاء الرث حوله ، إلا أن الحذاء نفسه قد اختفى . شعر بتقلص لا سبب له فى معدته . ربما ليس فيما يراه عبث . فلو كان الأمر يهم آليس ، فإنه يعتقد أنه مهم بالفعل . ولكنه مجرد حذاء صغير فقط ليس أكثر ؟

كانت تخرج محتويات الحقيبة فى سرعة وإهمال . فتطاير منها قميص قطنى وقميص طويل الأكمام كلاهما يحمل شعار الأكاديمية . وكذلك البطاريات تدحرجت . وارتطم كشافها الاحتياطى بالأرضية الخشبية فانخدش وجهه الزجاجى . كان

ما تقوم به كافياً لإقناع كلاى . فلم يكن ما يراه نوبة غضب من النوبات التى اعتاد أن يراها من زوجته شارون لأسباب تافهة ؛ بل ما يراه الآن هو عبارة عن رعب بحت .

اقترب من آليس ، وجثا على ركبتيه جوارها ، ممسكاً بمعصميها . شعر بسرعة مرور الوقت ، وضرورة أن يستغلوا كل دقيقة تمر فى الفرار من هذه البلدة ، إلا أنه كان يشعر كذلك بتسارع نبضات قلبها ، والتى يتردد صداها فى عروق أصابعها . وكان يرى عينيها . لم يكن ما بهما فزعًا بل معاناة ، وأدرك أن كل طمأنينتها قد تبددت مع ضياع ذلك الحذاء الصغير : أمها وأبيها وأصدقائها ، بيث نيكرسون وابنتها ، وجحيم ملعب تونى ، وكل شيء .

صرخت قائلة : " ليس هنا ! ... لقد ظننت أنه بداخل الحقيبة ، إلا أنه ليس هنا ! لا أجده فى أى مكان ! " .

كان كلاى لا يزال يمسك بمعصميها وهو يقول : " كلا . عزيزتى ، إنه ليس هنا . ثم رفع المعصم الذى يحيط به رباط الحذاء . ألا ترين ؟ " انتظر حتى يتأكد من أنها تنظر إليه ، ثم أخذ يقلب فى طرفى الرباط ، حيث كانت هناك عقدة ثانية .

قالت : " لقد صار الرباط طويلاً جداً الآن ... لم يكن بهذا الطول من قبل " .

حاول كلاى أن يتذكر آخر مرة رأى فيها ذلك الحذاء ، نبه نفسه إلى أن من المستحيل أن يتذكر شيئاً كهذا بالنظر إلى جسامة كل ما مر بهم ، ثم أدرك أن بوسعه هذا . وبوضوح أيضاً . فلم تفقده حينما ساعدت توم فى رفعه هو عن الأرض بعد انفجار العربة الثانية . فقد كان يتأرجح مرتبطاً بمعصمها . كان جسدها ملطخًا بالدماء والأشلاء وقطع الملابس . إلا أن الحذاء كان لا يزال هناك . حاول أن يتذكر ما إذا كان هناك وهى تركل

أشلاء البطن التى سقطت عند قدميها . إلا أنه لا يعتقد أنه قد كان فى معصمها .

قال لها : " لقد انفك رباطه ، عزيزتى ... انفك رباطه فسقط " .

قالت وفى عينيها عدم تصديق : " أضعته ؟ ... هل أنت متأكد من هذا ؟ "

" بالتأكيد ... بالفعل " .

ردت هامسة والدموع تنساب من عينيها : " لقد كان تميمة حظى " .

هنا تدخل توم وهو يحيطها بذراعه : " كلا ... بل نحن تميمة حظك " .

نظرت إليه وهى تقول : " ومن أين لك بهذه الثقة ؟ "

" لأنك عثرت علينا أولاً . ونحن من لا يزال معك الآن " .

احتضنتهما معاً ووقف ثلاثتهم على هذا الوضع للحظات ، وأذرعهم تحيط ببعضهم البعض وسط القاعة وبين حاجيات آليس المتناثرة .

٢٥

امتدت النيران إلى قاعة محاضرات عرفهم الرئيس بأن اسمها قاعة " هاكيرى " . ثم وفى حوالى الساعة الرابعة صباحاً، سكنت الرياح فلم تمتد النيران إلى ما هو أكثر من ذلك . ومع شروق الشمس كان الحرم الأكاديمى قد تعبق بروائح البروبين والخشب المتفحم ، والعديد من الجثث المحترقة . وعانت السماء الصحوة صباح أحد أيام أكتوبر فوق نيو إنجلاند من عمود دخان أسود متصاعد . وصار الحال داخل نزل شيتهام أشبه بقطع الدومينو : فلن يتمكن الرئيس من الرحيل سوى بسيارة ،

ومن المحال السفر بسيارة . ولن يرحل جوردان من دون رئيسه . ولن يتمكن آردای من إقناعه بالرحيل عنه . ورفضت آليس أن ترحل من دون جوردان. رغم أنها قد تخطت الآن حزنها على فقد تعويذتها . ولن يرحل توم من دون آليس . ولم يكن كلای على استعداد للرحيل من دونهم ، مع أنه كان فى غاية الرعب من فكرة أنه قد وجد نفسه أشد تمسكاً بهؤلاء الجدد فى حياته بأكثر من رغبته فى الاطمئنان على ابنه . ومع أنه لا يزال متيقناً من أنهم سيدفعون ثمناً غالياً لما فعلوه بذلك الملعب لو أنهم مكثوا فى جايتين لأكثر من هذا .

كان يظن أنه سيصبح أحسن حالاً مع بزوغ الصباح ، إلا أن هذا لم يحدث .

انتظر خمستهم عند نافذة القاعة وهم يراقبون خارجها . وبالطبع لم يخرج شيء من كل ذلك الركام المتفحم. ولا صوت سوى قرقعة الأخشاب التى تأكلها النيران بمكاتب القسم الرياضى ، وغرف خلع الملابس بعد أن سويت قبلها المدرجات كلها بالأرض . لقد تفحمت جثث قرابة الألف من هؤلاء المجانين، تماماً كما توقعت آليس . كانت رائحة جثثهم قوية تملأ المكان . كان كلای قد تقيأ مرة ، وعلم أن الكل قد تقيأ كذلك ، بمن فيهم الرئيس .

لا شك فى أننا قد ارتكبنا خطأ . هكذا قال لنفسه .

قال جوردان : " كان عليكم أن ترحلوا . وسنكون بخير. ألم نكن كذلك من قبل ، سيدى ؟ "

تجاهل الرئيس آردای سؤاله . فقد كان يتأمل كلای . " ما الذى حدث بالأمس حينما كنت وتوم داخل المحطة ؟ أعتقد أن شيئاً ما قد حدث مما جعلكما على هذه الحال " .

" أوه ؟ وكيف أبدو لك، سيدى ؟ "

" أنت أشبه بحيوان يشعر بوجود فخ ما . هل رآكما هذان الاثنان ؟ "

فقال كلاى : " لم يكن هذا ما حدث بالضبط . لم يرتح طبعاً لتشبيهه بالحيوان ، إلا أنه لم ينكر أن هذا هو أقرب وصف لما كان عليه حاله " .

كان الرئيس يفرك حاجبه بعصبية بيده الكبيرة . رأى كلاى فى حركته هذه ـ مثلها مثل أخرى غيرها ـ نوعاً من المسرحية ، لم تكن غريبة تحديدا ، إلا أنها بدت أقرب إلى الأداء المفتعل . فما الذى حدث بالضبط إذن ؟

بدا له أن حماية الآخرين لم يعد مجرد خيار الآن ، فأخبر الرئيس وبالتفصيل بكل ما حدث أثناء تواجدهما بذلك المكتب بمحطة الوقود . أخبره بما حدث للأوراق ، ورماد السجائر والمفاتيح ، وذلك الخرطوم الذى سقط عن مضخة الوقود .

قال جوردان مؤمناً على كلامه ، بينما أومأت آليس برأسها توافقه : " لقد رأيت هذا بالفعل " .

كما حكى لهم توم كيف شعر بضيق فى التنفس ، وأمن كلاى على كلامه . حاول كلاهما أن يفسرا ذلك الإحساس بحضور شيء بالغ القوة فى المكان " .

شبه كلاى الأمر بهدوء ما قبل العاصفة . بينما قال توم إن الهواء بدا مشحوناً وبالغ الثقل .

قال توم : " عندها تركها تتناول قطعتين من تلك الشيكولاته ومضيا لحال سبيلهما . وبعدها توقف الرماد عن الدوران ، والمفاتيح عن الجلجلة ، وغاب ذلك الإحساس المضطرب عن المكان " .

نظر إلى كلاى طالباً تأييده . فأومأ هو الآخر بدوره مؤيداً .

فقالت آليس : " لماذا لم تخبرانا بهذا من قبل ؟ "

قال كلاى : " لم يكن هذا ليغير من الأمر شيئاً . كنا سنحرق مكمنهم فى كل الأحوال " .

قال توم : " بالفعل " .

تدخل جوردان فى حديثهم بغتة قائلاً : " هل تعتقدان بأن مجانين الهاتف هؤلاء يتحولون إلى أصحاب قدرات خارقة ؟ "

فرد عليه توم : " لا أعلم نطاق هذا المصطلح ، جوردان " .

أقصد أن يكونوا قادرين على تحريك الأشياء عن بعد مثلاً . أو أن تتحرك الأشياء عند حدوث أية اضطرابات فى انفعالاتهم . قدرات عقلية خارقة تمكنهم من تحريك الأشياء ورفعها ... " .

صاحت آليس : " رفعها ؟ "

أكمل جوردان كلامه من دون أن يعلق : " ... كلها مجرد أنواع من هذه القدرات . وأساس كل هذا هو التيليباثى أو التخاطر عن بُعد ، وهو الأمر الذى كنتم تخشونه منذ البداية ، أليس كذلك ؟ "

لامس توم المكان المحمر الذى خلا باحتراق نصف شاربه بشكل لا إرادى وهو يقول : " فى الحقيقة إن هذه الفكرة قد مرت ببالى ... إلا أننى لست متيقناً من صحتها " .

واصل جوردان كلامه أيضاً من دون أن يعلق : " لنفترض أن هذا صحيح . أى أنهم يتحولون إلى تيليباثيين إضافة إلى كونهم زومبى يتحركون فى جماعات . فما هو الموقف الآن ؟ ها قد ماتت جماعتهم هنا بالأكاديمية ، ومن دون حتى أن يعرفوا المتسبب فى مصرعهم . هذا لكونهم قد لقوا مصرعهم نياماً أو على تلك الحالة من اللا وعى ، فلو كنتم تخشون أن يكونوا قد نقلوا إلى الجماعات الأخرى رسالات عقلية تعرفهم بمن تسبب فى هذا ، فإنى أدعوكم لأن تهدأوا بالاً " .

هم الرئيس بالحديث منادياً إياه إلا أنه سرعان ما جفل . وكان لا يزال يفرك جانب جسده .

www.rewity.com ARAYAHEENA

" هل أنت على ما يرام ، سيدى ؟ "

" نعم . أحضر لى دواء الزانتاك من الحمام بالأسفل . ومعه قنينة مياه بولاند سبرينج . أيها الصبى المطيع " .

" هرع الصبى ليلبى طلبه " .

سأله توم : " ليست بقرحة ، أليس كذلك ؟ "

" كلا . بل هو توتر عصبى . يلازمنى منذ زمن طويل " .

سألته آليس بصوت هامس : " هل قلبك على ما يرام ؟ "

جاوبها الرئيس وهو يكشف عن أسنانه بابتسامة هى مزيج من البهجة والارتباك : " أعتقد هذا ... ولو لم يفلح الزانتاك، فقد ... إلا أنه فعال حتى الآن . وأنا أفضل اللجوء إليه طالما كان فى المتناول . آه ... جوردان ... أشكرك " .

" على الرحب والسعة ، سيدى . ناوله الصبى كوب الماء والقرص وهو يبتسم " .

قال له آردای بعد أن تناول قرصه : " أرى أن عليك أن ترحل معهم " .

" سيدى ، ومع كل احترامى لك ، إلا أننى أعرفك بأنّ لا سبيل لهؤلاء المجانين أن يعلموا بما حدث ، لا سبيل لذلك " .

نظر الرئيس إلى توم وكلای مستوضحاً . فرفع توم يديه مسلماً بواقع الحال ، بينما اكتفى كلای بهز كتفيه . كان بوسعه أن يصرح بما يشعر به ، وأن ينطق بما هو متيقن من أنهم يعرفونه ـ لقد اقترفنا خطأً هنا، وبقاؤنا يعنى كارثة ـ إلا أنه لم يجد جدوى فى الكلام . فقد بدا التصميم والعناد على محيا جوردان ، إلا أن هذا كان مجرد غلاف لما يعتمل بداخله من خوف مميت . لن يحاولوا إقناعه . كما أن النهار قد حل ثانيةً . أى أن الساحة متروكة الآن لهؤلاء المجانين .

مسح على شعر الصبى وهو يقول : " لو كان هذا قرارك ، جوردان . فدعنا إذن نمضى ما تبقى من النهار معاً على الأقل " .

بدا الارتياح على جوردان وهو يقول : " فكرة جيدة " .

قال توم : " سوف أتناول علبة من كوكا نزل شيتهام الفاترة قبل أن أصعد للحجرة . وأعتقد أننى سأزيل الجزء المتبقى من هذا الشارب . لذا فما ستسمعونه من نحيب ورثاء سيكون صوتى أنا " .

قالت آليس ممازحة : " هل يمكننى أن أشاهدك ؟ لطالما تمنيت أن أراقب رجلاً ناضجاً وهو يبكى وينوح " .

٢٦

كان كلای وتوم يشتركان فى نفس الغرفة الصغيرة بالطابق الثالث؛ بينما سكنت آليس الغرفة الأخرى الباقية بالطابق . وبينما كان كلای يخلع حذاءه ، سمع طرقاً رتيباً على الباب ، ومن بعده دلف الرئيس إلى الداخل . كانت وجنتاه محمرتين برغم شحوب بقية وجهه .

سأله كلای بعد أن وقف : " هل أنت بخير ؟ هل هذا بسبب قلبك ؟ "

" أنا سعيد لأنك سألتنى هذا السؤال . فيبدو لى أننى قد بدأت أعانى منه بالفعل " . ثم التفت خلفه ناظراً نحو القاعة ، قبل أن يغلق الباب بطرف عصاه . اسمعنى جيدًا ، سيد ريدل .. أوه ... كلای ولا تطرح على أية أسئلة دون أن لا يكون هناك بد من هذا . سوف تعثرون على ميت نهاية هذا النهار أو فى المساء ، وسوف تقول أنت بأننى مت بسبب أزمة قلبية ، وأن انفعالات الليلة الماضية قد أثرت على قلبى . هل تفهم هذا ؟ "

أطرق كلای برأسه . لقد فهم مقصده ، فامتنع عن أى اعتراض غريزى على فكرته . قد يكون لاعتراضه معنى وقت أن

كان العالم كما كان . أما الآن فلا مكان لاعتراضه هذا . وهو يعلم السبب وراء قرار الرئيس .

" لو حدث وشك جوردان فى أننى قد انتحرت حتى أحرره مما يراه بطريقته الجديرة بالإعجاب التزاماً مقدساً تجاهي، فلربما انتحر هو بدوره . أو على الأقل قد يسقط فيما يعد نوعاً من فقدان تام للذاكرة . وسوف يحزن علىّ حزناً شديداً ولكن هذا من حقه . إلا أن فكرة أننى قد انتحرت حتى أخرجه من جايتين ليست كذلك . هل تفهم هذا ؟ "

قال كلاى : " أجل . ولكن عليك يا سيدى أن تنتظر حتى اليوم التالى . فما تفكر فيه ... قد لا يكون عندها ضروريا . فقد ننجح فى تجاوز هذا الموقف " . لم يكن هو نفسه يصدق ما يقوله، كما أن آردای يبدو مصمماً على الإقدام على ما انتواه ؛ وهذا واضح على وجهه المنهك ، وشفتيه المزمومتين ، وعينيه اللامعتين . إلا أنه قرر أن يحاول محاولة أخيرة : " انتظر ليوم آخر . فقد لا يأتى أحد منهم " .

" ألم تسمع تلك الصرخات ؟ ... لقد كانت صرخات غضب . فسوف يأتون " .

" ربما ، لكن . . . " .

رفع الرئيس عصاه قاطعاً عليه كلامه : " وحتى لو أتوا، ولو كان بوسعهم قراءة أفكارنا وقراءة أفكار بعضهم البعض ، فما الذى سيقرأونه بعقولكم ، هذا إن بقيتم هنا حتى يقرأوها ؟ "

لم يرد عليه كلاي، واكتفى بالتحديق فى وجه الرئيس .

تابع الرئيس كلامه قائلا : " وإذا لم يكونوا قادرين على قراءة الأفكار ، فما الذى تقترحه ؟ هل ستبقون هنا يوما من بعد يوم، وأسبوعاً من بعد أسبوع ؟ وحتى يأتى الشتاء ؟ وحتى أموت أنا ؟ لقد عاش والدى حتى سن السابعة والتسعين . وأنت لديك زوجة وابن " .

" إما أنهما بخير أو لا . هذا ما اقتنعت به الآن " .

كان يكذب ، وربما عرف آردای هذا من وجهه ، هذا لأنه ابتسم نفس ابتسامته المتوترة وهو يقول : " وهل تعتقد أن ولدك قد ارتضى بنفس قناعتك هذه ؟ بعد مرور مجرد أسبوع ؟ "

قال كلاى بصوت مضطرب : " ها أنت تضرب أسفل الحزام " .

" حقاً ؟ لم أكن أعلم أننا نتلاكم هنا . على أية حال ، فلا يوجد حكم بيننا . فقط نحن الاثنين " . رمق الرئيس الباب ، ثم عاد لينظر إلى كلاى وهو يقول : " المعادلة بسيطة . فليس بوسعكم البقاء وليس بوسعى الرحيل . فمن الأفضل أن يرحل جوردان معكم " .

" لن نتركك وكأنك حصان كسرت ساقه ... " .

قاطعه قائلا : " لا تنظر للأمر هكذا . فالجياد لا تطبق فلسفة الموت الرحيم هذه" . انفتح باب الغرفة ليدلف توم ، فبادر الرئيس بتغيير مجرى حديثه مع كلاى : " ألم تفكر فى العمل فى مجال الدعاية ، كلاى ؟ للكتب مثلا ؟ "

فسايره كلاى قائلا : " أسلوبى مبهر لدرجة لا تتناسب مع أغلب دور النشر التجارية . ولقد صممت أغلفة من قبل لبعض الكتب الخيالية فقد صممت أغلفة كتب " إيدجار رايس بوروس " Mars Books " .

عندها لوح الرئيس بعصاه فى الهواء وهو يفرك جانبه بيده فى شدة قائلا : " تبا لهذه الحموضة ! المعذرة توم ، لقد جئت إلى هنا لأدردش قليلاً معه قبل أن أنام " .

قال توم وهو يراقبه خارجاً : " لا بأس " . وحينما تأكد من أن الرئيس قد ابتعد، التفت إلى كلاى قائلا : " هل هو على ما يرام ؟ يبدو لى شاحب الوجه جداً " .

" أعتقد أنه بخير " . ثم أشار إلى وجه توم قائلاً : " لقد ظننت أنك قد حلقت الجزء المتبقى من شاربك " .

" لقد رأيت ألا أقوم بذلك أثناء وجود آليس معى . إننى معجب بها ، إلا أن هناك أموراً فيها لا تبعث على الارتياح " .

" هذه أعراض بارانويا "

" أشكرك ، كلاى ، كنت محتاجاً لمثل هذا الرد . فلم يمض سوى أسبوع ومع هذا فإنى أشعر باشتياق إلى محللى النفسى "

" بالإضافة إلى وجود مركّب اضطهاد وأوهام العظمة " .

مد كلاى قدميه فوق أحد سريرى الغرفة الضيّقة ، ووضع يديه وراء رأسه ، وهو ينظر إلى السقف .

سأله توم : " أنت تتمنى لو أننا كنا خارج هذا المكان ، أليس كذلك ؟ "

رد بصوت رتيب : " بالفعل " .

" صدقني، كلاى . سيكون كل شيء على ما يرام " .

" أنت تقول هذا ، رغم معاناتك من وجود مركب اضطهاد وأوهام العظمة " .

" هذا صحيح . إلا أن فى مقابلهما يوجد تقدير متدن للذات وأنا وصلت إلى الحضيض . وعلى كل حال ... " .

قاطعه كلاى منهياً الكلام : " لقد فات الأوان الآن ... بالنسبة لليوم على الأقل " .

" هذا صحيح " .

كانا راضيين بهذه الحقيقة . ولم ينطق توم بشيء آخر، بينما ذهب كلاى فى نوم عميق .

٢٧

نهض من نومه يصرخ. أو هكذا خيل له ؛ فلم يكد ينظر إلى حيث يغط توم فى نوم عميق وقد غطى عينيه بقطعة قماش حتى اقتنع بأن تلك الصرخة لم تتجاوز عقله . قد تكون هناك صرخة ندت من فمه، إلا أنها لم تكن من القوة التى تكفى لإيقاظ رفيقه بالغرفة .

لم تكن الغرفة معتمة فقد كان الوقت ظهراً إلا أن توم كان قد أسدل الستائر قبل أن ينام . بقى كلاى فى مكانه للحظات ، وهو يرقد على ظهره، وفمه شديد الجفاف ، بينما تسارعت نبضات قلبه وتردد صداها فى أذنيه ، وكأنها وقع أقدام على أرض مخملية . لم يكن هناك أى صوت بالنزل . ربما لم يستيقظ أحد بعد. إلا أن الليلة الماضية كانت منهكة . سمع بالخارج صوت طائر يصاحبه صوت جرس إنذار، وإن كان قادماً من مكان أبعد من جايتين بكثير .

هل رأى حلمًا أسوأ من ذلك ؟ ربما . فبعد قرابة الشهر من مولد جوني، حلم كلاى بأنه يلتقط الرضيع من الفراش ليغير له حفاضته، وعندها تفككت أوصال الجسد الصغير بين يديه وكأنها دمية سيئة الصنع . فهم أن هذا الحلم يعبر عن خوفه من مسئولية الأبوة . وهو خوف لا يزال يعايشه ، تماماً كما لاحظ رئيس هذه الأكاديمية . ولكن ما معنى هذا الحلم الذى انتابه الآن ؟

لكن أياً كان معناه، فإنه لا يود أن يفقده ، وقد علم من خبرته أن عليه أن يتصرف بسرعة حتى لا يفقد الحلم .

كان هناك مكتب صغير بالغرفة ، وقلم بأحد جيوب سرواله الجينز الذى ألقاه عند الفراش . فالتقط القلم ، وتوجه إلى المكتب حافى القدمين، وجلس إليه . فتح الدرج ووجد ما تمناه ، بعض

الأوراق البيضاء المرصعة من أعلى بشعار أكاديمية جاتيين . . ما العقل الصغير إلا حمل وسط الظلام . وضع إحدى الأوراق فوق سطح المكتب . كان الضوء خافتاً . إلا أنه كافٍ . خلع غطاء القلم وأخذ يتأمل الورقة للحظات وهو يحاول أن يتذكر الحلم كأوضح ما يكون .

كان هو وتوم وآليس وجوردان يقفون مصطفين فى وسط ملعب . لم يكن ملعب كرة كذلك الملعب ... ربما كان ملعب كرة قدم أمريكية ؟ كان هناك تكوين هيكلى فى الخلفية عليه يومض مصباح أحمر . لم يدر ما هو . إلا أنه علم بأنه مليء بأناس ينظرون إليهم : وهم أناس ذوو وجوه مشوهة وملابس ممزقة . يعرفهم جيدا . كان هو ورفاقه فى ... أهى أقفاص ؟ كلا . بل هى أرصفة . كلا هى بالفعل أقفاص ولكنها من دون قضبان . لم يفهم كلاى سبب هذا . إلا أن هذا هو ما رآه . كان قد بدأ يفقد تفاصيل الحلم .

كان توم عند إحدى نهايتى الصف . واقترب منه رجل . رجل مميز . ليضع يده على رأسه . لم يفهم كلاى كيف أمكن للرجل أن يفعل هذا . مع أن توم مثله مثلهم جميعاً كان داخل قفص، إلا أنه فعل . وقال : " إيكي هوم ... إنسانوس " . وعندها زأر الحشد من ورائه وكانوا ألفا فى صوت واحد : " لا تلمسه ! " . بعدها توجه الرجل إلى كلاى ليفعل الشيء نفسه . وحينما وضع يده على رأس آليس قال : " إيكى فيمينا ... إنسانا " . وقال وهو يضع يده على رأس جوردان : " إيكى بور ... إنسانوس " . وفى كل مرة كان الحشد يزأر من خلفه : " لا تلمسه ! " .

لم يفتح أحد منهم أو الرجل أو هذا الحشد فمه أثناء هذه الطقوس . فكل ما سمعه كان تيليباثياً .

عندها بدأ كلاى يرسم بيمناه صورةً على الورق . كان الحلم بأكمله مروعاً بما فيه من دلالة على اتهام كاذب وإحساس بأن هناك من سيعاقبه إلا أن أحداثه لم تحمل شيئاً مخيفاً . والرجل ينتقل من واحد منهم إلى الآخر . واضعاً راحة يده على رؤوسهم وكأنه مسئول مزاد يستعد لبيع واحدة من الماشية فى سوق ريفى . كان بوسعه أن يصور هذا الرجل على الورق .

كان رجلاً أسود نبيلا وذا وجه صافٍ فوق جسد هزيل . شعره أشبه بقبّعة ضيّقة من الجدائل المظلمة التى رسمت من جهة شكلاً مثلثياً قبيحاً . كتفاه رفيعتان بينما يكاد خصره يختفى . رسم كلاى بسرعة ما تذكره من جبهة عريضة وسيمة للرجل . ثم وضع الظلال على جانب من وجهه وقد سقطت قطعة من لحمه على إحدى عينيه . كان خد الرجل الأيسر مجروحاً . بسبب عضة فى الأغلب . كما كانت الشفة السفلى مفتوحة كذلك من الجانب . أما عيناه فكانتا مشكلة . فلم يستطع كلاى رسمهما بالشكل السليم . فقد كانتا فى الحلم تجمعان بين الوعى الكامل والموات فى آن واحد . ترك رسمهما بعد محاولتين، وعاد ليرسم ما كان يرتديه من رداء شتوى ثقيل قبل أن يفوته شيء : كان من النوع الذى يسميه الصبية ذا القبعة . أشار إليه بسهم مبيناً (أنه أحمر اللون) . كان واسعاً جداً على هذا الجسد الهزيل . بينما انطبعت عليه كلمة كان كلاى واثقاً من أنها هارفارد . كان يهم بأن يدون أحرف الكلمة حينما سمع صوت نحيب وعويل مكتوم يأتيه من مكان ما بالأسفل .

www.rewity.com ARAYAHEEN

٢٨

كان جوردان قد عرَّف كلاى هذا على الفور . ألقى نظرة على توم وهو يلتقط سرواله الجينز. إلا أن توم لم يتحرك . كان يغط فى نومه العميق . ففتح الباب وانسل خارجه فى خفة. وأغلقه من خلفه .

كانت آليس وهى ترتدى قميصاً واسعاً يحمل شعار الأكاديمية جالسة على درج الطابق الثانى . وهى تحتضن الصبى بذراعيها . كان جوردان يدفن وجهه فى كتفها . ونظرت نحو وقع قدمى كلاى الحافيتين على الدرج وقالت قبل أن ينطق بشيء عن الرئيس قد يندم عليه فيما بعد :

" لقد انتابه حلم سيئ " .

نطق كلاى بأول ما خطر بباله . إلا أنه بدا له مهماً جداً تلك اللحظة : " وهل انتابك أنتِ أيضاً حلم سيئ ؟ "

عقدت حاجبيها . فبدت وشعرها معقوص للخلف ووجهها برونزى اللون وكأنها أمضت يوماً تحت أشعة شمس الشاطئ وكأنها أخت لجوردان . " ماذا ؟ كلا . لقد سمعته يبكى بالقاعة . وأعتقد أننى كنت متيقظة قبلها ، و ... " .

بادرها كلاى قائلا : " لحظة ... ابقى فى مكانك" .

عاد أدراجه إلى غرفة الطابق الثالث . والتقط الرسم من فوق سطح المكتب فى سرعة . ولكن توم استيقظ مع دخوله هذه المرة . نظر حوله فى مزيج من الخوف والحيرة ، ثم حدق فى كلاى وقد استرخت أعصابه . قال : " ها قد عدت إلى أرض الواقع " . ثم سأله وهو يمسح على وجهه ، وينهض مستنداً على أحد مرفقيه : " حمداً لله . كم الساعة الآن ؟ "

توم . " هل انتابك حلم ؟ أقصد حلماً سيئاً ؟ "

أطرق توم برأسه قائلاً : " أعتقد هذا . أجل . لقد سمعت بكاءً . أكان هذا جوردان ؟ "

" أجل . ما الذى حلمت به ؟ هل ما زلت تتذكره ؟ "

قال توم : " كان هناك شخص ما ينعتنا بالجنون " ، حينها ارتعدت أوصال كلاى . " ربما كنا كذلك . ولا أتذكر باقى الحلم . لماذا تسأل ؟ هل ... " .

لم ينتظره كلاى حتى يتمم سؤاله . فقد هرع إلى الخارج ليهبط الدرج فى سرعة . التفت جوردان إليه بنوع من خجل مذهول حينما جلس كلاى جواره . زال عنه كل ما ينم عن عبقرية فى مجال الكمبيوتر الآن ؛ ولو كانت آليس بمظهرها هذه قد صارت أشبه بطفلة فى الحادية عشرة من عمرها ، فإن جوردان بدوره بدا طفلاً فى التاسعة .

قال كلاى : " جوردان . حلمك ... كابوسك . هل ما زلت تتذكره ؟ "

قال جوردان : " سرعان ما يزول ما أتذكره . لكننى أذكر منه أنهم قد احتجزونا فى مكان كالقفص . كانوا ينظرون إلينا وكأننا ... لا أعرف ماذا أقول ، حيوانات متوحشة . . أو ... كانوا يقولون ... " .

" إننا مجانين " .

صاح جوردان وقد اتسعت عيناه : " بالفعل ! " .

سمع كلاى وقع أقدام خلفه بينما كان توم يهبط الدرج . لم يلتفت كلاى خلفه . ولكنه قدم رسمه لجوردان . " أكان هذا هو كبيرهم ؟ "

لم يرد جوردان . لم يكن رد فعله بحاجة إلى تأكيد بالكلام . فقد جفل سريعا بمجرد أن رأى الرسم . وعاد ليدفن وجهه فى صدر آليس .

سألت آليس متحيرة : " ما الخطب ؟ " . مدت يدها لتلتقط الرسم. إلا أن توم سبقها إليه .

قال وهو يعطيها الرسم : " يا إلهى ... لقد زالت تفاصيل الحلم عن عقلي . لكننى ما زلت أذكر هذا الخد المزق " .

أضاف جوردان بكلمات مكتومة ووجهه فى صدر آليس : " وشفته " . ثم أضاف وجسده يرتجف : " منظرها وهى متهدلة للأسفل . كان هو من يعرضنا لهم " . ربتت آليس على ظهره. ثم أحاطت كتفيه بذراعيها بقوة أكبر .

وضع كلاى الصورة أمام آليس : " هل يثير هذا الرسم فيكِ أية ذكرى ؟ هل هو نفس الرجل الذى كان بحلمك ؟ "

هزت رأسها وهي تهم بالنفى . وقبل أن تنطق سمعوا صوت اهتزاز مطوّلاً عاليا ومن بعده انطلقت سلسلة من الهدّات بالخارج عند باب النزل الأمامى . فصرخت آليس . فزاد جوردان من التشبث بها . وكأنه يلوذ بها . وهو يصرخ بدوره .

أمسك توم بكتف كلاى وهو يصيح : " ما الذى يجرى يا رجل ... ؟ "

ضج المكان بصوت مخيف طويل صاعق بالخارج . وعادت آليس تصرخ من جديد . بينما صاح كلاى : " إنها أسلحة ! ... أسلحة ! " .

وقفوا للحظات بلا حراك عند المهبط الذى تسقط عليه أشعة الشمس داخل النزل . عندما تواصل صوت الأعيرة النارية المنهمرة كالمطر بصوتها المخيف . هرع توم نحو الطابق الثالث وتبعه كلاى . وقد انزلقت قدمه بسبب ارتدائه الجورب فأمسك بالدرج لاستعادة توازنه . بينما دفعت آليس جوردان بعيداً عنها وهى تركض بدورها نحو غرفتها . وذيل قميصها يلتف حول ساقيها . تاركة جوردان متكوماً عند أسفل الدرج . وهو يحدق فى الدرج والقاعة الأمامية بعينين متسعتين دامعتين .

٢٩

قال كلاى : " على مهلنا ... لابد أن نتصرف تجاه الموقف بحكمة . اتفقنا ؟ "

وقف ثلاثتهم عند أسفل الدرج قبل أن تمضى دقيقتان على بداية هذه الأصوات المدوية القادمة من خلف البوابة الأمامية . كان توم يحمل البندقية الروسية الآلية. بينما قبضت آليس على مسدسين آليين فى يديها . وقبض كلاى على مسدس بيث نيكرسون . والذى نجح بطريقة ما فى ألا يفقده طيلة الليلة الماضية مع أنه لا يذكر أنه قد أعاده إلى غمده. حيث وجده فيما بعد . بينما بقى جوردان منكمشاً فى مكمنه . لم يكن يستطيع من مكانه هذا أن يرى نوافذ الطابق السفلي. ورأى كلاى أن هذا قد كان من حسن حظه . فقد كان نور الظهيرة داخل نزل شيتهام أعتم مما ينبغى أن يكون عليه . ولم يكن هذا بالتأكيد بالمؤشر الجيد .

فقد كان السبب هو إحاطة مجانين الهاتف بكل نافذة من النوافذ فى المكان . وقد تسلقوها ليحدقوا عبر زجاجها : كانوا بالعشرات . بل ربما المئات بوجوههم الخاوية الغريبة . والتى تميزها علامات القتال الذى خاضه كل واحد فيهم . والجراح التى عانوها طيلة أسبوع من الفوضى . رأى كلاى فيهم من فقد عيناً أو أسناناً . وآذاناً ممزقة والندبات والحروق والجلد المحروق والمشوه والمتهدل . كانوا صامتين . وقد أعطوا انطباعاً بنوع من الترقب الطامع يسود بينهم ، وعاد ذلك الإحساس بوجود شيء ما فى الجو المحيط بالمكان ، ذلك الإحساس بأن هناك قوة هائلة تحكم قبضتها عليهم . كان كلاى يتوقع بين لحظة وأخرى أن يخرجوا أسلحتهم ، ويمطروهم بنيرانها .

همس توم قائلاً : " أشعر الآن بنفس شعور سرطان البحر داخل الحوض فى سوق السمك " .

ظل توم يكرر لهم : " حافظوا على هدوئكم . اتركوا لهم زمام المبادرة " .

لكن لم تكن هناك مبادرة أولى حتى الآن . عادت تلك الأصوات التى ترج المكان ، وبدت لكلاى أصوات تجهيزات وتحميلات تتم عند المدخل بالخارج ، وعندها تراجعت تلك المخلوقات عند النوافذ للوراء ، كما لو كان هذا تنفيذاً لأمر لم يسمعه سواهم . نفذوا الأمر بانتظام . لم يكن هذا هو الوقت المعتاد من اليوم حيث يتجمعون فيه . لكن من الواضح أن الأمور قد تغيرت .

توجه كلاى نحو النافذة الكبيرة عند حجرة المعيشة . وهو يحمل البندقية . وتبعته آليس وتوم . راقبوا مجانين الهاتف والذين لم يعودوا فى نظر كلاى مجانين على الإطلاق . على الأقل بالمفهوم الذى يعرفه وهم يتراجعون ، بظهورهم فى سلاسة مخيفة ، ومن دون ذرة اضطراب فى حركتهم جميعاً . إلى أن توقفوا عند المنطقة بين نزل شيتهام ، والأطلال المحترقة لملعب الكرة . وكأنهم كتيبة عسكرية منهكة تنفذ خطة انسحاب مدروسة . وأعينهم لم تبارح المبنى .

تساءل صوت خجول : " ما سبب تلطخ أيديهم وأقدامهم بالسواد ؟ " . التفتوا إلى صاحب الصوت . وكان جوردان . إن كلاى نفسه لم يلحظ ذلك السخام والفحم الذى كان على أذرع أولئك الذين بالخارج . ولكن ومن قبل أن يعلق على هذا ، أجاب جوردان على سؤاله قائلاً : " لقد ذهبوا إلى هناك ، وعاينوا بأنفسهم . أليس كذلك ؟ هذا أكيد . ذهبوا ورأوا ما فعلناه بأصدقائهم . وجن جنونهم . بوسعى التيقن من هذا . ماذا عنكم أنتم ؟ "

لم يود كلاى أن يجيبه بالإيجاب . إلا أنه كان يشاركه نفس التيقن بالطبع . ذلك الإحساس الثقيل المسيطر على جو المكان . ذلك الإحساس بوجود رعد يعربد داخل شبكة كهربائية : كان هذا هو الغضب . تذكر بيكسى الشقراء ، وهى تغرس أسنانها فى رقبة تلك المرأة ، وتلك العجوز التى انتصرت فى معركة مدخل النفق فى شارع بويلستون ، وبعدها هرعت نحو الساحة العمومية لبوسطن ، والدم ينزف من رأسها الأشيب . وذلك الشاب العارى سوى من حذاء رياضى وهو يركض ملوحاً بهوائيى سيارة . كل هذا الغضب هل يعتقد أنه قد تبدد مع بداية تجمعهم فى أسراب ؟ إذن عليه أن يعيد حساباته من جديد .

قال توم : " إننى أشعر بها . جوردان . ولكن لو كانوا يمتلكون قدرات عقلية خارقة ، فلماذا لم يدفعونا إلى أن نقتل أنفسنا ، أو أن يقتل كل منا الآخر ؟ "

جاوبته آليس قائلة بصوت مرتجف : " أو أن يفجروا رؤوسنا . لقد رأيت شيئاً من هذا القبيل فى فيلم قديم ذات مرة " .

قال جوردان : " لا أدرى " . ثم نظر إلى كلاى متسائلاً : " ولكن أين زعيمهم الأشعث ذاك ؟ "

" هل هذا وصفك له ؟ " . كان ينظر إلى رسمه الذى كان لا يزال يحمله معه ، ذلك الجلد الممزق . والكم الممزق لردائه الصوفي . وسروال الجينز الواسع . فوجد أن وصف أشعث ليس بالبعيد عن هذا المخلوق الذى يرتدى شعار هارفارد .

قال جوردان بصوت خافت : " إنه مصدر كل هذه المتاعب " . عاد لينظر من جديد إلى تلك المخلوقات ، وعددهم لا يقل عن ثلاثمائة أو أربعمائة وقد وصلوا للتو من بلدات ومدن أخرى ثم عاد ينظر إلى كلاى متسائلاً : " هل رأيته ؟ "

www.rewity.com RAYAHEEN

" لم أره سوى فى ذلك الحلم " .

وهز توم رأسه بدوره نافياً .

قالت آليس : " لا يعدو بالنسبة لى أن يكون مجرد رسم على قصاصة ورق . فأنا لم أحلم به. كما لم أر بينهم الآن أى شخص يشبهه . ما الذى كانوا يفعلونه فى ملعب الكرة ؟ هل تعتقدون أنهم كانوا يحاولون التعرف على قتلاهم ؟ " . نظرت إليهم فى تشكك وهى تضيف : " أليس من الصعب حتى الآن الدخول إلى ذلك المكان ؟ فهو لا يزال أشبه بالجحيم " .

تساءل توم بدوره قائلا : " ما الذى ينتظرونه ؟ فلو لم يهاجمونا أو يدفعونا إلى قتل بعضنا البعض ، فما الذى ينتظرونه إذن ؟ "

أدرك كلاى بغتة سبب انتظارهم ، كما أدرك فى ذات اللحظة شخصية الرجل الذى رأوه فى الحلم . فلم يكن سوى السيد " ديفان " ، معلم الرياضيات بمدرسته الثانوية . وعندها هرع متوجهاً نحو القاعة الأمامية .

صاح توم : " إلى أين أنت ذاهب ؟ "

" لأتعرف على ما تركوه لنا " .

هرعوا بدورهم خلفه . وكان توم أول من لحق به وقال ويد كلاى لا تزال على مقبض الباب : " لا أرى أن هذه فكرة جيدة " .

" قد تكون محقاً . إلا أن هذا هو بالذات ما ينتظرون منا أن نقوم به . ولو أنهم كانوا يقصدون قتلنا لكانوا قد فعلوا هذا منذ اللحظة الأولى " .

قال جوردان بصوته المنهك الصغير : " ربما كان على حق " .

فتح كلاى الباب المفضى إلى المدخل الأمامى الكبير للنزل ، بأثاثه المريح وطلته على المنحدر الذى ينتهى عند ساحة

الأكاديمية ، والتى تم إعدادها لاستقبال الطلاب للجلوس فى مثل هذه الظهيرة المشمسة ، ولكن فى هذه اللحظة كانت حالة الجو هى أبعد ما يفكر به كلاى . عند أسفل العتبات الخارجية وقف المجانين فى صفوف اتخذت شكلا هرمياً : واحد فى المقدمة ، وخلفه اثنان، ومن ثم ثلاثة خلفهما ، وأربعة ، وخمسة ، وستة . كانوا فى عشرين صفاً . كان الرجل فى المقدمة هو نفسه من رآه كلاى فى الحلم . بنفس رداء هارفارد . ونفس الخد الأيسر المزق وقد خاطه بشكل بدائى إلى جانب أنفه . رأى كلاى أن الرجل قد صنع غرزه هذه بخيط صنارة ليس إلا . سقطت شفته لأسفل لتظهر أسناناً كان يعتنى صاحبها بها، قبل أن يعم كل هذا الجنون العالم .

أمام الباب، وفوق ممسحة الأحذية الكبيرة المكتوب عليها مرحباً . قبعت حفنة من الأشياء غريبة المنظر . بدت أشبه بقطعة فنية معدنية أشبه بتلك التى يصنعها أصحاب الشطحات من الفنانين . وسرعان ما أدرك كلاى أنه ينظر إلى البقايا المنصهرة لأجهزة الاستيريو التى كانت تحيط بالملعب .

عندها انطلقت صرخات آليس . فحينما فتح كلاى الباب سقطت بعض من قطع تلك الأجهزة المنصهرة ، وفوقها سقطت قطعة كانت أعلى تلك الكومة من القطع بالأسفل . تقدمت للأمام خطوة قبل أن يستطيع كلاى منعها ، لتُسقط أحد مسدسيها كى تلتقط الشيء الذى رأته وصرخت لأجله . فلقد رأت حذاءها الصغير بين كومة الخردة هذه، فالتقطته واحتضنته إلى صدرها .

تبادل كلاى وتوم النظرات . لم يكونا يتخاطبان عن بعد ، وإن كانا يفهمان بعضهما البعض . كانت عينا توم تسألان كلاى عما سيحدث الآن .

عاد كلاى لينظر إلى ذلك الرجل الأشعث . كان يتساءل عما إذا كان بوسعه حقاً أن يقرأ أفكارهم . مد يديه باتجاهه . وكانت

البندقية لا تزال فى يده ، إلا أن الرجل ومن معه لم يعيروا تلك البندقية اهتماماً . رفع كلاى يده لأعلى وراحتها تجاههم وهو يكاد يسألهم : " ما الذى تريدونه منا ؟ ".

ابتسم الرجل . لم تكن ابتسامة مداعبة . فقد كان كلاى يرى الغضب فى عينيه البنيتين اللتين ليس بداخلهما أى بريق . كانت ابتسامة خاوية ليس إلا فقد كان أشبه بالدمية التى تبتسم .

رفع الرجل إصبعاً لأعلى . وعندها تعالت صرخات من مكان ما بالخلف . صرخات معاناة وعذاب . يصاحبها بعض البكاء . من الواضح أنهم قد هجموا على بعض الأبرياء ممن تصادف مرورهم بالمكان راحلين .

صاحت آليس فيهم : " ما الذى تفعلونه ؟ " . تقدمت للأمام وهى تزيد من ضغط يدها على الحذاء الصغير . بينما تقلصت عضلات ساعديها النحيفين . " ما الذى تفعله بهؤلاء الأبرياء هناك ؟ "

وجد كلاى أن الأمر لا يحتاج إلى سؤال .

رفعت يدها المسكة بالمسدس . فأمسك به توم وانتزعه منها قبل أن تضغط الزناد . فانقضت عليه وهى تهاجمه بأظافر يدها الخاوية .

" أعده لي، أتسمعنى ؟ ... أتسمعنى ؟ "

جذبها كلاى بعيداً عن توم . بينما وقف جوردان يراقب الموقف بعينين ملتاعتين متسعتين ، وذلك الرجل يقف عند رأس حشده يبتسم ابتسامة تخفى خلفها الغضب ... الغضب وحده .

رمى توم المسدس فى سرعة : " ... لنحمد الله على هذا ... هل كنتِ تريدين أن تتسببى فى مصرعنا ؟ "

" وهل تعتقد أنهم سيتركوننا نرحل ؟ " . كانت تبكى بشدة حتى أصبح من الصعب فهم ما تقول . وقد سال المخاط من فتحتى أنفها . بينما تواصلت الصرخات والصيحات بالأسفل ، وبالقرب من الساحة التى تحفها الأشجار . كانت هناك امرأة تصيح : " كلا ، أرجوك لا تفعلها ... أرجوك لا تفعلها " ، وسرعان ما ضاع صوتها وسط عويل بالغ الألم .

قال توم وهو يحاول الاحتفاظ بهدوئه : " لا علم لى بما سيفعلونه بنا، ولكنهم لو كانوا يقصدون قتلنا، لما قاموا بما يفعلونه الآن . انظرى إليه، آليس ... وعندها ستدركين أن ما يحدث هناك بالأسفل فى مصلحتنا " .

دوت أصوات أعيرة نارية بينما يحاول بعض هؤلاء المجانين الدفاع عن أنفسهم ، إلا أنها لم تكن طلقات كثيفة . مع كثير من صرخات الألم والدهشة والخوف ، جميعها آتٍ من المنطقة التى تلاصق الأكاديمية مباشرة، وحيث احترق سرب المجانين . ومن المؤكد أن كل هذا لم يدم لأكثر من عشر دقائق، إلا أن الوقت نسبى فى بعض الأحايين ، هكذا خيل لكلاى .

فقد كان الوقت يمضى بالنسبة لهم وكأنه الدهر .

٣٠

حينما توقفت الصرخات فى نهاية المطاف ، كانت آليس تقف بين كلاى وتوم مطرقة الرأس . كانت قد وضعت مسدسيها على منضدة مخصصة للحقائب والقبعات بالقرب من الباب الأمامى . بينما أمسك جوردان بيدها ، وهو ينظر نحو الرجل ورفاقه القابعين فى مواضعهم . لم يلحظ الصبى حتى الآن غياب رئيسه . إلا أن كلاى علم أنه سرعان ما سيلحظ هذا ، وعندها سيبدأ المشهد الثانى فى هذا اليوم الفظيع .

تقدم الرجل الأشعث خطوة للأمام ، وانحنى بجذعه بينما باعد بين ذراعيه، وكأنه يقدم لهم فروض الطاعة . ثم رفع نظره وهو يشير بيد تجاه ساحة الأكاديمية من خلفه . نظر إلى المجموعة الصغيرة التى تقف لدى الباب خلف كومة الأجهزة المنصهرة . بدت الرسالة الواضحة لكلاى ... لقد صار الطريق لكم . ولن يعوقكم شيء بعد الآن عن الرحيل .

فقال : " ربما . ولكن علينا الآن أن نتفق على شيء محدد . فأنا متأكد من أن بوسعك أن تقتلنا لو أردت ، فأنتم الأكثرية ، ولكن بمقدورى أن أعمل على أن يتولى شخص آخر الأمور منذ الغد . لأننى سأعمل بنفسى على أن تكون أنت أول من أقتله " .

وضع الرجل يديه على خديه وقد اتسعت عيناه ، وكأنه يقول : " يا إلهي! " . بينما بقى كل من خلفه أقرب إلى روبوتات من دون حراك . نظر إليه كلاى لدقيقة ، ثم أغلق الباب فى هدوء .

قالت آليس : " آسفة ... لم يكن بوسعى احتمال صرخاتهم " .

رد توم قائلاً : " لا بأس . لم يحدث شيء . وها قد تسببوا فى إعادة الحذاء العزيز إليك " .

نظرت إليه وهى تقول : " أهو من قادهم إلينا ؟ هل شموا فيه رائحتنا ؟ "

جاوبها جوردان بقوله : " كلا " . كان يجلس إلى مقعد عالى الظهر فبدا صغيرا منهكا : " كانت هذه طريقتهم للتعبير عن معرفتهم بنا . هذا ما أراه على الأقل " .

فقال كلاى : " أجل . أعتقد أنهم عرفوا أننا السبب حتى من قبل أن يأتوا إلى هنا . عرفوه من أحلامنا، تماماً كما عرفنا ذلك الرجل " .

ردت آليس : " لكننى لم أره فى الحلم " .

قال توم : " هذا لأنك كنتِ مستيقظة . فلا تتعجلي. فسوف ترينه فى أحلامك عما قريب ... هذا إن كان لديه شيء يود أن يقوله لك . إلا أننى ما زلت لا أفهم سبب ما حدث . فنحن من فعل هذا. وهم يعرفون أننا من فعله " .

وافقه كلاى الرأى قائلاً : " بالفعل " .

" فلماذا قرروا أن يقتلوا أولئك الأبرياء بدلاً من أن يقتلونا نحن ؟ إننى أفهم أن هذه أعمال انتقامية . ولكننى لم أفهم السبب وراء ... " .

قطع جوردان عليه كلامه حينما نهض عن المقعد بغتة وهو ينظر حوله فى قلق مفاجئ متسائلاً : " أين الرئيس ؟ "

٣١

لحق كلاى بجوردان ، إلا أن الصبى كان قد وصل إلى الطابق الثانى . " تمهل ، جوردان " .

" كلا " . كان وجهه شاحباً، مصدوماً أكثر من ذى قبل . شعره يحيط بوجهه بشكل غريب . " كان من المفترض أن يهبط ليلتحق بنا وسط كل تلك الجلبة التى حدثت ! كان من المفترض هذا ، هذا إن كان على ما يرام " . بدأت شفتاه ترتجفان وهو يضيف : " ألا تذكر تلك الطريقة التى كان يحك بها نفسه ؟ ماذا لو كان الدواء الذى أعطيته إياه ليس دواء القرحة ؟ "

" جوردان ... " .

لم يعره جوردان أى انتباه. وتيقن كلاى من أنه قد نسى كل شيء مما حدث بالخارج الآن . حرر الصبى نفسه من قبضة كلاى ، وهرع عبر الطرقة وهو يصرخ : " سيدى ، سيدى ! " . بينما كان جميع رؤساء الأكاديمية السابقين ينظرون إليه فى عجب من خلال صورهم المعلقة على الجدار .

www.rewity.com ARAYAHEENA

ألقى كلاى نظرة على الدرج . لن تفيده آليس فى شيء . فقد كانت تجلس عند نهاية الدرج وقد أطرقت رأسها، تحدق فى ذلك الحذاء اللعين بينما بدأ توم يصعد نحوه فى تسليم . سأل كلاى : " ما رد الفعل الذى تتوقعه ؟ "

فى الحقيقة إن جوردان مؤهل لتقبل الأمر منذ أن لاحظ غياب سيده و ...

قطعت صرخة جوردان كلامه . كانت صرخة رفيعة اخترقت أذن كلاى كالحربة . وكان توم هو من سبقه إلى الصبي، بينما تسمر كلاى فى مكانه عند نهاية الطرقة للحظات أسيراً لخاطر خطر له : ليس هذا برد فعل من يجد شخصاً وقد أصيب بأزمة قلبية . أيمكن أن يكون العجوز قد أخطأ فى استخدام نوع الدواء ؟ . كان قد وصل إلى منتصف الطرقة حينما سمع توم يصرخ مصدوماً بدوره وهو يقول : " يا إلهى . . لا تنظر ، جوردان ... لا تنظر " .

عندها صاحت آليس : " انتظرنى ! " . إلا أن كلاى لم ينتظرها . كان الباب المفضى إلى جناح الرئيس بالأعلى مفتوحاً وحجرة المكتب بكتبها، وغرفة النوم بالخلف وبابها المفتوح ليسمح ببعض النور فى المكان . كان توم يقف أمام المكتب، وهو يحتضن رأس جوردان . كان الرئيس جالساً خلف المكتب . وقد عاد بظهره إلى الوراء وعين واحدة خاوية تحدق نحو السقف . وقد انتثر شعره الأشيب الطويل ليغطى أعلى المقعد . بدا فى خيال كلاى كعازف بيانو عزف للتو الجزء الأخير من مقطوعة صعبة .

سمع آليس تصرخ رعباً ، إلا أنه كان مشغول البال عنها . كان يشعر وكأنه مسافر داخل جسده ، وهو يسير نحو المكتب ناظراً إلى الورقة التى استقرت فوق نشافة الحبر . ومع أنها

كانت ملوثة ببقع الدم، إلا أن الكلمات المدونة عليها كانت واضحة، وخط الرئيس واضح مقروء .

نظر إلى الورقة ملياً فتبينت له هذه الكلمات :

Aliene geisteskrank
Insano
Elnebajos vansinnig fou
Atamagaokashii gek dolzinnig
bullu
gila
Meschuge nebun
Dement

لم يكن كلاى يجيد سوى الإنجليزية والقليل من الفرنسية ، إلا أنه أدرك جيداً ما تعنيه هذه الكلمات . وفهم أن ذلك الرجل زعيم المجانين قد أراد لهم أن يرحلوا ، وأدرك بطريقة ما أن الرئيس آرداى أكبر سناً ، وأعجز من أن يرحل معهم . فأجبره على الجلوس إلى مكتبه ليكتب ترجمة كلمة مجنون بأربع عشرة لغة مختلفة . وحينما انتهى من ذلك، أجبره على أن يغرس قلمه الحبر فى عينه اليمنى وحتى المخ .

تساءلت آليس بصوت مبحوح : " لقد جعلوه يقتل نفسه ، أليس كذلك ؟ ... لماذا هو وليس نحن ؟ لماذا هو وليس نحن ؟ ما الذى يريدونه منا ؟ "

تذكر كلاى إشارة يد الرجل نحو ساحة الأكاديمية ، والتى كانت بدورها جزءاً من الطريق ١٠٢ . لقد أراد مجانين الهاتف - ولم يعودوا مجانين بالمعنى الطبيعى للكلمة - منهم أن يرحلوا مجدداً عن المكان. أما غير ذلك فيبقى مجهولاً بالنسبة له ، وربما كان فى هذا خير لهم . ربما كان فيه بعض الرحمة .

ورود ذابلة وحديقة أصبحت أثراً بعد عين

www.rewity.com
^RAYAHEENA^

١

كان هناك نصف دستة من مفارش المائدة الكتّانية فى خزانة عند نهاية المدخل الخلفى . فاستخدموا أحدها ككفن للرئيس آردای . تطوّعت آليس لتخيطه وتغلقه على جثمانه ، لكنها انهارت باكية عندما لم تحتمل أعصابها فكرة أنها هى من سيسطر آخر سطور حياة ذلك الرجل . تولى عنها توم هذه المهمة . فشد طرفى القماش فى قوة ، وخاط الطرفين فى سرعة ومهارة . كان كلاى يراقبه كما لو كان ملاكما يتدرب على كيس ملاكمة خفى فيلكمه لكمات سريعة بيده اليمنى .

قال له توم من دون أن ينظر إليه : " لا تبدأ فى التلفظ بدعاباتك . إننى أقدر لك ما قمت به فى الطابق العلوى ، فلم أكن لأستطيع القيام به إلا أننى لن أحتمل أية دعابة الآن ، حتى ولو لم تكن ساخراً ، فإننى بالكاد أتمالك أعصابى " .

" لا تقلق " . كانت الداعبة آخر ما يمكن أن يفكر فيه كلاى الآن . أما بالنسبة لما قام به فى الطابق العلوى فهو . . . أنه قد كان من الضرورى أن يخرج أحدهم القلم من عين الرئيس . فلم يكن من الممكن أن يرتضوا بتركه فى محله . لذا فقد تولى كلاى أمره . وفعلها وهو يشيح بنظره بعيداً فى الجهة المعاكسة ، وهو يحاول أن يصرف عقله عن التفكير فيما يفعله ، أو عن سبب هذه القوة التى غرس بها الرجل القلم داخل عينه . وكاد بالفعل ألا يفكر فى كل هذا ، إلا أن القلم أحدث عند خروجه

www.rewity.com
TARAYAHEEN

صوتا عندما احتك بعظم مقلة عين العجوز قبل أن يخرج منها . تبعه صوت لزج مقزز لسقوط شيء عن سن القلم مستقراً على نشافة الحبر . عرف أنه سيظل يذكر هذين الصوتين بقية حياته . إلا أن الأهم هو أنه أخرج هذا الشيء اللعين من جثة الرجل .

بالخارج وقف قرابة الألف من مجانين الهاتف فوق المرج الأخضر ما بين الأطلال المتفحمة لملعب الكرة ونزل شيتهام . قبعوا فى أماكنهم طيلة الظهيرة . وعند الخامسة تجمعوا فى صمت متوجهين نحو وسط البلدة . بينما حمل كلاى وتوم الجثة داخل الكفن . وهما يهبطان الدرج الخلفى ليسجياه فوق أرض المدخل الخلفى . وقف الأربعة الناجون داخل المطبخ وتناولوا الوجبة التى اعتادوا أن يسموها بالإفطار بينما بدأت العتمة تحل بالخارج .

أدهشهم أن جوردان كان يتناول طعامه بشهية طيبة . وقد عاد لون وجهه إلى طبيعته . وأصبحت كلماته أكثر سلاسة . حدثهم عن طرف من ذكريات حياته بالأكاديمية ، وعن تأثير الرئيس آردای عليه ، وهو الصبى الشغوف بالكمبيوتر ، والقادم من ماديسون ، بولاية ويسكونسن كى يزداد تخصصاً فيه . ازداد قلق كلاى لما لاحظه من وضوح مبهر لذكريات هذا الصبى ، وحينما نظر إلى آليس وتوم أدرك أنهما يشاطرانه نفس الشعور . فقد كان عقل جوردان يتداعى ، إلا أنه قد كان من الصعب عليهم إدراك ما يتوجب عليهم أن يفعلوه تجاه هذا ؛ فمن الصعب عليهم الآن أن يرسلوا فى طلب طبيب نفسى .

اقترح توم ـ وكان الظلام قد حل ـ على جوردان أن ينال قسطاً من الراحة . فقال جوردان إنه سيفعل ولكن ليس قبل أن يدفنوا جثة الرئيس . وقال إن من الممكن أن يدفنوه بأرض الحديقة

خلف النزل . أخبرهم بأن الرئيس كان يسمى قطعة الأرض تلك " حديقة النصر " على أنه لم يخبره بسبب هذه التسمية أبداً .

قال لهم جوردان وهو يبتسم : " هذا هو المكان " . كان خداه متوردين الآن . بينما التمعت عيناه داخل مقلتيهما بشيء يجمع بين الإلهام والبهجة والجنون فى آن واحد . " الأرض هنا رخوة ، بالإضافة إلى أن هذا قد كان مكانه المفضل . . . خارج المبانى بالطبع . فما رأيكم ؟ لقد ذهبوا ، ولن يمكنهم الخروج إلى هنا ليلا ، فهذا لم يتغير فيهم بعد ، وبوسعنا استخدام فوانيس الغاز لتنير لنا مكان الحفر . ما رأيكم ؟ "

سأله توم بعد تفكير : " هل هناك جوارف ؟ "

" بالتأكيد . داخل مستودع البساتين . ولن نضطر إلى العودة إلى تلك الصوبات الزراعية على الأقل " . كان الصبى يضحك فى الواقع وهو يتكلم .

قالت آليس : " هيا لننته من هذه المهمة وندفنه " .

بينما قال كلاى وهو ينظر إلى جوردان : " وستنال قسطاً من الراحة بعدها " .

صاح جوردان فى فروغ صبر : " بالتأكيد ، بالتأكيد ! " . نهض عن كرسيه وبدأ يجول الغرفة . ثم قال فى حدة : " هيا بنا يا رفاق ! " ، قالها وكأنه يدعوهم إلى الاشتراك فى لعبة ما .

هكذا قاموا بحفر القبر فى حديقة الرئيس خلف النزل ودفنوه بين ما هو مزروع فيها من بقوليات وطماطم . أنزل توم وكلاى الجثمان داخل الحفرة ، والتى كان عمقها ثلاث أقدام . ساعد المجهود على تدفئة أجسادهم ، ولم يلحظوا برودة الجو إلا حينما فرغوا من الدفن ، بل لقد كان الطقس أقرب إلى الصقيع . كانت النجوم ساطعة جدا فوقهم ، إلا أن هناك ضبابا

كثيفاً قد بدأ فى التراكم أسفل المنحدر . وكان قد غطى بالفعل ساحة الأكاديمية ؛ لم يكسر حدته سوى السقوف حادة الميل للبيوت القديمة بالأسفل .

قال جوردان : " كنت أتمنى لو أن أحداً منا يجيد قرض الشعر " . كان احمرار خديه قد زاد ، وازداد تراجع عينيه داخل مقلتيهما وكان يرتجف بالرغم من السترتين اللتين يرتديهما . خرجت أنفاسه وكأنه يلهث قليلاً . " لقد كان الرئيس يحب الشعر . إلا أنه كان غير معجب بما يكتبونه هذه الأيام . فقد كان . . " . ها قد بدأ صوت الصبى يتهدج أخيراً . " لقد كان من المعجبين بالشعر القديم " .

قبضت آليس على كتفيه وقربته منها . حاول جوردان أن يتملص منها ، إلا أنه استسلم فى النهاية .

قال توم : " لندفئ جسده قليلاً حتى لا يبرد . بعدها نقرأ عليه بعض الشعر . أليس هذا مناسباً ؟ "

" وهل تعرف أنت بعضاً من الشعر ؟ "

" بالتأكيد " .

" هذا لطف منك ، توم . شكراً " . بينما ابتسم له جوردان فى إعياء وامتنان .

ردموا القبر فى سرعة ، مع أنهم احتاجوا إلى بعض التربة من الأجزاء القريبة من الحديقة حتى يسووا القبر بالأرض . وما إن انتهوا ، حتى كان كلاى يتصبب من جديد ، وصارت رائحة عرقه ظاهرة . فقد مر وقت طويل منذ أن استحم لآخر مرة .

حاولت آليس أن تريح جوردان فلا يساعدهم فى شيء ، إلا أنه نجح فى التملص منها ، وأخذ يهيل التراب فوق القبر بيديه . وحينما فرغ كلاى من القبر كان الصبى قد أنهك ، وهو يسير مترنحاً كالسكير .

إلا أنه نظر لتوم قائلاً : " هيا نفذ ما وعدتنى به " . خيل لكلاى أن نبرة الصبى أقرب إلى نبرة رجل عصابات من الغرب ، وكأنه على وشك أن يقول ولتجعلها قصيدة جيدة وإلا قطعت رأسك .

خطا توم إلى أحد طرفى القبر وظن كلاى أنه عند الرأس ، إلا أنه لم يستطع التذكر فى ظل هذا الإنهاك الذى يعانيه . بل إنه لا يتذكر يقيناً ما إذا كان الاسم الأول لهذا الرئيس قد كان تشارلز أو روبرت . كان الضباب قد صار كثيفاً لدرجة أنه كان يلتف حول قدمى توم ، وهو يسير بين نبتات الفول الميتة . خلع قبعته ، وكذلك فعلت آليس . مد كلاى يده ليخلع قبعته إلا أنه سرعان ما تذكر أنه لا يرتدى واحدة .

صاح جوردان : " أنتم على حق ! " . كان يبتسم جذلا لأنه فهم ما قصدوه من تلك الحركة . " لنخلع له القبعات احتراماً ! لنخلع له القبعات احتراماً ! . " كان من دون قبعة هو الآخر ، إلا أنه حاكى حركة خلعها والتلويح بها فى الهواء ، ووجد كلاى نفسه قلقاً مرة أخرى خوفاً أن يجن جنون الصبى . " هيا يا توم ! القصيدة ! " .

" حسناً . . . لكن عليك أن تهدأ . وأن تبدى احتراماً " .

وضع جوردان إصبعاً على فمه ليبين له فهمه ، وحينها تبين لكلاى أن الصبى لم يفقد عقله بعد . قد يكون فقد صديقه ، إلا أنه لم يفقد عقله .

انتظر كلاى ، وهو شغوف كى يرى تصرف توم تجاه الصبى . توقع أن يلقى على مسامعه بعضاً من شعر " فروست " أو " شكسبير " مما كان يلقى قبولاً لدى الرئيس ، أو ربما ألقى عليه شعراً من تأليفه هو (سوف نلتقى من جديد يا رئيس) . إلا أنه لم يتوقع أبداً ما نطق به فم توم بإلقاء شاعرى .

" لا تحرمنا رحمتك يا ربنا ؛ لتحمنا محبتك ورعايتك . الصعاب تحيط بنا من كل جانب ؛ وقد غلبتنا آثامنا فأعمتنا . آثامنا فاقت عدد شعر رؤوسنا ، وقد قست قلوبنا . رحماك يا ربنا ؛ يا ربنا أنقذنا بأسرع وقت " .

كانت آليس تمسك بحذائها وتبكى عند حافة القبر . كانت مطرقة الرأس ، وتنتحب فى سرعة وبصوت خفيض .

بكى جوردان بصوت كسير : " آسف ، أيها الرئيس ! آسف سيدى ، فليس هذا منطقياً . . . آسف لموتك . . . . " . رقد إلى جوار القبر يتشبث به وسرعان ما فقد الوعى . وقد أحاط الضباب به كفكى مصيدة .

رفعه كلاى عن الأرض وجس نبضه عند العنق ، فوجده منتظماً قوياً . مجرد إغماءة . من أين واتتك هذه الأدعية ، توم ؟

بدا توم خجلان وهو يقول : " إنها بعض الأدعية التى كنت أحفظها ولكنى لم أتذكرها كلها . دعونا نأخذه للداخل . . . " .

قال كلاى : " كلا . لو كان هناك بقية لهذه الأدعية . . . فلا بأس أن تلقيها " .

قالت آليس : " أجل أرجوك . فقد كانت جميلة ، كالبلسم " .

استدار توم ليواجه القبر من جديد . كان يستجمع زمام نفسه من جديد ، أو ربما كان يتذكر النقطة التى توقف عندها . " هنا يرقد الميت ، تراب هذه الأرض ، وها نحن الأحياء ، مساكين محتاجون إليك يا ربنا ، فاشملنا برعايتك . أنت مغيثنا ؛ ليكن عونك سريعاً يا ربنا . آمين " .

أمن معه كلاى وآليس فى صوت واحد .

قال توم : " هيا . . . لنأخذ الصبى للداخل . فالجو صقيع هنا " .

سأله كلاى : " هل تحفظ الكثير من هذه الأدعية ؟ "

" أوه . . أجل . . . عن ظهر قلب . علينا أن ندفئ هذا الصبى فى فراشه . أراهنك أنه سينام حتى نهاية نهار الغد على أقل تقدير ، وسيكون أحسن حالاً بكثير حينما يستيقظ " .

سألته آليس : " ماذا لو أتى الرجل ذو الخد الممزق ليجد أننا لا نزال هنا بعد أن أخبرنا بأن علينا أن نذهب ؟ "

رأى كلاى أن السؤال وجيه ، إلا أنه لم يكن يود أن يسمعه فى هذه اللحظة بالذات . فإما أن يمنحهم ذلك الرجل الأشعث مهلةً ليوم آخر أو لا . وبينما كان يحمل جوردان إلى الطابق العلوى ، وجد كلاى أنه قد وصل إلى درجة من التعب تمنعه عن التفكير فى أى شيء .

٢

مع حلول الساعة الرابعة صباحاً ، تركتهما آليس وتوجهت لتنام فى غرفتها . جلس الرجلان فى المطبخ ، يشربان الشاى المثلج ، ولم يتبادلا الكثير من الكلام . فلم يكن هناك شيء يستحق أن يقال . وقبيل الفجر بقليل سمعا صوت إحدى تلك الآهات التى تصم الآذان ، تأتى من مكان ما بعيد ، وقد حملها الضباب معه من جهة الشمال الشرقى . تردّد مثل بكاء مخلوق مشوه فى فيلم رعب قديم ، وما إن بدأ الصوت يخفت ، حتى جاوبته صرخة أعلى صوتاً تأتى من جهة جايتين ، حيث قاد الرجل فريقه الجديد الأكبر عدداً .

توجها نحو مقدمة المبنى ، وهما يزيحان كومة الأجهزة المنصهرة حتى يستطيعا هبوط الدرج . لم يستطيعا رؤية شيء ؛ فقد كان الضباب الكثيف يغلف كل شيء . وقفا مكانهما برهة من الوقت قبل أن يعودا أدراجهما .

www.rewity.com ARAYAHEENA

لم يستيقظ أى من آليس أو جوردان بسبب تلك الأصوات ؛ وكان هذا جيداً . كان أطلس الطريق ، وقد تشرذم عند أطرافه ، ملقى على مائدة المطبخ . أخذ توم يتصفحه وهو يقول : " قد يكون مصدر ذلك الصوت " هوكسيت " أو " صنكوك " . فهما كبيرتا الحجم وإلى الشمال الشرقى من هنا مقارنة بنيو هامبشاير . إننى لأتساءل عن عدد من تخلصوا منهم هذه المرة ؟ والطريقة التى اتبعوها لأجل هذا " .

هز كلاى رأسه فى حيرة .

قال توم بابتسامة خفيفة : " أتمنى أن يكون عددهم كبيراً . أتمنى ألا يقل العدد عن الألف ، وأن يكونوا قد أتقنوا هذا . . . هل سنرحل فى الغد ؟ "

" هذا لو سمح لنا ذلك الرجل بأن نبقى أحياءً هذا النهار ، وأعتقد أن علينا أن نرحل على كل حال . ما رأيك ؟ "

" لا أرى أمامنا خياراً آخر ، لكننى سأخبرك بشيء ، كلاى . . . إننى أشعر كأنى مجرد شاة تساق إلى الذبح ليس إلا . بل أكاد أشم رائحة دم المذبوحين أمثالى " .

أحس كلاى بالشعور ذاته ، إلا أن ذات السؤال بزغ ثانيةً فى عقله : لو كانوا يمتلكون عقلية السفاح هذه ، فلماذا تركوهم ؟ كان بوسعهم الانتهاء من أمرهم ظهيرة الأمس ، بدلاً من أن يتركوا لهم هذه الكومة من الخردة وحذاء آليس الصغير .

تثاءب توم قبل أن يسأله : " سأنام قليلاً . هل يمكنك أن تراقب المكان لساعتين فقط ؟ "

" سيمكننى هذا " . لم تكن به رغبة فى النوم . فرغم إنهاك جسده إلا أن عقله لم يتوقف عن التفكير . وما إن يهدأ باله قليلاً ، حتى يعود فيتذكر صوت ذلك القلم وهو يخرجه من عين الرئيس : صرير المعدن فوق العظم . " لماذا " ؟

قال توم : " لأنهم لو قرروا قتلنا اليوم ، فمن الأفضل أن نمتلك نحن زمام المبادرة . خاصةً وقد راقبت ما بوسعهم أن يفعلوه اليوم . ألا تتفق معى فى هذا ؟ "

رأى كلاى أنه إذا كان العقل الجماعى الذى يمثله ذلك الرجل الأشعث هو الذى أجبر الرئيس على غرس قلم الحبر فى عينه حقاً ، فعندها قد لا يملك الباقون هنا حتى حق الانتحار . لم يشأ أن يفضى بأفكاره هذه إلى توم قبل أن يتوجه لينام . لذا فاكتفى بإيماءة برأسه .

" سوف أحمل كل الأسلحة للأعلى . ألا يزال معك ذلك المسدس القديم عيار ٤٥ ؟ "

" أجل . مسدس بيث نيكرسون . "

" تصبح على خير إذن . ولو رأيتهم يقتربون أو حتى شعرت بذلك فكل ما عليك هو أن تصيح بأعلى صوتك " . توقف توم لحظة قبل أن يضيف : " هذا إن وجدت وقتًا لهذا ، أو سمحوا لك بذلك " .

راقبه كلاى وهو يغادر المطبخ ، وقد أدرك أن توم كان يسبقه دوماً بخطوة فى كل ما يفكر فيه . وعندها شعر بإعجاب تجاه ذلك الرجل . وأن صداقتهما ستزداد رسوخاً مع مضى الزمن . وخطر له أيضاً أن جونى وشارون لم يكونا أبعد منه بأكثر مما هما عليه هذه اللحظة بالذات .

٣

فى الثامنة صباحاً جلس كلاى إلى مقعد فى أحد أطراف حديقة النصر ، وهو يذكر نفسه بأنه لولا أنه كان فى غاية التعب ، لكان قد نفض عنه هذا الكسل ، وأعد شاهداً لذاك القبر . لم يكنّ ليدوم طويلاً ، إلا أن الرجل يستحقه لكونه قد

اعتنى بآخر تلاميذه لآخر لحظات حياته . الغريب أنه كان يشعر بعجز كامل عن النهوض من مكانه ، والتوجه إلى النزل ، ليوقظ توم حتى يستلم نوبة حراسته .

سرعان ما سيبزغ نهار خريفى جميل آخر ، نهار يصلح لجمع التفاح ، وصنع شرابه ، واللعب فى باحة المنزل . كان الضباب لا يزال كثيفاً ، إلا أن أشعة الشمس صارت قوية من خلاله ، لتملأ المكان الذى يجلس كلاى فيه بنور أبيض براق . كانت قطرات الندى عالقة بالهواء ، ومئات من أقواس قزح أمام عينيه الثقيلتين .

أمامه تجسد شيء ما أحمر اللون من بين كل هذا الضباب . ظن فى البداية أن الرداء الأحمر ذا غطاء الرأس لذلك الرجل يطفو وحده وسط الضباب ، ولكن سرعان ما ظهر له وجهه ويداه السمراوان . كان يغطى رأسه هذا الصباح ، ليحيط غطاء الرأس بذلك الوجه المشوه وابتسامته وعينيه الخوايتين فى موات .

على جبهته أثر ضربه بالسوط .

يرتدى سروال جينز رثاً ممزقاً مضى عليه أسبوع الآن وهو يرتديه .

وعلى صدر ردائه أحرف هارفارد .

كان المسدس الذى كان ملكاً " لبيث نيكرسون " فى غمده . ولم يفكر كلاى حتى أن يضع يده عليه . توقف الرجل على بعد أقدام منه . كان يقف فوق القبر ، وشعر كلاى أنه قد وقف فوقه عن عمد . سأل الرجل وأجاب هو نيابة عنه فى الآن نفسه : " ما الذى تريده ؟ ... أريد أن أخبرك بشيء " .

جلس يحدق فى الرجل ، وقد ألجمته الدهشة . كان قد توقع تخاطراً عقلياً من نوع ما . ابتسم الرجل قدر ما تسمح به شفته المتهدلة ، وباعد بين ذراعيه وكأنه يقول له . . . أرأيت لم يكن هذا بشيء .

قال له كلاى : " أخبرنى بما تريد إذن " وقد دهش لأن ما تنطق به شفتاه ليس سوى الكلمات التى يرسلها إليه ذلك الرجل . . . كلماته هو وليست كلمات كلاى . حاول كلاى أن يستعيد قدرته على الحديث برغبته مرة أخرى ، ولكنه اكتشف أنه ليس فى مقدوره ذلك . فبدل وكأنه تحول إلى دمية خشبية مبتسمة تتكلم من بطنها .

" ارحلوا . الليلة " . ركز كلاى بشدة ، ثم هم قائلاً : " اصمت . . توقف عن هذا ! " .

كان الرجل ينتظر كلاى فى صبر حتى يتوقف عن مقاومته .

إلا أن كلاى قال له : " أعتقد أن بوسعى أن أبقيك بعيداً عن عقلى إن حاولت جدياً . لست متيقناً من نجاحى ، لكننى أعتقد أن بمقدورى هذا " .

بقى الرجل ينتظر فى صمت ، ووجهه يقول . . . هل انتهيت من كلامك ؟

عاد كلاى لينطق بأفكار الرجل : " بوسعى أن أستدعى . . . المزيد . . إلا أننى أتيت وحدى هذه المرة " .

تصور كلاى هذا الرجل وهو وسط حشد من المجانين فسلم بمنطقية كلامه .

" عليكم بالرحيل الليلة . . . إلى الشمال " . انتظر كلاى حتى انتهى الرجل من رسالته . . ثم سأله : " إلى أين ؟ ولماذا ؟ "

لم تكن هناك أية كلمات هذه المرة ، ولكنها صورة ظهرت بغتة فى مخيلته . كانت من الوضوح لدرجة جعلته يتساءل عما إذا كانت فى مخيلته هو ، أو أن الرجل يعرضها له على شاشة صافية وسط هذا الضباب كانت تحمل ما كانوا قد رأوه مكتوباً فوق أسفلت ساحة الأكاديمية بالطبشور الوردى :

KASHWAK=NO-FO

قال : " لم أفهم منها شيئاً " .

إلا أن الرجل كان قد بدأ يبتعد . رأى كلاى غطاء رأسه الأحمر للحظة . وقد عاد يبدو طافياً وسط الضباب الأبيض ؛ حتى اختفى . لم يجد كلاى ما يعزيه سوى أنه قد علم وجهتهم التالية . . . إلى الشمال ، وأنه قد منحهم مهلةً ليوم آخر . وهو ما يعنى أنه لم تعد هناك حاجة لنوبة الحراسة هذه . فقرر التوجه للنوم . وترك الباقين ينامون أيضاً .

٤

استيقظ جوردان أحسن حالاً ، وأهدأ أعصاباً . كان يتناول بعض الكعك وهو يستمع فى خمول إلى كلاى وهو يحكى لهم تفاصيل لقائه بذلك الرجل هذا الصباح . وحينما فرغ من حكايته ، تناول جوردان أطلس الطرق الخاص به ، ونظر فى الفهرس بالخلف ، ثم فتحه على صفحة ماين الغربية . قال لهم وهو يشير إلى بلدة فوق فايبورج : ها هنا . . . ها هى كاشواك ، إلى الشرق ، وكاشواك الصغرى إلى الغرب ، على الحدود بين نيو هامبشاير وماين . لقد تعرفت على الاسم من البحيرة . . . تكاد مساحتها تقارب مساحة سيباجو .

اقتربت منه آليس لتقرأ اسم البحيرة : " كاش . . . كاشواكا ماك ، يبدو لى أن هذا هو الاسم " .

قال جوردان : " إنها فى منطقة غير مأهولة بالسكان تسمى تى آر ٩٠ " . ثم أشار إلى بقعة على الخريطة قائلاً : " ما إن نعلم هذه المعلومات حتى تبدو تلك المعادلة لغزاً سهل الحل ، ألستم معى فى هذا ؟ "

قال توم : " تقصد أنها منطقة خاوية من أى شيء . أليس كذلك ؟ . . . لا أبراج لشبكة الهاتف المحمول ، أو أبراج ميكروويف " .

ابتسم له جوردان ابتسامة شاحبة وهو يرد : " قد يكون هناك أناس يمتلكون أطباق استقبال أقمار صناعية . . . ولا شيء خلاف هذا " .

ردت آليس : " لكننى لم أفهم . ما هو سبب رغبتهم فى رحيلنا إلى منطقة لا تستقبل موجات الهاتف المحمول ، وبالتالى منطقة لا تفقد البشر عقولهم ؟ "

جاوبها توم : " ربما يمكن أن نسأل كذلك عن سبب تركهم لنا كى نرحل من هنا " .

قال جوردان : " ربما كانوا يودون استغلالنا حتى نجتمع جميعاً هناك ثم يتخلصوا من الكل فى ضربة واحدة " .

فكروا فى كل الاحتمالات لبرهة من الوقت وهم صامتون .

قطعت آليس الصمت قائلة : " علينا أن نرحل إلى هناك على كل حال ، لكننى لن أكون أداةً فى أيديهم " .

نظر جوردان إليها فى وجوم : " لقد شاهدت بعينيك ما فعلوه بالرئيس . فهل ترين أن بيدك الخيار ؟ "

٥

كانت الأحذية لا تزال أمام أغلب المنازل الموجودة أمام الأعمدة التى تميز مدخل الأكاديمية ، إلا أن أبواب تلك المنازل الجميلة إما أنها مفتوحة أو محطمة . وحينما رحلوا متوجهين إلى الشمال رأوا بعض جثث الموتى مسجاة على أراضى حدائق المنازل ، وكانت لمجانين الهاتف ، إلا أن هناك الكثير من

جثث الأبرياء المرتحلين الذين كانوا فى المكان الخطأ فى الوقت الخطأ . كانت جثثهم مقطعة الأوصال بشكل انتقامى بشع .

مع دخولهم فى الطريق ١٠٢ خلف المدرسة وجدوا آثار مجزرة على جانبى الطريق وعلى امتداد نصف الميل . وجدت آليس نفسها تسير مغمضة العينين ، يقودها توم وكأنها عمياء . وحاول كلاى أن يقوم بالدور نفسه مع جوردان إلا أن الأخير رفض وهو يسير ببلادة وسط الطريق ، صبى نحيف يحمل على ظهره حقيبة . وفوق رأسه شعر كثيف . لم يحتمل سوى بعض نظرات فضولية حوله قبل أن يهرب من تلك المناظر بالتحديق فى حذائه أثناء سيره .

علق توم : " إنهم بالمئات " . كان الليل قد حل بعض الشيء والساعة الآن الثامنة . إلا أنهم كانوا قادرين على رؤية الكثير من المناظر لكل هؤلاء الصرعى من الأبرياء . كانت هناك فتاة متكومة عند إحدى علامات المرور بناصية الأكاديمية ، ترتدى سروالاً أحمر وقميصاً أبيض خفيفاً . لم يكن عمرها يتعدى التاسعة . وكانت حافية القدمين . وعلى بعد عشرين ياردة منها كان باب المنزل المفتوح والذى أخرجوها منه بقسوة دون انصات لتوسلاتها . " المئات " .

فقال كلاى : " ربما ليسوا بهذا العدد الكبير . فالبعض من الطبيعيين أمثالنا كانوا مسلحين ، وقد صرعوا الكثير من هؤلاء الأوغاد . وطعنوا آخرين منهم . بل لقد رأيت أحدهم وقد انغرس سهم فى . . . . " .

قاطعه توم : " نحن السبب فى هذه المجزرة . . . هل تعتقد أننا قد صرنا من نوع وحده مختلف بدورنا ؟ "

جاءت إجابة سؤاله هذا وهم يتناولون غداءهم البارد عند استراحة بجوار الطريق بعد ذلك بأربع ساعات . كانوا قد وصلوا وقتها إلى الطريق ١٥٦ ، وتبعاً لعلامة الطريق فإن هذه منطقة

جمالية ، تطل على هضبة تاريخية إلى الغرب . رأى كلاى أن المنظر من هنا سيكون جيداً ، هذا إن كان المرء يتناول غداءه هنا ظهراً وليس فى منتصف الليل ، ومن حوله فوانيس الغاز تنير له المكان .

كانوا قد وصلوا إلى الطريق الصحراوى ، حينما مر بهم وهم جلوس جماعة من كبار السن . ثلاثة منهم كانوا يدفعون عربات تسوق ملأى بالأغراض وكانوا جميعاً مسلحين . هؤلاء هم أول مرتحلين يرونهم منذ أن فارقوا الأكاديمية .

نادى توم عليهم ملوحاً : " هاي! هناك مائدة إلى جوارنا ، هذا إن أردتم الاستراحة قليلاً ! " .

نظروا إليهم . ثم بادرت امرأة عجوز بالتلويح لهم . كانت واحدة من بين اثنتين فى المجموعة ، ذات شعر أشيب يلتمع تحت نور النجوم . سرعان ما توقفت عن السير .

قال أحدهم وقد تبين لكلاى مدى ما يرتسم على محياه من عداء وخوف : " إنهم هم . . . هم عصابة جايتين " .

فقال آخر : " لتذهبوا إلى الجحيم " . واصلوا السير بخطوات أسرع قليلاً الآن ، مع أن العجوز كانت تعرج ، وإلى جوارها رجل يساعدها على تخطى حطام سيارة على الطريق .

نهضت آليس بغتة ، حتى أنها كادت تسقط أحد الفوانيس . فجذبها كلاى من ذراعها . " دعيهم وشأنهم ، صغيرتى " .

تجاهلته وهى تصيح بهم : " لقد حاولنا على الأقل وفعلنا شيئا . . . وما الذى فعلتموه أنتم ؟ ما الذى فعلتموه ؟ "

جاوبها أحدهم : " سأخبرك بما لم نفعله " . كانت المجموعة الصغيرة قد تجاوزتهم الآن ، وكان عليه أن يلتفت للوراء حتى يحدثها . استطاع هذا فى سهولة لأن الطريق كان خاوياً من السيارات المتروكة لمسافة مائتى ياردة أمامهم . " لم

www.rewity.com ARAYAHEENA

نتسبب فى مصرع العشرات من الطبيعيين . إنهم يفوقوننا عددا ، هذا إن كنتِ لم تلاحظى هذا بعد . . . " .

صاح فيه جوردان : " هذا هراء ، ولا يمكنك أن تثبت صحته ! " . لاحظ كلاى أن هذه هى أول مرة يتكلم فيها الصبى منذ أن فارقوا بلدة جايتين .

رد الرجل عليه قائلا : " هذه احتمالات ، إلا أنهم يمتلكون قدرات خارقة . وهذا مؤكد . يقولون بأنهم سيتركوننا لحالنا إن تركناهم وشأنهم ... وإذا تركناكم أنتم أيضًا وشأنكم . واتفقنا على هذا " .

قالت آليس : " لو كنت تصدق أى شيء يقولونه - أو يرسلونه لعقولكم - فأنت بالتالى مغفل " .

عاد الرجل ليلتفت إلى الطريق وهو يشيح بيديه فى سخط وعدم مبالاة ، ولم يعلق على كلامها .

راقبوهم وهم يبتعدون ، ثم عادوا لينظروا إلى بعضهم البعض عبر المائدة .

قال توم : " ها قد علمنا إجابة سؤالى . . . لقد صرنا منبوذين " .

قال كلاى : " ربما هذا غير صحيح إذا كان مجانين الهاتف يريدون منا أن نذهب إلى حيث يذهب بقية الطبيعيين - كما قد صاروا يسمون أنفسهم - . . أو ربما قد صرنا نوعاً مختلفاً وحده " .

ردت آليس : " ماذا ؟ "

لم يدر كلاى ماذا يقول ، إلا أنه فضل ألا يصيغ أفكاره بكلمات . وليس فى منتصف الليل بالتأكيد . " إننى مهتم الآن أكثر بكينت بوند . فأنا أريد . . . بل من الضرورى أن أعرف ما حل بابنى وزوجتى " .

سأله توم بنبرته الهادئة : " من الصعب أن يكونا قد بقيا بتلك البلدة ، أليس كذلك ؟ أقصد أنهما ، ومع أى مما قد يكون قد حدث لهما سواءً تحولا إلى مجنونى هاتف أو بقيا طبيعيين ، لابد أنهما قد فارقا البلدة " .

" لو بقيا طبيعيين فسوف يتركان لى رسالة . وعلى أية حال ، فإن من الممكن أن نجعل من كينت بوند مقصداً لنا " .

إلى أن يصلوا إلى هناك ، وينتهى هذا الجزء من الرحلة ، فإنه سينأى عن التفكير ولو مؤقتا عن السبب الذى يدفع الرجل إلى أن يأمرهم بالرحيل إلى مكان يكرههم فيه ويخشاهم الكل .

أو فى الكيفية التى تجعل مجانين الهاتف يدركون أن كاشواك = نو - فو Kashwak No-Fo هذه منطقة آمنة من الأصل .

٦

كانوا يمشون الهوينى شرقاً نحو الطريق ١٩ ، وهو طريق سريع يقودهم عبر حدود الولاية وصولاً إلى ماين ، إلا أنهم لم يصلوا إلى هناك تلك الليلة . بدت كل الطرق فى هذا الجزء من نيو هامبشاير مارةً عبر مدينة روشيستر الصغيرة ، والتى سوتها الحرائق بالأرض . لم تخمد نيرانها بعد ، تبعث فى المكان موجات حرارية واضحة . قادتهم آليس عبر تلك الأطلال . وقد شاهدوا ولعدة مرات عبارة كاشواك = نو - فو KASHWAK=NO-FO مخطوطة على الأرصفة ، وكانت إحداها مكتوبة ببخاخ الطلاء على جانب أحد الصناديق البريدية .

علق توم ساخراً : " تستحق هذه غرامة خرافية ، والسجن مدى الحياة فى جوانتانامو " .

قادتهم أقدامهم إلى ساحة سيارات واسعة عند مركز روشيستر التجارى . وقبل أن يصلوا إلى هناك بفترة طويلة أمكنهم سماع صوت موسيقى يصدح عبر مكبرات استيريو بمقطوعة من موسيقى الجاز الحديثة بدت لكلاى أشبه بتلك التى كان يسمعها فى المحال التجارية . كانت ساحة وقوف السيارات تعج بالنفايات؛ والكثير من السيارات التى تركها أصحابها . كانوا يشمون الروائح المنتنة للجثث المتناثرة عبر المكان .

قال توم : " يبدو أنهم يتجمعون هنا فى مكان ما " .

كان هذا فى منطقة المقابر المجاورة للمركز التجارى . من المفترض أن يأخذهم طريقهم جنوباً وغرباً بعيداً عنها . ولكنهم عندما غادروا ساحة سيارات المركز التجارى أصبحوا قريبين بما يكفى لكى يروا الأنوار الحمراء لمصابيح أجهزة الاستيريو تومض من بين الأشجار .

اقترحت آليس عليهم بغتةً وهم يدخلون فى شارع شمال ماين : " ربما أمكن لنا أن نقضى عليهم . فلابد أن هناك ناقلة بروبين صالحة فى مكان ما هنا " .

وافقها جوردان متحمساً وهو يرفع قبضتيه إلى جانبى رأسه يهزهما . وقد بدا أقرب إلى طبيعته لأول مرة منذ أن فارقوا نزل شيتهام : " أجل! وننال من رئيسهم! " .

إلا أن توم قال : " أنا لا أوافقكما الرأى " .

سأله كلاى : " هل تخشى من أن يستفزهم هذا ؟ " . هو نفسه اندهش حينما وجد نفسه متحمساً لفكرة آليس المجنونة .

" لا شك أن محاولة القضاء على سرب آخر من أسرابهم تعد فى حد ذاتها فكرة مجنونة . . . ولكن . . " .

قال توم : " ليس هذا ما أقصده " . سكت لحظة قبل أن يضيف متأملا : " ألا ترون ذلك الشارع هناك ؟ " . كان يشير

نحو ساحة تمتد بين المركز التجارى والمقابر . كانت تعج بالسيارات . جميعها كانت تسير قبل أن يتركها أصحابها مبتعدين فى سرعة عن المركز التجارى . وجد كلاى من السهل أن يتخيل مشهد تلك السيارات ممتلئة بالبشر الذين يحاولون العودة إلى منازلهم بعد النبضة . أناس يريدون أن يدركوا طبيعة ما حدث ، وأن يطمئنوا أن عائلاتهم بخير . وعندها من الطبيعى أن تمتد أيديهم إلى الهاتف المحمول وبشكل غريزى .

سأله : " ماذا عنه ؟ "

قال توم : " دعونا نتمشى عبره قليلا ، ونستطلع المكان بحرص شديد .

ما الذى رأيته هناك ، توم ؟ "

" أفضل ألا أصرح به الآن . فربما لا يكون هناك أى أساس له . ابتعدوا عن الرصيف ، وابقوا سائرين تحت الأشجار . كما أن ذلك الشارع يعج بالسيارات . ومن المؤكد أن هناك الكثير من الجثث به " .

كانت هناك العشرات من الجثث المتعفنة فى المنطقة بين شارع تومبلى وأرض المقابر الغربية . ومع وصولهم إلى صف الأشجار كانت الأغنية قد تغيرت لتحل محلها أخرى شهيرة تركت قلبى فى سان فرانسيسكو ، ومن مكانهم ظهرت لهم المصابيح الحمراء لأجهزة الاستيريو . ثم رأى كلاى شيئاً آخر فتوقف وهو يهمس مشدوهًا : يا إلهى . بينما أطرق توم برأسه .

فهمس جوردان بدوره متسائلاً : " ماذا ؟ . . . ماذا ؟ "

لم تنطق آليس بشيء ، إلا أن كلاى كان قد خمن من خلال الاتجاه الذى كانت تنظر إليه ، والانكسار الذى بدا عليها أنها قد رأت ما رآه . فقد كان هناك رجال يحملون أسلحة آلية يقفون

حراساً حول أرض المقبرة . حول كلاى رأس جوردان بيده نحوهم فأصيب الصبى بالإحباط .

همس الصبى : " هيا بنا نرحل من هنا . . . فتلك الرائحة تصيبنى بالغثيان " .

٧

وصلوا إلى منطقة استراحة أخرى عند ركن ميلروز ، والذى يبعد أربعة أميال شمال روشيستر كانت تتميز بمقاعدها الحجرية وموائدها . قام كلاى وتوم وجوردان بجمع بعض الحطب الجاف . بينما أثبتت آليس أنها فتاة كشافة ماهرة حينما نجحت فى إشعال النار ، وتسخين ثلاث علب من الفول . مر بهم وهم يأكلون طعامهم جماعتان صغيرتان من المرتحلين . نظروا إليهم من دون أية كلمة أو حركة .

قال كلاى بعد أن هدأ تفكيره قليلاً : " هل رأيت هؤلاء الرجال يا توم وقت أن كنا بعد عند ساحة المركز التجارى ؟ أراك تستحق مسمى عين الصقر إذن " .

هز توم رأسه نافياً : " كانت مصادفة بحتة . هى وتلك الأضواء الآتية من روشيستر . أتذكرون جمر نيران حرائقها ؟ "

أطرق كلاى برأسه متذكراً .

" لقد تصادف أن نظرت وقتها نحو أرض المقابر فى اللحظة المناسبة وبالزاوية المطلوبة لأرى التماعة فوهتى بندقيتين . حاولت أن أقنع نفسى بأنها ليست سوى انعكاس لضوء الجمر على أحد الأسوار ، أو شيء من هذا القبيل ، لكن . . . " . تنهد توم ، ونظر إلى ما تبقى من طعامه ، ثم نحاه جانباً . " هذا هو ما حدث " .

قال جوردان : " ربما كانوا من مجانين الهاتف " ، إلا أن نبرته كانت تنم عن أنه لم يكن يصدق ما نطق به . وهو الأمر الذى تيقن منه كلاى بدوره .

قالت آليس : " ولكن مجانين الهاتف لا ينشطون ليلاً " .

رد جوردان : " ربما أصبحوا قادرين على الاستيقاظ لبعض من الليل ، ربما كان هذا جزءاً من برمجة عقلية جديدة " .

شعر كلاى بقلق والصبى يتحدث عنهم وكأنهم أجهزة كمبيوتر عضوية تمر بنوع من دورات التحميل .

بينما نبهه توم قائلا : " كما أنهم لا يستخدمون البنادق . جوردان . فهم ليسوا بحاجة إليها " .

فقالت آليس : " إذن فقد نجحوا فى إقناع بعض المتعاونين معهم بأن يحرسوهم خلال أوقات سباتهم " . علا صوتها نبرة احتقار ، مع شعور داخلى بقلة الحيلة . " كم أتمنى لو أنهم تفحموا فى الجحيم " .

لم يعلق كلاى بشيء . إلا أنه وجد نفسه يفكر فيمن قابلوهم فى وقت مبكر من هذه الليلة ، أولئك الذين كانوا يسيرون ومعهم عربات تسوق ، وذلك الخوف والمقت الكامنان فى صوت الرجل الذى نعتهم بعصابة جايتين . قال لنفسه . . . لم أعد أعتبرهم مجانين هاتف الآن ؛ بل يمكن أن أسميهم الهاتفيين مثلا . حينها خطر له خاطر غير مريح : متى لا يصبح وصف متعاون مناسبا ؟ بدت له الإجابة المنطقية هى عندما يصبح هؤلاء المتعاونون الأغلبية بين الناس . وعندها يصبح غير المتعاونين . . . .

لو كان المرء رومانسى الطابع لأسمى هؤلاء بالمتخفين . أما وكونه غير رومانسى فإن من المناسب أن يطلق عليهم وصف الهاربين .

أو هم مجرد مجرمين وحسب .

سارعوا المسير نحو قرية محطة هايز ، وأمضوا الليلة بنزل يسمى " ويسبرنج باينز " . كان قريباً من لافتة تقول : الطريق ١٩ ، سان فورد . بيرويكس . كينت بوند . لم يتركوا أحذيتهم خارج الوحدات التى اختاروا النوم بها .

يبدو أنه لم تعد هناك حاجة لذلك .

٨

كان يقف على رصيف فى وسط ذلك الملعب اللعين ثانيةً ، بلا حراك ، وكل الأعين تنظر إليه . عند الأفق هيكل عظمى حلت فيه المصابيح الحمراء محل العينين . كان المكان بالغ الضخامة . كان أصحابه مصطفين إلى جواره ، إلا أنهم لم يكونوا وحدهمالآن . فهناك أرصفة مشابهة تمتد بطول المنطقة المفتوحة . وعلى يسار توم وقفت امرأة حامل ترتدى قميصاً بلا أكمام . وعلى يمين كلاى وقف رجل عجوز أصغر من الرئيس سناً بقليل ، وشعره الأبيض الطويل معقوص خلف رأسه ، وعلى وجهه الذكى ارتسم مزيج من الخوف والوجوم . من خلفه شاب يرتدى قبعة رياضية رثة لفريق ميامى دولفينز .

رأى كلاى أناساً يعرفهم بين الآلاف حوله ولم يكن مندهشاً لهذا ، أليس هكذا تسير الأمور فى الأحلام ؟ فهى بلا منطق . . فى لحظة تكون مع أستاذك بالمدرسة عند كابينة هاتف ، وفى اللحظة التالية تكون برفقة فريق موسيقى شهير داخل أعلى طوابق الإمباير ستيت .

رأى كلاى أيضاً ذلك الشاب العارى الذى كان يطوح بهوائيى السيارة إلا أنه كان يرتدى الآن سروالاً وقميصاً قطنيا نظيفا ، وذلك الرجل صاحب حقيبة الظهر ، والذى كان ينعت آليس بالسيدة الصغيرة ، وكذلك العجوز التى كانت تعرج . كانت

تشير إلى كلاى ورفاقه ، والذين كانوا يقفون عند منتصف الملعب ، ثم تحدثت إلى المرأة التى تقف إلى جوارها . . . ولم يندهش كلاى حينما تعرف عليها . . فقد كانت زوجة ابن السيد سكوتونى . قالت المرأة العجوز : هؤلاء هم عصابة جايتين . بينما أصدرت الزوجة صوت احتقار .

صاحت المرأة التى تقف جوار توم : ساعديني! . كانت تنادى على زوجة ابن السيد سكوتونى . أريد أن ألد طفلى مثلك تماماً ! ساعدينى !

ردت عليها زوجة ابن السيد سكوتونى قائلةً : كان لابد أن تفكرى فى هذا حينما كان لا يزال هناك وقت ، وأدرك كلاى كما أدرك فى الحلم الآخر أن أحداً ممن تكلم لم يفتح فمه من الأصل . فقد تم كل شيء عن طريق التخاطر . . . التيليباثي .

بدأ ذلك الرجل ذو غطاء الرأس يقترب ، وهو يضع يدا فوق رأس كل شخص يمر بجواره . بطريقة أشبه بما قام به توم عند مقبرة الرئيس ، مادا راحته ، مكورا أصابعه . أمكن لكلاى أن يرى شيئاً أشبه بسوار تعريف الهوية يبرق حول معصمه . كان أشبه بذلك السوار الذى يحيطون به معاصم المرضى بالمستشفيات ، وسرعان ما أدرك أن هناك كهرباء بالمكان ، فقد كانت الأضواء الكاشفة بالملعب منيرة . كما لاحظ شيئاً آخر كذلك . فالسبب الذى مكن الرجل من الوصول بيده إلى أعلى رؤوسهم حتى وهم يقفون على أرصفة عالية هو أنه لم يكن يقف على الأرض . كان يمشى ، ولكن فوق أربع أقدام من الهواء الخفيف .

كان يقول : " فتى . . . مجنون . . . فتاة . . . مجنونة " . وفى كل مرة يزأر الجميع بصوت واحد يصم الآذان " لا تلمس! " ، كل من مجانين الهاتف والطبيعيين . فلم يعد هناك اختلاف بينهم الآن . فقد كانوا متشابهين داخل حلم كلاى .

٩

استيقظ متأخراً عصراً ، وكان جسده متكوراً وهو يتشبث بالوسادة العريضة . خرج من وحدته ليرى آليس وجوردان جالسين على الرصيف الفاصل بين موقف السيارات والوحدات . كانت ذراع آليس تحيط بجسد جوردان . وهو يسند رأسه على كتفها ويحيط بذراعه خصرها . كان قد صفف شعره إلى الخلف . جلس كلاى إلى جوارهما . كان الطريق السريع المؤدى إلى الطريق ١٩ وماين مهجوراً من خلفهما عدا عربة بريد سريع متوقفة فوق الخط الأبيض ، وقد بقى بابها الخلفى مفتوحاً . وإلى جوارها دراجة بخارية محطمة .

ما إن قال : " هل . . " .

حتى بادره جوردان قائلاً من دون أن يرفع رأسه عن كتف آليس : " فتى . . . مجنون . . . هكذا أنا " .

فقالت آليس : " وأنا كنت الفتاة المجنونة . . . كلاى ، هل هناك استاد كرة قدم كبير فى كاشواك ؟ فلو كان هناك شيء من هذا القبيل هناك . فإننى لن أتوجه إلى ذلك المكان أبداً " .

انغلق باب من خلفهما ، واقتربت خطوات . قال لهما توم : " وأنا معكِ " . جلس إلى جوارهما قبل أن يضيف : " إننى مستعد للاعتراف بأننى أعانى من بعض المشكلات الشخصية ، ولكن لم يكن أبداً من بينها الرغبة فى الانتحار " .

قال كلاى : " إننى لست متأكداً ، ولكننى لا أعتقد أن تلك المنطقة تحوى ما هو أكبر من مدرسة ابتدائية . أما طلبة المدارس الثانوية فينتقلون بالحافلة إلى تاشمور " .

اقترح جوردان قائلاً : " يبدو أنه استاد افتراضى أو غير حقيقى " .

سأله توم : " هاه ؟ . . . أتعنى أنه أقرب إلى لعبة كمبيوتر ؟ "

رفع جوردان رأسه وهو لايزال يحدق فى الطريق الخاوى والمفضى إلى سان فورد وبيرويكسوكينت بوند ، قال : " بل أعنى أنه كما فى جهاز كمبيوتر . لا تهتموا بهذا ، فأنا نفسى لا أهتم بالأمر ولا يقلقنى . فلو لم يلمسونا . . . ـ أعنى المجانين والطبيعيين ـ فمن هو الذى سيلمسنا إذن ؟ . . . من سيلمسنا إذن ؟ " . لم ير كلاى فى حياته ألماً كبيراً يرتسم على وجه صبى صغير كما هو يراه الآن .

لم يجبه أحد .

فسأل جوردان وهو يرفع من صوته بعض الشيء : " هل سيلمسنا ذلك الرجل الأشعث رث الثياب ؟ . . . هل سيلمسنا ذلك الرجل رث الثياب ؟ ربما . لأنه يراقبنا . إننى أشعر به يراقبنا " .

قال له كلاى برغم أنه أحس بعض المنطق فى كلامه : " إن أعصابك قد بدأت تتعب يا جوردان " . فلو أن هذا الحلم ـ الحلم وهم على الأرصفة ـ رسالة أرسلت إليهم ، فإنه بالفعل يراقب تحركاتهم . فأنت لا ترسل رسالة لأحد من دون أن تكون متأكداً من عنوانه .

قالت آليس : " لا أريد الذهاب إلى كاشواك . ولا يهمنى إن كانت منطقة خالية من البث الهاتفى أم لا . بل أميل إلى التوجه إلى . . . إلى إيداهو " .

أما كلاى فقال : " سأتوجه إلى كينت بوند قبل أن أذهب إلى كاشواك أو إيداهو أو إلى أى مكان آخر . يمكننى الوصول إلى هناك بعد مسيرة ليلتين . وأتمنى أن ترافقونى ، أما لو كنتم لا تودون هذا ، أو لا تستطيعون الذهاب معى فإننى سوف أكون متفهماً لوجهة نظركم " .

قال توم : " يود الرجل أن يرتاح من ظنونه ، فلنساعده على هذا . ومن بعدها نخطط للخطوة التالية . . . فماذا قلتم ؟ "

لم ينبس أحد ببنت شفة .

١٠

كان الطريق ١٩ خالياً تماماً على الجانبين ، وأحياناً ما يكون خالياً لمسافة تصل إلى ربع الميل مما يشجع من يقود عربته أن ينطلق بها بأقصى سرعة . كانوا يمرقون بسرعة شديدة فى منتصف الطريق ومصابيح العربات مضاءة لأقصى درجة .

كان كلاى ورفاقه يرون الأضواء قادمة فيسارعون بالصعود إلى الرصيف ، ويسيرون عبر الأعشاب المجاورة للأسفلت حينما يواجهون حطام عربات أو أخرى متوقفة تسد الطريق . تمرق العربة جوارهم سريعة ، وسط صياح من بداخلها . ولو صادفت إحداها حطاماً يسد الطريق فإن قائدها يقرر إما أن يدور من حوله ، أو أن يترجلوا من العربة ، ويسيروا على أقدامهم إن كان الحطام لمسافة كبيرة ، حتى يصلوا إلى سيارة أو عربة أخرى تصلح لأن يكملوا بها الطريق . وجد كلاى أن فيما يفعلونه نوعاً من العته أو الجنون . . . إلا أنه يعلم أن كل من يقود سيارته بهذه السرعة معتوه من الأصل ، سبب آخر يضاف إلى مسببات متاعب هذا العالم اللعين . وكذلك حال كل من يحمل بجعبته سلاحاً .

كانت رابع سيارة تمر بهم خلال ليلتهم الأولى على الطريق ١٩ ، ورآهم قائدها وهم يقفون عند جانب الطريق وقد أعمتهم أنوار مصابيح سيارته . وشاهد آليس وسطهم . فأخرج رأسه من النافذة نحوهم وشعره يتطاير خلفه ، وصاح فيها وسيارته

الكاديلاك تمرق جوارهم فى سرعة : تباً لكِ أيتها العربيدة العاهرة ! . وسط صياح وهتاف بقية ركاب السيارة .

لم تعلق آليس سوى بقولها : " هذا جميل بالفعل! " .

" بعض الناس لا يمتلكون الـ . . . " ، وقبل أن يذكر لهم توم هذا الذى لا يمتلكه بعض الناس سمعوا صوت صارخ لمكابح سيارة من مكان ليس ببعيد أمامهم ، تلاه صوت ارتطام عنيف وتهشم زجاج .

قال كلاى وهو يركض نحو مكان الارتطام : " تباً . . . اللعنة . " وقبل أن يبتعد كثيراً ، وجد آليس تقترب منه راكضة وهى تصيح فيه : " لا تتعجل ، فقد يكونون خطرين ! "

رفعت آليس يدها تحمل أحد المسدسين بينما واصل كلاى الركض وقد سبقته هى بمسافة كبيرة .

لحق توم بكلاى ، وهو يلهث . بينما ركض جوردان جواره ، وقد بدأ يتعب .

سأل توم ساخراً : " ما الذى . . . سنفعله . . لو كانت إصاباتهم بالغة ؟ هل . . . نتصل . . . بالإسعاف ؟ "

قال كلاى وهو لايزال يفكر فى بديهية لجوء فتاة كآليس إلى استخدام السلاح :" لا أدرى " . إلا أنه كان يدرى بالفعل ما سيتم .

١١

لحقوا بها عند المنعطف التالى من الطريق السريع . كانت تقف خلف السيارة الكاديلاك . والتى كانت قد انقلبت على جانبها ووسادات الهواء تبرز من كل مقعد من مقاعدها . لم يكن من الصعب فهم مما حدث . فقد دخلت السيارة فى المنعطف وهى على نفس سرعتها العالية لتباغت بوجود إحدى عربات نقل

www.rewity.com
ARAYAHEEN

الألبان التى تركها قائدها متوقفة . وقد نجح قائد السيارة بغض النظر عن كونه معتوهاً أو غير معتوه فى التقليل من أثر هذا الارتطام إلى حد كبير . وجده كلاى يدور حول السيارة المنقلبة على جانبها وهو يترنح . ويبعد بيده الشعر عن وجهه . كان الدم ينزف غزيراً من أنفه ومن جرح فى جبهته . اقترب كلاى من السيارة بدوره وصوت الزجاج المتهشم تحت خطوات حذائه الرياضى ، ونظر إلى داخلها . كانت السيارة خاوية . سلط ضوء كشافه داخلها فلم ير سوى آثار دماء عند مقعد القيادة . يبدو أن ركابها قد استطاعوا الخروج منها بعد الارتطام ، وفروا من المكان عدا هذا الشخص . كان الذى بقى مع سائق السيارة رجلاً نحيفاً يميز وجهه صف من الأسنان البارزة ، وله شعر أحمر طويل متسخ . بدا منظره لكلاى أشبه بشخصية كرتونية شهيرة .

سأل رفيقه : " هل أنت بخير أيها الرجل ؟ " . كانت اللكنة الجنوبية ظاهرة بشدة . اللعنة . . . إنك تنزف بشدة ، لقد اعتقدت أنك قد لقيت مصرعك . ثم التفت إلى كلاى قائلاً بغضب : " وأنت ما الذى تنظر إليه ؟

رد كلاى فى صرامة : " اخرس " كان ذلك بسبب ظروف الموقف . وليس بأسلوب فظ من جانب كلاى .

أشار صاحب الشعر الأحمر إلى كلاى ، ثم التفت إلى رفيقه الذى ينزف : " هذا واحد منهم ! إنه منهم ! "

صاح فيه رفيقه فى قسوة : " اصمت . هارولد " . ثم نظر إلى كلاى وتوم وآليس وجوردان .

بادرت آليس قائلة : " دعنى أحاول إيقاف نزيف جبهتك " . كانت قد أغمدت مسدسها وخلعت حقيبتها عن ظهرها . وهى تبحث بداخلها عن شيء ما . معى ضمادات

وكذلك بيروكسيد الهيدروجين . والذى سيؤلم قليلاً . إلا أنه سيمنع إصابتك بالعدوى " .

علق توم قائلاً لها : " بالنظر إلى ما سبق أن نعتك به هذا الرجل قبل الحادث . . . فإنى أراكِ قد وصلت إلى مرتبة من التسامح لا يمكن لى أن أصل لها " . كان يقبض على حزام بندقيته الآلية وهو ينظر إلى الرجلين .

ربما كان قائد السيارة وكان اسمه " جونر " فى الخامسة والعشرين من عمره . كان شعره الأسود الكثيف الطويل ملطخاً بالدماء الآن . كان ينظر إلى حاوية الألبان ، ثم إلى سيارته ، وبعدها إلى آليس ، والتى كانت تمسك الضمادة بيد وزجاجة البيروكسيد فى اليد الأخرى .

قال النحيف أحمر الشعر : " لقد فر تومى وفريتو وذلك الرجل الذى لم يتوقف لحظة عن تنظيف منخاره " . ثم فرد صدره الضيق وهو يضيف : " إلا أننى بقيت إلى جوارك ، جونر ! أنت تنزف بغزارة يا صديقى ، بحق الجحيم " .

سكبت آليس بعضاً من البيروكسيد على الضمادة ثم اقتربت من جونر . الذى تراجع إلى الخلف خطوة قائلاً : " ابتعدى عنى . فأنتِ كالسم " .

صاح ذو الشعر الأحمر : " إنهم هم ! الذين كانوا فى الحلم ! ألم أقل لك ذلك ؟ "

قال جونر : " ابتعدى عنى أيتها العاهرة . ابتعدوا عنى جميعاً " .

لم يدهش كلاى لما اعتوره من رغبة ملحة لإطلاق النار عليه . فجونر هذا يبدو ويتصرف ككلب مسعور حوصر فى ركن . فهو قد يعض من يقترب منه ومن دون تردد . وعندها لا يكون هناك من بُد سوى إطلاق النار عليه . ألا يطلقون النار على الكلاب المسعورة ؟ ولكنه تجاهل هذه الرغبة طالما أصرت آليس

على أن تلعب هذا الدور الذى تلعبه مع هذه النفاية التى نعتتها بالعاهرة منذ قليل . ولكن هناك شيئاً يود أن يستفهم عنه قبل أن يترك هذين الشخصين لحالهما .

قال لهما : " بالنسبة لتلك الأحلام . هل رأيتما فيها . . . مرشداً روحانياً ما ؟ أقصد شخصاً يرتدى رداءً أحمر له غطاء رأس ؟ "

هز جونر كتفيه وهو يمزق قطعة من قميصه ، ويستخدمها فى مسح الدم عن وجهه . كان قد بدأ يهدأ قليلاً الآن ، وقد وعى تماماً ما حدث لهم . " رداء هارفارد . أجل ، أليس كذلك ، هارولد ؟ "

أطرق ذو الشعر الأحمر برأسه . " أجل . هارفارد . ذلك الرجل الأسود . إلا أنها لم تكن أحلاماً . ولو لم تكن تعلم هذا ، فليس من المفيد أن نخبرك بشيء . لقد كان نوعاً من البث . بث إلى عقولنا أثناء نومنا . ولو لم تكونوا قد تلقيتم مثل هذا البث ، فهذا يعود إلى كونكم مسممين . إنهم كذلك فعلاً ، أليس كذلك ، جونر ؟ "

قال جونر فى سخط وهو يمسح الدم عن جبهته : " لقد أفسدتم كل شيء . لا يحاول أى منكم أن يلمسنى " .

بينما قال هارولد : " سوف تكون لنا منطقتنا الخاصة ، أليس كذلك جونر ؟ هناك عند ماين . كل من لم تصبه النبضة يتوجه إلى هناك . ولن نتأخر عن الوصول إلى هناك . وسنعيش حياتنا هناك . هكذا يقول صاحب رداء هارفارد " .

سألته آليس مندهشة : " وهل تصدقونه ؟ "

رفع جونر إصبعه فى وجهها قائلاً : " اصمتى أنتِ يا عاهرة " .

فقال جوردان : " بل من الأفضل أن تخرس أنت . فنحن من يملك السلاح " .

رد هارولد فى تبجح : " بل من الأفضل لكم ألا تفكروا حتى فى إطلاق النار علينا . فلن يسكت صاحب رداء هارفارد على هذا إن فعلتموه ، أيها القصير المتحذلق ، أتدرى ما يمكن أن يفعله بكم ؟ " .

تدخل كلاى متحدياً : " لا شيء " .

" أنت لن . . . " ، لطمه كلاى قبل أن يكمل كلامه على فكه بمؤخرة مسدسه ، ليحدث بوجهه جرحاً جديداً ظن كلاى أنه سيكون له أثر يفوق بيروكسيد الهيدروجين فى نجاعته ، إلا أنه كان مخطئاً .

سقط جونر على جانب حاوية الألبان ، وهو ينظر إلى كلاى فى ذهول . بينما اندفع هارولد نحوه . إلا أن توم ضربه على رأسه بالبندقية الآلية . فتراجع هارولد للخلف وهو يعض على أطراف أصابعه المتسخة . بينما اتسعت عيناه فى ذهول .

قال كلاى : " سوف نرحل الآن . وأنا أنصحكما بأن تبقيا هنا لساعة على الأقل ، فأنتما لا ترغبان حقاً فى أن تقابلانا من جديد . وكونا ممتنين لكوننا قد أبقينا على حياتكما . ولو حدث ولقيناكما ثانيةً ، فعندها سنقتلكما " . عاد بظهره إلى الوراء نحو رفاقه ، وهو لا يزال ينظر إلى ذلك الوجه الذى كان يحدق فيه مذهولاً والدم ينزف من جراحه . كان يشعر أنه أشبه بمروض الأسود الشهير " فرانك بك " ، والذى اعتاد أن يروض تلك الأسود بإرادته البحتة فقط . " نسيت أن أخبركما بشيء . أنا لا أعلم السبب الذى يجعل مجانين الهاتف تواقين إلى تجمع كل الطبيعيين فى كاشواك ، إلا أننى متيقن من معنى تجميع القطيع كله فى حظيرة واحدة . فكرا فى هذا الأمر حينما تتلقيان تلك الرسائل الليلية فى المرة القادمة " .

" تباً لك " ، قالها جونر وهو يشيح بعينيه عن كلاى ، ناظراً إلى حذائه .

بينما قال توم : " هيا بنا . كلاى . لنرحل من هنا " .
قال لهما كلاى وهما ينصرفان : " لا نريد أن نراكما ثانية " . إلا أن هذا هو ما حدث بالفعل .

١٢

لابد أن جونر وهارولد قد نجحا فى أن يسبقوهم بطريقة ما . ربما بعد أن نجحا فى قطع مسافة خمسة أو عشرة أميال نهارا بينما كان كلاى ورفاقه نائمين فى أحد النزل عند حدود الولاية . على مسافة مائتى ياردة فقط من ماين . ربما نام الاثنان باستراحة بالقرب من شلالات " سالمون " . بعد أن أخفى سيارته الجديدة وسط عشرات السيارات المتروكة هناك . مع أن هذا لم يكن ليصنع فارقاً . إلا أن ما صنع الفارق حقاً هو أنهما قد سبقاهم . وانتظرا مرورهم . حتى ينقضا عليهم .

بالكاد سمع كلاى صوت السيارة التى تقترب منهم وتعليق جوردان : " ها هى سيارة أخرى تقترب " . كانوا فى موطن كلاى الآن . وكلما مروا بمنطقة من المناطق التى يألفها مثل مطعم أسماك " فرينيو لوبستر بوند " على بعد ميلين من نزل " تسات لاين " . ومصنع التبريد على الجهة المقابلة منه . وتمثال الجنرال " جوشوا تشامبرلاين " فى ميدان البلدة الصغير . كان يزداد شعوره بأنه رجل يعيش حلماً من أحلام اليقظة . لم يكن يدرك مدى ضعف أمله فى السابق فى أن يعود إلى منزله إلا حينما رأى ذلك الشكل المخروطى البلاستيكى الضخم الذى يميز منطقة شيكى ، والذى بدا منظره أشبه بجزء من حلم مجنون برأسه المدبب المتجه إلى سماء الليل .

علقت آليس قائلة : " الطريق هنا مليء بالحطام الذى يمنع أية سيارة من أن تسير بسرعة " .

ساروا إلى جانب الطريق بينما كانت مصابيح السيارة القادمة تنير الطريق من خلفهم . وكانت هناك عربة نقل مقلوبة فوق الخط الأبيض . رأى كلاى أن هناك احتمالاً كبيراً لأن تصطدم بها تلك السيارة القادمة فى سرعة . إلا أن السيارة أخذت طريقها يسار الطريق بمجرد أن اجتازت الجزء المرتفع منه ؛ وتفادت العربة المنقلبة بسهولة . وهى تسير بمحاذاة حافة الطريق لبضع ثوان . قبل أن تعود إلى نهر الطريق . ولكن كلاى أدرك فيما بعد أن جونر وهارولد كانا قد درسا الطريق بعناية من قبل .

وقفوا ينظرون . وكلاى هو الأقرب من الأضواء التى تقترب منهم . وقد وقفت آليس جواره . وعلى يسارها توم وجوردان . كان توم يضع يديه فوق كتفى جوردان .

قال جوردان : " إنه قادم إلينا بالفعل " . لم يكن هناك حذر فى صوته ؛ بل قالها كتعليق محايد . ولم يشعر كلاى بخطر بدوره . لم يكن عنده هاجس بالذى كان سيحدث . فقد كان نسى أمر جونر وهارولد كلية .

كانت هناك سيارة رياضية من طراز ما متوقفة على بعد قرابة الخمسين قدما غرب المكان الذى كانوا يقفون عنده . ونجح هارولد الذى كان يقود السيارة فى تفاديها . إلا أنه فى أثناء ذلك أربك جونر الذى كان يحاول إحكام التصويب تجاههم . أو ربما هو لم يكن يستهدف كلاى من الأصل . بل ربما كان يستهدف آليس منذ بداية الأمر .

كانا هذه الليلة يستقلان سيارة من طراز شيفرولية . قبع جونر فى المقعد الخلفى . وقد أخرج منتصف جسده عبر النافذة . وهو يحمل فى يديه بعض الأحجار . أخذ يصيح كأحد رعاة البقر وهو يلقى بحجر . اندفع الحجر بقوة عبر الظلام ليرتطم بجانب رأس آليس . لم ينس كلاى صوت الارتطام ذاك .

سقط الكشاف الذى كانت تحمله ـ وهو الذى ساعد على أن تكون هدفاً مكشوفاً له ، مع أنهم كانوا جميعاً يحملون كشافاتهم ـ من يدها التى استرخت قبضتها . ليلقى بضوئه على حصباء الطريق . فيسقط على قطعة زجاج تهشمت من مصباح خلفى لسيارة فأنارت كأنها ياقوتة مزيفة .

جثا كلاى على ركبتيه جوارها ، وهو يصيح باسمها ، إلا أن صوته ضاع وسط هدير البندقية الآلية ، والتى كانت تومض فى سرعة وسط الظلام . فأمكنه أن يرى الدم الذى غطى جانب وجهها الجميل كالسيل .

بعدها توقف إطلاق النيران . وكان توم يصرخ : " لم أستطع السيطرة على ماسورة البندقية . . . أعتقد أننى قد أطلقت كل هذه الذخيرة نحو السماء " ، بينما صرخ جوردان بدوره : " هل أصيبت بمكروه . . . هل أصابها بسوء ؟ " . حينها تذكر كيف أنها هى من عرض أن يضع بيروكسيد الهيدروجين على جبهة جونر النازفة وأن تضمدها بنفسها " سيمنع إصابتك بالعدوى " . كان عليه أن يوقف هذا النزيف الآن وبأقصى سرعة . خلع سترته التى كان يرتديها ، ثم السترة التى كانت تحتها . سيستخدمها فى لفها حول رأسها كعمامة .

كان مصباح توم الكاشف يجول فوق الأرض قبل أن يتوقف عند قطعة الصخر . كان الدم والشعر يغطيها . وحينما رأى توم المنظر بدأ يصرخ . كان كلاى ، وهو يلهث ويتعرّق بجنون بالرغم من هواء المساء البارد ، قد بدأ يلفّ سترته حول رأس آليس . إلا أن الدم سرعان ما غطى السترة بغزارة . شعر وكأن هناك قفازاً مبتلاً دافئاً يغطى يديه . حط ضوء مصباح توم على آليس ، ورأسها الملفوف بالسترة حتى الأنف فبدت أشبه بمتطرف ملثم سجين فى إحدى الصور التى تبث عبر

الإنترنت . وخدها ورقبتها غارقان فى الدم ، فلم يتوقف عن الصراخ .

رغب كلاى فى أن يصيح بكل قوة : ساعدانى . توقفا عن هذا وساعدانى لأنقذها . إلا أن هذه الكلمات لم تبارح فمه . ولم يسعه سوى أن يضغط بالسترة المبللة بالدم على ذلك الجزء الرخو فى جانب رأسها ، وهو يتذكر أنها كانت تنزف أيضاً حينما رآها لأول مرة ، إلا أنها كانت على ما يرام وقتها .

كانت يداها تختلجان ، وأصابعها تتحرك فى تراب الطريق . خيل لكلاى أنها تبحث عن حذائها الصغير والذى كان فى حقيبتها التى على ظهرها الآن . كانت راقدة وقد تحطم جانب رأسها لا لشيء سوى كونها ضحية انتقام شخص تافه مجنون ، وساقاها تختلجان بدورها ، والدماء تنزف من خلال السترة ويديه .

ها نحن ذا فى نهاية العالم . هكذا قال لنفسه وهو ينظر إلى السماء . . . نحو نجم المساء .

١٣

بقيت فى منطقة وسط بين الوعى واللاوعى . واستعاد توم رباطة جأشه وساعده على حملها فوق المنحدر جوار الطريق . كانت هناك أشجار يذكر كلاى أنها تتبع بستان تفاح . يتذكر أنه وشارون قد أتيا إلى هنا ذات مرة ليلقطا بعض الثمار ، وكان جونى وقتها لا يزال طفلاً صغيراً . وقتها كانت العلاقة بينهما جيدة . ولم يكن هناك خلاف حول المال والطموح والمستقبل .

قال جوردان بقلق . وهو يسارع الخطى خلفهما وهو يحمل حقيبتها : " ليس من السليم إن تحرك المصاب بإصابة فى الرأس من مكانه " .

قال كلاى : " ليس هذا بالأمر الذى يجب أن نقلق بشأنه الآن . فمن الواضح أنها لن تنجو . كما أننى أعتقد أن إصابتها هذه لا يمكن أن يسعفها منها أى مستشفى . . . أنا آسف لمصارحتك بهذا " . كان يرى وسط الضوء الضعيف ما ارتسم على وجه جوردان من كدر .

ارقدوها فوق العشب . وحاول توم أن يسقيها ماءً من قنينة كانت معه ، وقد جرعت بالفعل جرعة صغيرة منه . ناولها جوردان الحذاء الصغير ، فأمسكت به ، وأخذت تعتصره بأصابعها ، ليتلطخ بدوره بدمائها . سلموا بالأمر الواقع وقبعوا يراقبونها وهى تحتضر . . . طيلة الليل .

١٤

قالت لهم : " لقد أخبرنى والدى بأن البقية فى كلٍ شيء من حقى أنا . . . لذا فلا تلومونى " ، ولم يفهموا شيئاً من هذا الهذيان . كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة . أسندوا رأسها إلى حقيبة توم ، والتى كان يضع فيها غطاءً أخذه من نزل بالقرب من ميثوين . . . منذ زمن بدا له أنه حياة أخرى مضت منذ زمن . حياة أفضل . كانت الحقيبة قد تشربت بالدماء بالفعل . بينما تحدق عينها الباقية نحو النجوم . ويدها اليسرى مسترخية على العشب إلى جوارها . لم تكن قد أبدت أى نوع من الحركة طيلة الساعة الماضية . بينما يدها اليمنى تعتصر الحذاء الصغير بلا توقف .

سألها كلاى : " آليس . . . هل أنتِ عطشى ؟ هل تريدين بعضاً من الماء ؟ " .

لكنه انتظر الإجابة ولم تأته .

١٥

فيما بعد . . . وعند الواحدة إلا الربع حسب ساعة كلاى . . . واصلت هذيان الاحتضار وهى تطلب منهم أن تذهب للسباحة . ثم قالت بعد عشر دقائق وهى تضحك : " لا أريد هذه الأربطة ، فهى متسخة " . كان صوت ضحكاتها طبيعياً ، صادماً . ارتجف له قلب جوردان ، الذى كان بين اليقظة والمنام . وحينما رأى منظرها بكى . واختلى بنفسه يواصل البكاء . وحينما حاول توم الجلوس إلى جواره لكى يهدئ من روعه ، أبعده جوردان عنه صارخا .

عند الساعة الثانية والربع مرت بهم فى الطريق بالأسفل جماعة كبيرة من الطبيعيين المرتحلين ، والعديد منهم يضيئون مصابيحهم الكاشفة وسط الظلام . توجه كلاى نحو حافة المنحدر ونادى عليهم . سألهم بيأس : " هل بينكم طبيب ؟ "

توقفت الكشافات عن الحركة . وسادت الغمغمات ذلك الجمع ، وبعدها صاحت امرأة بصوت بدا جميلاً : " دعنا وشأننا . فأنت تقف فى منطقة محرمة " .

التحق توم بكلاى عند الحافة وصاح نحوهم : " والأوغاد هم من أمثالكم ، أيتها السيدة " .

من خلفهم تكلمت آليس بصوت قوى بغتةً : " سوف نتولى أمر أصحاب السيارة . ليس من أجلكم ، ولكنها رسالة تحذير للآخرين " .

www.rewity.com YAHEENA

قبض توم على معصم كلاى بيد باردة : " يا إلهى . . . إنها تبدو شديدة اليقظة " .

أمسك كلاى يد توم بكلتا يديه وهو يقول : " ليس بصوتها . إنه الرجل ذو الرداء الأحمر . يستخدمها كوسيط صوتى ليس إلا " .

اتسعت عينا توم وسط العتمة وهو يصيح : " وكيف أدركت هذا ؟ "

" أنا متيقن من هذا " .

كان الجمع بالأسفل يبتعد بكشافاته . وشعر كلاى بارتياح لهذا . فما هم فيه لا يهم أحداً سواهم . . . فهى مأساتهم وحدهم .

١٦

فى خضم الليل . وعند الثالثة والنصف . قالت آليس : " أوه ... أمى ... يا للسوء ! زهور ذابلة ... ها قد انتهت الحديقة " . ثم بدت نبرتها فرحة وهى تقول : " هل سيتساقط الثلج ؟ سوف نصنع منه قلعة . ونصنع منه ورق شجر . ونصنع منه طائراً . ونصنع منه يداً . ونصنع منه " .... كانت تهذى وهى تنظر إلى النجوم التى تومض فى الليل بانتظام كالساعة . كانت الليلة باردة . وقد دثروا جسدها بإحكام . وأنفاسها تخرج بخاراً أبيض . كان النزيف قد توقف أخيراً . بينما جلس جوردان إلى جوارها . يربت على يدها اليسرى . التى كانت قد ماتت بالفعل وتنتظر موات بقية الجسد .

" ... نلعب الألعاب التى نحبها ... وسط حقول الشوفان " .

١٧

الساعة الآن الخامسة إلا الثلث ... قالت لهم : " هذا أجمل رداء رأيته فى حياتى " . كانوا ملتفين من حولها . قال لهم كلاى إنه قد ظن أن روحها قد فاضت .

سألها كلاى وهو لا يتوقع منها أية إجابة : " ما لونه ، آليس ؟ " لكنها أجابته .

" أخضر "

" وهل سترتدينه ؟ "

قالت : " تقترب السيدات من المائدة " . كانت يدها لا تزال تقبض على الحذاء الصغير ، وإن كان بضعف الآن . كان الدم على جانب وجهها قد جف وصار متخثراً . " تقترب السيدات من المائدة . تقترب السيدات من المائدة . يبقى السيد ريكاردى فى موضعه . وتقترب السيدات من المائدة " .

قال توم فى رقة : " هذا صحيح ، عزيزتى . . . لقد بقى السيد ريكاردى فى موقعه ، أليس كذلك ؟ "

نظرت بعينها الباقية إلى كلاى : " تقترب السيدات من المائدة " ، وللمرة الثانية عادت لتتحدث بذلك الصوت من جديد . نفس الصوت الذى سمعه يخرج من فمه هو من قبل . وكانت أربع كلمات هذه المرة : " إن ابنك معنا " .

همس كلاى قائلاً : " أنت كاذب " . كان يكور قبضته فى غضب ، بل كاد يلكم الفتاة التى كانت تحتضر . " أنت كاذب أيها الوغد " .

بينما ظلت آليس تهذى : " تقترب السيدات من المائدة وسنتناول الشاى " .

١٨

بزغ أول ضوء للنهار من جهة الشرق . بينما جلس توم جوار كلاى ، وهو يضع يده على ذراعه . قال : " لو كانوا يقرأون العقول حقاً ، فلربما علموا بسهولة بحقيقة أن لديك ابناً تخشى أن يكون قد أصابه مكروه . فهذا الرجل يستخدم آليس كى يستثير أعصابك ليس إلا " .

قال كلاى : " أعلم هذا " . وكان يعلم شيئاً آخر : إن ما قالته بصوت ذلك الرجل كان مقنعاً جداً . " أتعلم ما الذى يستغرق عقلى الآن ؟ "

هز توم رأسه فى حيرة .

" حينما كان صغيراً ، فى الثالثة أو الرابعة وحينما كنت وشارون على وفاق كان يركض نحو الهاتف فى كل مرة ينطلق فيها جرسه . كان يصيح بصوته الطفولى : ها . . ها . . أنا . . أنا ؟ . كان هذا يثير ضحكاتنا . وحينما يجد جدته أو جده على الطرف الآخر كنا نصيح : ها . . ها . . أنت . . أنت وناولنى السماعة . مازلت أذكر ذلك التباين بين حجم السماعة وصغر يديه . . . وكذلك رأسه . . . " .

" أرجوك توقف ، كلاى " .

" أما الآن . . . الآن . . . " . لم يسعه أن يتمم كلامه . ولم يكن عليه أن يتمه .

ناداهم جوردان : " إلى هنا يا رفاق ! " . كان صوته ملتاعاً وهو يستحثهم : " أسرعا ! " .

عادا إلى حيث ترقد آليس . كانت قد وقفت عن الأرض وجسدها يتشنج ، وقد تقوس جذعها وهى ترتجف . كانت عينها الباقية جاحظة ، وشفتها تتخذ زاوية غريبة عند ركن فمها . وسرعان ما استرخى جسدها كله . نطقت باسم لم يكن له أى معنى لدى أى منهما - " هنرى " - ثم اعتصرت الحذاء

الصغير لمرة أخيرة . قبل أن تسترخى أصابع يدها ويسقط الحذاء على الأرض . ندت عنها تنهيدة مع دفقة أخيرة من أنفاسها الدافئة عبر شفتيها .

ترددت نظرات جوردان بين توم وكلاى ، ثم سأل كلاى :

" هل ... ؟ "

" نعم " .

عندها لم يتمالك جوردان نفسه ، وانخرط فى بكاء عنيف . انتظر كلاى لثوان قبل أن يغلق عين آليس براحة يده .

١٩

بالقرب من الغابة تقبع مزرعة . وجدوا جواريف فى أحد مستودعاتها وقاموا بدفنها أسفل إحدى أشجار التفاح ، والحذاء الصغير فى يدها . كانوا يعلمون أنها رغبتها . وقام توم - بطلب من كلاى - بترديد ذلك الدعاء الذى كان قد تلاه من قبل ، مع أنه وجد صعوبة هذه المرة فى إنهائه . وحكى كل واحد منهم شيئاً لا يزال يذكره لتلك الفتاة . وخلال هذا الارتجال مر إلى الشمال منهم جمع صغير من مجانين الهاتف . رأوهم إلا أنهم لم يهتموا بهم . ولم يندهش كلاى لهذا أبداً . فهم بالنسبة لهم مجانين ، لا يتوجب لمسهم . . . كما كان متيقناً من أن جونر وهارولد سينالان منهم ما يستحقونه .

قضوا معظم ساعات النهار نائمين داخل ذلك المنزل بالمزرعة ، ثم بدأوا التوجه إلى كينت بوند . لم يعد كلاى يتوقع أن يجد ابنه هناك ، إلا أنه لم يفقد الأمل فى أن يجده قد ترك له رسالة ، أو حتى رسالة من شارون . لمجرد أن يتيقن من أنها حية فيخفف هذا من بعض أساه ، والشعور المطبق على عقله كعباءة أطرافها من رصاص .

کینت بونت

١

كان منزله القديم ـ ذلك الذى كانت تعيش فيه شارون مع جونى وقت حدوث النبضة ـ يطل على ليفرى لين ، على بعد بنايتين شمال إشارة المرور المعطلة الآن ، والتى تميز قلب بلدة كينت بوند . منزله من النمط الذى يعده سماسرة العقارات مناسباً لكل من يبدأ حياته . وقد اعتاد هو وشارون أن يسخرا منه ـ قبل انفصالهما ـ قائلين بأن من المتوقع أنه سيكون أيضاً مناسباً لنهاية حياتهما . ولما أصبحت شارون حاملاً تناقشا حول أن يسميا المولود ـ إن كان بنتاً ـ أوليفيا . ثم قالت إن الولد لن يكون اسمه سوى ليفي على اسم الحارة التى يطل عليها المنزل . . . وكم ضحكا كثيراً حول هذه الفكرة .

وصل كلاى وتوم وجوردان ـ الذى صار شاحباً ، صامتاً ، لا يرد على أى سؤال إلا بعد سماعه مرتين وثلاثاً ـ إلى تقاطع ماين وليفرى عند منتصف ليلة عاتية الرياح خلال الأسبوع الثانى من أكتوبر . حدق كلاى ملياً فى علامة التحذير عند ناصية الشارع القديم ، حيث كان يأتيه زائر فقط طيلة الأشهر الأربعة الماضية . كانت العلامة التى تحذر من الوقوف بالسيارة فى هذا المكان وقد أضاف إليها أحد الخبثاء ببخاخ دهان سيارات عبارة " طاقة نووية "لا تزال قائمة . كما كانت قبل أن يغادر إلى بوسطن . قف . . . طاقة نووية . . . طاقة نووية . بدا غير

مدرك لمعناها . لم تكن المسألة مسألة معنى فقط ، فالمعنى واضح ، وهى رسالة سياسية لصاحبها (وربما وجد لافتات مثلها فى أرجاء البلدة يكتبها أشخاص مختلفون لم تكن من قبل تلفت انتباهه) ، إلا أنه كان يستغربها الآن وقد تغير العالم كله . شعر كلاى بأنه لو حدق فى هذه العلامة لمدة وتركيز كافيين ، فعندها ستنفتح فجوة ، فجوة فى الزمن ، يعود عبرها إلى الماضي ، وعندها سيصبح كل ما حدث حتى الآن محض خيال لا وجود له . كل هذا الظلام .

سأله توم : " كلاى ؟ . . . هل أنت على ما يرام ؟ "

قال وكأن الأمر بحاجة إلى تفسير : " هذا هو شارعى " ، ثم اندفع يركض بغتة .

كانت حارة ليفرى هذه شارعاً مسدوداً ، وكل الشوارع فى هذا الجانب من البلدة تنتهى عند تخوم مرتفع كينت ، وهو فى حقيقته جبل تعرض لعوامل تعرية . أشجار البلوط تمتد بطول الشارع الذى غطت أرضيته أوراق الأشجار الجافة ، والتى كانت تتهشم تحت قدميه . كما كان هناك الكثير من السيارات المتوقفة كيفما اتفق ، واثنتان منهما تقفان وجها لوجه بطريقة بدت أشبه بقبلة ميكانيكية .

صاح جوردان من خلفه : " إلى أين هو ذاهب ؟ " . شعر كلاى بعدم ارتياح تجاه نبرة الخوف فى كلمات جوردان ، إلا أنه لم يتوقف .

قال توم : " لا بأس جوردان . دعه يذهب " .

ركض كلاى من حول السيارات المتوقفة ، بينما ضوء كشافه يتقافز أمامه فى كل اتجاه . وقع الضوء علي وجه جثة السيد كريتسكي . ذلك الرجل الذى كان يبدى وداً خاصاً لابنه منذ أن كان طفلا صغيراً . كانت جثته ترقد على الرصيف أمام منزله .

وقد كادت أوراق البلوط تغطيها بالكامل ، وبدا أن أنفها مجدوع .

من الأفضل أن أجدهما ميتين . خطر له هذا الخاطر بغتة . بعدما حدث لآليس ، فمن الأفضل أن أجدهما ميتين . ثم ارتاح لخاطر آخر (بدا له صادقاً فى لحظة التوتر هذه) : ولو كان لابد أن يموت أحدهما . . . فلتكن هى .

منزلهما آخر منزل على اليسار (كما اعتاد دائماً أن يذكر شارون ، وهو يضحك ضحكة مخيفة ، قبل أن تفقد دعابته تلك معناها مع الوقت) ، و ينتهى الممر عند السقيفة الصغيرة المجدّدة ، والتى كانت كبيرة بما يكفى لتوقف سيارة واحدة . انقطعت أنفاس كلاى إلا أنه لم يتوقف . سارع نحو الممر ، وهو يركل أوراق الأشجار من أمامه ، وهو يشعر بوخز فى جانبه الأيمن ، وبمذاق معدنى جاف فى فمه ، وبرودة أنفاسه ، سلط ضوء مصباحه نحو المرآب .

كان خاوياً ، فتساءل إن كان لهذا وقع جيد أم سيئ ؟

التفت فرأى ضوء كشافى توم و جوردان وهو يقترب من خلفه ، فسلط ضوء كشافه على الباب الخلفى لمنزله . وما إن وقعت عيناه عليه حتى اضطرب قلبه بشدة . صعد العتبات فى سرعة ، وكاد يتعثر وهو يسارع بمد يده نحو الورقة الملتصقة بزجاج الباب . لو كانوا قد تأخروا لساعة أو نصف الساعة فلربما عصفت الرياح بهذه الورقة ؛ فلم تكن ملتصقة بالزجاج سوى من ركنها . كان ليقتلها ـ لو أن هذا قد حدث ـ لعدم اعتنائها بلصقها جيداً من أجله فهو يعلم أن شارون مهملة بطبعها .

. . . إلا أن الرسالة التى حملتها تلك القصاصة لم تكن من زوجته .

٢

قطع جوردان الممر حتى وقف عند عتبات الباب الخلفى وسلط ضوء كشافه على كلاى . ومن بعده اقترب توم وهو يلهث ، محدثا جلبة هائلة وهو يركض فوق أوراق الأشجار . وقف إلى جوار جوردان وسلط كشافه على الورقة التى بيد كلاى . ثم رفع الضوء شيئاً فشيئاً نحو وجه كلاى المصعوق . قال كلاى وهو يناولهما الرسالة : " لقد نسيت أمر إصابة أمها بالسكرى اللعين " . فسارع توم و جوردان يطالعان الرسالة وهما يتغاضيان عن أسلوبها الطفولى وأخطاء هجائها :

أبي ،

ربما تعلم أن شيئاً ما قد حدث ، أتمنى أن تكون بخير وتقرأ هذه الرسالة . معى ميتش شتاينمان وجورج جيندورن . . . الناس يجن جنونهم ونعتقد أن السبب هو الهواتف المحمولة . الخبر السيئ يا أبى هو أننا قد أتينا إلى هنا لأنى كنت خائفاً . لم يكن معى هاتفى المحمول . . . أخذته أمى منى لأنها كانت تطمئن بين الحين والآخر على جدتي . . . لابد أن ارحل الآن . . . أنا خائف . . ربي . . لقد قتل أحدهم السيد كريتسكي . جميع الناس يموتون ويجنون وكأننا وسط فيلم رعب . . . لكننا سمعنا أن الناس العاديين يتجمعون فى قاعة البلدة . . سنذهب إلى هناك . . ربما كانت أمى هناك . . . لكنها تحمل هاتفى اللعين . أرجو أن تاتينى إلى هناك إذا استطعت العودة إلى هنا يا أبي .

ابنك ،

جون جيفين ريدل

انتهى توم من قراءة الرسالة ، ثم تحدث بنبرة تحذير زادت من رعب كلاى : " تعلم أن كل من تجمعوا فى قاعة البلدة قد هربوا إلى كل مكان ، أليس كذلك؟ . لقد مرت عشرة أيام الآن ، وقد مر العالم خلالها بحالة تقلبات فظيعة " .

قال كلاى : " أعلم هذا " . كانت عيناه تؤلمانه ويشعر بتردد فى صوته وهو يضيف : " وأنا أعلم بأن أمه قد تكون . . . " . هز كتفيه وهو يشيح بيده المرتجفة وسط الظلام ، وكأنه يبعد عنه هواجس العالم كله . " ولكن وبالرغم من هذا يا توم فلابد لى من أن أذهب إلى قاعة البلدة حتى أرى بنفسي . فربما تركوا لى رسالة . ربما ترك لى رسالة" .

قال توم : " أجل . عليك هذا بالطبع . وحينما نصل إلى هناك يمكننا أن نقرر بعدها الخطوة التالية" . قالها بنفس رقته المعتادة . كم تمنى كلاى لحظتها لو أنه بدلاً من هذه النبرة صارحه ساخراً بأنه لن يرى ابنه مرة أخرى . . . وبأن عليه ألا يسقط ضحية الخيال .

عاد جوردان ليقرأ الرسالة مرة ثانية ، بل وثالثة ورابعة . وحتى مع ما هو عليه الآن من رعب وأسى ، إلا أن كلاى قد شعر برغبة فى الاعتذار لجوردان لما حفلت به الرسالة من أخطاء فى الهجاء وفقر فى الأسلوب - وأن يذكر جوردان أن ابنه كان يكتبها وهو متوتر مرعوب ، بينما يراقب صديقاه جواره ما يجرى حولهم من فوضى عارمة .

نحى جوردان الرسالة وهو يقول : " هل يمكنك أن تصف لى ابنك؟"

كاد كلاى يسأله عن سبب هذا السؤال ، لكنه لم يجد لديه رغبة فى معرفته . ليس الآن على الأقل . " إنه أقصر منك بقدم . ممتلئ قليلاً . شعره بنى قاتم" .

" إذن فهو ليس بنحيف أو أشقر"

" كلا . فهذه أقرب لأوصاف صديقه جورج " .

عندها تبادل توم وجوردان النظرات . نظرات أسى . إلا أن كلاى وجد فيها بعضا من الإحساس بالارتياح .

سألهما : " ما الأمر؟ . . . أجيباني . . . ما الأمر؟"

قال توم : " إنه على الجانب الآخر من الشارع . . . لم تره لأنك كنت تركض . فقد كان هناك صبى مقتول على بعد ثلاث بنايات من هنا . نحيف . أشقر . وعلى ظهره حقيبة حمراء . . . "

فقال كلاى : " هذا هو جورج جيندرون " . كان يعرف حقيبته الحمراء كما يعرف حقيبة جونى الزرقاء ذات الشريط اللامع . " كانا يعدان معا مشروع بحث تاريخى للمدرسة . وقد نالا عنه درجة الامتياز . لا يمكن أن يكون جورج قد مات " . إلا أن هذه هى الحقيقة . جلس كلاى إلى عتبة الباب الخشبية . فسمع صوت صريرها المألوف تحت وطأة ثقله . وهو يغطى وجهه بيديه .

٣

كانت قاعة البلدة ـ أو دار البلدية كما هو اسمها الرسمى ـ عند تقاطع شارعى بوند وميل . أمام الساحة العمومية للبلدة ومجرى المياه الذى منح البلدة اسمها . كان موقف السيارات خاويا إلا فى الأماكن المخصصة لسيارات الموظفين . لأن كلا الشارعين المؤديين إلى البناية البيضاء الكبيرة والتى بنيت على الطراز الفيكتورى كانا مسدودين بالسيارات التى تركها أصحابها . فقد اقترب أصحابها من البناية إلى أقرب مسافة ممكنة قبل أن يترجلوا عن سياراتهم ويقطعوا المسافة الباقية مشيا على الأقدام . إلا أن الوصول إلى البناية صار الآن مهمة

شاقة لكلاى وتوم وجوردان . وفى المنطقة التى على بعد بنايتين من مبنى البلدية زادت كثافة السيارات . بل إنها كانت متوقفة فوق المروج الخضراء أيضا . بينما طالت الحرائق عشرات المنازل . وبعضها لا تزال النيران تأكل أخشابها .

كان كلاى قد قام بتغطية جثة الصبى عند ليفرى لين ـ وقد تأكد بالفعل من أنه جورج صديق ابنه ـ إلا أنهما لم يستطيعا عمل شيء لكل تلك الجثث المتناثرة عبر طريقهما نحو القاعة . كانت بالمئات . إلا أن كلاى لم يتعرف على أى منها وسط الظلام . وربما لم يكن ليتعرف عليها بحالتها هذه حتى تحت ضوء النهار . فقد ظلت الطيور تنهشها طيلة أسبوع ونصف .

بقى يتذكر جورج جيندرون . والذى كانت جثته مسجاة على وجهها وسط كومة من أوراق الشجر التى اصطبغت بالدماء . لقد ذكر جون فى رسالته أن جورج وميتش ـ صديقه الآخر فى الصف السابع هذا العام ـ كانا معه . لذا فأيا كان ما حدث لجورج فإنه قد حدث بعد أن علق جونى تلك الرسالة على الباب الخلفى وغادر ثلاثتهم المنزل . وبما أن جورج وحده هو الذى سقط صريعا ، فإنه يفترض أن جونى وميتش قد نجحا فى الوصول أحياء .

حينها تذكر آليس ـ فليرحمها الرب ـ وعبارتها . . . الافتراض يجعل منى ومنك أحمقين .

وكان هذا حقا . فربما طاردهما قاتل جورج ولحق بهما فى مكان ما . ربما عند شارع ماين ، أو شارع دجواى ، أو ربما عند طريق لوريل المجاور . ليطعنهما بسكين سويدية الصنع أو بهوائيى سيارة . . . .

وصلا عند موقف السيارات . كان على يسارهم عربة نقل يبدو أنها حاولت أن تدخل الموقف إلا أنها استقرت فى سوره الخارجي . أما على يمينهم فكانت هناك جثة امرأة تمزق عنقها

وتشوه وجهها تماماً بفعل نهش الطيور له . كانت لا تزال ترتدى قبعة البيسبول الخاصة بفريق بورت لاند ، وحقيبتها بقيت على ذراعها .

فلم يعد قتلة هذا الزمان يهتمون بسرقة المال .

وضع توم يده على كتف كلاى وهو ينبهه : " توقف عن التفكير فيما قد يكون حدث" .

" من أين عرفت أنني . . . "

" لا يتطلب الأمر فراسة يا صاح . ولو وجدت ابنك ـ ومن المحتمل ألا تجده ، ولكن إن حدث هذا ـ فإنى متيقن من أنه سيحكى لك القصة كلها . أما خلاف ذلك فلن يهمك أن تعلم بما حدث"

" بالطبع . . . ولكن يا توم . . . لقد كنت أعرف ذلك الصبى جورج . لقد كان الصبية يسمونه أحياناً كونيكتيكت ، لأن عائلته أتت من هناك . وكان يأكل الهمبرجر وشطائر اللحم فى باحة منزلنا . وقد اعتاد والده أن يأتى ليشاهد مباريات الكرة معى " .

" أعلم ما تعنيه . . . أعلمه . . . " ثم التفت لجوردان ليقول له فى حدة : " توقف عن النظر إلى جثتها ـ جوردان . فهى لن تنهض لتعاود المسير" .

تجاهله جوردان وبقى يحدق فى الجثة التى نهشتها الطيور . قال : " لقد بدأ الهاتفيون يهتمون بدفن موتاهم عندما تحصلوا على البرمجة الأساسية لعقولهم . حتى ولو كان هذا بطريقة بدائية كما رأينا عند ذاك الملعب ، إلا أنه يبقى شيئا له مدلوله على أية حال . إلا أنهم لم يهتموا بدفن موتانا نحن . يتركونها تتعفن حيث سقطت" . ثم التفت إلى توم وكلاى مواصلا كلامه : " علينا ألا نثق بهم . مهما قالوا أو وعدوا به لا يمكننا الوثوق بهم . . . هل فهمتما ؟ "

فقال توم : " وأنا أوافقك الرأى" .

أطرق كلاى برأسه : " وأنا كذلك" .

أشار توم برأسه نحو دار البلدية ، حيث كانت تومض أضواء مصابيح الإنذار وبطاريته الضوئية التى سُلط ضوؤها على سيارات الموظفين التى تساقطت أسفلها بقايا أوراق الأشجار ، وهو يقول : " لنذهب إلى هناك ونستكشف ما تركوه خلفهم" .

وافقه كلاى قائلاً : " أجل ، هيا بنا" . إنه يشعر بأن جونى قد غادر هذا المكان ، إلا أنه لا يزال يداعبه إحساس ضعيف بأنه سيسمع من مكانه صوته وهو يصيح يناديه بصوته الصبيانى الصغير " أبى ! " ، فيسارع باحتضانه بين ذراعيه ، ويشعر بحقيقته وسط هذا الكابوس المقيت .

٤

علموا يقيناً أن البناية مهجورة حينما رأوا ما كان مدوناً بالدهان فوق البابين المزدوجين . بدا لون الدهان ، فى ضوء أنوار الإنذار المتهافتة ، أشبه بدم قد تخثر :

KASHWAK=No-Fo

سأل توم : " كم تبعد منطقة كاشواك هذه من هنا ؟ "

فكر كلاى فى السؤال قليلاً قبل أن يقول : " قرابة ثمانية أميال إلى الشمال . يمكن أن تصل إلى هناك عبر الطريق ١٦٠ ، ولكن ما إن تصل إلى تى آر " .

سأله جوردان : " ما هو " تى آر " بالضبط ؟ "

www.rewity.com ARAYAHEENA

" إنه تى آر ٩٠ . . . مقسم إدارى غير مأهول . به قريتان صغيرتان ، وبعض المحاجر ، ولكنه عبارة عن غابات فى معظمه ، غير مأهولة سوى بالدببة والوعول" . جرب كلاى أن يفتح الباب فانفتح فى يسر ، قال : " سوف أتفقد هذا المكان أولا . ليس عليكما أن تصحبانى إن أردتما هذا ـ معكما العذر" .

قال توم : " بل سنأتي . أليس كذلك جوردان ؟ "

تنهد جوردان وقال بنبرة صبى عليه القيام بواجب ثقيل على النفس : " بالطبع" . ثم ابتسم وهو يضيف : " انظرا . . . مصابيح الكهرباء منيرة هنا . . . من يدرى متى سنرى شيئاً كهذا ثانية " .

٥

لم يخرج إليه جونى ريدل من إحدى الغرف ليركض نحوه وسط الظلام ، كما تخيل ، إلا أن الدار كانت لاتزال مشبعة برائحة الطهى الذى كان يتم فوق شوايات الغاز أثناء احتشاد الناس فى فترة ما بعد النبضة . وفى خارج القاعة الرئيسية ـ وعلى لوحة الإعلانات الطويلة حيث يتم تعليق الأخبار والأنشطة التى تهم أهالى البلدة ـ وجد المئات من قصاصات الرسائل . كان كلاى يلهث من فرط التوتر وهو يتأملها باهتمام وكأنه وقع للتو على كنز أثرى ثمين . كان يخشى مما قد تقع عليه عيناه من كلمات ، وأكثر خشية مما قد لا يجده بين كلماتها . كان توم وجوردان قد بقيا عن قصد عند حجرة الاجتماعات الرئيسية ، والتى كانت تعج بما خلفه اللاجئون إليها من فضلات ، وقد بدا لهما أنهم أمضوا عدة ليال بها ، فى انتظار فرقة إنقاذ لن تحضر أبداً .

رأى كلاى بين الرسائل من اعتقد بأنه هناك من سيأتى لإنقاذهم . وهناك من اعتقد أن الخلاص فى الوصول إلى كاشواك . فلماذا تلك القرية بالذات ، فى حين أن من الممكن أن تكون كل بقاع تى آر ٩٠ (وبالأخص الشمالية والغربية منها) منقطعة عن البث الهاتفى بالكلية ؟ لم توضح له كل هذه الرسائل السبب . كلها كانت تفترض أن من سيقرؤها سيفهمها كأمر مسلم به ؛ وحتى أوضح تلك الرسائل كان يحاول الموازنة بين الرعب والانتشاء توقا للخلاص . وأغلب الرسائل لا تعدو أن تكون إرشاداً لمن يقرؤها نحو الطريق الصحيح . . . اتبع الطريق الحجرى الأصفر نحو كاشواك وحينها تصل إلى الخلاص .

وبالقرب من الحافة السفلية للوحة ، وجد قصاصة ـ تكاد تخفيها أخرى تركتها إيريس نولان ، وهى سيدة يعرفها كلاى جيدا (فقد كانت تعمل متطوعة بمكتبة البلدة) ـ عليها خط ابنه المألوف . . . أشكرك يا ربي . . . أشكرك كثيراً . انتزعها عن اللوحة ، وهو يحاذر ألا يمزقها .

كانت مؤرخة فى الثالث من أكتوبر . حاول كلاى أن يتذكر أين كان فى ليلة الثالث من أكتوبر هذه ، إلا أنه لم يستطع . أكان فى تلك الحظيرة فى ريدينج الشمالية ، أم فى مقهى الوادى بالقرب من ميثوين ؟ لم يكن متيقنا من الإجابة ـ فالأماكن كلها متصلة فى ذهنه ببعضها البعض ، ولو أمعن التفكير فى هذا لاختلطت كل الأماكن وكل الأشخاص فى ذهنه ، ولن يفرق بين من صادفهم من عقلاء ومجانين ، فقد يرى أن السيد ريكاردى قد انتحر بتناول زجاج مهشم ، بدلاً من شنق نفسه ، وقد يرى أن آليس هى من كانت فى حديقة توم تلتهم ثمار الخيار والطماطم ، وغيرهم ممن عرفهم عبر هذا الطريق الطويل .

همس لنفسه قائلاً : " توقف عن هذا " . كان يحاول التركيز فى قراءة الرسالة التى بين يديه . كانت التهجية أفضل هذه المرة ، مع بعض التحسن فى الأسلوب . إلا أن الألم كان أوضح عنصر فيها .

الثالث من اكتوبر

أبى العزيز ،

ارجو ان تكون حياً وتقرأ هذه . نجوت انا وميتش لكن هوجى داردين نال من جورج ، وأعتقد انه قتله . فقد هربت انا وميتش بسرعة .

شعرت انه خطئى لكن ميتش ، قال : كيف كان من الممكن أن تعرف انه مجنون هاتف كالباقين ؟ وأنه ليس خطئي .

هناك ماهو أسوأ يا ابي . أمى واحدة منهم ، رايتها مع إحدى " الجماعات" اليوم . (يسمونهم بالجماعات) . لم تبد على نفس سوء حال الباقين ولكننى أعلم أننى لو ذهبت إليها لقتلتنى بمجرد أن أقف أمامها . لا تنخدع إن رأيتها . . . آسف لكن هذه الحقيقة .

سنذهب إلى كاشواك ، هى فى الشمال ، فى الغد أو بعد الغد ، أم (ميتش) هنا وأود أن أقتله فانا أحسده جداً . أعلم يا أبى أنه ليس معك هاتف محمول والكل يعلم بأن (كاشواك) مكان آمن . فلو قرأت هذه تعال وخذنى أرجوك .

أحبك من كل قلبي ،

ابنك ،

جون جيفين ريدل

كان كلاى متمالكاً لأعصابه ـ حتى بعد النقطة التى علم عندها بما حل بشارون ـ إلى أن قرأ السطر الأخير : " أحبك من كل قلبى " . فاضطربت أعصابه وهو يقبل توقيع ابنه ذى الاثنى عشر عاماً ، وينظر إلى لوحة الإعلانات من خلال عينين مشوشتين . وهو يطلق صرخة ألم مبحوحة . فهرع إليه توم وجوردان .

قال توم : " ما الأمر . كلاى . ما الخطب ؟ " . رأى قصاصة الورقة ـ صفراء استقطعت من أحد الدفاتر ـ فتناولها من يد كلاى . قرأها هو و جوردان فى سرعة .

قال كلاى بصوت مبحوح : " سأذهب إلى كاشواك " .

قال جوردان بنبرة حذرة : " قد لا تبدو هذه بالفكرة الجيدة . كلاى . بالنظر إلى ما ارتكبناه فى أكاديمية جايتين " .

" لا يهمنى هذا . سوف أذهب إلى كاشواك . وسأجد ابنى هناك " .

٦

ترك من لجأ إلى دار البلدية هذه وراءه الكثير من الزاد حينما قرروا الرحيل . ربما فى جماعة واحدة . متجهين إلى منطقة تى آر ٩٠ ومنها إلى كاشواك . فأعد كلاى وتوم وجوردان وجبة من سلطة الدجاج المعلبة والخبز الجاف ، ومن بعدها تناولوا علب سلطة الفواكه .

اقترب توم من جوردان وهم ينهون طعامهم . أومأ الصبى له برأسه فنهض الاثنان . " أرجو أن تسمح لنا بدقائق . كلاى ؟ سأتحدث مع جوردان على انفراد " .

أشار كلاى بموافقته . وتناول بعد ابتعادهما علبة سلطة فواكه أخرى . وعاد ليقرأ رسالة ابنه للمرة العاشرة . كان فى

طريقه لأن يحفظها عن ظهر قلب . بدت له ذاكرته نسبية . فقد كان يتذكر وقت احتضار وموت آليس جيداً . إلا أن هذا يبدو له الآن وكأنما قد حدث فى حياة أخرى ، ولشخص آخر غيره . نسخة أخرى منه .

انتهى من وجبته ، وحفظ الورقة فى جيبه أثناء عودة توم وجوردان قادمين من القاعة . وبعد تلك المناقشة الجانبية ، التى ذكرته بانتحاء المحامى بموكله بعيداً عن المحقق . وقت أن كان هناك محامون ومحققون . كان ذراع توم يحيط بكتفى جوردان . ولم يكن أى منهما يبدو سعيداً ، إلا أن كليهما احتفظ برباطة جأشه .

بدأ توم الكلام قائلا : " كلاى . لقد تناقشنا ، و . . . " .

" من الواضح أنكما غير راغبين فى مرافقتى إلى هناك " .

فقال جوردان : " أعلم أنه ابنك وكل شيء بالنسبة لك ، ولكن . . . . " .

" تعلمان أنه كل ما تبقى لى الآن . فأمه . . . " ، وجد كلاى نفسه يضحك ، ضحكة لم تكن بالضحكة كما نعرفها . " يالها من مفارقة . . . أمه . . . شارون . وبعد كل قلقى على جونى خوفاً من أن يتلقى هو تلك النبضة اللعينة . ولو كان لى أن أختار بينهما لاخترتها هى كى تصاب بها" . هكذا قالها فى صراحة أدهشته . وكأنها قطعة لحم كانت تسد حلقومه وتكاد تخنقه . " أتدرون ما هو شعورى الآن؟ كأننى قد عقدت صفقة مع الشيطان ، وحصلت على ما رغبت " .

تجاهل توم كل ما كان يقوله كلاى . وحينما تكلم توخى الحذر ، وكأنما يخشى على كلاى من الانفجار : " إنهم يكرهوننا . بعد أن كانوا يكرهون الجميع صاروا يكرهوننا نحن فقط . وأياً كان ما سيجرى فى كاشواك ـ طالما كانت فكرتهم ـ فلن يكون بالشيء الجيد بالنسبة لنا " .

قال كلاى : " لو كانت عقول الهاتفيين ستبرمج إلى مستوى أعلى ، فربما يصلون إلى مرحلة متطورة من الفهم . . . ألخصها فى مبدأ (عش ودعهم يعيشون) " . لم يكن هو نفسه يجد جدوى من هذا الكلام ، فمن المؤكد أنهما قد اتخذا قرارهما . وعليه هو أن يرحل .

قال جوردان : " أشك فى هذا . أتذكر ما كنا نتحدث عنه حول تلك الشاة التى تساق إلى ذبحها ؟ "

فقال توم : " نحن طبيعيون يا كلاى وهذه واحدة . وقد أحرقنا أحد أسرابهم وتلك ثانية وثالثة . ولن ينطبق علينا هذا المبدأ الذى تتحدث عنه " .

فأضاف جوردان : " وما الذى يدفعهم إلى ذلك ، وزعيمهم قد وصفنا نحن بالمجانين ؟ " .

فبادر كلاى قائلا : " وألا يلمسنا أحد . لذا فسأكون بخير ، أليس هذا صحيحاً ؟ "

بعدها لم يكن هناك ما يمكن أن يقال .

٧

قرر توم وجوردان أن يتوجها غرباً ، عبر نيو هامبشاير وفى فيرمونت ، سائرين فى الاتجاه المعاكس لكاشواك ـ بل والأفق برمته ـ ما أمكن هذا . قال كلاى إن الطريق ١١ ، والذى يمر متماساً مع كينت بوند ، سيكون هو مبتدأهم . قال : " سيأخذنى شمالاً نحو الطريق ١٦٠ ، أما أنتما فيمكنكما اتباعه وصولاً إلى لاكونيا ، فى وسط نيو هامبشاير . إنه ليس بالطريق المباشر تماماً ، ولكنكما ليس لديكما من الأصل نقطة بعينها تودان الوصول إليها ، أليس كذلك ؟ "

ضغط جوردان على عينيه براحتى يديه بقوة ، وهو يفركهما . ثم نحى الشعر عن جبينه فى حركة يعلم كلاى تماماً أنها دليلٍ على التعب وتشوش الذهن . كم سيفتقده . وسيفتقد توم أيضا .

قال جوردان : " كنت أتمنى لو أن آليس معنا الآن . كانت ستقنعك بتغيير رأيك " .

قال كلاى : " لم تكن لتنجح فى هذا " . إلا أنه كان يتمنى من كل قلبه لو أنها كانت حية . تمنى لو أن الفرصة أتيحت لها لفعل الكثير من الأمور خلاف مجرد إثنائه عن رأيه . فالخامسة عشرة لم تكن أبداً بالعمر الذى يموت عنده الإنسان .

قال له توم : " إن خطتك الحالية تذكرنى بالفصل الرابع من مسرحية يوليوس قيصر . أما فى الفصل الخامس فتجد الجميع وقد قرر الانتحار بالسيف" . كانوا يسيرون بين السيارات المتوقفة ، وأحياناً من فوقها ، عبر شارع بوند . كانت ومضات الإنذار تضعف شيئاً فشيئاً خلفهم عند دار البلدية . وأمامهم إشارة المرور المتعطلة التى تميز قلب البلدة ، والتى كانت تتأرجح مع هبوب النسيم .

قال كلاى : " لا تكونا على كل هذا التشاؤم" . كان قد قطع عهداً على نفسه بألا يبدى انزعاجه من قرارهما - فلم يكن ليفترق عن صديقيه وهو على هذه الحال - إلا أن هذا كان أقوى مما يحتمل .

توقف توم جوار لافتة طريق تقول JCT RT ١١٢ MI :

" أصارحك بأن مفارقتك هذه تؤلمني ؟ "

" أنا آسف يا توم " .

" لو كنت أعتقد بأن فرصة نجاحك تصل ولو حتى إلى واحد إلى خمسة . . . تبا . . . بل إلى واحد إلى خمسين . . . لكنت . . . لكن ، لا عليك الآن" . ووجه توم ضوء كشافه إلى

وجه جوردان قائلاً : " وماذا عنك أنت ؟ أليس لديك كلمة أخيرة تقولها فى وجه هذا القرار المجنون؟ "

نظر جوردان إليه للحظات ، قبل أن يهز رأسه قائلاً : " لقد قال لى الرئيس ذات مرة حكمةً مازلت أذكرها . . . أتودان سماعها ؟ "

قام توم بتحية ساخرة بكشافه . وقع شعاع ضوء كشافه على أفيش فيلم توم هانكس الجديد ، ومن ثم على واجهة صيدلية جواره . " احك ما لديك " .

" يقول بأن بوسع العقل أن يحسب حساباته ، إلا أن الروح هى التى تميل إلى ما تميل إليه ، والقلب لا يعرف سوى ما يعرفه القلب" .

وأمن كلاى على رده موافقاً .

ساروا شرقاً فى شارع السوق ، والذى كان بدوره جزءاً من الطريق ١٩ أ ، على مدى ميلين . انتهى الرصيف بعد الميل الأول وحلت محله المزارع على الجانبين . وعند نهاية الميل الثانى كانت هناك إشارة مرور متعطلة أخرى ، ولافتة تشير إلى ملتقى الطريق ١١ . كان هناك ثلاثة أشخاص ينامون داخل حقائب نوم عند مفترق الطرق . وما إن وجه كلاى ضوء كشافه تجاههم حتى تعرف على واحد منهم : سيد كهل ذو وجه لماح وشعر أشيب طويل يعقصه خلف رأسه كذيل حصان . كما بدت له قبعة فريق ميامى دولفينز التى يرتديها آخر مألوفة أيضاً . ثم وجه توم ضوء كشافه نحو المرأة التى تنام جوار السيد صاحب ذيل الحصان وهو يقول : " أنتِ " .

لم يكن كلاى متأكداً مما إذا كانت ترتدى بالفعل قميصاً بلا أكمام أما لا ، فقد كانت تغلق حقيبة نومها حتى العنق ، إلا أنه كان متيقناً من أن مثل هذا القميص موجود بجعبتها إن لم تكن ترتديه فعلاً . متيقن كيقينه من أنها حامل . فلقد رأى هذين

الشخصين فى الحلم الذى انتابه فى ذلك النزل . قبل أن تلقى آليس مصرعها بليلتين . رآهما فى الحلم داخل الملعب الطويل ، تحت الأضواء الكاشفة ، واقفين على الرصيفين .

وقف الرجل أشيب الشعر ، تاركاً حقيبة النوم تنزلق عن جسده للأسفل . كانوا مسلحين بالبنادق ، إلا أنه رفع يديه لأعلى ليبين أنه أعزل . وكذلك فعلت المرأة ، التى كان من الواضح أنها حامل بعد أن سقطت حقيبة النوم عن جسدها . أما الرجل ذو القبعة فكان طويلاً يناهز الأربعين من العمر . وقد تبع رفيقيه فى رفع يديه لأعلى . وقف ثلاثتهم من دون حراك لبضع ثوان وأضواء الكشافات مسلطة عليهم ، قبل أن يتناول أشيب الشعر نظارة سوداء الإطار من جيب قميصه المجعد ويرتديها . نفث أنفاسه بيضاء دافئة وسط الليل البارد . تتصاعد نحو لافتة الطريق ١١ ، حيث تشير الأسهم نحو الغرب والشمال .

قال لهم الرجل : " حسناً . . . لقد قال رئيس هارفارد بأن من المتوقع أن تمروا من هذا الطريق ، وبالفعل كان محقاً فى هذا . ياله من ذكى ـ رئيس هارفارد هذا ـ رغم أنه صغير السن على مثل هذه المهمة . كما أنه بحاجة إلى العديد من عمليات التجميل قبل أن يلتقى بمن يمكنهم أن يدعموه " .

سأله كلاى : " من أنت ؟ "

" ابعد هذا الضوء عن وجهى أيها الشاب . وعندها سأخبرك بما تريد " .

نحى توم وجوردان ضوء كشافيهما بعيداً عنهم . وكذلك كلاى ، إلا أنه وضع يداً فوق مسدس بيث نيكرسون .

قال الأشيب : " أنا دانيال هارتويك ، من هافرهيل فى ولاية ماساشوسيتس . وهذه السيدة الشابة اسمها دينيس

لينك ، وهى من هافرهيل أيضاً . وهذا السيد على يمينها هو " راى هوزينجا " ، من جروفلاند ، وهى بلدة مجاورة " .

قال " راى هوزينجا " وهو ينحنى انحناءة طريفة ، ساحرة ، وغريبة فى الآن نفسه : " أسعدنى لقاؤكم" . عندها بارحت يد كلاى موضعها على مسدسه .

قال دانيال : " إلا أنه لا أهمية لأسمائنا الآن . ما يهم هو ما تمثله شخصياتنا ، وخاصةً فيما يتعلق بالهاتفيين . فنحن فى نظرهم مجانين . مثلكم تماماً " .

٨

قلبت دينيس مع راى وجبةً صغيرة على شواية بروبين . كان راى يقول : " هذه المقانق المعلبة لا تكون سيئة المذاق لو قمت بطهيها هكذا " وهم يتحدثون ـ وكان دانيال هو من يقود زمام الحديث . بدأ بأن أخبرهم بأن الساعة هى الثانية والثلث صباحاً . وهم ينتووون أن يعاودوا المسير مع حلول الساعة الثالثة . قال إنه يريد أن يقطع أكبر عدد ممكن من الأميال قبل بزوغ الصباح ، حينما يبدأ الهاتفيون فى الظهور .

قال : " لأنهم لا يخرجون ليلاً . هذا ما نعرفه عنهم حتى الآن . إلا أنه وحينما تنتهى عملية برمجتهم ، أو تقارب الانتهاء ، قد يتمكنون من التجوال ليلاً أيضاً ، ولكن . . . " .

قاطعه جوردان سائلاً : " أتعتقد فعلاً أن هذا سيحدث ؟ " . بدا مهتماً بالحديث من حوله ، لأول مرة منذ أن لقيت آليس مصرعها . كان يقبض على ذراع دانيال وهو يقول : " أنت توافقنى إذن على أنهم يتعرضون لإعادة برمجة ، تماماً كأجهزة الكمبيوتر التى تعرضت أقراصها الصلبة لـ . . . "

www.rewity.com ARAYAHEENA

قال دانيال وكأن هذه هى أهم معلومة فى العالم : " بالفعل . . . بالفعل" .

فسأله توم : " هل أنت ـ أو هل كنت ـ عالماً فى تخصص معين ؟ "

ابتسم له دانيال وهو يقول : " لقد كنت رئيس قسم علم الاجتماع بكلية هافيرهيل للآداب والتقنية . ولو كان لدى رئيس هارفارد ذاك كابوس ينتابه ، فلا شك أنه أنا " .

لم ينجح كل من دانيال هارتويك ودينيس لينك وراى هوزينجا فى القضاء على سرب واحد فقط ، بل قضوا على سربين من مجانين الهاتف . كان الأول يقبع فى منطقة خلف ساحة خردة السيارات بهافيرهيل ، وقد واجهوهم مصادفةً ، حينما كان عدد جماعتهم يصل إلى ستة أفراد يحاولون الخروج من المدينة . بعد حدوث النبضة بيومين ، وقتها كان الهاتفيون مجانين هاتف بالفعل ، مشوشين مدفوعين إلى قتل بعضهم البعض وقتل كل من يصادفونه من الطبيعيين . كان ذلك السرب الأول صغير العدد ، لا يزيد عدده على خمسة وسبعين فرداً ، واستخدموا الجازولين فى القضاء عليه .

قالت دينيس : " وفى المرة الثانية ـ فى ناشوا ـ استخدمنا الديناميت الذى وجدناه فى مخزن بموقع بناء . كنا وقتها قد فقدنا كلاً من تشارلي ورالف وآرثر . قرر رالف وآرثر الرحيل وحدهما . أما تشارلي المسكين فقد انتابته أزمة قلبية مميتة . على أن راى كان يدرك كيفية دس الديناميت فى الأرض منذ أن كان يعمل ضمن فريق لسفلتة الطرق" .

طرقع راى بأصابع يده بينما كانت اليد الأخرى تقلب الفول مع المقانق فوق النار .

واصل دانيال هارتويك الحكى قائلاً : " بعدها . . . بدأنا نرى علامات كاشواك فى كل مكان ، وقتها بدا لنا الأمر أشبه بالفرصة ، أليس كذلك ، دينيس ؟ "

فقالت دينيس : " أجل ، بدت كدعوة إلى الحرية . كنا متجهين شمالاً ـ مثلكم تماماً ـ وحينما بدأنا نرى تلك العلامات سارعنا المسير نحو الشمال . كنت أنا الوحيدة التى لم ترتح لهذه الفكرة تماماً ، لأننى فقدت زوجى أثناء النبضة . وهؤلاء الملاعين هم السبب فى أن يولد طفلى يتيم الأب" . لاحظت تلك الرعدة التى انتابت كلاى وقالت : " آسفة . فنحن نعلم أن ابنك قد اتجه إلى كاشواك " .

عندها بهت كلاى وقد فغر فاه فى دهشة .

فقال دانيال وهو يتناول صحناً من يد راى الذى كان قد بدأ فى توزيع الصحون عليهم : " أجل . . . بالفعل . فرئيس هارفارد يعرف كل شيء . ويرى كل شيء . ولديه ملفات عن كل شيء . . . أو هو يود أن نتصوره هكذا" . غمز بعينه لجوردان ، فابتسم .

قالت دينيس : " يرى دانيال أن مجموعة إرهابية ما ـ أو ربما مجرد اثنين من العباقرة المجانين ـ هما من بدأ كل هذا ، إلا أن أحداً لم يكن يدرك أن الأمور ستصل إلى هذا الحد الذى وصلت إليه . أما الهاتفيون فهم يلعبون دورهم فى هذه اللعبة ليس إلا . ولم يكونوا مسئولين عن تصرفاتهم وقت أن كانوا مجانين . وهم ليسوا وعن حق مسئولين الآن ، لأن . . . " .

قاطعها توم قائلا : " لأنهم فى قبضة أوامر جماعة ما تهدف إلى التهجير" .

فقال راى وهو يتناول الطعام من صحنه : " إنها بالفعل أوامر جماعة ، إلا أن الأمر ليس تهجيراً . يقول دان بأنها

مسألة بقاء ليس إلا . وأنا معه فى هذا الرأي . وعلى كل حال فقد كان علينا أن ننأى بأنفسنا عن كل هذا الجنون" .

قال دان : " بدأت الأحلام بعد أن دمرنا السرب الأول . أحلام شديدة الوضوح . . . تتمحور حول هارفارد . وبعد أن فجرنا ذلك السرب فى ناشوا ، ظهر لنا رئيس هارفارد شخصياً ومعه قرابة خمسمائة شخص من أقرب أصدقائه" . كان يتناول طعامه فى سرعة وهو يتحدث .

قال كلاى : " وترك الكثير من أجهزة الاستيريو المنصهرة عند عتبات الباب "

قالت دينيس : " بعضها كان منصهراً . وبعضها لم يكن كذلك" . ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وهى تضيف : " لم يزعجنا هذا . فقد كان ذوقهم فى الموسيقى بالغ السوء" .

قال توم : " أنتم تسمونه رئيس هارفارد بينما نسميه نحن الرجل الأشعث " . كان قد وضع صحنه إلى جانبه وفتح حقيبته . أخذ يقلب بداخلها حتى وجد الرسم الذى قام به كلاى فى ذلك اليوم الذى أجبر الرئيس فيه على الانتحار . كانت عينا دينيس تنظران إليه فى ترقب . ثم ناولت الرسم إلى راى ، الذى بمجرد أن رآه حتى صفر بفمه فى دهشة .

تناوله دانيال أخيراً ونظر إلى توم فى احترام وهو يسأله : " هل أنت من رسم هذا ؟ "

فأشار توم إلى كلاى .

فعلق دانيال قائلاً : " أنت موهوب بالفعل " .

لم يجد كلاى سوى أن يقول : " لقد تلقيت درساً فى الرسم ذات مرة" . ثم التفت إلى توم ، الذى كان يحتفظ بخرائط الطرق فى حقيبته ، سائلاً : " ما هى المسافة بين جايتين وناشوا ؟ " - " ثلاثون ميلاً ، على الأقل " .

أومأ كلاى برأسه وهو يلتفت نحو دانيال هارتويك سائلاً : " وهل تحدث إليكم ذلك الرجل ذو الرداء الأحمر ؟ "

نظر دانيال إلى دينيس فأشاحت بوجهها . بينما اهتم راى بغتة بالشواية الصغيرة - وهو يتظاهر بأنه يحاول إطفاءها - ففهم كلاى مقصدهم . " من منكم هو الذى استخدمه الرجل كوسيط ينقل كلامه ؟ "

قال دانيال : " أنا . كانت تجربة مرعبة . هل مررت بها ؟ "

" بلى . بوسعك أن تمنعها ، لكنك فى الوقت نفسه تريد أن تعرف ما يدور فى عقله . فهل تعتقد أنه يقوم بهذا كاستعراض للقوة ؟ "

قال دانيال : " ربما ، إلا أننى لا أعتقد أن هذا هو غرضه الوحيد . كما لا أعتقد أن بوسعهم الكلام . كل ما يستطيعونه هو التلفظ وحسب ، إلا أننى متيقن من أنهم يفكرون - بالرغم من أن من الخطأ الفادح أن نعتقد أنهم يفكرون كبشر - مع أنهم عاجزون عن النطق بكلمات مفهومة " .

وافقه جوردان الرأى : " بالفعل " .

نظر دانيال إلى ساعته ، فدفع كلاى إلى أن ينظر بدوره إلى ساعته . كانت الثالثة إلا الربع .

قال راي : " طلب منا أن نتجه شمالاً . أخبرنا بأن نتجه إلى كاشواك . وقال بأننا لن نستطيع القضاء على أى سرب منهم بعد الآن ، فقد أصبح هناك حرس يحميهم . . . "

قال توم : " هذا صحيح . لقد رأيناهم فى روشيستر " .

" ورأيتم العديد من العلامات الخاصة بكاشواك " .

أطرق ثلاثتهم برؤوسهم موافقين .

فقال دانيال : " لقد بدأت أبحث أمر هذه العلامات من منطلق خبرتى كعالم اجتماع . لا من حيث كيفية مبدئها - فإنى

متيقن من أن أولى العلامات قد وضعت بعد حدوث النبضة مباشرة . من قبل ناجين قرروا تحديد مكان كهذا . حيث لم تكن هناك تغطية لشبكات الهاتف المحمول . باعتباره أنسب مكان يمكن التوجه إليه . ما استرعى انتباهى هو الكيفية التى أمكن بها نقل الفكرة ـ والمعادلة بهذه الصورة ـ بهذه السرعة وسط مجتمع مزقته كارثة وانهارت فيه كل صور التواصل الحديث العادية ـ فيما عدا الفم والأذن بالطبع . بدت لى الإجابة واضحة . بمجرد أن نقر بأن هناك نمطا جديداً من أنماط التواصل ـ متاحا لجماعة واحدة فقط ـ قد دخل فى الصورة " .

" التيليباثي " . نطقها جوردان هامساً . " فالهاتفيون إذن هم من يريدون منا أن نتوجه إلى كاشواك " . ثم التفت بعينين ملتعاتين نحو كلاى . " إنها الشاة التى تساق إلى ذبحها إذن . لا يمكنك أن تتوجه إلى هناك يا كلاى ! فهذا بالضبط ما يريده ذلك الرجل الأشعث ! " .

قبل أن يرد كلاى ، عاد دانيال هارتويك للكلام من جديد . كان يتحدث بنبرة فرضية أكاديمية : فمسئوليته هى أن يلقى بالكلام ، وامتيازه هو أن يقاطع من يتحدث .

" أخشى أن علىَّ أن أعجل فى شرحى هذا . ولدينا شىء علينا أن نريه لكم . . . شيء أمرنا رئيس هارفارد بأن نريه لكم ، فى الحقيقة إن . . . " .

قاطعه توم سائلا : " فى أحلامكم ، أم قالها بشخصه ؟ "

ردت دينيس فى هدوء : " بل فى أحلامنا . فلم نره بشخصه سوى مرة واحدة منذ أن أحرقنا ذلك السرب فى ناشوا ، وهذا منذ فترة " .

فقال راى : " أعتقد أنه كان يريد التحقق من أشخاصنا ليس إلا " .

انتظر دانيال فى صبر انتهاء هذا الحوار . بعدها تابع كلامه قائلا : " كنا مستعدين لأن نتبع تلك العلامة . حيث إن المكان فى طريقنا الذى اتخذناه . . . "

قاطعه كلاى هذه المرة ، " أنتم متجهون شمالاً إذن ؟ "

نظر دانيال إلى ساعته ـ وقد بدا متعجلا هذه المرة : " لو دققتم النظر فى علامة الطريق هذه ، فسترون أنها تقدم خياراً . ونحن ننتوى التوجه غربا ، وليس شمالاً "

غمغم راى قائلا : " أنت على حق . فقد أكون غبياً . . . إلا أننى لست مجنوناً " .

تابع دانيال كلامه : " ما سأريه لكم أمر يهمنا بأكثر مما يهمهم . وبمناسبة الحديث عن رئيس هارفارد ـ أو الرجل الأشعث كما تسمونه ـ فإن ظهوره بشخصه ربما كان خطأً ، بل خطأً كبيراً . فهو فى الحقيقة لا يعدو أن يكون مجرد واجهة قام العقل الجماعى بتعيينها لأجل التعامل مع الطبيعيين وبالأخص من يعدونهم من المجانين أمثالنا . وأنا أعتقد من الناحية النظرية أن هناك احتشاداً جماعيا يتم فيما بينهم عبر جميع أنحاء العالم . وقد حددت كل جماعة منهم واجهة لها . وقد تحدد الجماعة الواحدة أكثر من واجهة . ولكن عليكم ألا تخطئوا فتعتقدون أنكم حينما تتحدثون معه فإنكم تتحدثون مع شخص حقيقي . بل أنتم تتحدثون حينها مع الجماعة " .

سأله كلاى : " لماذا لا تجعلوننا نرى ما يريد لنا أن نراه ؟ " . كان يحاول أن يبدو هادئ الأعصاب . إلا أن عقله كان فى عنفوان قلقه . تسوده فكرة واحدة ألا وهى أنه لو استطاع الوصول إلى ابنه قبل أن يصل إلى كاشواك ـ بغض النظر عما يجرى هناك ـ فربما أتيحت له فرصة أن ينقذه . ورغم أن العقل يقول له بأن ابنه قد وصل الآن إلى هناك بالفعل ، إلا أن صوتا آخر بداخله ليس عقلانيا بالمرة يصارعه ليقول بأن من المحتمل

www.rewity.com
ARAYAHEENA

أن يكون شيء ما قد عطل جونى وأية جماعة قد يكون يرتحل معها . بل من الممكن أن يكون كل ما يجرى هناك ليس سوى عملية تفرقة على أسوأ الفروض . وأن الهاتفيين يعملون فقط على تحديد منطقة خاصة بالطبيعيين فقط . وفى النهاية وجد نفسه واقعاً تحت سيطرة الحكمة التى قالها جوردان نقلاً عن رئيسه : " بوسع العقل أن يحسب حساباته ، إلا أن الروح هى التى تميل إلى ما تميل إليه " .

قال دانيال : " تعالوا معي . ليس بعيداً من هنا " . أخرج مصباحه وبدأ يسير نحو حافة الطريق ١١ ـ شمالاً والضوء مسلط إلى ما أمام قدميه .

قالت دينيس : " اعذرونى لعدم ذهابى معكم . فقد رأيت من قبل . ومرة واحدة تكفي " .

قال دان : " أعتقد أنه كان يريد أن يسعدكم . نوعاً ما . وبالطبع هو يريد أن يوصل إلينا رسالة معينة ـ لنا ولكم ـ وهى أن الهاتفيين هم السادة الآن ، يأمرون فيطاعون " . توقف لحظة قبل أن يضيف : " ها نحن ذا ؛ لقد عمل رئيس هارفارد على أن يتأكد من أن نرى جميعاً ذلك الوغد " . توقف ضوء مصباحه على صندوق بريدى إلى جانب الطريق كانت به علامة مميزة ، وقال : " إننى آسف لاضطرار جوردان لأن يرى هذا ، إلا أنه ربما كان من الأفضل أن تعرفوا طبيعة ما تتعاملون معه " . رفع ضوء المصباح لأعلى . وتبعه راى فرفع مصباحه بدوره . أضاء مقدمة منزل خشبى متواضع من طابق واحد ، فوق بقعة خضراء صغيرة .

كان جونر مصلوباً فى المساحة بين نافذة حجرة المعيشة والباب الأمامي . كان عارياً إلا من سروال داخلى ملطخ بالدماء . تبرز من يديه وقدميه وساعديه وركبتيه مسامير أشبه بتلك الضخمة التى تستخدم فى مد السكك الحديدية . ربما كانت هى

بالفعل . هكذا تخيلها كلاى . أما هارولد فكان جالساً مفلطح الساقين عند قدمى جونر . تماماً مثل آليس حينما قابلاها لأول مرة . كان الدم يغطى صدره . إلا أنه لم يكن ينزف من أنفه هذه المرة . وكانت قطعة الزجاج التى استخدمها فى قطع عنقه بعد أن صلب رفيقه تلمع تحت النور فى يده .

حول عنق جونر وفى حلقة حبل ملتف حول قطعة من الورق المقوى مكتوب عليها بأحرف لاتينية كبيرة : JUSTITIA EST COMMODATUM .

٩

قال دان : " فى حالة إذا ما كنتم لا تجيدون اللاتينية فـ . . . . " .

إلا أن توم قال : " ما زلت أذكر منها ما يمكننى من قراءة هذه . . . " تحققت العدالة " ، يقصد الثأر لمقتل آليس . ولمن تجرأ على لمس من لا يتوجب أن يمسهم أحد " .

قال دان وهو يبعد ضوء مصباحه : " أنت على حق " . نحى راى ضوء مصباحه بدوره . " كما أن هذه رسالة تحذير للآخرين . وهم لم يقتلوهما بأنفسهم رغم قدرتهم على هذا " .

قال كلاى : " نعلم هذا . فقد ثاروا لأنفسهم من أبرياء فى جايتين بعد أن أحرقنا سربهم هناك " .

" فعلوا الشيء نفسه فى ناشوا " ، قالها راي متجهماً . " لن أنسى تلك الصرخات ما حييت . أمر غاية فى الرعب . كما هو هذا الذى أمامنا " . كان يشير نحو المنزل المعتم وسط الظلام . " لقد أجبروا الأقل حجماً على أن يصلب الأكبر منه حجماً ، وأن لا يحرك الأكبر ساكناً لينقذ نفسه من هذا المصير . وحينما تم الأمر ، أجبروا الفاعل على ذبح نفسه " .

قال جوردان وهو يمسك بيد كلاى : " مثلما حدث مع الرئيس" .

فقال راى : " تلك هى قوة عقولهم . ويعتقد دانيال أن هذا جزء مما يدفع الكل إلى التوجه شمالاً نحو كاشواك ـ وربما كان هذا ما يدفعنا دفعا إلى التوجه شمالاً رغم محاولتنا أن نقنعكم بأن تبقوا معنا " .

قال لهما كلاى : " هل أخبركما بشيء عن ابني ؟ "

" كلا . ولكنه لو كان يذكر شيئاً لكان قد أكد أنه مع بقية الطبيعيين . وأنكما ستجتمعان معاً فى كاشواك . عليكما أن تنسيا أمر ذلك الحلم الذى تقفون فيه على رصيف بينما يقول الرئيس لذلك الحشد بأنكم مجانين . إن هذه النهاية ليست لكم . ولا يمكن أن تكون لكم . وأنا متيقن من أنكم قد فكرتم من قبل بجميع السيناريوهات السعيدة الممكنة . وأهمها الصورة التى عليها سيتم التعامل مع كاشواك وكل المناطق الأخرى التى يراد أن يلجأ إليها الطبيعيون . أما أنا فأعتقد أن فكرة الشاة التي تساق إلى ذبحها هى الأقرب إلى المنطق . ولكن حتى لو افترضنا أنهم سيتركون الطبيعيين وشأنهم هناك . فهل تعتقد أنهم سيتسامحون مع أناس أمثالنا ؟ نحن الذين قتلنا جماعات منهم ؟ "

لم تكن لدى كلاى إجابة عن هذا .

نظر دانيال إلى ساعته وسط الظلام من جديد : " لقد تعدت الثالثة . علينا العودة . وقد أعدت دينيس حقائبنا استعداداً للرحيل . وقد حان وقت تحديد ما إذا كنا سنمضى معاً أم سنفترق عند هذا الحد " .

إنك بطلبك أن نمضى معاً تطلب منى أن أتخلى عن ابنى . هكذا قال كلاى لنفسه . وهو الأمر الذى لن يفعله ما لم يتأكد من أن ابنه قد مات . . . أو تغير .

١٠

سألهما كلاى وهما عائدان : " كيف تأملان فى التوجه غرباً ؟ . . . ربما كان الليل متاحاً لنا حتى الآن . إلا أن ساعات النهار لهم . وأنتما تعلمان ما بوسعهم القيام به " .

قال دانيال : " أنا متيقن من أن بوسعنا إبعادهم عن عقولنا طالما كنا متيقظين . يتطلب الأمر مجهودا . إلا أنه ممكن . وسنضطر للتناوب على فترات لفترة من الوقت . والكثير من هذا يعتمد على أن ننأى بأنفسنا عنهم" .

فقال راي : " وهو الأمر الذى يعنى التوجه غرباً إلى نيو هامبشاير ومن ثم إلى فيرمونت بأسرع وقت ممكن . وبعيداً عن مناطقهم" . وجه ضوءه نحو دينيس . والتى كانت تجلس فوق حقائب النوم . " هل نحن جاهزون ، عزيزتي ؟ "

" جاهزون . أتمنى فقط لو تسمحون لى بحمل شيء معكما" .

قال راى بامتنان : " أنت تحملين ابنك . وهذا يكفي . وبوسعنا أن نترك حقائب النوم " .

قال دان : " هناك مناطق قد يكون من المجدى فيها أن نستقل سيارة . حيث يرى راي أن هناك بعض الطرق الفرعية الخاوية . والتى يمكن القيادة عبرها لمسافة تصل إلى عشرات الأميال المتصلة . ومعنا خرائط جيدة" . جثا على ركبتيه عند حقيبته . وهو ينظر إلى كلاى مبتسمًا . " أعلم أن الفرص ضئيلة؛ ولست مغفلاً بالطبع . ولكننا نجحنا فى التخلص من سربين من أسرابهم . قتلنا المئات منهم . فلا أود أن ينتهى بنا الأمر وقد وقعنا فى أيديهم " .

فقال توم : " كما أن لدينا أمراً آخر يطاردنا " . تساءل كلاى عما إذا كان توم قد أدرك أنه بعبارته هذه يدرج نفسه معهم أم

لا . ربما . فهو ليس بالغبى على الإطلاق . " فهم يريدوننا أحياء " .

قال دانيال : " هذا صحيح . وقد ننجح فيما نبتغيه بالفعل . فالوقت لا يزال مبكراً . كلاى ـ إنهم لا يزالون فى مرحلة نصب الشباك . وأراهن أن هناك الكثير من الثغرات بها " .

قالت دينيس : " إنهم لم يبدلوا ملابسهم حتى الآن على الأقل " . نظر كلاى لها فى إعجاب . كان من الواضح أنها فى شهرها السادس أو تعدته . إلا أن جسمها لايزال صغيراً . كم تمنى لو أن آليس قد التقتها .

جاوبها دانيال مستطردا : " قد ننجح فى العبور . والوصول إلى كندا عبر فيرمونت أو نيويورك . وخمسة أفضل من ثلاثة . إلا أن ستة أفضل من خمسة أشخاص ـ فيمكن أن ينام ثلاثة بينما يحرسهم الثلاثة الباقون . حتى نقاوم التيليباثي . فماذا قلت ؟ "

هز كلاى رأسه فى عناد : " بل سأذهب خلف ابني " .

فقال توم : " فكر قليلاً . أرجوك " .

لكن جوردان قال : " دعه وشأنه . فقد اتخذ قراره" . ولف ذراعيه حول كلاى يحتضنه . قال : " أتمنى أن تجده . وحتى إن وجدته فإنى أعتقد أنك لن ترانا ثانيةً " .

قال كلاى : " بل سأنجح فى هذا بالتأكيد " . قبل جوردان وجنته . ثم تراجع وهو يقول : " ربما استخدم ذلك الرجل الأشعث بوصلة تيليباثية ترشدنى إليكم " . ثم التفت إلى توم وهو يمد له يده .

تجاهلها توم وهو يلف جسد كلاى بذراعيه . وقبله على وجنتيه . وهمس فى أذنه قائلاً : " لقد أنقذت حياتي" . كانت

أنفاسه حارة . وأسند خده إلى خد كلاى وهو يقول له : " دعنى أنقذ أنا حياتك . تعال معنا " .

" ليس بوسعى هذا . توم . فعلىَّ القيام بما عزمت عليه" .

أخذ توم ينظر إليه . قال : " أعلم هذا . . . أعلم هذا" . ومسح عينيه وهو يقول : " تباً . . . كم أمقت الوداع . لم يسعنى حتى أن أقول وداعاً لقطى اللعين " .

١١

وقف كلاى جوار علامة المفترق وهو يشاهدهم يبتعدون بأضوائهم . أبقى عينيه على جوردان . والذى كان آخر من غاب عن ناظريه . وأدرك وهم عند المرتفع أمامه أن جوردان قد توقف للحظة لينظر خلفه نحو مكان وقوفه . بدأ يلوح له بمصباحه . وسرعان ما عاد الظلام من حوله من جديد . تنهد كلاى ـ بصوت مضطرب دامع ـ ثم ألقى حقيبته فوق كتفه وهو يهم بالسير شمالاً عبر الطريق ١١ . وفى الساعة الرابعة إلا الربع كان قد عبر حدود بلدة بيرويك الشمالية تاركاً كينت بوند وراءه .

بينجو الهواتف

١

لم يكن هناك سبب يمنع تواصل الحياة الطبيعية ومواصلة الترحال ؛ فكلاى يعلم أن الهاتفيين لن يتعرضوا له . فهم لا يريدون منه سوى أن يكون هناك . . . فى كاشواك . إلا أن المشكلة هى أن هناك كابوسا صار يلازم عقله لا يبارحه : كل ما أريده الآن هو تابوت وكفن ألف به نفسى قبل أن أستقر بداخله .

حينما بزغ الفجر أحمر باردا صباح اليوم التالى ، كان قد وصل إلى ضواحى سبرينجفايل . كان هناك منزل صغير ، ربما هو كوخ لحارس ، إلى جوار متحف سبرينجفايل لفنون النحت الخشبي . منظره يبعث القشعريرة فى النفس . استطاع أن يكسر قفله ويدلف إلى داخله . ابتهج حينما وجد موقد حطب ومنفاخا بالمطبخ . كما كان هناك أيضا غرفة مخصصة للمؤن ، مليئة بالمعلبات والأطعمة التى لم تمسها بعد يد أى ناهب . احتفل بما وجده بأن أعد طبق شوفان كبيرا ، مستخدما حليب البودرة ، وبعضا من السكر ثم نثر الزبيب فوق كل هذا .

كما وجد فى غرفة المؤن عبوات جاهزة تحوى اللحم البارد والبيض ، مخزنة بتنسيق ممتاز فوق رفها وكأنها كتب جديدة . طها واحدة منها وملأ حقيبته ببقية العبوات . كانت وجبة أفضل بكثير مما تخيله ، وما إن صار فى غرفة النوم بمؤخرة المنزل ، حتى سقط فى نوم عميق من فوره .

www.rewity.com ARAYAHEEN

٢

امتدت على جانبى الطريق السريع خيمتان طويلتان .

لم يكن هذا الطريق شبيها بالطريق ١١ ذى المزارع والبلدات على جانبيه . ووجود متجر بعد كل خمسة عشر ميلا أو أقل . لكن هذا طريق سريع بين الغابات . تصل الغابات العميقة حتى جانبى الطريق . يقف البشر فى صفين طويلين على جانبى خط المنتصف الأبيض .

بينما علا صوت عبر المكبر : يساراً ويميناً . على الجانبين .

بدا الصوت أشبه بذلك الذى يصدر عن مكبرات الصوت لنادى لعبة البينجو فى تلك الملاهى التى ارتادها وهو صغير . ولكن حينما اقترب كلاي أكثر . وهو يسير عبر وسط الطريق . أدرك أن كل الأصوات لا تعدو أن تكون داخل عقله هو . فقد كان صوت الرجل الأشعث . فهو مجرد واجهة لهم . وصوته ليس سوى صوت جماعته .

يساراً ويميناً . . . خطان . . هذا صحيح . هذا صحيح .

أين أنا ؟ لماذا لا ينظر إلىّ أى أحد ، أو يسألني : "أنت هناك ، انتظر دورك فى الصف ؟"

فى الأمام كان الصفان ينحنيان إلى الجانبين . أحدهما يتجه إلى الخيمة التى على يسار الطريق . والآخر إلى الخيمة على يمينه . كانت الخيمتان من النوع الذى تراه منصوبا لتظليل البوفيه المفتوح بحفل ما حينما يكون الطقس حارا . يرى كلاى أنه قبيل أن يصل كل صف إلى الخيمة فإن الناس ينقسمون إلى عشرة صفوف أخرى أو أكثر . بدا له هؤلاء البشر أشبه بمتفرجين ينتظرون تسليم تذاكرهم قبل الدخول إلى حفل موسيقى .

يقف الرجل الأشعث عند منتصف الطريق عند النقطة التى يتباعد عندها الصفان يميناً ويساراً . وهو لا يزال يرتدى نفس الرداء الأحمر الرث .

يساراً ويميناً ، سيداتى سادتي . فمه لم يتحرك . إنها التيليباثى تدعمه سطوة الجماعة . تحركوا إلى اليمين . وكل واحد منكم سيحصل على فرصته فى أن يهاتف من يحب قبل أن يتوجه إلى المنطقة الخالية من شبكة الهاتف المحمول .

أصيب كلاى بصدمة . لكنها صدمة العارف - تماماً كمن يستمع إلى الجزء المضحك فى دعابة سمعها قبلا . سأل الرجل الأشعث : " أين نحن ؟ . . . ما الذى نفعله هنا ؟ . . . ما الذى يجرى هنا بحق الجحيم ؟ "

إلا أن الرجل لم ينظر إليه . وكان كلاى يعلم السبب . فهذه المنطقة هى مدخل الطريق ١٦٠ إلى كاشواك . وها هو يزورها فى الحلم . أما بالنسبة لما يجرى من حوله . . .

خطر له أن يسميه باللعبة . . . بينجو الهواتف . وأسفل هاتين الخيمتين تلعب اللعبة .

واصل سماع رسائل ذلك الرجل . . . هيا ، تقدموا سيداتى وسادتي . ليس أمامنا سوى ساعتين قبل حلول الغروب . ونريد أن نتعامل مع أكبر عدد ممكن قبل أن ننسحب انتظارا لنهار جديد .

نتعامل .

أهذا حلم ؟

تبع كلاى الصف المتجه نحو الخيمة ذات الطراز البافيليونى على الجانب الأيسر من الطريق . وهو يعلم ما سوف يراه حتى من قبل أن يراه . يقف عند أول كل صف قصير أحد الهاتفيين ، من محبى الموسيقى الغربية . وما إن يصل كل شخص إلى المقدمة حتى يقدم له الهاتفى - الذى يرتدى ثيابا رثة ، وهو نفسه

مشوه الجسد بدرجة تفوق صاحب الرداء الأحمر بكثير ـ هاتفاً محمولاً .

بينما يراقب كلاى المشهد . تناول الرجل الأقرب إليه الهاتف المقدم إليه . ويضغط على أزراره ثلاث مرات . ثم يقربه من أذنه فى لهفة . "مرحبا . أمي؟ . . . أمي؟ هل أ . . . " ثم يلجم شيء ما لسانه . عندها يتناول منه الهاتفى الجهاز . وهو يدفع الرجل إلى الأمام بخفة . ويشير إلى التالى أن يتقدم .

بقى الرجل الأشعث ينادي : . يسارا . يمينا . . . تحركوا .

خرج الرجل الذى كان يحاول التحدث إلى والدته من أسفل الخيمة . ومن خلفه ـ كما رأى كلاى ـ مئات غيره يتقدمون . وأحياناً ما يسود بينهم بعض الهرج . على أنه هرج بسيط جداً مقارنة بما كان يحدث من قبل . لأن . . .

لأن الإشارة قد تم تعديلها .

يساراً ويميناً ، سيداتى سادتي ، تحركوا ، فامامنا الكثير منكم قبل أن يحل الظلام .

عندها رأى كلاى ابنه . . . جونى . كان يرتدى الجينز . وقبعته الرياضية الصغيرة . وقميص فريقه المفضل القطني . . فريق ريد سوكس . . الذى طبع على ظهره اسم نجمه تيم ويكفيلد مع رقمه . كان قد وصل للتو إلى مقدمة صف يبعد عن كلاى مسافة صفين .

ركض كلاى نحوه . إلا أن هناك من قطع عليه الطريق . صاح فيه : " ابتعد عن طريقي ! " . إلا أن الرجل الذى وقف فى طريقه ـ والذى كان يبدل فى وقفته بين قدم وأخرى وكأنما هو بحاجة ملحة لأن يتبول ـ لم يكن ليسمعه . فهذا حلم . كما أن كلاى كان طبيعياً ـ تنتابه حالة تخاطر عقلي . . . تيليباثي .

ضاع فى خضم المتلهفين من حوله رجالاً ونساءً . حاول اختراق الصف التالى كذلك . وهو شديد التصميم لأن يصل إلى جونى . وصل إلى جونى فى ذات اللحظة التى كانت فيها امرأة ـ اكتشف ملتاعاً أنها زوجة ابن السيد سكوتوني . . . الحامل . . والتى فقدت الآن إحدى عينيها ـ تناول جهازاً من طراز موتورولا .

قالت له من دون أن تحرك شفتيها : " كل ما عليك هو أن تضغط الرقم ٩١١ . جميع المكالمات تتم من خلال ٩١١ " .

صرخ كلاى وهو يحاول الإمساك بالهاتف الذى بدأ جونى يضغط أزراره : " كلا ، جونى . لا تفعلها ! " كان يطلب الرقم الذى تعلم منذ زمن طويل أن يلجأ إليه عند كل خطر . "لا تفعلها ! " .

التفت جونى إلى يساره ، كما لو كان يحاول أن يخفى سر مكالمته عن عين المرأة الفضولية . فأفلت من قبضة كلاى التى تحاول الإمساك بالهاتف . لم يكن ليوقف جونى على أية حال . فهذا حلم .

انتهى جونى من الضغط على الأزرار الثلاثة بسرعة . ثم ضغط زر الإرسال . ووضع الهاتف على أذنه . "مرحبا ؟ أبي ؟ . . هل أنت معى ؟ هل تسمعنى ؟ لو كنت تسمعنى فأرجو أن تأتى لتأخذنى من هنـ . . . " ، لم يكن كلاى يرى منه الآن سوى إحدى عينيه ، إلا أنها تكفى حينما تدرك أن هناك خطباً ما ، وأنها تفقد بريقها . تراخى كتفا جونى . وابتعد الهاتف عن أذنه . فقد اختطفته زوجة ابن السيد سكوتوني بيدها المتسخة ، ثم دفعت جونى من رقبته كى يتحرك إلى داخل كاشواك ، مع كل من وجدوا الأمان فى هذا المكان . أشارت للشخص التالى أن يتقدم ليجرى مكالمته .

يساراً ويميناً . من الصفين . هكذا كان يهدر الرجل الأشعث في داخل رأس كلاى . الذى استيقظ يصرخ باسم ابنه داخل كوخ الحارس بينما تسللت أشعة شمس المساء عبر النافذة .

٣

وصل كلاى مع منتصف الليل إلى بلدة شابليه الشمالية الصغيرة . فى وقت بدأ فيه مطر بارد كالثلج . سمع صوت سيارة تقترب من ورائه فتنحى إلى جانب الطريق (لايزال فى الطريق ١١ ؛ لم يعد ذلك الطريق السريع الذى شاهده فى الحلم) عند عتبات أحد المتاجر الشهيرة . وحينما شاهد أضواء المصابيح التى حولت رذاذ المطر إلى خيوط تتهاوى من الفضة ، اكتشف أنهما سيارتان تنطلقان فى سرعة إلى جوار بعضهما البعض ، وكأنه سباق وسط الظلام . جنون . وقف كلاى خلف إحدى مضخات الوقود . لم يكن يحاول الاختباء خلفها ، إلا أنه لم يكن يرغب كذلك فى أن يروه . شاهد السيارتين تمرقان فى لمح البصر ، وكأنها لمحة من العالم القديم الذى لم يعد له وجود ، تخلفان وراءهما بخات من المياه . بدت إحداهما من طراز كورفيتي قرمزية اللون ، هكذا رآها فى ضوء متهاو لأحد مصابيح الطوارئ فى ركن المتجر ، إلا أن من المستحيل أن يتأكد تماماً من ذلك . مرقت السيارتان أسفل منظومة المرور بالكامل كالطلقة ، فومضت أنوارهما الخلفية أمام عينيه فى لمح البصر قبل أن يبتلعهما الظلام .

قال كلاى لنفسه من جديد : هذا جنون . إلا أنه عاد إلى الطريق وهو يوبخ نفسه قائلاً : "أنت أنسب من يتحدث عن الجنون الآن " .

هذا صحيح . فحلمه بـ " بينجو الهواتف " لم يكن حلماً . أو هو ليس حلماً بالمعنى الكامل للكلمة . كان متيقناً من هذا . فقد كان الهاتفيون يستخدمون قدراتهم التيليباثية المتزايدة كى يتتبعوا مسار أكبر عدد ممكن من الأشخاص الذين قتلوا أحداً منهم . هذا هو التفسير المنطقي . قد يصادفون مشاكل مع جماعة من الأشخاص من قبيل جماعة دانيال هارتويك ، إلا أنه كان يشك فى أنهم يصادفون أية متاعب فى التعامل معه وحده . إلا أن ما يحيره هو أن التيليباثى هنا أشبه بالهاتف . . . تواصل بين طرفين . وهو ما يجعله . . . ماذا؟ شبحاً فى آلة ؟ شيئاً من هذا القبيل . فبينما يراقبونه ، فإنه كان قادراً على مراقبتهم بدوره . فى نومه على الأقل . فى أحلامه .

أكانت هناك خيمتان بالفعل عند حدود كاشواك . والطبيعيون يصطفون لأجل أن يذهبوا بعقولهم بهذا الشكل؟ إن كلاى يظن أن مثل هذه الخيام موجودة ، فى كاشواك وفى أماكن أخرى مثل كاشواك فى جميع أنحاء البلاد بل والعالم .

إن الهاتفيين يستغلون التيليباثى بطريقة جماعية تستحث الطبيعيين على المجيء إليهم . أى يجعلونهم يحلمون خلال نومهم بأن الخلاص هناك . هل يعنى هذا أنهم أذكياء يفكرون؟ كلا ، مالم تعد العنكبوت ذكياً لكونه قادراً على نصب شباكه ، أو أن تصف التمساح بالتفكير لمجرد أنه يبقى ساكناً فى مكانه كلوح خشبي حتى قدوم فريسته . كان يسير شمالاً فى الطريق ١١ نحو الطريق ١٦٠ ، والذى سيقوده إلى كاشواك ، وهو يفكر فى أن الإشارة التيليباثية التى أرسلها الهاتفيون النبضة لابد أنها تحوى ثلاث رسائل منفصلة على الأقل .

تعالوا . سوف تكونون آمنين - وستنتهى معاناتكم من أجل البقاء .

تعالوا ، سوف تجتمعون مع بقية جماعتكم ، وفى البقعة التى تريدون .

تعالوا ، حيث يمكنكم التحدث إلى من تحبون .

بالفعل . هذا هو المقصود . أن يأتوا . وما إن يأتوا حتى ينعدم أى خيار . فيتغلب عليك التيليباثى والحلم بالأمان . لتقف فى الصف . وتستمع إلى الرجل الأشعث وهو يأمرك بأن تتقدم فى الصف ، وأن على الجميع أن يهاتف من يحب ولكن بسرعة قبل أن تغرب الشمس .

كيف يمكنهم أن يواصلوا القيام بهذا ، حتى مع انقطاع الكهرباء واحتراق المدن وانهيار الحضارة؟ كيف يمكنهم مواصلة عملية تعويض من فقدوه من الهاتفيين خلال تلك الفوضى التى تلت النبضة ، والذين لقوا مصرعهم على يد الطبيعيين؟ هذا لأن النبضة لم تنته بعد . ففى مكان ما ـ سواءً كان مختبراً أو محظوراً أو مرآب أحد المجانين ـ يوجد جهاز لا يزال يعمل بالبطاريات ، لايزال يبث تلك الإشارة المجنونة . يبثها نحو الأقمار الصناعية التى تدور حول الكوكب ، أو إلى أبراج الميكروويف والتى أصبحت تحيط بالعالم كحزام من الصلب . وأين يمكنك أن تجرى مكالمة وأنت متأكد من أن مكالمتك ستصل إلى هدفها ، حتى ولو كان الصوت الذى يجيبك ليس سوى جهاز رد آلى يعمل بالبطارية ؟

إن المصدر المنطقى الوحيد هو وحدات الطوارئ التى ترد على مكالمات ٩١١ .

وهذا هو ما حدث بالفعل لجوني .

كان يعلم أن هذا ما قد حدث ، إلا أنه قد تأخر كثيراً بالفعل .

فما الداعى إذن إلى أن يواصل المسير شمالاً عبر هذا الظلام والمطر؟ فسرعان ما سيصل إلى نيوفيلد ، ويترك الطريق ١١ إلى

الطريق ١٦٠ ، وهو يعلم أن هذا سيكون إيذاناً بانتهاء مرحلة وبداية مرحلة مختلفة تماما ، فما الداعى إذن!

إلا أنه كان يعلم السبب ، بنفس الوضوح الذى يسمع به صوت ذلك الارتطام البعيد ، وصوت بوق السيارة الخافت القصير الذى سمعه الآن وسط الظلام المطر والذى يعنى أن إحدى السيارتين قد وصلت إلى نهاية محتومة مميتة . إنه ذاهب إلى هناك بسبب تلك الرسالة التى وجدها على باب منزله . إنه ذاهب إلى هناك بسبب تلك الرسالة الثانية التى وجدها على لوحة إعلانات دار البلدية ، أسفل رسالة إيريس نولان إلى أختها . لقد كتب ابنه نفس العبارة فى كلتا الرسالتين وبأحرف كبيرة (أرجوك . تعال لتأخذنى) .

ولو كان قد تأخر بالفعل عن إنقاذ جونى ، إلا أنه قد لا يكون تأخر على رؤيته وتعريفه بأنه قد حاول على الأقل . ربما استطاع المقاومة بما يكفى لأن يحقق هذا الأمل حتى ولو أجبروه على استخدام أحد هواتفهم المحمولة .

أما بالنسبة لتلك الأرصفة ، والآلاف الذين يراقبونه . . .

عندها قال : " لا يوجد فى كاشواك استاد لكرة القدم" .

وجد صوت جوردان الهامس يتكرر فى عقله بنفس العبارة : "إنه استاد افتراضي" .

طرد كلاى الفكرة عن رأسه . كان هذا جنوناً ، بالطبع ، إلا أن العالم كله صار مجنوناً الآن ، وهو ما جعله لا يشعر بوحدة فى خضم جنونه هذا .

٤ ـ

فى الثالثة إلاّ الربع صباحاً ، وقد تورمت قدماه وابتلتا بالرغم من ذلك الحذاء ذى الرقبة الذى أخذه من كوخ الحراسة

فى سبرينجفايل . وصل كلاى إلى تقاطع الطريقين ١١و١٦٠ . كان هناك اصطدام كبير عند تقاطع الطريقين ، وتلك السيارة التى مرقت أمامه فى شابلاى الشمالية صارت الآن جزءاً منه . كان جسد السائق بارزاً عبر النافذة المنسحقة للجانب الأيسر من السيارة ، ورأسه وذراعاه نحو الأرض . وحينما حاول كلاى أن يرفع وجه الرجل حتى يرى إن كان حيا أم لا . سقط نصف جسده السفلى مبتوراً على الأرض ، وقد تهدلت أحشاؤه . فتراجع كلاى مصدوما نحو أحد أعمدة الهاتف . وهو يسند جبهته المتعرقة إلى خشبة ، وأخذ يتقيأ حتى أفرغ كل ما فى جوفه .

على الجانب الآخر من التقاطع ، وحيث يبدأ الطريق ١٦٠ نحو الشمال ، تقبع استراحة نيوفيلد التجارية . على النافذة وجد لافتة مدوناً عليها ما يمكن أن تقدمه الاستراحة . بدا أنها قد تعرضت للنهب والتحطيم ، إلا أنها لاتزال ملجأ من المطر والرعب الذى واجهه للتو . دلف كلاى إليها وجلس على أحد المقاعد وهو يحنى رأسه إلى أن شعر أن الغثيان قد بارحه . بالمكان جثث - وبوسعه أن يشتم رائحتها - إلا أن هناك من وضع فوقها غطاءً ، فيما عدا جثتين ، إلا أنهما لم يكونا أشلاء كبقية الجثث لحسن الحظ . كانت ثلاجة المشروبات محطمة وخاوية . إلا أن ماكينة إعداد الكولا مهشمة ولكنها تعمل . فصب لنفسه كوبا وأخذ يرتشفه فى بطء . بدأت حالته تتحسن شيئاً فشيئاً .

افتقد أصدقاءه بشدة . لم يكن قد شاهد خلال ليلته سوى قائدى تلك السيارتين واللذين تحول أحدهما إلى أشلاء الآن ، إلا أنه لم ير أيا من المرتحلين . قضى ليلته بأكملها لا تصاحبه سوى أفكاره . ربما منع الطقس المرتحلين عن المضى فى مسيرتهم . أو ربما صاروا الآن يرتحلون نهاراً . لم يعد هناك سبب يمنعهم من هذا الآن ، خاصة أن الهاتفيين قد تحولوا من قتلة إلى محولين .

أدرك أنه لم يسمع أياً مما كانت تسميه آليس بموسيقى الأسراب . ربما أصبحت كل الأسراب فى منطقة إلى الجنوب من هنا ، فيما عدا السرب الكبير (كان يفترض أنه كبير) والذى يشرف على عملية التحويل قبل الدخول إلى كاشواك . لم يكن كلاى ليهتم كثيراً بهذا ؛ فحتى وهو وحيد كما هو الآن ، إلا أنه قد شعر بشيء من الارتياح لتوقف تلك الموسيقى الآن .

قرر أن يواصل المسير لساعة على الأكثر ، وبعدها يجد مكاناً يختبئ به . كاد المطر البارد يقتله . فارق الاستراحة ، وهو يحاول ألا يعيد النظر إلى حطام السيارة أو إلى أشلاء قائدها التى قبعت جوارها .

٥

لم يتوقف عن المسير إلا قبيل بزوغ ضوء النهار . لأن المطر قد صار أخف نسبياً ، كما أنه لم يجد مكاناً يلجأ إليه عبر الطريق ١٦٠ . فلم تكن هناك سوى الغابات . وعند الرابعة والنصف مر إلى جوار لافتة ثقبتها رصاصة تقول : " الدخول إلى جرليفايل ، قسم إدارى غير مأهول بالسكان" . وبعد قرابة عشر دقائق من اجتيازه المنطقة - وصل إلى أحد المحاجر والذى كان عبارة عن حفرة صخرية ضخمة بها بضعة أسقف ، وحولها عربات خاوية ، ومرآب أسفل جدرانه الجرانيتية . فكر كلاى فى أن يقضى ليلته داخل أحد مستودعات المعدات بالمكان ، إلا أنه فضل أن يعاود المسير . لم يكن قد صادف حتى الآن أيضاً أحداً من المرتحلين . أو سمع صوتاً لموسيقى ، حتى ولو على البعد . راوده إحساس أنه قد صار آخر بشرى على وجه الأرض .

www.rewity.com ARAYAHEENA

إلا أن هذا الإحساس سرعان ما تبدد بعد قرابة العشر دقائق من مغادرته المحجر . كان قد سار فى تلة مرتفعة وعند قمتها شاهد قرية صغيرة بالأسفل . وكان أول مبنى يصل إليه فيها هو إدارة إطفاء جرليفايل . حيث وجد اثنين من الهاتفيين يقفون عند موقف السيارات التابع للمبنى ، وهما يقفان قبالة بعضهما البعض أمام مضخة عتيقة يبدو منظرها وكأنها قد صنعت وقت الحرب الكورية .

التفتا ببطء نحو كلاى حينما سلط ضوء كشافه عليهما . لكنهما سرعان ما عادا لينظرا إلى بعضهما البعض من جديد . كانا رجلين . شاب فى الحادية والعشرين من عمره والآخر يفوقه عمراً بالضعف . لم يكن هناك شك فى أنهما من الهاتفيين . ملابسهما رثة مقطعة . وجهاهما مليئان بالندوب والتقيحات . يظهر على ذراع الشاب أثر حرق شديد كامل . وعين الرجل الأكبر سنا تلمع داخل طيات من الجلد المتورم المليء بالتقيحات . إلا أن مظهرهما هذا لم يكن يمثل له أية أهمية . فالأهم هو ما كان يشعر به كلاى داخل نفسه . نفس الشعور الغريب بضيق التنفس والذى أحس هو وتوم به بمكتب محطة الوقود فى جايتين ، حيث كانا يبحثان عن مفاتيح الشاحنتين . نفس الشعور بحضور قوة هائلة .

كان الوقت لا يزال ليلاً . فوسط كل هذا الغمام الذى يحتشد فى السماء ، لم يكن الفجر ليستطيع البزوغ . فما الذى يفعله هذان المخلوقان ليلاً هنا ؟

خفض كلاى كشافه وهو يسحب بيده الأخرى مسدسه . وترقب حدوث أى بادرة منهما . مضت عدة ثوان من دون أى شيء حتى ظن أن لا شيء سيحدث . وأن هذا الشعور الغريب الكاتم للأنفاس ، الشعور بأن شيئاً ما على وشك الحدوث ، سيدوم لبعض الوقت . إلا أنه سمع صوت أنين عال ، وكأن

شخصاً يحرك نصل منشار بين راحتيه . نظر كلاى نحو الصوت ليرى الأسلاك الكهربية التى تمر أمام محطة الإطفاء وهى تتحرك بسرعة بشكل متموج . . . سرعة تفوق لمح البصر .

صاح الشاب فى الرجل وهو ينطق بالكلمات بجهد جهيد : " اب . . تعد! " . جفل كلاى متراجعاً . ولو أن إصبعه كان على زناد المسدس ، لكانت الرصاصة قد انطلقت بالتأكيد . لم يكن كلامه غير مفهوم هذه المرة . . . لم تعد هناك آو وايين . فهذه كلمات حقيقية مفهومة . بل ظن أنه سمعها داخل عقله كذلك . خافتة ، خافتة جداً . مجرد صدى يحتضر .

رد الأكبر سناً على الشاب : " أنت ! . . . اذهب ! " . كان يرتدى سروالاً قصيراً واسعاً على مقعدته بقعة بنية ضخمة . ربما كان طيناً أو غائطاً . كان يتحدث بنفس الصعوبة ، ولكن كلاى لم يسمع هذه المرة أى صدى فى رأسه . إلا أنه شعر بيقين حينها من أنه سمع الصوت الأول بعقله .

كانا قد تجاهلاه تماماً . بل هو متأكد من أنهما قد نسيا أمره .

قال الشاب وهو يخرج الكلمة بالكاد : " ملكى ! " . بدا جسده بأكمله يرتج خلال هذا . ومن خلفه ، تهشم عدد من النوافذ الصغيرة فى باب مرآب المحطة الواسع ، وتطاير الزجاج إلى الخارج .

ساد الصمت للحظات . راقب كلاى أمامه ـ مشدوهاً ـ وقد ذهب جونى عن عقله لأول مرة منذ أن كان فى كينت بوند . بدا الأكبر سناً وهو يفكر بشراسة ، يعانى فى تفكيره ، ووجد كلاى أنه يعانى لأجل أن يعبر عن نفسه بشكل طبيعى كما كان الحال قبل حدوث النبضة التى حرمته من الكلام المفهوم .

بأعلى محطة الإطفاء ، والتى لم تكن سوى مرآب ضخم ، انطلقت صافرة الإنذار للحظة ثم انقطعت ، وكأنما مرت بها

دفقة شبحية من الكهرباء . وبرقت أضواء المضخة القديمة ـ كل مصابيحها ـ ثم ما لبثت أن انقطعت . وقد أنارت جسدى الرجلين للحظة ملقية ظلين مرعبين .

نجح الأكبر سناً فى أن يقول : "تباً! ما الذى تقول!" . بصق الكلمات من فمه وكأنها قطعة لحم كان يلوكها .

صرخ الشاب : "شا . . حنتـ . . ي" ، وبدا الصوت فى عقل كلاى وكأنه يقول . " شاحنتي " . كان هذا بسيطاً حقاً . فهما يتنازعان الآن على الشاحنة ، بعد أن كانوا فى السابق يتقاتلون على قطع الشيكولاتة . الفارق هنا أن الشجار يحدث ليلاً ـ حتى وإن كان فى نهاية الليل ، إلا أن السماء لا تزال مظلمة تماماً ـ وأنهم قد صاروا يتحدثون حديثاً مفهوماً . تباً . . . لقد صاروا يتحدثون بكلام مفهوم .

إلا أن من الواضح أن مجال الكلام قد انتهى الآن . خفض الشابّ رأسه ، واندفع يهاجم الرجل الأكبر سنًا ، ناطحاً إياه فى الصدر . سقط الرجل الأكبر سناً متمدّداً على الأرض . بينما تعثرت سيقان الشاب فسقط على ركبتيه وهو يصيح : "تباً!" .

صاح الآخر : " اللعنة ! " . خرجت الكلمة واضحة لا شك فيها .

لملما نفسيهما من جديد ووقفا على مسافة خمس عشرة قدماً من بعضهما البعض . شعر كلاى بحجم المقت بينهما . شعر بهذا فى عقله ؛ يتملص محاولاً الخروج .

قال الشاب : " هذه . . . هذه شاحنتي ! " . همس صوت الشاب بعيداً داخل عقل كلاى .

أخذ الأكبر سناً نفساً عميقاً . وهو يرفع ذراعه الجريحة يهزها . ووجه للشاب حركة قبيحة بيده .

خفض الاثنان رأسيهما واندفعا نحو بعضهما البعض . فارتطم الرأسان ارتطاماً فظيعاً ارتجف له جسد كلاى . وفى هذه

المرة انفجرت جميع نوافذ المرآب . بينما انطلقت صافرة الإنذار طويلاً قبل أن تصمت . ومضت الأضواء مشعة فى مبنى المحطة ربما لثلاث ثوان فى طاقة صافية مجنونة . وصدحت الموسيقى بأغنية لبريتنى سبيرز لثوان قبل أن تسكت . بينما صدر شرر عن سلكى كهرباء وسقطا أمامَ كلاى مباشرة ، الذى سرعان ما تراجع إلى الخلف مذعوراً . من المؤكد أنهما قد ماتا الآن ، لكن . . . .

جثا كبير السن على ركبتيه والدم يتصبب من جانبى رأسه . قال فى وضوح تام : " شاحنتي ! " ، ثم سقط على وجهه .

التفت الشاب نحو كلاى ، وكأنما يستحثه أن يكون شاهداً على انتصاره . كان الدم ينزف من رأسه ومن بين شعره الأشعث ، ومن بين عينيه ، ومن أنفه ، فوق فمه . وجد كلاى أن عينيه غير شاردتين . بل كانتا مجنونتين . وعندها أدرك كلاى بغتةً أنه لو كان هذا هو منتهى المطاف ، فإن ابنه قد ضاع بلا أى شك .

صرخ الشاب : " شاحنتي ! . . . شاحنتي ! . . . شاحنتي ! " . عندها انطلقت صافرة الإنذار من جديد بزئير غريب ، وكأنها تؤيده . " شاحـ . . . "

أسكته كلاى برصاصة من مسدسه . ثم أعاد مسدسه إلى غمده . تباً لهم فمهما كان ما يمكن أن يفعلوه بى فلن يكون سوى مرة واحدة . إلا أنه كان يرتجف بشدة ، وحينما استطاع أن يدلف إلى أحد النزل فى الطرف الآخر من البلدة ، أمضى وقتاً طويلاً قبل أن يستطيع النوم . وبدلاً من أن يزوره الرجل الأشعث فى منامه ، كان ابنه هو من زاره ، طفل متسخ شارد العينين ، قال له حينما نادى عليه . . ." تباً لك . . . إنها شاحنتى " .

٦

استيقظ من حلمه قبل أن يحل الظلام بفترة طويلة . إلا أن النوم لم يعاوده ثانيةً فقرر أن يعاود المسير من جديد . وما إن اجتاز جرليفايل ـ وهى الصغيرة جداً ـ حتى قرر أن يستقل سيارة . لم يكن هناك سبب يمنعه من ذلك ؛ فالطريق ١٦٠ يبدو الآن خالياً تماماً . وربما كان كذلك منذ أن رأى حطام ذلك الحادث عند التقاطع مع الطريق١١ . إلا أنه لم يلحظ هذا وسط الظلام والمطر .

يبدو أن الرجل الأشعث ورفاقه قد أخلوا لى الطريق ، هكذا قال لنفسه ، "بالطبع ، فهذا واضح ، إنها الشاة التى تساق إلى ذبحها . وأنا بالنسبة لهم تلك الشاة التى تؤدى إلى المجزر . لأن هناك حساباً قديماً بينى وبينهم . وكم يودون لو أنهم صفوا حسابهم معه . وبالسوء حظ توم وجوردان والثلاثة الآخرين . إننى لأتساءل إن كانوا قد وجدوا طريقاً فرعياً يأخذهم إلى وسط (نيو هامبشاير) . . . . ."

سرعان ما تبددت تلك الأفكار وهو يهبط من مرتفع فى الطريق الذى يسير فيه . فقد كانت تقف فى منتصف الطريق الهابط حافلة مدرسية صفراء صغيرة تتبع مدرسة ماين ، كما كان واضحاً من الكتابة على جانبها . يرتكن إليها رجل وصبي . كان الرجل يحيط كتفى الصبى بذراعيه فى ود وصداقة معلومة . وبينما وقف فى مكانه وهو غير مصدق لما يراه ، وجد رجلاً آخر يخرج من الناحية الأخرى للحافلة . كان أشيب الشعر وكان شعره طويلاً ، يعقصه خلف رأسه كذيل حصان . ومن خلفه امرأة حامل ذات قميص قطني . كان القميص سماوى اللون وليس ذاك القميص الأسود ، إلا أنه تعرف عليها كما تعرف على كل الباقين . . . . إنها دينيس .

رآه جوردان فصاح يناديه . أفلت من ذراع توم وبدأ يركض نحوه . فركض كلاى بدوره نحوه . والتقيا على مسافة ثلاثين ياردة من مقدمة الحافلة .

صاح جوردان فى بهجة هيستيرية : " كلاى ! . . . إنه أنت بالفعل ! " .

" بالفعل . . . أنا " . رفع جسد الصبى فى الهواء ، ثم أخذ يقبله . لم يكن جوردان كجوني . إلا أنه صار قريباً إلى قلبه . احتضنه ، ثم أجلسه وأخذ يتأمل الوجه المنهك . فلم تفته ملاحظة تلك الدوائر البنية أسفل عينيه . " كيف نجحتم فى الوصول إلى هنا بحق السماء ؟ "

بدا الشرود على وجه جوردان : " لم نكن لـ . . . أى . لقد حلمنا فقط . . . "

اقترب منهما توم بخطوات واسعة . وتجاهل للمرة الثانية يد كلاى الممدودة واحتضنه بدلاً من ذلك . "كيف حالك ، فان جوخ ؟ "

" على خير ما يرام . . . فى غاية السعادة لرؤيتكم أيها الرفاق ، إلا أننى لا أفهم . . . " .

ابتسم له توم ابتسامة عذبة مرهقة ، ابتسامة استسلام . "ما يحاول عبقرى الكمبيوتر هذا أن يخبرك به هو أننا قد اكتشفنا أن الخيار ليس بيدنا . هيا بنا إلى الحافلة . يقول راى إنه لو بقى الطريق خالياً ـ وأنا متيقن من هذا ـ فسيكون بوسعنا أن نصل إلى كاشواك مع حلول الغروب ، حتى ولو كنا نسير بسرعة ثلاثين ميلاً فى الساعة فقط . ألم تقرأ من قبل رواية (The Haunting Of Hill House) ؟ "

هز كلاى رأسه فى حيرة وهو يقول : " لقد شاهدت الفيلم " .

اتجهوا نحو الحافلة . وقدم دانيال هارتويك علبة شراب بيد بها ارتجافة . بدا مرهقا مثل جوردان وتوم . تناوله كلاى منه وهو يشعر بأنه وسط حلم . حلم قوي .

قال راى : "مرحى يا رجل " . كان يجلس خلف عجلة القيادة بالحافلة . وقد ارتدى قبعة الدولفينز بشكل معكوس . وفى يده سيجارة . بدا شاحباً منهكاً . لم يكن ينظر إلى كلاى . بل يحدق فى الطريق أمامه .

سأله كلاى : "مرحى يا راى . ما الذى تراه ؟ "

ابتسم راى ابتسامة سريعة : "سمعت هذه العبارة عدة مرات" .

" بالتأكيد . بل وربما بضع مئات . وأنا سعيد لرؤيتك . ولكننى أشك فيما إذا كنت تود سماع هذه العبارة فى ظل هذه الظروف " .

رد راى وهو لا يزال ينظر عبر الزجاج الأمامي : " أمامنا شخص من المؤكد أنك لا تود أن تراه " .

فنظر كلاى . ونظروا جميعاً . كان الطريق ١٦٠ يرتفع لأعلى مرة أخرى على بعد قرابة ربع الميل . وهناك فى أعلى نقطة من الطريق كان يقف . . . ذلك الرجل الذى يرتدى رداء هارفارد وقد صار أشد اتساخاً من قبل ؛ ولكنه لا يزال مميزاً تحت سماء الظهيرة الرمادية . . . الرجل الأشعث . كان يحيط به قرابة الخمسين من الهاتفيين . رآهم ينظرون إليه . رفع يده وأشار لهم مرتين ، جنباً لجنب . وكأنه يمسح زجاج سيارة . ثم استدار وبدأ يبتعد . ومعه انقسمت حاشيته إلى صفين يسير هو بينهما . . . وسرعان ما تواروا عن الأنظار .

الدودة

١

توقفوا عند استراحة بعد مسافة قصيرة فى الطريق . لم يكن أحد منهم شديد الجوع . إلا أنها كانت فرصة لكلاى كى يطرح عليهم أسئلته . أما راى فلم يأكل على الإطلاق . واكتفى بالجلوس على حافة صخرة ليدخن . ويستمع . لم يدل بدلوه فى هذا الحوار على الإطلاق . بدا لكلاى محبطا مخذولا .

قال دانيال ، وهو يشير إلى ساحة الاستراحة الصغيرة التى تحفها أشجار التنوب وأشجار النفضية بلون الخريف . والساقية والممشى ولافتة تقول (اصطحب معك خريطة إن كنت سترحل !) . " ربما نتوقف هنا . لأن . . . " . عندها نظر إلى جوردان وقال : " أتقول إن علينا أن نتوقف هنا ، جوردان ؟ يبدو لى أنك أكثرنا إدراكا إذن " .

فقال جوردان على الفور : " بالفعل . . . هذا حقيقي " .

قال راى من دون أن يتطلع نحو الطريق : " طبعا . . نحن هنا . . أهذا مفهوم " . لطم بيده الصخرة التى يجلسون عندها . فأحدث خاتم زواجه صوتا معدنيا فوقها . " هذا هو الشىء الحقيقى الوحيد . لقد تجمعنا من جديد ، وهو بالضبط ما يريدونه " .

قال كلاى : " لم أفهمك " .

فأمن دانيال على كلامه قائلا : " كلنا هذا الرجل " .

www.rewity.com
RAYAHEEN

بينما قال توم : " إنهم أقوى من ذى قبل بكثير كما أرى . وهذا الشيء الوحيد الذى أفهمه " . خلع نظارته ومسح زجاجها بقميصه بيأس وتعب . بدا وقد كبر عشر سنوات منذ أن رآه كلاى لأول مرة فى بوسطن . " وقد نجحوا فى أن يتلاعبوا بعقولنا . هذا صعب . فلم تعد لدينا الفرصة لمواجهتهم " .

رد كلاى : " تبدو لى مرهقاً ، بل إنكم جميعا مرهقون" .

فضحكت دينيس قائلة : " حقا ؟ لم نحسب هذا بالفعل . لقد فارقناك وانطلقنا عبر الطريق ١١ غرباً . أخذنا نسير إلى أن بزغ ضوء الصباح . ولم يكن من الممكن أن نستقل أية سيارة ، فالطريق كان مليئا بالسيارات وحطامها . ولم يكن ليخلو سوى لمسافة ربع الميل قبل أن . . . " .

قاطعها كلاى فى فروغ صبر : " أعلم ما تعنين " .

" لقد أخبرنا راى بأن الطريق سيكون أفضل حالاً بمجرد أن نتجه إلى الغرب من مخرج سبولدينج ، إلا أننا قررنا أن نقضى النهار فى ذلك المكان الذى يسمى بنزل الغسق " .

قال كلاى : " لقد سمعت عن ذلك المكان . إنه على حافة غابات فوجان . إنه مكان سيئ السمعة " .

هزت كتفيها وهى تقول : " وماذا بيدنا نحن ؟ هكذا وصلنا إلى هناك . وقال الصبى ـ جوردان ـ بأنه سيعد لنا أكبر وجبة إفطار مشبعة . فسخرنا منه وقلنا له بأنه يحلم . إلا أننا وجدنا كهرباء بالمكان ، وأمكنه بالفعل أن يعد لنا إفطاراً . إفطاراً هائلاً بالفعل . فأكلنا وشبعنا . هل أقص ما حدث بالضبط ؟ "

أومأ دانيال وتوم وجوردان . بينما اكتفى راى بإشعال سيجارة أخرى .

قصت دينيس عليه أنهم قد تناولوا طعامهم فى غرفة الطعام ، وهو الأمر الذى اندهش له كلاى . فهو يعلم تماماً أن ذلك النزل لا يحوى غرفة طعام ؛ فهو مجرد نزل خافٍ عن

الأعين يصلح للقاءات التى تتم خفية على الحدود بين ماين ونيوهامبشاير . ويقولون بأن الخدمة الوحيدة التى يقدمها هى الماء الساخن بالحمامات ، والقنوات الإباحية عبر وحدة البث التلفزيونى بالأجهزة داخل كل غرفة .

صارت القصة أغرب وأغرب . فقد وجدوا هناك جهاز استيريو لتشغيل الموسيقى . إلا أنهم لم يجدوا من إسطوانات إلا تلك الراقصة . وبدلاً من أن يخلدوا إلى النوم مباشرة انخرطوا فى الرقص ـ بحركات مجنونة ـ لساعتين أو ثلاث . وبعدها عادوا ليتناولوا وجبة كبيرة أخرى . وكانت دينيس هى من أعدها هذه المرة . حينها راح كل منهم فى نوم عميق .

قال دانيال : " وحلمنا بأننا نسير" . كان يتحدث بمرارة تبعث القلق فى النفس . فلم يكن هذا هو الرجل الذى التقاه منذ ليلتين ، ذلك الذى قال بأنه متيقن من قدرتنا على منعهم من اختراق عقولنا طالما كنا متيقظين وأننا قد ننجح فى ذلك . طالما لم يصلوا بعد إلى مستوى متقدم من السيطرة العقلية . ولكن هاهو الآن يضحك ضحكة لا تبدو ساخرة أبداً ، على الإطلاق : " من المؤكد أننا جميعنا كنا نحلم بهذا . فقد قضينا بالفعل ذلك اليوم فى المسير" .

فقال توم : " لم نسر طول الطريق حرفياً . فقد كنت أحلم بأنى أقود سيارة . . "

رد جوردان فى هدوء : " ولكنك كنت بالفعل تقود السيارة . ورغم أن هذا لم يدم سوى ساعة ، إلا أنك كنت من يقودها . وذلك حينما حلمنا بأننا كنا نائمين فى ذلك النزل . وأنا أيضاً حلمت بقيادة السيارة هذه . بدا الأمر وكأنه حلم داخل حلم . الفارق هو أن هذا هو الحقيقة " .

ابتسم توم لكلاى : " أرأيت ؟ " . وشد جوردان من حزامه وهو يضيف : " على المستوى نفسه . لقد كان جوردان يعلم هذا طيلة الوقت " .

فقال جوردان : " واقع افتراضى . هذه هى حقيقة الأمر . وكأن المرء داخل لعبة فيديو . ولكن الأمر يثير الريبة" . نظر جهة الشمال . نحو المكان الذى اختفى فيه الرجل الأشعث . نحو كاشواك . " وسوف يزداد الحال سوءا كلما زادت قدراتهم " .

قال راى : " إلا أن هؤلاء الأوغاد لا يستطيعون استغلال قدراتهم بالكامل خلال الليل . . . فحينها يتوارون كالجرذان " .

فقال دانيال : " كذلك حالنا نحن . . . وهذا هو هدفهم . أن يرهقونا تماما لدرجة أن نعجز عن إدراك ما يحدث حولنا حتى حينما يحل الليل ويفقدون السيطرة علينا . فحينها يرسلون قواهم العقلية القادرة على إيجاد مثل ذلك الواقع الافتراضى الذى يقصده جوردان " .

أمنت دينيس على كلامه قائلة : " بالفعل . . . لابد أن الأمر كذلك " .

كان كلاى يقلب الأمر فى عقله . وجد أن كل هذا كان يحدث فى أثناء نومه داخل كوخ الحارس .

قال توم : " ليس هدفهم الوحيد هو إرهاقنا . ولا حتى إعادتنا إلى طريق الشمال . فهم يهدفون كذلك إلى لم شملنا معا من جديد " .

وصل خمستهم إلى النزل المتهالك على الطريق ٤٧ ـ الطريق الرئيسى غير البعيد عن جنوب جريت وركس . قال لهم توم بأن الشعور بانعدام الإحساس بالمكان هائل . ولم يساعد صوت الموسيقى غير البعيد عن مكانهم فى تخفيف ذلك الشعور . كان

ينتابهم جميعاً شعور بأشياء لابد أنها قد حدثت بالفعل . إلا أن جوردان كان هو القادر على وصفها باللفظ . وأن يبين لهم ما يبدو واضحا للعيان : وهو أن محاولتهم الهرب قد فشلت . إنهم قادرون بالطبع على مفارقة النزل حيث وجدوا أنفسهم فيه قسرا وأن يعاودوا المسير نحو الغرب . ولكن إلى أى مسافة سيصلون هذه المرة ؟ فهم مرهقون . والأسوأ أنهم مخذولون . كما كان جوردان أيضا هو من بين لهم أن الهاتفيين ربما تحكموا فى عقول بعض الطبيعيين فيتجسسون على مسارنا خلال الليل . أى حين يفقدون سيطرتهم عليهم .

قالت دينيس تعاود حكى ما حدث لهم : " أكلنا الطعام . فقد كنا نتضور جوعا ومنهكين . بعدها توجهنا إلى الفراش حقيقة . ونمنا حتى الصباح التالي " .

تناول توم منها طرف الحكى وهو يقول : " كنت أنا أول من استيقظ . لأجد أن الرجل الأشعث نفسه يقف عند الفناء . انحنى لى انحناءة سريعة وهو يشيح بيده نحو الطريق" . كان كلاى يتذكر تلك الحركة . الطريق لكم . فتحركوا . " كان بوسعى أن أطلق عليه النار . فقد كانت البندقية معى ـ ولكننى لم أجد لهذا أية جدوى " .

هز كلاى رأسه مصدقاً على كلامه . فلم تكن هناك أية جدوى من ذلك على الإطلاق .

بعدها عاودوا المسير فى الطريق . الطريق ٤٧ . ثم ـ كما قال توم ـ شعروا بأنهم منساقون عقليا نحو طريق فرعى بين الغابات بدا متعرجا نحو الجنوب الشرقى .

سألهم كلاى : " ألم تنتابكم أية رؤى هذا الصباح ؟ أية أحلام ؟ "

رد توم : " إطلاقاً . لقد كانوا يعلمون بأننا قد فهمنا هدفهم . فقد قرأوا أفكارنا " .

فقال دانيال بنفس النبرة المريضة : " لقد أحسوا بما انتابنا من يأس . هل معك سيجارة إضافية ، راى ؟ كنت قد توقفت عن التدخين ، ولكن من الواضح أننى سوف أعود إليه من جديد " .

ألقى راى نحوه بالعلبة من دون أن ينبس ببنت شفة .

قال توم : " كان الأمر وكأن هناك من يدفعنا دفعاً . الفارق أن هذا كان يتم داخل العقول . وهو ليس بالإحساس المريح على الإطلاق . قسرى لدرجة لا يمكن وصفها . كنا نشعر طيلة الوقت بأن الرجل وجماعته يتحركون معنا . بل لقد رأينا بعضهم أحياناً وهم ينسلون من بين الأشجار ؛ أحياناً " .

فقال كلاى : " إذن فقد تغير أسلوب تجمعهم الآن " .

قال دانيال : " كل هذا يتغير الآن . إن لدى جوردان نظرية ـ مثيرة ، وهناك من يدعمها . كما أننا نمثل حالة خاصة " . أشعل سيجارة . استنشق دخانها ، وسرعان ما سعل : " تباً . لم يكن امتناعى عن هذه اللعينة من دون سبب" . ثم أضاف فى سرعة : " إن بوسعهم أن يحوموا فى السماء . أن يرتفعوا فيها . لابد أنها أنسب طريقة للفكاك من كل هذه الطرق المسدودة . وكأنك فوق البساط السحرى " .

بعد أن قطعوا مسافة ميل فى هذا الطريق الذى يبدو بلا نهاية ، وجدوا كابينة تقف أمامها شاحنة . كانت مفاتيحها بها . قام راى بقيادتها ؛ بينما قبع توم وجوردان فى عربتها الخلفية . لم يندهش أى منهم حينما وجدوا أن الطريق قد عاد ليتجه نحو الشمال من جديد . وقبيل أن يتلاشى ، انتقل بهم الملاح القابع فى رؤوسهم إلى طريق ثان . ثم ثالث كان أصغر من مجرد مسار تنبت فى وسطه الأعشاب . انتهى هذا المسار فى النهاية عند رقعة من أرض المستنقعات ، وحلت فيه الشاحنة ، وبعد قرابة الساعة من المكابدة للخروج بالشاحنة منها ، دخلوا فى الطريق ١١ ، بالقرب من تقاطعه مع الطريق ١٦٠ .

قال توم : " وجدنا اثنين من الهاتفيين الصرعى هناك . بدا أنهما قد ماتا للتو صعقاً بالكهرباء من الأسلاك التى سقطت عليهم . إلا أن الغربان كانت قد بدأت تنهش جثتهما بالفعل" .

رأى كلاى أن يخبرهما بما جرى له عند محطة الإطفاء فى (جرليفايل) ، إلا أنه فضل الصمت . فهو لم ير مناسبةً لها وسط هذه الحكاية . كما أن هناك الكثير من الهاتفيين الذين لم يتشاجروا مع بعضهم البعض ، كما هو الحال مع هؤلاء الذين يدفعون توم ورفاقه إلى هدفهم قسراً .

إلا أن هذه القوة لم تقدهم إلى هذه الحافلة الصفراء الصغيرة ؛ بل وجدها راى حينما كان يستكشف استراحة نيو فيلد بينما كان الآخرون يجرعون الصودا من نفس الثلاجة التى أخذ منها كلاى شرابه . فقد رآها راى من خلال النافذة الخلفية .

لم يكونوا قد توقفوا سوى لمرة واحدة منذئذٍ ، لكى يوقدوا ناراً على الأرضية الجرانيتية بمحجر جرليفايل . ويتناولوا وجبة ساخنة . كما استبدلوا أحذيتهم بأخرى جديدة من ذلك المتجر بالاستراحة ـ فقد كانت سيقانهم بأحذيتها قد وحلت فى الطين عن آخرها ـ وبعدها نالوا ساعةً من الراحة . لابد أنهم قد مروا جوار كلاى عند نزل جرليفايل وقتما كان قد استيقظ ، فقد توقفوا بعدها مباشرة .

قال توم : " وها نحن ذا . انتهى أمرنا بالفعل" . ثم لوح بذراعه نحو السماء والأرض والأشجار : " يوماً ما سيكون كل هذا ملكاً لك يا بني " .

فقالت دينيس : " لقد زال هذا الإحساس القسرى عن رأسي ، الآن على الأقل . كمأنا مرتاحة لذلك . كان أسوأ يوم هو أول يوم . أقصد أنه جوردان وحده هو من كان يعتقد أن هناك

شيئاً ما على غير ما يرام ، إلا أننى أعتقد أننا جميعاً حينها لم نكن نشعر بذلك على هذا النحو السيئ " .

رد راى : " بالفعل" . ثم أخذ يفرك رقبته بيده وهو يقول : " الأمر كان أشبه بأن تكون جزءاً من قصة أطفال تنطق فيها الطيور والثعابين . وتقول أشياء من قبيل (أنت بخير . . . أنت على ما يرام ، لا تقلق بشأن هذا التعب فى ساقيك . فأنت قوى) . . . هكذا كنت أسمعهم ينطقون فى القصص التى كانت تحكى لنا بمدرستنا فى لين "

عندها أخذ توم يشدو ساخراً بلحن كانوا يغنونه وهم أطفال صغار : " لين . . . لين . . مدينة الآثام . . حينما يموت أهلها سيذهبون إلى النار "

قال راى فى حنق : " أمازلت تحفظ هذا النشيد ، لا عليكم . . . جميعنا الآن أدرك الحقيقة . . . وهى أننا لن نستطيع أبداً الفكاك من . . . " .

قال دانيال : " لقد صدقت نفسى لأنى كنت أود أن أصدقها . . . ولكن الحقيقة ؟ الحقيقة هى أنه لم تكن أمامنا أية فرصة . ربما تكون هناك فرصة للطبيعيين ، ولكن لا توجد فرصة لنا نحن ، قتلة جماعاتهم . لأنهم مصرون على وضع قبضتهم علينا ، مهما حدث لهم " .

سأله كلاى : " وما ظنك أنهم يعدون لنا ؟ "

رد توم فى لا مبالاة : " الموت طبعا . . . وأظن أننى عندها سأنال ما يكفينى من النوم " .

عندها التمع داخل عقل كلاى خاطران فسارع بالإمساك بطرف خيطهما . ففى خلال هذا الحوار قال دانيال بأن سلوكهم الطبيعى كان يتغير ، ولدى جوردان نظرية عن هذا . وها هو الآن يقول . . " مهما حدث لهم " .

عندها قرر كلاى أن يفضى إليهم بحكايته : " لقد رأيت إثنين من الهاتفيين يتشاجران معاً ليس بعيداً من هنا" .

رد دانيال غير مهتم : " حقاً ؟ " .

فأضاف : " ليلاً " ، وعندها حدق فيه الجميع بدهشة . " لقد كانا يتقاتلان على عربة إطفاء . مثلما يتشاجر طفلان حول لعبة . وصل إلىَّ شيء من رسائلهم العقلية ، إلا أن الاثنين كانا ينطقان بكلام "

فسألته دينيس متشككة : " بكلام ؟ . . . أتقصد كلاماً حقيقيا مفهوما ؟ "

" بالفعل . لم يكن واضحاً وضوحاً كاملاً ، إلا أن من المؤكد أنها كلمات . وأنا أريد أن أسألكم . . . كم رأيتم من قتلى خلال اليومين الماضيين ؟ "

فقال دانيال : " ربما صادفنا عشرة منهم منذ أن استيقظنا وإلى أن وصلنا إلى هنا " . ثم نظر إلى الباقين . فأمن توم ودينيس وجوردان على كلامه . بينما هز راى كتفيه وأشعل سيجارة جديدة . " لكن من الصعب أن تحدد سبب الوفاة . ربما يحدث لهم الآن نوع من الانقلاب ؛ وهو الأمر الذى يتناسب مع نظرية جوردان ، على أن مسألة الكلام هذه لا تتوافق مع طبيعة الحال . وربما كانت جثثاً لم يصادفها الهاتفيون ليتخلصوا منها . فمن الواضح أن دفن الجثث لم يعد من بين أولوياتهم الآن " .

قال توم : " نحن أولوياتهم ، وسرعان ما سيعملون على أن نصل إلى مبتغاهم فى أقرب وقت . ولا أرى أننا . . . سنتعرض لذلك العرض داخل الاستاد إلا فى الغد ، لكننى متيقن من أنهم سيستدرجوننا إلى كاشوالك قبل أن تحل الليلة " .

سأله كلاى : " ما رأيك ، جوردان ، فى كل ما قيل الآن ؟ "

رد جـوردان : " أعتقـد أن هنـاك دودة مـا فـى البرنـامج الأصلي" .

٢

قال له كلاى : " أنا لا أعلم الكثير عن الكمبيوتر . ولا أجيد من برامجه سوى الورد وأدوبى إلستراتور وماك ميل . أما غير هذا فلا أفقه فيه شيئا . بل إن جونى يعلم أكثر منى فى هذا المجال" . آله أن يتحدث عن ابنه فى هذه اللحظات . وآله أكثر أن يتذكر لمسة يد جونى فوق يده على فأرة الكمبيوتر .

" إلا أنك على الأقل تعلم ما أقصده بتعبير دودة كمبيوتر . أليس كذلك ؟ "

" أتقصد هذا الذى يتسلل أحياناً إلى جهاز الكمبيوتر ليدمر كل برامجه ؟ "

قال جوردان من دون أن يكشف عن تهكمه على رد كلاى : " قريب من هذا . فبوسع هذه الدودة أن تفسد الملفات وقرص الكمبيوتر الصلب . ولو وصلت إلى برامج تبادل الملفات وتلك التى ترسلها ، وملحقات البريد الإلكترونى ـ وهو ما يحدث ـ فهى تنتشر وتمتد . وأحيانا ما تتوالد . وأحياناً ما تتحور الدودة . هل فهمتني ؟ "

" أفهمك " .

" لقد كانت النبضة برنامج كمبيوتر تم إرساله عن طريق موصل أو موديم الاتصال ـ وهذه الطريقة الوحيدة التى يمكن إرسالها به . ولا تزال تبث عن طريق الموديم . ما حدث هو أن هناك دودة أصابته . وتعمل الآن على إفساد البرنامج . ومع مرور كل يوم يزداد البرنامج فساداً . . . أتعلم ما هو المقصود من التحور العكسى الترددى ، أو ما نعرفه اختصاراً GIGO ؟ "

فقال كلاى : " إننى حتى لا أعلم أين تقع سان خوزيه ؟ "

" المقصود هنا هو أن هناك نقاط تحويل عندها يقوم الهاتفيون بتحويل الطبيعيين . . . "

بادر كلاى وهو يتذكر ذلك الحلم : " أنا أسبقك بخطوة فى هذا الصدد " .

" إلا أنهم يعانون الآن من برمجة فاسدة . ألا ترى هذا ؟ هذا هو التفسير المنطقي . لأن أحدث الهاتفيين هم من عانوا من هذه الاضطرابات ، والتى وصلت معهم إلى الموت " .

رد كلاى على الفور وهو يتذكر جونى : " ليس لديك من المعلومات ما يكفى لتأكيد هذا الفرض "

كانت عينا جوردان متقدتين طيلة شرحه . إلا أن هذا الاتقاد قل بعد هذا الرد . " معك حق" . إلا أنه سرعان ما أضاف فى عناد : " لكنه التفسير المنطقى . فلو أن المقدمات المنطقية سليمة ـ أى إذا كانت دودة ، تتوغل وتتوغل فى البرمجة الأصلية ـ فإن كل جزئية تالية لها منطقية أيضاً مثل اللاتينية التى يستخدمونها . فالهاتفيون الجدد يتعرضون بالفعل لعملية برمجة . إلا أنها برمجة فاسدة مجنونة . فهم يكتسبون مثلاً القدرة على التخاطر العقلي ، ومع هذا فبوسعهم الكلام أيضاً . وهم . . . "

" جوردان ، ليس بوسعك أن تتوصل إلى هذا الاستنتاج بناءً على هذين اللذين رأيتهما . . . " .

لم يعره جوردان انتباهاً . فقد بدا وكأنه يتحدث إلى نفسه الآن . " لم يعودوا يتجمعون فى أسراب كالباقين ، ليس تماماً ، لأن أمر التجمع هذا لم يتم إدراجه بشكل سليم فى البرنامج . وبدلاً من هذا . . . صاروا يبقون متيقظين لوقت متأخر ، ويصحون مبكراً . وانقلب عداؤهم ليصبح تجاه نوعهم . ولو بقى

www.rewity.com KRAYAHEENA

الوضع هكذا . . . أتفهمون قصدي ؟ فإن أحدث الهاتفيين هم من سيكونون الأكثر تضرراً ! "

قال توم في شرود : " الأمر أشبه بفيلم War Of The World " .

فقالت دينيس : " هاه ؟ . . . إنني لم أشاهد ذلك الفيلم . ولكنه بدا لى مرعباً " .

قال لها توم : " الغزاة فيه لقوا مصرعهم بسبب ميكروبات عادية تحتملها أجسادنا بسهولة . ألن يكون من العدل إذن أن يموت مجانين الهاتف بسبب فيروس كمبيوتر ؟ "

فقال دانيال : " أما أنا فأفضل أن يتعدوا على بعضهم البعض . . . فأفضل انتقام هو أن يقتل بعضهم البعض" .

كان كلاى لا يزال يفكر فى جونى . وشارون أيضاً . ولكن فى جونى أكثر . فجونى هو من كتب رسالته التى يتوسل فيها إليه أن يأتى لينقذه . ثم وقع باسمه الثلاثى وكأن هذا يزيد من أهمية استغاثته هذه .

قال راى : " لن يفيدنا هذا فى أى شيء إن لم يحدث هذه الليلة" . ثم نهض وأخذ يمط فى جسده وهو يضيف : " سيعملون على استدراجنا فى سرعة إلى هناك . سأذهب لأقضى حاجتى طالما هناك وقت لهذا . فلا تذهبوا وتتركونى وحدى " .

قال له توم وهو يبتعد على قدميه : " ليس بالحافلة . لا تقلق . فالمفاتيح معك " .

بينما قالت دينيس ممازحة : " أتمنى أن تسير أمورك على ما يرام . راى " .

رد راى عليها وهو يبتعد عن أنظارهم : " لا تخافى يا عزيزتي . فلا يبحث أحد عن متحذلق ها هنا " .

سأل كلاى : " ما الذى سيفعلونه بنا ؟ هل من اقتراحات ؟ "

هز جوردان كتفيه وهو يقول : " سيعرضوننا للجميع عبر رسالة عقلية . . أى ما يشبه الدائرة المغلقة . . . ولكن الفارق هو أنها رسالة مفتوحة . . . هناك الكثير من المناطق فى البلاد والتى ستشترك فى هذا . بل ربما العالم أجمع . إلا أن حجم الاستاد يجعلنى أفكر فى . . . " .

قال دانيال : " وماذا عن لغتهم اللاتينية أيضاً . . . إنها نوع من لغة التعارف" .

سألهم كلاى : " وما حاجتهم إلى اللغة ؟ فهم يستخدمون التيليباثي" .

قال توم : " لكنهم ما زالوا يفكرون مستخدمين الكلمات . حتى الآن على الأقل . وعلى أية حال فإنهم مصممون على إعدامنا . هكذا يرى كلاى وجوردان ودانيال وأنا أيضاً " .

" وكذلك أنا " . قالتها دينيس بصوت كئيب خفيض . وداعبت بطنها الحامل .

قال توم : " إن اللاتينية ليست مجرد لغة تعارف . بل هى لغة القانون . وقد رأيناهم يستخدمونها من قبل " .

أمن على كلامه وقد تذكر جونر وهارولد .

لكن توم قال : " أود أن أقول لك إن لدى جوردان فكرة أخرى جديدة . وأرى أن تسمعها منه . كلاى فقد تكون مهمة . . . جوردان ؟ "

إلا أن جوردان رفض قائلاً : " لا أستطيع " .

فتبادل توم ودانيال النظرات فيما بينهما .

قال كلاى : " ليخبرنى أحدكما إذن . بحق السماء ! "

وهكذا اضطر جوردان إلى أن يتحدث : " لأنهم تيليباثيون . . . فإنهم يعرفون الأشخاص المقربين إلى قلوبنا " .

حاول كلاى أن يبحث عن مغزى لكلامه هذا إلا أنه لم يفلح . فقال : " إذن ؟ "

فقال توم : " لى أخ فى بروفايدينس . ولو أنه صار واحداً منهم ، فسوف يولون إليه هو بالذات مهمة إعدامى . هذا إن كانت نظرية جوردان سليمة " .

عندها قال دانيال : " وأختى . . . "

بينما أضاف جوردان وقد زاد شحوباً : " ومراقب الطابق الذى كنت أسكن فيه بالأكاديمية . ذلك الذى كان يمتلك هاتف نوكيا به خاصية عرض الفيديو " .

أما دينيس فقالت وهى تذرف الدموع : " زوجى . هذا ما لم يكن قد مات . أدعو الله الآن أن يكون قد مات " .

فشل كلاى للحظات أن يفهم ما يقصدونه . إلا أنه سرعان ما قال لنفسه : " جوني ؟ ابني ؟ " . رأى بعين خياله الرجل الأشعث وهو يضع يداً فوق رأسه ، وسمعه وهو ينطق بالحكم باللاتينية كما فى الحلم . فتى مجنون . Ecce homo—insanus . ورأى ابنه يقترب منه . وهو يرتدى قبعته الرياضية مقلوبةً وقميص فريقه المفضل والتى عليها اسم ورقم نجمه . جوني ، بجسده الضئيل وسط الملايين من المشاهدين من خلال الدائرة المغلقة . . التخاطر العقلى . . . التيليباثى .

جونى الصغير يبتسم . . . يداه لا تحمل أى سلاح .

لا سلاح معه . . . سوى أسنانه .

٣

كان راى هو من قطع الصمت الذى غلف المكان ، رغم أنه لم يكن قد عاد بعد .

فقد جاءهم صوته من مسافة ليست بعيدة منهم . . " آه . . تباً . . اللعنة . . . أنت . . . كلاى ! " .

فصاح كلاى : " ما الأمر ؟ "

قال راى فى سخط : " كنت تقول بأنك قد عشت هنا حياتك كلها ، أهذا صحيح ؟ " . فنظر كلاى إلى الآخرين ، الذين لم تجبه أعينهم بشيء . بينما هز جوردان كتفيه وهو يقلب راحتيه وقد تحول للحظة إلى مجرد مراهق بريء وليس ذاك اللاجيء فى فترة حرب الهواتف هذه .

نهض كلاى وهو يقول : " لقد عشت فى وسط الولاية . . . ما هى مشكلتك ؟ "

" إذن فأنت تعرف الفارق بين بلوط السمّ واللبلاب السام ، أليس كذلك ؟ "

عندها أحست دينيس أنها ستنخرط فى الضحك فسارعت بوضع يديها على فمها .

بينما قال كلاى وهو يغالب الضحك بدوره : " بالطبع " . إلا أنه كان يتصور حاله هناك . فلطالما حذر جونى ورفاقه من هذا كثيراً .

فقال راى بصوت عال : " عليك إذن أن تأتى إلى هنا لتلقى نظرة . . . تعال وحدك" . ثم أضاف فى سرعة : " الأمر يتطلب قدرات عقلية خاصة لأعلم أنك تضحكين الآن يا دينيس . فاكتمى فمك يا فتاة " .

فارق كلاى منطقة الاستراحة ، ومر إلى جوار تلك اللافتة التى تنصح المرتحل باصطحاب خريطة ! ثم إلى جوار الساقية الصغيرة . صار كل شيء فى الغابة جميلا الآن ، بطيف من مزيج قوى من الألوان ، ولون التنوب دائم الاخضرار ، وخطر له أنه لو كان للبشر أن يموتوا كسنة هذه الحياة ، فإن عليهم أن يختاروا فصلا من السنة غير هذا الفصل الجميل .

كان يعتقد أنه سيظهر لراى فجأة وهو خالع سرواله أو جالس القرفصاء وسرواله عند كعبيه . إلا أنه وجده يقف على سجادة من إبر الصنوبر مرتدياً سرواله . لم تكن هناك أية

شجيرات على الإطلاق فى مكانه هذا لا لبلاب ولا أى شيء غيره . كان شاحبا كشحوب آليس حينما اندفعت نحو حجرة معيشة نيكرسون كى تتقيأ . وبشرته بيضاء جدا كبشرة الموتى . لم يكن على محياه من مظاهر الحياة سوى عينيه . كانت كجمرتين فى وجهه .

قال له راى هامساً كأنه سجين يحاول الهرب . سمعه كلاى بالكاد وسط صوت الساقية . " أسرع . . فليس لدينا الكثير من الوقت " .

" راى . . . ما الذى حدث بحق الـ . . . "

" اصمت واسمعنى . إن دانيال وصديقك توم فى غاية الذكاء . وكذلك هو الولد جوردان . وأحيانا ما يكون التفكير حاجزاً فى الطريق . إن دينيس تفكر بشكل أفضل منهم . إلا أنها حامل . ولا يمكنك أن تثق فى امرأة حامل . أما بالنسبة لك فإنى لا أميل إلى أسلوب تفكيرك لكونك مازلت تتمسك بأمل العثور على ابنك . ولكن لابد أن تعلم أن أمره قد انتهى . وأنت تدرك هذا يقيناً . لقد ضاع ابنك " .

نادتهم دينيس من مكانها : " هل كل شيء على ما يرام لديكم يا رفاق ؟ " . كان كلاى يتخيل ابتسامة على وجهها .

" راى ، إننى لا أدرى بما . . . "

" بل أنت تعلم ، وهذا هو الواقع . أنصت إلىَّ . فما يريده صاحب الرداء الأحمر اللعين لن يتحقق ، طالما لم تسمح له بذلك . هذا كل ما تحتاج إلى أن تعلمه الآن" .

مد راى يده فى جيب قميصه وأخرج هاتفاً محمولاً وقصاصة ورقية . كان الهاتف رمادى اللون متسخا ، كما لو أنه لم يبارح أحد مواقع أعمال البناء .

" ضع هذا فى جيبك . وحينما يحين الوقت المناسب ، اتصل بالرقم المدون فى هذه الورقة . كل ما آمله هو أن تدرك ذلك الوقت المناسب " .

تناول كلاى منه الهاتف . فلم يكن أمامه سوى أن يلتقطه أو يتركه يسقط على الأرض . أما الورقة فأفلتت من بين أصابعه .

فهمس راى فى صرامة : " التقطها ! " .

فانحنى كلاى والتقط قصاصة الورق . عشرة أرقام مدونة عليها بخط سريع . أول ثلاثة منها هى رمز منطقة ماين . " إنهم يقرأون الأفكار يا راى ! فلو أننى . . . " .

مط راى فمه فى محاكاة ساخرة لتكشيرة . قال هامساً : " نعم ! " . " ينظرون فى رأسك ليكتشفوا أنك تفكر فى هاتف محمول لعين ! فما الذى فكر فيه كل منا منذ الأول من أكتوبر غير ذلك ؟ وكل من بقى يستطيع التفكير من البشر ؟ "

نظر كلاى إلى الهاتف المحطَم القذر . كان هناك على غلافه شريطان لاصقان . شريط مدون عليه السَيد فوجارتى . أما الآخر فمدون عليه (محجر جرليفايل . . . ممنوع إزالة الغلاف) .

" ضعه فى جيبك اللعين ! " .

لم يكن إلحاح الأمر هو ما جعله يطيعه . بل هى تلك النظرة فى عينيه المستميتتين . همَ كلاى بوضع الهاتف وقصاصة الورق فى جيبه . كان يرتدى الجينز ، وجيبه أضيق من قميص راى . كان ينظر للأسفل ليفتح الجيب بشكل أوسع عندما مال راى للأمام . وسحب مسدس كلاى من غمده .

عندما نظر كلاى نحوه ، فوجئ براى وهو يضغط بفوهة المسدس تحت ذقنه .

" إنك ستسدى بهذا معروفاً لابنك ، كلاى . صدقنى . فليست هذه بحياة تليق بالمرء " .

" راى . . . . كلاااا ! ! "

لكنه ضغط الزناد . وانطلقت الرصاصة المحرمة . ومعها طار النصف العلوى لرأس راى . وطارت عشرات الغربان فزعة من فوق الأشجار . تملأ سماء الخريف بنعيقها .

لم يجد كلاى ما يفعله سوى أن يهشها عن المكان لبرهة من الوقت .

٤

بدأوا بالكاد يحفرون قبراً له فى الأرض السوداء لينة التربة تحت أشجار التنّوب عندما عاد الهاتفيون للسيطرة على رؤوسهم . كان كلاى يحسّ بتلك القوّة المجمعة للمرة الأولى . كانت كما قال توم ، أشبه بأن يدفعك أحدهم فى ظهرك بيد قوية . بل هو يشعر بأن كلاً من اليدّ والظهر كانا داخل رأسك . تلك الدفعة فقط .

صاح فيهم : " لننته من هذه المهمة فى سرعة ! " ، إلا أنه وجد لسانه ينطق بأوامرهم فى صوت أدركه على الفور : " كلاّ . اذهبوا . الآن " .

رد عليه : " امنحنا خمس دقائق فقط ! " .

نطق الهاتفيون هذه المرة على لسان دينيس : " اذهبوا الآن " .

أسقط توم جثة راى ـ مع بقايا رأسه التى لفوها فى أحد أغطية مقاعد الحافلة ـ فى الحفرة ووارى عليها التراب فى سرعة . ثم أمسك بدوره جانبى رأسه ، وهو يقول فى وجوم : " حسنا . . . حسنا " ، إلا أنه نطق على الفور بأوامرهم : " اذهبوا . . . الآن " .

عادوا عبر الطريق إلى الاستراحة . يتقدمهم جوردان . كان شاحباً جداً ، لكن كلاى لم يعتقد أن شحوبه يماثل ما كان عليه

راى فى آخر لحظات حياته . على الإطلاق . وكلماته الأخيرة . . . ليست هذه بحياة تليق بالمرء .

كانوا يقفون عبر الطريق بشكل استعراضي ، فى صف يمتد بامتداد خط الأفق ، ربّما لمسافة نصف ميل . . . إنهم الهاتفيون . لابد أن عددهم يصل إلى قرابة الأربعمائة ، لكن كلاى لم ير بينهم الرجل الأشعث . فافترض أن الرجل الأشعث قد ذهب ليمهد الطريق ، ففى بيته كان هناك العديد من القصور .

فى كل منها خط تليفونى . . . هكذا قال كلاى لنفسه .

بينما احتشدوا متجهين نحو الحافلة الصغيرة . رأى ثلاثة منهم يخرجون عن الصف . بدأ اثنان منهم يعَضّ بعضهما البعض والتقاتل وتمزيق الملابس ، مزمجرين بما يمكن أن يكون كلمات ـ اعتقد كلاى بأنّه قد سمع كلمة " كعكة " ، لكنّه افترض أنه مجرد تشابه فى النطق ليس إلا . بينما دار الثالث على عقبيه ببساطة وبدأ فى الابتعاد ، مرتحلاً على الأقدام نحو نيوفيلد . صرخت دينيس صرخة هيستيرية : " هيا . . . تراجعوا . . . تساقطوا جميعا ! "

إلا أنهم لم يتراجعوا أو يسقطوا . وقبل أن يصل الشخص الفار منهم ـ إذا كان هذا الذى رآه فرارا ـ إلى المنعطف حيث يبتعد الطريق ١٦٠ نحو الجنوب ، ظهر مجنون هاتفى أكبر منه سناً إلا أنه كان أقوى بنية ، وأمسك برأس المجنون الفار ، ولوى عنقه إلى الجانب فى قوة وسرعة . فسقط صريعاً على الأسفلت .

قال دانيال بصوت منهك : " لقد كانت المفاتيح مع راى " . كان شعره قد انفك الآن ليسدل فوق كتفيه . " على أحدنا أن يعود لكى . . . "

فبادر كلاى قائلاً : " إنها معى . . . وأنا من سيقود الحافلة " . فتح الباب الجانبى للحافلة الصغيرة . وهو يشعر بوقع خطواتهم تدوى داخل رأسه . . . إنهم يدفعونه دفعاً . كانت يداه متسختين بالدم والتراب . ويشعر بثقل الهاتف المحمول فى جيبه . وحينها خطر له خاطر طريف : ربما أمكن لآدم وحواء أن يلتقطا بعضاً من ثمار التفاح قبل أن يطردا من الجنة . مجرد ثمار يأكلانها حتى يذهب جميع البشر خلال رحلة الحضارة التى استغرقت كل هذه القرون الطويلة . وجد نفسه يقول : " هيا . . . ليستقل الجميع الحافلة " .

نظر توم إليه فى استغراب . " لا يبدو لى هذا مدعاة لكل هذه البهجة التى أنت عليها . فان جوخ " .

فقال الرجل بلسان كلاى وهو يبتسم : " وما المانع ؟ " . حينها تساءل إن كانت ابتسامته أشبه بابتسامة راى قبل انتحاره . " لن أعانى على الأقل من سماع المزيد من هرائك بعد الآن . هيا لتستقلوا الحافلة . فالمحطة التالية هى كاشواك " .

ولكن قبل أن يستقل أى منهم الحافلة . وجدوا أنفسهم مجبرين قسراً على التخلص من أسلحتهم .

لم يأتهم هذا الأمر عقلياً . التحكم فى حركتهم لم يكن بفعل قوة قاهرة ـ لم يكن على كلاى أن يرى بعينيه يده وهى تجبر على أن تمسك بالمسدس وتسحبه من غمده . لم يكن يعتقد أن بوسع الهاتفيين فعل هذا . حتى الآن على الأقل ؛ بل إنهم غير قادرين على القيام بهذا الأمر الباطنى إلا إذا كان مسموحاً لهم هذا . بدلاً من ذلك أحسّ بشيء مثل حكّة . فظيعة . تكاد لا تطاق . داخل رأسه .

صرخت دينيس بصوت مكتوم : " أوه . . . يا ربي " . ثم ألقت مسدسها الصغير ـ الذى كانت تحمله فى حزامها ـ بقوة فسقط على مسافة بعيدة على الطريق . وألقى دانيال بمسدسه بعدها . وبعدها رمى بسكين الصيد الذى كان بجعبته . طارت السكين حتى الجانب البعيد من الطريق ١٦٠ . إلا أن أياً من الهاتفيين لم يجفل .

ألقى جوردان مسدسه الذى كان يحمله أرضاً إلى جوار الحافلة . ثم أخذ يبحث فى حقيبته فى توتر هيستيرى عن سلاح آليس الذى كانت تحمله حتى وجده . ومن ثم ألقاه بدوره . تلاه توم ملقياً بندقيته الآلية .

ألقى كلاى بمسدسه نحو بقية الأسلحة جوار الحافلة . لقد أودى بحياة شخصين منذ أن انطلقت النبضة . فلم يكن ليأسف عليه ذلك الأسف الشديد .

قال مخاطباً الأعين المراقبة . والأوجه القذرة المتحورة : " ها هو ذا " . كانت تراقبهم عبر الطريق . إلا أن من كان يراه أمام عينيه هو الرجل الأشعث . " هذه هى كل الأسلحة . هل أنت راض ؟ " . ثم سرعان ما نطق بلسان الرجل مجيباً : " لماذا فعل هذا ؟ "

ابتلع كلاى ريقه فى عصبية . لم يكن الهاتفيون فقط هم من يريدون أن يعرفوا ؛ بل دانيال والآخرون أيضاً . رأى جوردان وهو يتشبث بحزام توم ، وكأنما يخشى إجابة كلاى كخشية الطفل من عبور شارع مزدحم . تمر فيه الشاحنات سريعة .

قال كلاى : " قال لى بأن طريقتك التى تريدنا أن نحيا بها ليست بحياة يمكن أن تعلش . أخذ منى سلاحى ، وفجر رأسه بالرصاص قبل أن يمكننى أن أمنعه " .

www.rewity.com RAYAHEEN

ساد الصمت المكان . إلا من نعيق الغربان . بعدها تحدث الرجل بلسان جوردان . بنبرة صريحة متحمسة : " طريقتنا . . . هى الطريقة الوحيدة " .

جاء دور دانيال كى يستخدم الرجل صوته الذى خرج صريحا . " هيا . . . اصعدوا الحافلة" . وعندها خطر لكلاى أن الشعور الوحيد الذى يمكن أن ينتابهم هو الشعور بالغضب .

صعدوا الحافلة . وانسل كلاى جالساً فى خفة وراء مقودها وأدار المحرك . منطلقا بها شمالاً نحو الطريق ١٦٠ . مرت دقيقة قبل أن ينتبه إلى أن هناك حركة على يساره . لقد كانوا الهاتفيين . يتحركون نحو الشمال على جانب الطريق بل فوقه فى الهواء ـ فى خط مستقيم وكأنما هناك ممشى متحرك منصوب فوق أرض الطريق بثمانى بوصات . وعند مقدمة الطريق زاد ارتفاعهم لأعلى ، ربما إلى خمس عشرة قدماً ، ليصنعوا قوساً بشريا فى السماء المليئة بالغمام . كانت مشاهدة الهاتفيين وهم يختفون فوق قمة التل أشبه بمشاهدة أناس يستقلون قطاراً سريعا .

عندها انفضت هذه السيمترية الدقيقة . فقد سقط أحدهم كطائر أطلق عليه الرصاص ، على بعد سبع أقدام من جانب الطريق . كان رجلا يرتدى بقايا بدلة رثة . تدحرج سريعاً فوق التراب ، يركل بساق ، ويسحب الأخرى . وحينما مرت الحافلة إلى جواره بسرعتها الثابتة عند خمسة عشر ميلاً فى الساعة ، رأى كلاى وجه الرجل المتشنج فى غضب وفمه يتلوى وكأنه إعلان عن احتضار .

صاح توم بصوت أجوف : " ها قد علمنا الآن الحقيقة" . كان يجلس إلى جوار جوردان فى مؤخرة الحافلة ، أمام المساحة الخاصة بالحقائب " .

سأله جوردان : " ما الذى تعنيه بمتلازمة " توريتى " ؟ "

فقال توم : " تباً لى إن كنت أعلم ، أيها الصبى " ، وجدوا أنفسهم جميعاً يضحكون بصوتٍ عال . وسرعان ما تحولت الضحكات إلى أصوات تضحك بصوت كألزئير ـ وحتى جوردان ، مع أنه لم يكن يعلم سبب هذه الضحكات ـ بينما تسير الحافلة الصغيرة ببطء نحو الشمال . يمر عليها الهاتفيون ومن ثم يرتقون ويرتقون فى السماء . . . . السماء التى لا نهاية لها .

كاشواك

١

بعد ساعة من مغادرتهم تلك الاستراحة التى انتحر عندها راى بمسدس كلاي ، مروا بلافتة مكتوب عليها :

معرض المقاطعات الشمالية
٥ ـ ١٥ أكتوبر
تعالوا . . . تعالوا جميعا!!!

قوموا بزيارة لقاعة كاشواكاماك
ولا تنسوا "الطرف الشمالي" الفريد
لعبة السلوت بما فى ذلك طريقة تكساس
"البينجو الهندى"

سوف تطير عقولكم من البهجة!!

قال كلاى : " أوه . . يا إلهى . المعرض . قاعة كاشواكاماك . تباً . ليس هناك أنسب من هذا المكان لتجمعهم"

سألته دينيس : " وما الفارق بينه وبين بقية المعارض ؟ "

قال : " إنه معرض المقاطعة الرئيسى . إلا أنه أكبر وأكثر تنوعاً ، كونه يقام فى منطقة تى آر غير المأهولة بالسكان .

بالإضافة إلى ذلك الجزء الشمالى الذى تتحدث اللافتة عنه . والجميع فى ماين يعرفونه . وهو يكاد يضاهى ذلك النزل الحقير فى سوء سمعته "

رغب توم فى أن يعرف حقيقة ذلك الطرف الشمالي . ولكن قبل أن يتمكن كلاى من أن يشرح له ، قالت دينيس : " هناك اثنان منهم هنا ، أعلم يقيناً أنهما من الهاتفيين ، إلا أن هذا يثير أعصابي " .

كانت هناك جثتان لرجل وامرأة راقدتان وسط التراب إلى جانب الطريق . قد يكونان ماتا معاً أو قتل كل منهما الآخر بعد قتال مرير ، وهو الأقرب للحدوث بالنظر لأسلوبهم . مروا على نصف دزينة أخرى من الجثث فى أثناء توجههم نحو الشمال ، من المؤكد أنها جثث من السرب الذى جاء ليأتى بهم ، كما شاهدوا ضعف هذا العدد يجول حول المنطقة متجهاً نحو الجنوب ، فرادى أو مثنى . بل لقد حاول اثنان منهم ـ وكان من الواضح أنهما لا يدركان بغيتهم على وجه التأكيد ـ أن يقفا أمام الحافلة وهى تمر من أمامهما .

تساءل توم : " ألن يكون من حسن حظنا أن يسقطوا جميعاً صرعى ، أو أن يفروا من المنطقة قبل أن يتموا ما خططوه لنا فى الغد ؟ "

فقال دانيال : " لا تعول على هذا كثيراً . ففى مقابل كل ما رأيناه حتى الآن من ضحايا أو فارين ، فإننا رأينا عشرين أو ثلاثين منهم ممن لا يزالون تحت السيطرة . ولا يعلم سوى الله عدد من ينتظر فى ذلك المكان بكاشواك " .

فعلق جوردان من مكانه إلى جوار توم : " وعليك ألا تستبعد هذا الاحتمال أيضاً " . ثم أضاف ببعض الحدة : " فوجود دودة أو عطب بالبرنامج ليس بالأمر الهين . فهو يبدأ كمجرد عطل بسيط إلا أنه سرعان ما يتطور ، ليقضى على البرنامج بأكمله .

لقد كنت فيما مضى معتاداً على ممارسة لعبة شهيرة عبر الانترنت . . . إلى أن جاء يوم وصل فيه الحنق على أحد الخاسرين وكان من كاليفورنيا إلى درجة أنه أرسل بمثل هذه الدودة التى اخترقت منظومة اللعبة وأفسدت جميع أجهزتها المركزية فى غضون أسبوع . وقد تضرر من هذا قرابة نصف المليون من ممارسى اللعبة بسبب هذا المجنون" .

فقالت دينيس : " ليس أمامنا أسبوع ، جوردان " .

" أعلم هذا . كما أعلم أن هذا لن يمكن أن يحدث لهم بين ليلة وضحاها . . . إلا أنه ممكن . ولن أتوقف عن التمسك بهذا الأمل . فلا أود أن ينتهى بى الأمر مثل راى . هذا لأنه . . . توقف عن الأمل" . ومع كلماته انسابت دمعة على وجنته .

احتضنه توم قائلا : " لن ينتهى بك الأمر مثل راى . بل ستكبر لتصير مثل بيل جيتس" .

أجابه فى وجوم : " لا أريد أن أكون مثل بيل جيتس . فمن المؤكد أنه كان يمتلك هاتفاً محمولاً . بل عشرات الهواتف" . واعتدل فى جلسته وهو يضيف : " ما أريد حقاً أن أتأكد منه هو عدد أبراج البث الهاتفية التى لا تزال تعمل حتى الآن بالرغم من انقطاع التيار الكهربى عنها " .

عندها قال دانيال بنبرة جوفاء : " الفيما " .

التفت توم ومعه جوردان ناظرين إليه ، وقد ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه توم . بل إن كلاى نظر إليه من خلال مرآة القيادة أمامه .

" هل تعتقدون أننى أمزح ؟ ليتنى كنت كذلك . لكننى قرأت مقالاً عن هذا الموضوع بمجلة أثناء وجودى فى عيادة طبيب ، منتظراً ذلك الفحص المقزز للـ . . . "

قاطعته دينيس بسرعة : " أرجوك . . . الأمور مقززة بما يكفى هنا . تخط هذا الجزء . وأخبرنا بما ذكره المقال " .

" بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر . طلبت الفيما . . . وكالة إدارة الطوارئ الفيدرالية . . تمويلا من الكونجرس ـ لا أتذكر الرقم تحديدا . إلا أنه بعشرات الملايين ـ لأجل تجهيز أبراج بث إشارات الهاتف المحمول بمولدات كهربية آلية لضمان قدرة البلاد على التواصل هاتفيا بين أرجائها فى حال حدوث هجمات إرهابية متعددة فى آن واحد . . . وأعتقد أنهم قد نجحوا فى الحصول على ما يبغون"

علق توم بقوله : " الفيما . . . لا أدرى إن كان لى الآن أن أضحك أم أن أبكي"

فقالت دينيس : " كنت لأنصحك بأن تراسل ممثلكم فى الكونجرس . . . إلا أننى أعتقد أنه قد صار من المجانين الآن" .

" بل هو مجنون حتى من قبل حدوث تلك النبضة" . رد عليها وهو يحك مؤخرة رقبته ناظرا عبر النافذة : " فيما . . . اسمها يكفيني" .

لكن دانيال قال : " كم أتوق للتعرف على السبب وراء كل هذا الجهد الذى بذلوه كى يجبرونا على الحضور إلى هنا" .

فاستطردت دينيس بدورها : " وتأكدهم من ألا يقوم أحدنا بالانتحار كما فعل راى . . هذا ما لا يجب أن تنسوه . مع أننى لم أكن لأفعل هذا ، فالانتحار إثم . بوسعهم فعل ما يشاءون بى هنا ، إلا أننى سأعمل على أن يكون مصيرى وطفلى هو الجنة " .

قال دانيال : " ما يثير مخاوفى هو ذلك اللجوء إلى اللاتينية . جوردان ، هل من الممكن أن يقوم الهاتفيون باستغلال أشياء قديمة ، وأعنى بذلك ما يعود إلى عصر ما قبل النبضة ، ومن ثم يدمجونها فى برنامجهم ؟ طالما كانت تناسب . . . أهدافهم على المدى الطويل ؟ "

قال جوردان : " أظن أن لهذا علاقة بنوعية الأوامر التى تم ترميزها فى النبضة . وهو ليس كبقية البرامج العادية على أى حال . فهو برنامج يولد ويطور نفسه ذاتيا . برنامج عضوى . تماما كعملية التعليم . بل هو كذلك تحديدا . أو كما كان الرئيس يقول إنه يستوفى التعريف . الفارق هو أنهم يتعلمون معا . لأن . . . " .

قال توم : " بسبب التيليباثي" .

وافقه جوردان القول : " بالضبط" . إلا أنه بدا مضطربا .

سأله كلاى وهو ينظر إليه من خلال مرآة القيادة : " ولماذا أنت قلق بسبب تلك اللغة اللاتينية ؟ "

" لقد قال توم من قبل إن اللاتينية هى لغة القانون والعدالة ، وأرى أن هذا صحيح ، إلا أنه يعنى لى كذلك أنها لغة النار " . كان يحدثه وجسده يميل إلى الأمام . بدت عيناه من خلف النظارة مرهقتين مضطربتين . " هذا لأنهم عاجزون عن التفكير . . . باللاتينية أو غير اللاتينية . هذا ما أنا مقتنع به . حتى الآن على الأقل . فما يعتمدون عليه بديلا للتفكير العقلانى هو نوع من العقل الجمعى نتاج الغضب البحت " .

صاح توم جذلا : " أسجل اعتراضى سيدى القاضى . . . فهذه مجرد افتراضات فرويدية ! "

قال دانيال : " ربما هى آراء فرويد أو آراء لورينتز . . . إلا أن لها ميزة الشك فى كلتا الحالتين . أسيكون من المدهش إذن مع مثل هذا الكيان الغاضب أن يمزج بين العدالة والثأر ؟ "

سأله توم : " وهل سيمثل هذا أى فارق ؟ "

" قد يمثل فارقا بالنسبة لنا . وبوصفى أكاديميا فإنى أقول لك بأن التعذيب بدافع الانتقام أشد من التعذيب بدافع تحقيق العدالة " .

www.rewity.com ARAYAHEENA

٢

بعد هذا الحوار بقليل وصلوا إلى مكان تعرف عليه كلاى . وهو ما أثار فيه القلق لأنه لم يأت إلى هذا المكان فى الولاية من قبل . فيما عدا مرة واحدة . . . فى الحلم . . . ذاك الحلم . . الذى رأى فيه عملية التحويل الجماعى هذه .

كانت تلك المعادلة مدونة على أسفلت الطريق بدهان أخضر فوسفورى . . كاشواك = KASHWAK=NO-FO . مرت الحافلة فوق الأحرف بسرعتها الثابتة عند ثلاثين ميلاً فى الساعة بينما واصل الهاتفيون المرور إلى جوارهم متواكبين .

ليس هذا بحلم . هكذا قال لنفسه وهو ينظر إلى القمامة التى علقت بالشجيرات على جانبى الطريق . وعلب المشروبات الفارغة الملقاة عند حافته . وأكياس المقرمشات الخاوية التى تهرسها إطارات الحافلة . وقف الطبيعيون هنا فى صفين مزدوجين . يأكلون من أكياس المقرمشات ويشربون من علب الشراب . ويشعرون بتلك الحكة فى رؤوسهم . وذلك الإحساس الغريب بوجود يد عقلية تدفعهم فى ظهورهم . وهم ينتظرون دورهم فى مكالمة من يحبون ممن ضاعوا أثناء النبضة . وقفوا هنا يسمعون الرجل الأشعث وهو ينادى : " يساراً . يميناً . فى صفين . هكذا . هكذا . لنتحرك . فلدينا الكثير منكم ممن يلزم التعامل معهم قبل أن يحل الظلام " .

كانت الأشجار أمامهم على جانبى الطريق تتشابك بالأغصان . بدا الأمر وكأنهم فى طريقهم إلى حفلة موسيقية . اختفت إحدى الخيمتين - ربما طارت - بينما تعلقت الخيمة الأخرى ببعض الأشجار . وأخذت ترفرف فى ضوء المساء وكأنها لسان برتقالى طويل .

قال جوردان معلقاً بصوت حذر : " لقد حلمت بهذا المكان " .

بادره كلاى مندهشاً : " هل هذا صحيح ؟ لقد حلمت به أنا أيضاً " .

" إن الطبيعيين يتبعون علامات المعادلة هذه . إلى أن يصلوا إلى هنا . . . هذا المكان أشبه بنقطة تحصيل رسوم على الطريق . . أليس كذلك ، كلاى ؟ "

" نوعاً ما . . . بالفعل " .

" بجعبتهم صناديق ضخمة من الورق المقوى مليئة بالهواتف المحمولة " . وجد كلاى أن ما قاله جوردان للتو تفصيلة لا يتذكر أنه قد رآها فى الحلم . إلا أنه صدقه . " العشرات منها . ويحق لكل طبيعى أن يجرى اتصالاً واحداً . فيالللحظ " .

سألته دينيس : " متى حلمت بهذا الحلم يا جوردان ؟ "

تلاقت عينا جوردان بعينى كلاى فى المرآة وهو يقول : " الليلة الماضية . لقد علموا أنهم لن يتحدثوا مع من يودون التحدث إليه . يعلمون هذا فى داخل أنفسهم . إلا أنهم مضطرون إلى إجراء هذه المكالمة . وليس أمامهم سوى أن يتناولوا الجهاز . أن يجروا المكالمة وينصتوا . فمعظمهم لم يدخل فى شجار طيلة حياته . فما السبب وراء هذا ، كلاى ؟ "

قال كلاى : " هذا لأنهم قد ملوا القتال . . . ملوا أن يكونوا مختلفين . كما أنهم يريدون أن يفرضوا ذوقهم الموسيقى السيئ على الجميع " ، قالها فى سخرية .

كانوا يمرون على الأراضى الزراعية التى أتلفوها حتى ينصبوا خيامهم التى طار بها الهواء . وأمامهم طريق فرعى يخرج عن الطريق السريع كان أوسع منه وأنعم . كان الهاتفيون يسيرون بالعشرات إلى جانبه حتى يختفوا داخل الغابة . يحلق فوق الأشجار بنصف الميل كيان هيكلى من المعدن ما إن شاهده

كلاى حتى أدرك أنه قد رآه من قبل فى أحلامه . خمن أنها لعبة الباراشوت تلك التى تهدف إلى لفت الأنظار . كانت هناك لافتة عريضة عند تقاطع الطريق السريع والطريق الفرعي ، تصور عائلة سعيدة ـ أبا وأما وابنا وابنة صغيرة ـ وهى تسير نحو عالم مثير مليء بالألعاب والمعارض الزراعية .

معرض المقاطعات الشمالية

عرض بالألعاب النارية فى الخامس من أكتوبر

قوموا بزيارة قاعة كاشواكاماك

الطرف الشمالى مفتوح ٢٤ ساعة طيلة أيام الأسبوع فى الفترة

من ٥ ـ ١٥ أكتوبر

سوف تطير عقولكم من البهجة!!

كان الرجل الأشعث يقف أسفل اللافتة . رفع يده مشيراً لهم أن يتوقفوا .

فأوقف كلاى الحافلة الصغيرة إلى جواره فى حنق . بدت عيناه ـ والتى عجز كلاى عن رسمها بشكل سليم فى جايتين ـ ذاهلتين يشوبهما اهتمام متشف . رأى كلاى أن من المحال على الهاتفيين أن يبدوا مشاعر متناقضة فى الآن نفسه . إلا أن هذا ما ظهر له أنهم قادرون عليه . فملامح الرجل تتقلب أمامه بين البلادة المذهولة والطمع الشره الغريب .

لا يمكن أن يكون راغباً فى الدخول فى مواجهة معنا .

إلا أن هذا ما بدا أن الرجل الأشعث عازم عليه . فقد رفع يديه نحو الباب ضاماً راحتيه معاً ، ثم باعد بينهما . كانت

إشارة جميلة ـ كمن يود أن يعبر عن أن الطير قد طار ـ إلا أن يديه كانتا سوداوين متسختين قذرتين ، والأصبع الصغير فى يسراه مكسور مهشم .

قال كلاى لنفسه : " هؤلاء هم الصورة الجديدة للبشر . تيليباثيين لا يستحمون" .

قالت دينيس بصوت مضطرب : " لا تسمح له بالدخول" .

إلا أن كلاى ـ الذى كان يرى الهاتفيين الذين يتحركون أعلى من الأرض على يسار الحافلة وقد بدأوا يتوقفون ـ قال فى استسلام : " لا خيار لنا " .

أخذ يفكر فيما قاله له راى قبيل انتحاره مباشرة : إنهم سيخترقون عقلك وسيعلمون أنك تفكر فى ذلك الهاتف اللعين . أليس هذا هو كل ما يفكر فيه البشر منذ ما حدث فى الأول من أكتوبر ؟ .

اتمنى أن تكون على حق ، فلا تزال هناك ساعة ونصف قبل أن يحل الظلام . ساعة ونصف على الأقل .

ألغى تأمين الباب فانفتح . وعندها انفرجت شفة الرجل الأشعث المتهدلة فى سخرية . وصعد إلى داخل الحافلة . كان نحيفاً بدرجة مؤلمة ؛ حتى أن الرداء الأحمر الرث بدا أشبه بجوال فوق جسده . لم يكن أى منهم نظيفاً بالمعنى المفهوم ـ فلم تكن النظافة الشخصية أولوية بالنسبة لهم منذ الأول من أكتوبر ـ إلا أن رائحة الرجل كانت نتنة لدرجة لم تكن تحتمل . كانت رائحته أشبه برائحة الجبن النتن .

جلس الرجل إلى المقعد المجاور للباب ، ذلك الذى يواجه مقعد السائق ، وحدق فى كلاى . مرت لحظات دون أن يقطع شيء تلك النظرة الثقيلة من عينيه وذلك الفضول الغريب .

ثم تحدث توم بنبرة خانقة لم يسمعه كلاى يتحدث بها من قبل سوى مرة واحدة ، حينما كان يوبخ تلك المرأة التى كانت تلقى على مسامع آليس موعظتها التى تتحدث عن نهاية

الزمان . " ما الذى تريده منا ؟ إنك تمتلك العالم ـ مهما كان حاله الآن ـ فما الذى تريده منا ؟ "

شكل فم الرجل الأشعث المزق الكلمة مثلما نطقها جوردان من قبل . . . إلا أنها كانت هذه المرة من دون إحساس . . . " العدالة " .

فقال دان : " حينما يتعلق الأمر بالعدالة . . . فإنى لا أرى أنكم تفهمون معناها " .

رد عليه الرجل الأشعث بإشارة ، وهو يرفع يداً تشير إلى الطريق نحو الفخ المنصوب ، وإصبعه يشير إلى أن يسير كلاى بالحافلة .

حينما بدأت الحافلة تتحرك ، عاد معظم الهاتفيين للحركة من جديد . بينما دخل بعضهم فى شجار مع بعضهم البعض . بينما شاهد كلاى آخرين وهم يعودون من الطريق المفضى إلى المعرض فارين نحو الطريق السريع .

فقال له : " إنك تفقد بعضاً من جنودك " .

لم يجب الرجل الأشعث نيابةً عنهم . بقيت عيناه خاملتين فضوليتين تحدقان فى كلاي ، والذى شعر بهما وكأنهما تتحركان فى خفة فوق جلده . ارتخت أصابع الرجل الأشعث المتهشمة ـ القذرة ـ على حجر سرواله الجينز الرث . ثم ابتسم . فربما كانت هذه هى الإجابة الكافية . لقد كان دانيال على حق إذن ففى مقابل كل هاتفى يفقدونه يتحول العشرات إلى هاتفيين . إلا أن كلاى لم يكن ليعلم بالحجم الحقيقى لهؤلاء الذين يتحولون إلا بعد هذا بنصف الساعة ، حينما تباعدت أشجار الغابة ، لتكشف عن مدخل يظلله قوس خشبى . . . . " مرحباً بكم فى معرض المقاطعات الشمالية " .

٣

صاح دان : " يا إلهى العزيز " .

اما دينيس فصرخت . . . وكان هذا أنسب تعبير عما اعتمل بداخل كلاى تجاه المنظر .

بينما اكتفى الرجل الأشعث بالجلوس فى مقعده عبر الممر الضيّق للحافلة الصغيرة ، وهو لا يزال يحدّق فى كلاى وكأنه طفل غبى يوشك أن يسحب أجنحة بعض الذباب . بدت له نظرته الساخرة وهى تقول : هل أعجبك المنظر ؟ . . . أليس مدهشاً ؟ . . . الجميع هنا ! إن ابتسامة غبية كهذه يمكن بالطبع أن تعنى شيئاً وقد لا تعنى أى شيء . بل إنها قد تنم أيضاً عن أن صاحبها يعلم ما يجول بخواطرهم .

خلف القوس طريق يمتد فى المنتصف وبعض التجهيزات ، كان من الواضح أن كليهما كان فى طور التشييد وقت حدوث النبضة . لم يستطع كلاى أن يحدد عدد الخيام المنصوبة ، إلا أن بعضها كان قد طار . كتلك التى مروا عليها من قبل على الطريق . إلا أن هناك قرابة العشر منها لا يزال منصوباً ، وهواء المساء يداعب جوانبها . كانت أماكن الترفيه ناقصة الإنشاءات ، وكذلك بيت المرح قبالتها ، وعلى واجهتها عبارة (نحن نتحداك) تمتد عبرها ، ويتراقص فوقها هيكل عظمى . كانت لعبة الباراشوت والعجلة الضخمة الدوارة هما فقط الكيانين مكتملى البناء عند الطرف البعيد من الطريق الذى لم يكتمل إنشاؤه ، إلا أنه لم تكن هناك أضواء كهربية يمكن أن تجعلها أكثر جاذبية ، لكن منظرهما بدا شنيعاً لكلاي ، فهى فى نظره أدوات تعذيب أكثر منها للهو . إلا أنه رأى ضوءاً ما يومض : مشعلٌ أحمر صغير . من المؤكد أنه يعمل بالبطارية . كان يومض فوق لعبة الباراشوت .

خلف هذا بكثير يقبع بناء أبيض عريض حافته حمراء . على جانبيه يتطاير القش الخفيف . بينما تجد الأعلام الأمريكية وهى ترفرف فوق صواريها التى يبعد كل منها عن الآخر قرابة العشر أقدام فوق سطح المبنى . كان الطابع الوطنى يغلف البناء الذى تزينه لافتة عليها عبارة بالأزرق البراق :

معرض المقاطعات الشمالية
قاعة كاشواكاماك

لم يكن أى من هذا هو الذى جذب انتباههم . فبين لعبة الباراشوت ومبنى القاعة عدة أفدنة من الأرض الخلاء . وخمن كلاى أنها البقعة التى تخصص للحشود التى تزور معارض الماشية ، والجرارات ، والحفلات الموسيقية فى اليوم الختامى للمعرض ، وعروش الألعاب النارية عند افتتاحه وفى الختام . كانت محاطة بأعمدة تحمل مكبرات الصوت . إلا أنها الآن مكتظة عن آخرها بالهاتفيين . يقفون كتفاً لكتف متراصين ، ووجوههم مثبتة على هذه الحافلة الصفراء الصغيرة التى تتقدم نحوهم فى بطء .

عندها تبدد لدى كلاى أى أمل فى أن يرى ابنه جونى ـ أو شارون . أول ما خطر له هو أن هناك ما لا يقل عن خمسة آلاف منهم يحتشدون أسفل أعمدة الأضواء الكاشفة التى لا تعمل الآن . لكنه وجدهم يحتشدون أيضاً فوق الأرض العشبية التى تلاصق بقعة الأرض المخصصة للمعرض فزاد من تقدير عددهم على الفور . إنهم ثمانية آلاف على الأقل .

بقى الرجل الأشعث فى مكانه الذى خصص فيما مضى لأطفال المدارس ، وهو يبتسم ساخراً فى وجه كلاى وأسنانه تبرز من بين شقى شفتيه . ما زالت تلك الابتسامة تسأل : " هل

أعجبك المنظر ؟ وعاد كلاى ليذكر نفسه بأن مثل هذه الابتسامة قد تعنى أى شيء .

علق توم ساخراً : " لمن هذه الحفلة الغنائية هذه الليلة إذن ؟ هل هو فينس جيل ؟ أم أنكم قد قررتم التبذير وجلبتم آلان جاكسون ؟ " . كان يحاول أن يبدو مرحاً ووجد كلاى أنه قد نجح فى ترك هذا الانطباع ، إلا أنه يعلم أنه مجرد غلاف هش للرعب الذى يسكنه .

بقى الرجل الأشعث يحدق فى كلاى ، إلا أن تقطيبة ظهرت بين حاجبيه ، كمن يفكر فى لغز ما .

استمر كلاى فى قيادة الحافلة ببطء عبر الطريق ، نحو لعبة الباراشوت والبقعة الساكنة خلفها . وجد هناك خمس جثث أخرى ؛ ذكرته بالحشرات التى يجدها ميتة على شباك النوافذ بعد موجة صقيع مفاجئة . أخذ يركز على أن تسترخى يداه فوق عجلة القيادة . فهو لا يود أن يلحظ الرجل أن أصابعه تكاد تتجمد من فرط الخوف .

عليك أن تسير بها فى بطء . وبسلاسة . ولا تقلق على تفكيرك فى الهاتف ، فما الذى يفكر فيه الجميع سواه منذ الأول من أكتوبر ؟

رفع الرجل الأشعث يداً وهو يشير بإصبعه المهشم إلى كلاى : " أنت . . من دون هاتف . . أنت مجنون " .

" أجل . . جميعنا هنا من دون هواتف . . . جميعنا مجانين . . . ولكنك ستصلح هذا الأمر ، أليس كذلك ؟ "

ابتسم الرجل ، وكأنه يوافق كلاى على رده . . . إلا أن تلك التقطيبة لم تبارح جبينه . فمازال هناك ما يحيره . شيء يعتمل داخل عقل كلاى .

تطلع كلاى فى مرآته وهم يقتربون من نهاية الطريق . قال : " توم ، كنت قد سألتنى عن الطرف الشمالى . . . "

فقال توم : " اعذرني . كلاى ، إلا أن اهتمامى قد تبدد . ربما بسبب حجم لجنة الترحيب هذه " .

رد كلاى بقليل من الحماس : " لا ، لكن ما سأقوله لك أمر مثير للاهتمام " .

فسأله جوردان : " خبرنا إذن ؟ " . بوركت يا جوردان ، فضولى حتى النهاية .

قال كلاى : " لم يكن هذا المعرض بالحدث المهم فى القرن العشرين . كان مجرد معرض ومهرجان للفنون والمصنوعات والمنتجات والحيوانات هناك فى القاعة . . . وهو المكان الذى سيحبسوننا بداخله الآن " .

ألقى نظرة على الرجل الأشعث ، إلا أن الرجل لم يعلق على كلامه . وبقى على ابتسامته . إلا أن التقطيبة قد غابت عن جبهته .

قالت دينيس بصوت تحرص على هدوئه : " انتبه ، كلاى " .

نظر أمامه فسارع بالضغط على المكابح . فقد خرجت من بين الحشد امرأة عجوز تمتلئ ساقاها بالجراح والتقيحات تترنح . كانت عند حافة لعبة الباراشوت ، تدوس على القطع سابقة التجهيز لبيت المرح ، والتى لم يتم نصبها بعد حدوث النبضة . إلا أنها سرعان ما ركضت نحو الحافلة . وحينما وصلتها بدأت تضرب بقبضتيها القذرتين ببطء على الزجاج الأمامى . لم ير كلاى على ملامحها ذلك الشرود الذى اعتاده على أوجه الهاتفيين ، بل كانت ملامحها تنم عن الرعب وانعدام الحيلة . كان تعبيراً رآه من قبل . حينما كانت بيكسى السمراء تسأل

صارخةً . . . من أنت ؟ بيكسى السمراء . . . التى لم تتلق النبضة بشكل مباشر . من أنا ؟

تبعها تسعة من الهاتفيين يسيرون فى انتظام مكونين مربعاً متحركا . كان وجهها الملتاع يبعد عن كلاى مسافة خمس أقدام . فمها يتحرك . وسمع كلمتين تخرجان منه . سمعهما بأذنيه . . وبعقله : " خذنى معك " .

كان يريد أن يقول لها إن المكان الذى يقصدونه لن تود هى أبداً أن تقصده .

عندها قبض الهاتفيون عليها واقتادوها عائدين نحو البقعة العشبية . حاولت بكل جهدها أن تتملص منهم . إلا أنهم كانوا عازمين على إعادتها . لمح كلاى بريق عينيها وأدرك أنهما عينا امرأة تتعذب .

مد الرجل الأشعث يده من جديد ، رافعاً راحته لأعلى ، مشيراً بسبابته : تحرك .

تركت العجوز بصمة يد لا تكاد ترى على الزجاج الأمامى للحافلة . كان كلاى يحدق عبرها نحو الطريق وهو يعاود المسير .

٤

قال : " على كل حال . فحتى العام ١٩٩٩ لم يكن المعرض بالحدث المهم . ولو أنكم كنتم تعيشون فى هذه البقعة من العالم ، وأردتم بعض اللهو فكان عليكم أن تذهبوا إلى معرض فرايبورج" . شعر برتابة صوته . كلام لمجرد الكلام . فتذكر سائقى الحافلات السياحية فى بوسطن وهم يشرحون كل بناية تمر عليها الحافلة للسائحين . " وقبيل بداية هذا القرن ، قام مجلس الولاية لشئون الهنود الحمر بعملية مسح للأراضى .

www.rewity.com
RAYAHEENA

وكان الجميع يعلم بأن أراضى المعرض تلاصق منطقة سوكابازين ريز ؛ وما بيَّنه مسح الأراضى هو أن الطرف الشمالى من قاعة كاشواكاماك مقام على أراض خاصة . وهى من الناحية الفنية تتبع منطقة ميكماك الهنديَّة . ولم يكن القائمون على شئون المعرض بالمغفلين ؛ وكذلك كان حال أعضاء مجلس ميكماك القبلى . فوافق الطرفان على إخلاء المحال الصغيرة فى الطرف الشمالى للقاعة . ومنذئذٍ صار معرض المقاطعات الشمالية أهم معارض فصل الخريف فى ماين " .

كانوا قد وصلوا إلى لعبة الباراشوت . وبدأ كلاى يقود الحافلة يسارا بين هيكل اللعبة وبيت المرح غير مكتمل الإنشاء . إلا أن الرجل الأشعث ربت بيديه على الهواء ، وكفاه للأسفل . فأوقف كلاى الحافلة . نهض الرجل واستدار نحو الباب . فضغط كلاى على زر فتح الباب حتى يترجل عن الحافلة . ثم التفت نحو كلاى وأشار له بحركة من جسده .

سألت دينيس : " ما الذى يفعله الآن ؟ " . لم تكن لترى الرجل من مكانها . ولا أى واحد منهم .

قال كلاى لهم : " إنه يريد منا أن نترجل عن الحافلة" . قالها ونهض . كان يشعر بضغط الهاتف المحمول الذى أعطاه له راى على فخذه داخل هذا الجيب الضيق . ولو أنه نظر إلى فخذه لوجد أنه بارز أسفل قماش سرواله الجينز . فشد قميصه القطنى إلى أسفل محاولاً أن يخفيه . وما الذى يفكر فيه الجميع سواه . . .

فقال جوردان خائفاً : " هل حان الوقت ؟ " .

رد كلاى : " لم يعد لدينا أى خيار . هيا بنا يا رفاق . . . هيا . لنزر المعرض إذن " .

٥

قادهم الرجل الأشعث نحو تلك البقعة المخيفة . انفتح الباب لهم ، ومن ورائه ممر ضيق ـ يمتد من خلف لعبة الباراشوت وحتى البابين المزدوجين لقاعة كاشواكاماك . مر كلاى ورفاقه على موقف للسيارات مزدحم بالشاحنات مطبوع على جوانبها اسم مؤسسة نيو إنجلاند أميوزمينت ، مع شعار على شكل قاطرة ملاهٍ سريعة . بعدها صارت خطواتهم أبطأ بفعل كل هذه الحشود أمامهم .

بدا لكلاى أن مسيرتهم لن يكون لها نهاية . كانت رائحة المكان منفرة ، رائحة نتنة قوية حتى مع هبوب بعض النسيم . كان يشعر بساقيه تتحركان ، ويشعر بوجود الرجل الأشعث أمامه ، إلا أنه لم يشعر أبداً بأن المسافة التى تفصله عن البابين المزدوجين تقل أو أنهما يقتربان . كان يشم مزيجاً من الأوساخ والدم والبول والغائط . كان يشم رائحة تخمّر الإصابات ، واللحم المحروق ، ورائحة القيح الفاسدة . شم رائحة الملابس التى كانت قد تعفنت فوق الأجساد التى تكسوها . إلا أنه كان أيضا يشم رائحة شيء آخر . . . رائحة الجنون .

بل هى رائحة التيليباثى . ونحن لسنا مستعدين لها بعد . هى أقوى منا . تحرق المخ . . كما يحرق التيار الكهربى القوى محرك السيارة أو . . .

صاح جوردان بغتة : " ساعدونى . . . إنها ستفقد الوعي ! " .

التفت ليرى أن دينيس قد هوت على الأرض تستند على يديها وركبتيها . كان جوردان جاثياً بدوره إلى جوارها واضعاً عنقه أسفل ذراعها محاولاً أن ينهض بها . إلا أنها كانت بطبيعة الحال أثقل منه . لم يستطع توم أو دانيال أن يهرعا

لمساعدته . فالممر المار بين حشد الهاتفيين هذا ضيق جداً . رفعت دينيس رأسها . فتلاقت عيناها بعينى كلاى . كانت نظرة تجمع بين الذهول وعدم الفهم . . . نظرة حيوان انعدمت حيلته . تقيأت قيئاً خفيفاً وارتخى رأسها من جديد . يحيط شعرها بوجهها كالستارة .

عاد جوردان يصرخ من جديد : " ساعدوني ! " . وسرعان ما بدأ يبكى .

عاد كلاى أدراجه وهو يحاول أن يبعد الهاتفيين بمرفقيه حتى يصل إلى دينيس . " ابتعدوا عن طريقي ! . . . ابتعدوا عن طريقي . إنها حامل . ألا ترون أيها المعتوهون أنها حا . . . " .

فجأة توقف عن كل شيء . . . وكان أول ما تعرف عليه هو قميصها . ذلك القميص الحريرى الأبيض طويل الرقبة . والذى طالما أبدى إعجابه به كلما ارتدته . . . شارون . . . كان يرى أنه أكثر ما تملكه من قطع الملابس جاذبية ، ربما بسبب تلك الرقبة الطويلة الأنيقة . كان يحب ملمس جسدها أسفل قماش هذا القميص .

إلا أنه يجده الآن ملطخاً بالسواد وبلون الدم القرمزى . وممزقاً عند الذراع . لقد قال له جونى فى رسالته إنها . . . لا تبدو على نفس القدر من جنون الآخرين . . . لكنها لا تبدو الآن هكذا ؛ فمن المؤكد أنها ليست شارون ريدل التى خرجت إلى مدرستها بهذا القميص وبالتنورة القرمزية بينما زوجها الذى انفصلت عنه قابع فى بوسطن ، وهو يوشك على أن يوقع اتفاقاً سيضع حداً لمشاكلهم المالية ويجبرها على الاعتراف بأن " هوايته المكلفة " قد أظهرت جدواها فى نهاية المطاف . شعرها الأشقر الداكن مجدول بخيوط رفيعة . وعلى وجهها آثار جراح عدة ، بينما تمزقت إحدى أذنيها ، فبدت هناك فتحة فى جانب رأسها . بينما تعلق شيئاً كانت قد أكلته ، شيئاً قاتم

اللون ، بركنى فمها . . . ذلك الفم الذى طالما قبله على مدار خمسة عشر عاماً . حدقت فيه بدورها ، بتلك النظرة الساخرة البلهاء .

بينما أخذ جوردان ينتحب : " ساعدنى يا كلاى ! " .

عاد كلاى للواقع . وأخذ يذكر نفسه بأن شارون ليست هى التى هناك . لم تعد شارون موجودة منذ أن حدثت النبضة . منذ أن حاولت أن تستخدم هاتف جونى الأحمر الصغير .

وجد نفسه يصيح فيها ، ويدفع بيديه امرأة كانت يوماً ما زوجته : " ابتعدى عنى أيتها اللعينة" . وقبل أن تحاول العودة إلى مكانها كان قد تخطاها .

أخذ يصيح : " تلك المرأة حامل ، فأفسحوا لى هذا الطريق اللعين" . ثم انحنى ليرفع بعنقه المرأة من أسفل ذراعها الأخرى ، وينهض بها .

قال توم لجوردان : " تقدم أنت أمامنا . . . وسأحملها أنا " .

أمسك جوردان بذراع دينيس إلى أن وضعها توم حول عنقه . حملها هو وكلاى بهذه الطريقة مسافة تسعين ياردة وحتى باب قاعة كاشواكاماك ، حيث كان الرجل الأشعث يقف بانتظارهم . كانت دينيس تغمغم طالبة منهما أن يتركاها ، وأن بوسعها السير ، وأنها بخير ، إلا أن توم لم يجب رغبتها . وكذلك كلاى . فلو أنه تركها ، فإنه سيضطر حينها إلى أن يبحث بعينيه عن شارون وسط هذا الحشد من جديد ، ولم يرغب فى فعل هذا .

ابتسم الرجل الأشعث لتوم ، وبدت الابتسامة أكثر تصميماً هذه المرة . بدا لكلاى أن الرجل يداعبه . . . شارون ؟ . . . هل صارت شارون مجرد دعابة ؟

إلا أنه اكتشف أن هذا لم يكن سبب تلك الابتسامة . فقد أشار الرجل إشارة كانت تبدو مألوفة جداً فى الأيام الخوالى إلا إنها بدت غريبة الأطوار الآن : كان يضع يده اليمنى عند الجانب الأيمن من رأسه ، بينما لامس إبهامه أذنه ، وإصبعه البنصر عند فمه . إنها إشارة الهاتف المحمول الدعائية الشهيرة .

وجدت دينيس نفسها تنطق رغماً عنها ، بلسان الرجل الأشعث : " لا هاتف . . أنت . . . أنت" . إلا أنها سرعان ما عادت لتقول بلسانها هى : " لا تفعل هذا معى . . . كم أمقت هذا ! " .

لم يعرها الرجل الأشعث اهتماماً . بل بقيت يده على نفس تلك الوضعية الدعائية ، وهو يحدق فى كلاى . حتى أن كلاى أيقن للحظة أن الرجل قد لاحظ الهاتف القابع فى جيب سرواله . إلا أنه سرعان ما عاد ليستخدم لسان دينيس قائلاً بنفس النبرة التى كان يستخدمها الصغير جونى : " لا هاتف . . أنت . . أنت " . حاول الرجل الأشعث أن يضحك إلا أنها تحولت إلى اختلاجة مقيتة بسبب هاتين الشفتين المشقوقتين . بينما شعر كلاى بوطأة نظرات الهاتفيين على ظهره .

عندها انفتح البابان وحدهما ، ووجد أن مزيج الروائح المخلوطة التى اندفعت للخارج ، وبالرغم من مرور السنين ، ما زال يبدو كالعطر مقارنةً بنتانة هذا القطيع من الهاتفيين : بهارات ، مربى ، قش ، وماشية . كان المكان معتماً بالكامل ؛ وسط بعض الضوء الخافت الصادر عن مصابيح الطوارئ ، التى لم تنفد بطارياتها بعد . وجد كلاى غرابة فى هذا إلا إذا كانوا قد ادخروها لهم خصيصاً ، وهو الأمر الذى يشك فيه . إن هذا

الرجل لا يخبرهم بشيء . مكتفياً بتلك الابتسامة وإشارة يده التى تأمرهم بالمسير والدخول .

قال توم ساخرًا : " سيسعدنا هذا أيها الأخرق . . . دينيس ، هل أنت واثقة من قدرتك على المشى بمفردك ؟ " .

" بلى . إلا أن علىَّ القيام بأمر ما أولاً" . وبغتة . . . بصقت على وجه الأشعث . " إليك هذه منى . . . أيها الوغد القذر" .

لم ينبس الرجل ببنت شفة . بل اكتفى بالابتسام فى وجه كلاى . ابتسامة رجلين بينهما سر صغير .

٦

لم يجلب لهم أحد أى طعام . إلا أنهم وجدوا بالمكان ماكينات بيع أكياس المقرمشات ، ووجد دانيال عتلة فى حجرة الصيانة عند الطرف الجنوبى من البناية الضخمة . وقف الباقون يراقبونه وهو يحطم الماكينة ليفتحها ـ نحن بالطبع مجانين ، هكذا خطر لكلاي ، ها نحن ذا نتناول هذه كعشاء ، بينما سيفطرون هم علينا فى الغد ـ حينما صدحت الموسيقى عبر أرجاء المكان . لم تكن الموسيقى المنبعثة عبر مكبرات الصوت الكبيرة التى تحيط بالبقعة العشبية بالخارج من تلك النوعية التى كانوا يسمعونها فيما مضى . بل كانت موسيقى هادئة لم يسمع كلاى مثلها منذ سنوات . موسيقى ملأته بالحزن وأثارت القشعريرة عبر أنحاء جسده .

قال دانيال فى رقة : " أوه . . يا ربى . . إنها موسيقى آلبينوني" .

لكن توم عارضه قائلاً : " كلا . بل هى موسيقى باشيلبيل " .

فأمن دانيال على كلامه محرجاً : " هى بالطبع كذلك " .

" إن الأمر يبدو كما لو أن . . . " . لم تتمم دينيس عبارتها فسكتت وهى تنكس رأسها .

فسألها كلاى : " ماذا ؟ . . . قولى ما لديك . فنحن رفاقك" .

قالت : " إنه صوت الذكريات . كما لو أن هذا هو كل ما لديهم" .

فقال دانيال : " أجل . . . وأنا أعتقد أن . . . " .

قاطعه جوردان مناديا : " انظروا يا رفاق!" . كان يتطلع عبر إحدى النوافذ الصغيرة . كانت أعلى منه ، لولا أنه كان يقف على أصابع قدميه . " تعالوا وانظروا إلى هذا!" .

اصطفوا عندها ينظرون إلى المركز التجارى الواسع . كان الظلام قد بدأ يخيم . وقد انتصبت الأعمدة حوله تحمل الأعلام ومكبرات الصوت . . . كيانات سوداء وسط السماء المظلمة . خلفها هيكل لعبة الباراشوت بضوئها الخافت الوحيد . بينما ركع آلاف الهاتفيين بطريقة أشبه بالصلاة وسط أصوات موسيقى باشيلبيل التى بدت بديلا للذاكرة . سجدوا جميعا فى نفس اللحظة ، وفى سرعة أحدثت خلخلة فى الهواء أثارت زوبعة من الأكياس والعلب الفارغة تصاعدت فى الجو .

علق كلاى قائلا : " لقد حان وقت النوم لجيش المعتوهين هذا . ولو كان لنا أن نقوم بشيء ما ، فلابد أن يكون هذه الليلة بالذات " .

فسأله توم : " وما الذى يمكن أن نقوم به ؟ فكلا البابين مغلق . هذا ما تأكدت منه . وأنا واثق أن بقية الأبواب كذلك " .

فرفع دان العتلة .

إلا أن كلاى قال له : " لا أعتقد أن هذه ستفى بالغرض . قد تصلح مع هذه الماكينة ، إلا أن عليك أن تتذكر أن هذا المكان كان فى الأصل كازينو" . قالها مشيراً نحو نهاية القاعة ، التى يغطى أرضها السجاد ، واصطفت عندها ماكينات الألعاب

الترفيهية ذات الذراع الواحدة ، وطلاؤها المعدنى يبرق تحت الضوء الخافت . " أعتقد أنكم ستجدون الأبواب منيعة أمام مثل هذه العتلة " .

" وماذا عن النوافذ ؟ " ، سأله دانيال ، إلا أنه سرعان ما عرف الإجابة بنفسه بعد أن دقق النظر فيها . فقال : " ربما . جوردان " .

قال كلاى : " دعونا نأكل شيئاً . ومن بعدها نجلس لنهدئ أعصابنا قليلا . فأعصابنا مشدودة " .

سألته دينيس : " وماذا بعد ؟ "

رد كلاى : " بوسعكم يا رفاق أن تفعلوا ما يحلو لكم . وأنا عن نفسى لم أمارس الرسم منذ أن حدثت تلك النبضة ، وكم أنا مشتاق لهذا " .

علق جوردان معترضاً : " ليس معك أى ورق " .

فابتسم كلاى : " حينما لا يكون معى ورق . . . فإنى أرسم بعقلي " .

نظر جوردان إليه فى شك ، محاولاً أن يتحسس مغزى كلامه . وحينما عجز عن هذا ، قال : " لن يكون هذا مثل الرسم على الورق ، أليس كذلك ؟ "

" بل هو أفضل منه أحياناً . فبدلاً من أن أمحو ما رسمت . فإنى أكتفى بإعادة التخيل من جديد " .

قعقعة معدنية عالية وبعدها انفتح باب الماكينة . صاح دانيال جذلاً ، ورفع عتلته لأعلى . " من قال إن أساتذة الجامعة لا يجيدون القيام بعمل يدوى ؟ "

بينما صاحت دينيس فى شراهة : " انظروا . . . رف كامل من حلوى النعناع ! " .

بينما سأل توم : " كلاى ؟ " .

" هممممم ؟ " .

" لا أعتقد أنك قد رأيت بين هؤلاء ابنك ، أو زوجتك ؟ " ساندرا " ؟ "

" اسمها شارون . . . كلا . . لم أر أياً منهما " . قالها وهو يمعن النظر فى الماكينة ، ثم تساءل : " أهذه هى أصابع الشيكولاتة . . . تلك التى أراها ؟ "

٧

مضت نصف الساعة شبعوا بعدها من تلك الحلوى ، وتحولوا إلى ماكينة المشروبات . ومن ثم جربوا فتح بقية الأبواب إلا أنهم وجدوها موصدة بإحكام . جرب دانيال عتلته إلا أنها لم تفلح . رأى توم أنها وبالرغم من كونها تبدو خشبية إلا أن من المؤكد أنها مدعمة بالصلب .

فقال كلاى : " وربما كانت موصلة بأجهزة إنذار . ولو عبثنا بها فسوف نسقط فى يد شرطتهم " .

جلس أربعتهم على شكل دائرة صغيرة على سجاد الكازينو الناعم بين ماكينات اللعب . جلس كلاى على الخرسانة ، وظهره مسند إلى البابين المزدوجين ، حيث تركه الرجل وهو يومئ ساخراً ـ وكأنه يقول . . . أراك صباحاً .

كانت الأفكار تلح على كلاى أن يعود إلى تلك النظرة الساخرة ـ وحركة يده التى تحاكى سماعة الهاتف ـ إلا أنه لم يكن ليسمح لها بهذا ، بشكل مباشر على الأقل . لقد أدرك من واقع خبرته أن أنسب وسيلة للبحث هى التفكير بهدوء . لذا فقد أسند رأسه إلى الخشب المدعم بالصلب داخله ، وأغلق عينيه ، وأخذ يتخيل صفحة من صفحات القصص المصورة . لم تكن صفحة من صفحات " المغامر الغامض " ـ فلا تزال تلك السلسلة فى مكنون نفسه فقط ، ولا يعرف أحد عنها شيئاً بعد ـ

ولكنها صفحة لقصة مصورة جديدة . سيسميها " الهاتف الخلوى " ، وهو عنوان مناسب حتى الآن لهذه الملحمة التى تتحدث عن نهاية العالم ، وعن مواجهة أسراب الهاتفيين للقلة الباقية من الطبيعيين .

الشيء الوحيد الذى يحس به هو أن هناك شيئاً ما غير سليم . يبدو سليماً لو أنك لم تمعن النظر فيه . مثلما تبدو هذه الأبواب خشبية من الظاهر فقط . فلابد أن تكون مرتبات هؤلاء الهاتفيين مستنفدة ـ لابد . فكم فقد منهم فى العنف الذى تلا النبضة ؟ نصفهم ؟ وتذكر الغضب من ذلك العنف وقال لنفسه ، ربما أكثر . . ربما ستين أو سبعين فى المائة . وهناك استنزاف بسبب جروح خطيرة ، وعدوى ، وحالات قتال أخرى ، وكذلك الغباء البحت . بالإضافة بالطبع إلى قتلة أسرابهم ؛ كم قتلوا منهم ؟ وكم فر منهم ؟

خطر لكلاى أنهم سيعلمون كل هذا فى الغد ، حينما يحتشدون لمشاهدة عملية التنكيل بهم . ولكم ستفيدهم تلك المعرفة .

لا تقلق . هدئ أعصابك . حاول أن تصيغ قصتك فى حجم رواية واحدة . تلك هى القاعدة غير المكتوبة . كما يمكن تلخيص موقف الهاتفيين فى كلمتين : خسائر فادحة . هم يبدون كثرة ـ كثرة هائلة ـ ولكنهم مثل الحمام الزاجل . . . طالما بقى يحلق فى السماء فإن المرء يعتقد أنهم كثرة . إلا أنه لا أحد حينها سيدرك أن عددهم الهائل هذا فى تناقص . وأنهم سرعان ما سينقرضون .

كما أنهم يعانون الآن من مشكلة أخرى ، مشكلة فى البرمجة . تلك الدودة . فماذا عنها ؟ أى أن عمر هؤلاء قصير ، مهما بلغت قدراتهم التيليباثية .

www.rewity.com KRAYAHEENA

كل هذا يكفى لإثراء تلك الرواية المصورة . فماذا إذن عن الصورة الرئيسية فيها ؟ تلك التى ستجذب القراء إلى الرواية ؟ صورة الغلاف ؟ لا أنسب من مشهد كلاى ريدل وراى هوزينجا . وهما يقفان وسط الغابة . يصوب راى مسدس بيث نيكرسون إلى أسفل خده بينما يمسك كلاى بـ . . .

هاتف محمول بالطبع . ذلك الذى وجده راى فى محجر جرليفايل .

كلاى فى فزع : " راي . توقف! لا جدوى من هذا! ألا تتذكر ؟ فكاشواك منطقة خالية من شبكات الهاتف المحمول . . . "

لا فائدة! " كاابووم" ! هكذا سيكتبها بأحرف صفراء كبيرة على الرسم . الذى يصور فيه الرصاصة التى انطلقت من مسدس ابتاعه نيكرسون لزوجته من النوع الذى لا يستخدمه سوى المتطرفين وهى تطيح بنصف رأس راى بشكل دموى فظيع . وفى الخلفية ـ واحدة من تلك اللمسات التفصيلية والتى كانت لتصبح سببٍ شهرة كلاى فى عالم لم تحدث فيه النبضة ـ غراب يطير فزعاً من فوق غصن شجرة صنوبر .

يالها من صفحة ثرية بالتفاصيل والألوان . هكذا قال كلاى لنفسه . دموية ـ من النوع الذى كان ممنوعاً فيما مضى ـ إلا أنها تستثير انتباه القارئ . ومع إن كلاى لم يستطع أن يكمل قوله بأنه قد نسى أن يقول لراى أن الهواتف لن تعمل من بعد نقطة التحويل . . . تحويل الطبيعيين إلى هاتفيين ، كان ليقول له هذا لو تذكره وقتها . إلا أنه لم يجد الوقت الكافى لهذا . فمن المفارقات المريرة أن ينتحر راى لمجرد أن يرى الرجل الأشعث ورفاقه الهاتفيون ذلك الهاتف فى عقله . لقد أدرك كلاى أن الرجل الأشعث يعلم بأمر جهاز الهاتف والذى انتحر راى

محاولاً أن يعميهم عن وجوده . فلقد رآه الرجل فى جيب سروال كلاى . . . إلا أنه لم يلق له بالاً .

حينما كان يقف عند الباب المزدوج لقاعة كاشواكاماك . وهو يصنع بيده تلك الحركة الهاتفية . ويقول له على لسان دينيس ثانية : " لا هاتف . . أنت . . أنت " .

هذا صحيح . . لأن كاشواك تساوى . . . لا هاتف .

لقد قتل راى نفسه سدىً . . . فلماذا لا يشعر بالأسى لذلك الآن ؟

كان كلاى يعى أنه يغالب النوم كما اعتاد كلما حاول أن يرسم بمخيلته . لا بأس بهذا . لأنه شعر بنفس الشعور الذى اعتاده قبيل أن يتكامل الرسم مع القصة ـ يشعر بالسعادة . كمن ينتظر العودة إلى منزله . وقبل أن تنتهى الرحلات فى لقاء المحبين . لم يدرِ السبب فى هذا الشعور الذى انتابه . إلا أنه كان شعوراً حقيقياً .

لقد انتحر راى هوزينجا لأجل جهاز لا يعمل .

أم أنه كان أكثر من جهاز ؟ رأى كلاى بعين خياله الآن صورة أخرى . صورة " فلاش باك" . وهو ما يميزه الرسام بتلك الحواف الصدفية .

منظر مقرب ليد راى وهى تقبض على الهاتف المحمول وقصاصة ورقية مدون عليها رقم هاتف . يخفى إبهام راى أغلب الرقم ما عدا الرمز الهاتفى لماين .

راى : حينما يحين الوقت المناسب ، اتصل بهذا الرقم المدون فى هذه الورقة . ستدرك أنت بنفسك الوقت المناسب . أتمنى أن تدركه بنفسك" .

لا يمكن أن أهاتف أي أحد من هاتف محمول داخل كاشواكاماك ، راي ، هذا لأن كاشواك =لا هاتف . سيؤكد لك رئيس هارفارد هذا .

لتأكيد المعنى ، نستعين بصورة " فلاش باك" بنفس تلك الحواف . إنه الطريق ١٦٠ . فى المقدمة تلك الحافلة الصفراء الصغيرة المدون على جانبها مدرسة ماين ، الحى ٣٨ ، نيوفيلد ، وفى منتصف الرسم ، على الأسفلت ، تلك المعادلة كاشواك = لا هاتف NO-FO =KASHWAK . هاهى التفصيلات تبدو رائعة من جديد : علب الصودا الفارغة عند جانب الطريق ، قميص قطنى معلق بشجيرة ، وعلى البعد ، خيمة تتطاير على شجرة كلسان بنى طويل . فوق الحافلة مساحة لأربع بالونات . كلام للشخصيات . كان بعقله الغافى الآن يعلم أن هذا الحوار ليس ما كانوا قد قالوه من قبل بالفعل ، إلا أن هذا ليس هو المهم الآن .

قال لنفسه بأنه سيدرك الهدف من كل ذلك حينما يصل إليه .

دينيس لا تظهر سوى الكلام : " هل هذا هو المكان الذى . . . ؟ "

توم لا يظهر سوى الكلام : " حيث يقومون بعملية التحويل . يدخل الطبيعى فى الصف ، ويجرى المكالمة ، وبعدها يتحول فيصبح واحدا من الهاتفيين . . يالها من صفقة" .

دانيال لا يظهر سوى الكلام : " فلماذا هنا إذن ؟ وليس داخل أرض المعرض ؟ "

كلاى لا يظهر سوى الكلام : " ألا تتذكر ؟ كاشواك = لا هاتف Kashwak=No-Fo . إنهم يدخلونهم فى صف عند حافة نهاية التغطية الهاتفية . ومن بعدها لن تجد أية تغطية . . . لا شيء " .

صورة أخرى . صورة مقربة على الرجل الأشعث فى مجده . يبتسم بفمه المشوه ، ويوجز كل شيء بإشارة من جسده . خطرت لراى فكرة اعتمدت على إجراء مكالمة هاتفية . كانت من الكمال

لدرجة أنه قد نسى تماماً أمر عدم وجود تغطية هاتفية داخل المكان . فلربما سيكون علىّ الذهاب حتى كويبك قبل أن أستطيع أن أجد تغطية هاتفية مرة أخرى . يالسخرية القدر . ولكن أليس الأكثر سخرية من هذا هو أننى قد تناولت الهاتف منه ؟ ! !

فهل مات راى سدىً بالفعل ؟ ربما ، ولكن ها نحن ذا أمام صورة أخرى تتشكل . فى الخارج حلت موسيقى فورى محل باشيلبيل ، وتلى فورى موسيقى فيفالدى . عبر مكبرات صوت وليست أجهزة استيريو . ترتفع فى كبد السماء ، ومن خلفها ألعاب الملاهى التى لم تكتمل بعد ؛ وفى مقدمة الصورة قاعة كاشواكاماك بأعلامها والقش المتطاير . وها هى اللمسة الأخيرة . التفصيلة الإضافية التى اشتهر بها كلاى ريدل . . .

فتح عينيه بغتة وهو يعتدل جالساً . كان الباقون لا يزالون جلوسا على السجادة فى الطرف الشمالى من المكان . لم يدر كلاى كم من الوقت مر عليه وهو مستند إلى الباب ، إلا أنه كان يشعر بخدر فى مقعدته .

حاول أن ينادى عليهم ، إلا أنه لم يجد صوتاً يخرج من فمه . فقد كان فمه جافاً . وقلبه يخفق فى شدة من فرط الحماس . فتنحنح وعاد يصيح : " يا رفاق ! " ، وحينها التفتوا إليه . كان فى صوته شيء ما جعل جوردان يقف فى سرعة ولهفة ، وتلاه توم .

سار كلاى نحوهم بساقين ـ لم يشعر بأنهما تخصانه ـ كانتا مخدرتين . أخرج الهاتف المحمول من جيبه وهو يقترب منهم . ذلك الذى مات راى لأجله لأنه وفى ظل فرحته بفكرته نسى أهم حقيقة تتعلق بهذا المكان : فهنا وفى معرض المقاطعات الشمالية . . . يفقد مثل هذا الجهاز أية قيمة .

٨

تساءل دانيال : " وما هى فائدته إن كان لن يعمل ؟ " . كانت حماسة كلاى الظاهرة قد انتقلت إليه ، ولكنها سرعان ما تبخرت حينما عرف أن هذا الذى كان فى يد كلاى لم يكن الأداة التى ستخرج بهم من هذا السجن الكبير ، بل مجرد هاتف محمول لعين . جهاز متسخ من طراز موتورولا ذو غلاف مشروخ . بينما نظر الباقون إليه بمزيج من الخوف والفضول .

إلا أن حماس كلاى لم يكن ليفتر ، صاح فيهم : " هلا صبرتم على ؟ "

قال دانيال : " بالطبع . . . فلدينا الليل بطوله" . خلع عنه نظارته وبدأ يمسح عدستها ، وهو يضيف : " علىَ أن أصلح من حالها نوع ما" .

رد كلاى : " أنتم توقفتم عند استراحة نيو فيلد لتناول الطعام والشراب . . . حيث وجدتم الحافلة الصفراء الصغيرة " .

علقت دينيس : " يبدو لى هذا الآن وكأنه مر منذ آلاف السنين" . قالتها وأطلقت زفرة ضيق قوية تطايرت لها خصلة شعرها من فوق جبهتها .

واصل كلاى كلامه قائلاً : " وجد راى الحافلة . . . ومقاعدها الاثنى عشر . . . " .

صحح دانيال قائلاً : " بل هم ستة عشر مقعداً . هذا مكتوب على ذلك الملصق فوق زجاجها . . . لابد أن بهذه المدارس هنا الكثير من الطلبة " .

" ستة عشر مقعداً ، مع وجود مساحة خلف صف المقاعد الخلفى لوضع الحقائب ، أو ما يصلح لحمل متاع خفيف للرحلات . ثم تحركتم بها . وأنا أراهنكم أن من اقترح عليكم أن

تتوقفوا عندما وصلتم إلى منطقة محجر جرليفايل هو راى ولا أحد غيره "

فقال توم : " بالفعل ، لقد كان هو . لقد رأى أن بوسعنا تناول وجبة ساخنة ، وأن ننعم بقسط من الراحة . ولكن كيف خمنت هذا ، كلاى ؟ "

" لقد علمت هذا ، لأننى قمت برسم ما حدث فى مخيلتي " ، كان هذا قريباً جداً من الحقيقة ـ فقد كان يرى المنظر أمامه الآن وهو يتحدث إليهم . " دانيال ، لقد نجحت أنت ودينيس وراى فى أن تقضوا على سربين من مجانين الهاتف عن بكرة أبيهما . حرقتم أول سرب بالجازولين ، أما مع الثانى فقد استخدمتم الديناميت . وكان راى يجيد استخدامه لسابق عمله فى رصف الطرق السريعة " .

عندها صاح توم وقد فطن إلى ما يرمى كلاى إليه : " تبا . . . لقد وجد الديناميت فى ذلك المنجم ، أليس كذلك ؟ بالفعل ، فى أثناء نومنا . وكان بوسعه أن . . . لقد كنا فى سبات عميق " .

فقالت دينيس : " أجل ، فلقد كان راى هو من أيقظنا " .

تابع كلاى : " لا أعلم إن كان ديناميتاً أو نوعاً غيره من المتفجرات ، إلا أننى متيقن من أنه قد حول تلك الحافلة الصفراء إلى قنبلة متحركة مستغلا نومكم " .

صاح جوردان : " بالخلف . . . فى الجزء المخصص للمتاع " .

أومأ كلاى برأسه يوافقه .

رفع جوردان قبضتيه فى حماس وهو يسأله : " ما هو حجم تلك المتفجرات فى رأيك ؟ "

" لن نعلم حجمها إلا إذا انفجرت بالطبع" .

صاح فيهما توم : " امنحانى الفرصة حتى أتأكد من أننى أفهم ما ترميان إليه" . كانت موسيقى " موتزارت " هى التى

تصدح بالخارج الآن ـ موسيقى الليلة القصيرة . من المؤكد أن هؤلاء الهاتفيين قد تطوروا بالفعل . " لقد زرع قنبلة فى مؤخرة الحافلة . . . وبطريقة ما حول هذا الهاتف إلى أداة تفجير ؟ "

أمن كلاى على ما فهمه قائلاً : " هذا ما أعتقده . وأنا أعتقد أيضاً أنه قد وجد هاتفين داخل مكتب المحجر . فقد كان هناك بالتأكيد الكثير من تلك النوعية المصممة لاستخدام أطقم العمل ـ وقد صارت رخيصة الثمن هذه الأيام . فقام بتركيب واحد بالمتفجرات . بأسلوب قريب من أساليب المقاتلين فى الحروب التى يستخدمونها فى زرع قنابلهم " .

سألت دينيس فى دهشة : " هل قام بكل هذا فى أثناء نومنا ؟ ولم يخبرنا بشيء عنه ؟ "

" لقد عمد إلى هذا حتى لا تفكر فيه عقولكم " .

فقال دانيال : " وانتحر حتى لا يفكر هو فيه " . ثم ندت عنه ضحكة مريرة وهو يضيف : " تبا له من بطل ! لكن الشيء الوحيد الذى نسيه هو أن الهواتف المحمولة لا تعمل فى هذا المكان ، وبعد نقطة التحويل! " .

ابتسم كلاى بدوره وهو يقول : " بالفعل . ولهذا تركنى الرجل الأشعث أحتفظ بالهاتف . لم يكن ليعلم سبب احتفاظى به ـ فأنا أشك فى كونهم يفكرون إلى هذا الحد ـ على أن . . . " .

قاطعه جوردان قائلا : " لا . إنهم لا يفكرون مثلنا . ولن يصلوا إلى هذا المستوى أبدًا " .

" . . . إن الرجل الأشعث لن يهتم بوجود الهاتف معى ؛ لأنه يعلم بالفعل أن الأمر لن ينجح . بل إن هذا الهاتف لا يصلح الآن حتى لتحويلى إلى هاتفي . فكاشواك تعنى لا هاتف . لا هاتف " .

سألته دينيس : " فلِمَ الابتسامة إذن ؟ " .

" لأننى أعلم شيئاً لا يعلمه هو ، شيئاً لا يعلمونه " . ثم التفت إلى جوردان سائلا : " هل تجيد القيادة ؟ "

اندهش جوردان للحظة ، إلا أنه سرعان ما أجاب : " أنسيت أننى مازلت فى الثانية عشرة ؟ "

" ألم تقد أبداً ولو عربة صغيرة ؟ "

" بالطبع . . . كان هناك ممر ترابى فى ذلك المكان خارج ناشوا ، وقد قدت عربة لمرة أو مرتـ . . . " .

" هذا يكفينى . فأنت لن تقودها لمسافة طويلة . هذا بافتراض أنهم قد تركوا الحافلة عند لعبة الباراشوت . وأراهن على أنهم قد تركوها فى مكانها . فهم يجهلون القيادة بنفس جهلهم للتفكير " .

فقال توم : " هل فقدت عقلك ، كلاى ؟ "

إلا أن كلاى أجابه فى هدوء : " كلا . بوسعهم أن يعقدوا مهرجان الإعدام بذلك الاستاد فى الغد ، إلا أننا لن نكون جزءا من برنامج ذلك المهرجان . بل سنهرب من هنا " .

٩

كانت النوافذ الصغيرة سميكة ، إلا أن عتلة دان كانت كافية لتهشيمها . وقد تناوب عليها هو وتوم وكلاي ، إلى أن أزاحوا الشظايا تماما . وبعدها تناولت دينيس السترة التى كانت ترتديها ، ووضعتها على الإفريز السفلى للنافذة .

سأل توم : " هل أنت واثق من قدرتك على هذا ، جوردان ؟ "

أومأ جوردان برأسه بإيجاب . كان خائفاً ـ فقد بدا وجهه شاحبا ـ إلا أنه أظهر رباطة جأش يحسد عليها . كانت الموسيقى

www.rewity.com ARAYAHEENA

بالخارج قد عادت إلى معزوفة باشيلبيل من جديد ـ التى وصفتها دينيس بموسيقى الذكريات .

قال جوردان : " أنا على ما يرام . سوف أكون بخير . أعتقد هذا . عندما أقوم بالخطوة الأولى " .

قال كلاى : " لو أنك متردد فقد يتمكن توم من إخراج جسده عبر هذه النافذة . . . " .

كان توم يقف خلف جوردان . ينظر إلى النافذة الصغيرة . والتى لا يزيد عرضها على ثمانى عشرة بوصة . فهز رأسه بما يعنى أن عبوره منها مستحيل .

فقال جوردان : " سأنجح فى المهمة " .

" حسنا . أخبرنى بما ستقوم به من جديد " .

" أن أراوغ حتى أصل إلى الحافلة . وأنظر فى الجزء الخلفى منها . وأتأكد من أن هناك متفجرات بالفعل . ولكننى لن ألمس أيا منها . وأن أبحث أيضاً عن الهاتف المحمول الثاني " .

" هذا صحيح . وتأكد من أن الهاتف يعمل . ولو كان لا يعمل . . . "

قاطعه جوردان بحذق : " أعلم هذا . سأقوم بتشغيله . وبعدها أدير المحرك . . . " .

" كلا . لا تتعجل و . . . " .

" سأقوم قبلها بجذب مقعد القيادة للأمام حتى أستطيع الوصول بقدمى إلى الدواسات . ثم أدير المحرك" .

" صحيح"

" بعدها سأقوم بالقيادة بين لعبة الباراشوت وبيت المرح . ببطء شديد . قد أمر فوق بعض قطع بيت المرح وقد تتهشم أسفل الإطارات إلا أننى لن أسمح لهذا بأن يوقفني" .

" صحيح " .

" وأن أقترب منهم قدر الإمكان " .

" أجل . هذا صحيح . ثم أعود أدراجى من جديد إلى هذه النافذة . بحيث تفصل القاعة بينكم وبين الانفجار" .

فقال دانيال : " ما نأمل فيه هو أن يحدث الانفجار" .

رأى كلاى أن دانيال لو كان قد التزم الصمت لكان أفضل له . إلا أنه لم يعلق . فمال على الصبى يقبله على وجنته . وقال : " تعلم أننى أحبك" .

فاحتضنه جوردان بقوة . وبشدة . ثم احتضن توم . ثم دينيس .

مد دانيال يده إليه وهو يقول : " أوه . . . تبا لك أيها الصبي" . ثم جذب الصبى إلى حضنه فى قوة . عندها أحس كلاى ـ الذى لم يكن يميل كثيراً إلى دانيال هارتويك ـ بإعجاب به .

١٠

شبك كلاى أصابع يديه حتى يرتقى جوردان بقدمه عليها . " تذكر أن عليك أن تلقى بجسدك كالغطاس . إلا أنك ستسقط فى القش بدلاً من الماء . أى اقفز ويداك لأعلى متباعدتان " .

مد جوردان يديه أعلى رأسه . من خلال النافذة المهشمة لتخرج نحو الليل . ازداد وجهه أسفل شعره الكث شحوباً . لقد كان خائفاً وهو الأمر الذى لا يمكن لكلاى أن يلومه عليه . كان الارتفاع يفوق عشر أقدام . ومن المفترض أن السقوط سيكون عنيفاً . حتى مع وجود القش . فتمنى كلاى أن يتذكر جوردان أن يباعد بين يديه . ويخفض رأسه أثناء قفزه ؛ فلن يفيدهم لو أنه سقط أسفل جدار قاعة كاشواكاماك مكسور العنق .

سأله : " هل تريدنى أن أعد لك حتى ثلاثة . جوردان ؟ " .

" كلا ! إننى متعجل لأن أقفز قبل أن أبول على نفسي ! " .

صاح فيه كلاى : " باعد بين يديك إذن ، هيا ! " . دفع يديه المتشابكتين لأعلى . وسرعان ما مرق جوردان من النافذة واختفى عن أنظارهم . لم يسمع كلاى صوت سقوطه ؛ فقد كانت الموسيقى بالخارج صاخبة .

احتشد الباقون أسفل النافذة ، التى كانت فوق رؤوسهم مباشرة . صاح توم : " جوردان ؟ . . . هل تسمعنى ؟ "

لم يأت جواب للحظات ، حتى أن كلاى اعتقد أنه قد كسر عنقه بالفعل . إلا أنهم سرعان ما سمعوا صوته المضطرب يصيح : " أنا هنا . . . أوه . . . هذا مؤلم . لقد تحرك مرفقى الأيسر من مكانه فيما يبدو . شكل ذراعى غريب . انتظروا لحظة . . . " .

لم يسعهم سوى انتظار ما سيقول . بينما ضغطت دينيس بيدها على يد كلاى بقوة .

إلى أن صاح جوردان متهكماً : " إنها تتحرك . لا بأس بها . . . إلا أن علىَ فيما بعد أن أستشير طبيبة المدرسة " .

وجدوا أنفسهم يضحكون جميعاً وبشدة .

كان توم قد ربط مفتاح محرك الحافلة بخيطين من قميصه ، وربط الخيط فى حزام سرواله . عاد كلاى الآن إلى تشبيك أصابع يديه فصعد توم بقدمه عليها . " سوف أنزل لك المفتاح ، جوردان . هل أنت جاهز ؟ "

" أجل " .

تمسك توم بحافة النافذة ، ونظر لأسفل ، ثم أنزل له حزامه . قال : " حسناً . . هاك ذا . والآن اسمعنى . كل ما نطلبه منك هو أن تنجز المهمة طالما وجدت نفسك قادراً عليها . وإن لم تستطع لا تخش شيئاً . هل فهمت ؟ " .

" بلى " .

" هيا انطلق إذن يا فتي" . راقبه للحظات قبل أن يقول لهم : " إنه فى طريقه الآن . ليعنه الرب ، فياله من صبى شجاع . هيا أنزلني" .

١١

ركض جوردان بمحاذاة المبنى بعيداً عن السرب الجاثم على الأرض . وفى تلك الأثناء سارع كلاى وتوم ودينيس ودانيال نحو جانب المنتصف . قام الثلاثة بقلب ماكينة المقرمشات المحطمة على جانبها ، وأخذوا يدفعونها نحو الجدار . بوسع كلاى ودانيال أن يريا وبسهولة ما هو بالخارج عبر النافذة إن وقفا فوق الماكينة ، وكذلك توم لو أنه وقف عليها وعلى أطراف أصابعه كذلك . وأضاف كلاى صندوقاً فوقها حتى تتمكن دينيس بدورها من النظر ، متمنية ألا تسقط من فوقها على الأرض .

رأوا جوردان يجتاز نحو حافة البقعة التى ينام فيها الحشد ، ويقف هناك للحظات وكأنما يفكر فى أمر ما ثم يتجه يساراً . ظن كلاى أنه لا يزال يراه رغم أن عقله يؤكد له أنه قد غاب عن الأنظار وهو يركض بمحاذاة حشد الهاتفيين .

سأله توم : " كم من الوقت سيستغرقه فى رأيك قبل أن يتمكن من العودة إلى هنا ؟ "

هز كلاى رأسه فى حيرة . فالأمر يعتمد على عدة متغيرات ـ وليس حجم هذا الحشد سوى واحد منها .

سألته دينيس بدورها : " ماذا لو أنهم كانوا قد نظروا إلى ما فى مؤخرة الحافلة ؟ "

فبادره دانيال بسؤاله : " وماذا لو أن جوردان نظر فى مؤخرة الحافلة ولم يجد شيئاً ؟ " . فتمالك كلاى أعصابه حتى

لا يصيح فيهم أن يصمتوا . وأن يحتفظوا بمخاوفهم هذه لأنفسهم .

مر الوقت . ببطء شديد . ومض الضوء الأحمر المتهافت من فوق لعبة الباراشوت . وتوالت المقطوعات الموسيقية على آذانهم . وجد كلاى نفسه يتذكر ذلك الصبى النائم الذى سقط عن عربة التسوق بعد أن تحطمت . وكيف أن الرجل الذى يرافقه - والذى ربما لم يكن أباه - قد جلس إلى جواره على الطريق وهو يقول له : جريجورى قَبِّله وطَيِّبه . وتذكر الرجل الذى كان يحمل الحقيبة الضخمة على ظهره ويستمع لمقطوعة " مشية الفيل الصغير" فيقول معلقا . . لابد أن دودج قد أمضى وقتا ممتعا أيضا . وكيف أن - داخل خيام البينجو وقت أن كان طفلا - الرجل الذى يتحدث عبر مكبر الصوت يغير من صوته فى عجب قائلا . . . إنه فيتامين بريق الشمس! وحينها اعتاد أن يجذب علبة أقراص فيتامين ب ١٢ وهى تتراقص بداخله ككرات البينج بونج . بالرغم من أن الفيتامين الذى كان يقصده الرجل هو فيتامين د .

ازداد تباطؤ الزمن ، وبدأ كلاى يفقد الأمل . فلو كانوا يسمعون صوت محرك الحافلة ، لكان من المفترض أن يسمعوه الآن .

فقال توم بصوت خفيض : " لم يفلح الأمر لسبب أو لآخر" .

إلا أن كلاى قال بإصرار : " ربما ليس الأمر كذلك" . كان يحاول ألا تفضح نبرة صوته ما يعتمل بداخله من اضطراب .

فقالت دينيس : " كلا ، بل إن توم على حق" . كانت على وشك البكاء وهى تضيف بنبرة متهدجة : " لقد أحببته بجنون ، ولقد كان شجاعا إلى أبعد الحدود ، ولكن لو كان مقدرا له أن يعود ، لكان قد عاد الآن " .

أما دانيال فقد أدهشهم بتفاؤله : " نحن لا ندرى بما قد يكون صادفه . كل ما عليكم هو التحلى بالصبر ونفض تلك الخيالات " .

حاول كلاى هذا ولكنه فشل . وصارت الثوانى تقطر بصعوبة الآن . بينما تصدح موسيقى شوبار إيف ماريا بالخارج . فقال لنفسه : " إننى مستعد لأن أبيع روحى لسماع موسيقى الروك آند رول . . . تلك التى أحبها " .

لم يكن بالخارج من شيء سوى الظلام . والنجوم . ووميض ذلك الضوء الأحمر اليتيم .

قال توم وهو يتقافز فوق الماكينة : " عليكم أن تساعدونى على أن أعبر من خلال هذه النافذة . . . حتى أذهب وآتى به" .

صاح فيه كلاى : " توم ، لو كنت مخطئا بخصوص وجود متفجرات فى مؤخرة الحافلة فـ . . . " .

" لتذهب مؤخرة الحافلة والمتفجرات إلى الجحيم ! . . . كل ما أريده هو أن أعثر على جو . . " .

قاطعهما صياح دانيال الجذل : " ها هو ! . . . ها هو ! . . . الآن يا فتى ! " لكم الجدار بقبضته فى فرح .

فالتفت كلاى ليرى مصابيح الحافلة تبرق وسط الظلام . كان الضباب قد بدأ يجثم فوق أجسادهم الراقدة فوق تلك البقعة من المركز التجاري . فبدت أضواء الحافلة وكأنها تبرق وسط الضباب . كانت الأضواء تتراوح بين الدرجة العالية والدرجة المنخفضة . واستطاع كلاى أن يرى جوردان بوضوح شديد . وهو يجلس على مقعد القيادة بالحافلة ويحاول أن يتبين أى مفاتيح يستخدمها .

بدأ الضوء يتقدم الآن ضوء قوى .

تهلل وجه دينيس وهى تصيح : " هيا يا عزيزى . أنجز مهمتك يا عزيزي" . كانت تقف على صندوقها . وهى تمسك بيد دانيال وبيد كلاى . " هيا يا جميل . تابع مسيرتك " .

انحرفت أضواء الحافلة عنهم الآن ببطء . لتنير الأشجار بعيداً نحو اليسار من الحيز المفتوح . وما يغطيها من هاتفيين .

تساءل توم بنبرة بدت كالنحيب : " ما الذى يفعله ؟ "

فقال كلاى : " إنه يسير بها بمحاذاة بيت المرح . . . لا بأس . . . تردد قبل أن يضيف : " أعتقد أن لا بأس بهذا " . هذا لو أن قدمه لم تنزلق أو تخلط بين المكابح ودواسة السرعة . أو أن يدخل بالحافلة فى جانب بيت المرح اللعين .

انتظروا . وبعد قليل عاودت الأضواء الظهور . وهى تسقط على جانب قاعة كاشواكاماك السفلى . وفى وهج تلك الأضواء القوية رأى كلاى السبب الذى أخر جوردان كل هذا الوقت . فلم يكن كل الهاتفيين نائمين . فقد كان هناك العشرات - لابد أنهم ممن تلقوا برمجة فاسدة - منهم واقفين ويتحركون . كانوا يتحركون هائمين على وجوههم فى كل الجهات . ظلالاً سوداء تتحرك كموجات تتسع فوق سطح الماء . وهى تجاهد كى تجد طريقاً لها فوق أجساد النائمين . فتتعثر . وتسقط . وتنهض لتسير من جديد بينما لا تزال موسيقى شوبار تصدح . وصل واحد منهم - شاب ذو جرح بليغ يشغل منتصف جبهته وكأنه حاجز بارز - إلى القاعة وتحسس طريقه بمحاذاة جانبها وكأنه أعمى .

تمتم كلاى والحافلة تقترب من حوامل مكبرات الصوت على الجانب البعيد من المنطقة المفتوحة . " أوقفها الآن وتعال إلى هنا بأقصى سرعة" .

وكما لو أن جوردان قد سمعه . فقد توقفت الحافلة . ولم يبق من شيء يتحرك سوى تلك الأشباح القلقة للهاتفيين

المتيقظين والضباب المتصاعد فوق أجساد الآخرين . إلا أنهم سمعوا صوت المحرك يضطرب من جديد - وعلا صوته حتى على صوت الموسيقى ذاتها - ووجدوها تندفع بأضوائها إلى الأمام بغتة . فصرخ توم : " كلا . جوردان . ما الذى تفعله ؟ "

بينما اهتز جسد دينيس وكادت تسقط عن الصندوق لولا أن أحاط توم بخصرها .

قفزت الحافلة نحو السرب النائم . إنها تكاد تقفز فوق السرب النائم . بدأت الأضواء تعلو وتهبط . وهى مسلطة الآن نحوهم . . . تعلو وتهبط . تباطأت الحافلة نحو اليسار . حتى استطاعت أن تعود إلى مسارها . ثم تباطأت نحو اليمين . سلطت أضواء الحافلة للحظة على أحد الهاتفيين النائمين فبدا وكأنه قالب أسود وسط وهجها . شاهد كلاى يد الهاتفى ترتفع . كما لو أنها يد حكم تشير بصحة هدف تم تسجيله للتو . ولكن سرعان ما صارت ذراعه تحت الحافلة .

قاد جوردان الحافلة حتى صارت وسطهم . وأضواؤها تتوهج . استطاع كلاى وهو يحمى عينيه من شدة سطوع تلك الأضواء أن يرى شبح شخص يتحرك . يميزه عن الباقين ما بدا عليه من خفة الحركة والتصميم . وهو يخرج من الباب الجانبى للحافلة ويسرع نحو قاعة كاشواكاماك . عندها سقط جوردان وظن كلاى أنه قد فقده لا محالة . ولكن سرعان ما سمع دانيال يصيح : " ها هو ذا . . . ها هو ! " . فرآه كلاى مجددًا . وقد صار أقرب بعشر ياردات نحو اليسار . فلابد أن جوردان قد زحف لمسافة ما فوق الأجساد النائمة قبل أن ينجح فى الوقوف على قدميه من جديد .

عندما عاد جوردان ليصير فى مرمى مخروط الضوء الخافت لكشافات الحافلة العلوية . صاروا يرونه بوضوح لأول مرة . لم يروا وجهه . لأن الضوء ساقط من خلفه . إلا أنهم عرفوه من

ركضه المجنون فوق أجساد الهاتفيين . كان هؤلاء النائمون أشبه بالأموات . أما المتيقظون منهم والبعيدون عن جوردان فلم يعيروه انتباهاً . على أن القريبين منه حاولوا أن يقبضوا على ذراعه . لكن جوردان دفع عنه اثنين منهما . ولكن الثالثة ـ وهى امرأة ـ أمسكت به من شعره الكثيف .

صاح كلاى بصوت كالزئير : " دعيه وشأنه ! " . لم يكن يراها . إلا أنه كان متيقناً من أنها هى نفسها تلك المرأة التى كانت زوجته . " دعيه وشأنه ! " .

لم تفلته . إلا أن جوردان نجح فى أن يقبض على معصمها . وأن يلويه . ثم مال على ركبته . وراغ منها . حاولت المرأة أن تقبض عليه من جديد . إلا أنها لم تستطع الإمساك بظهر قميصه . ومن ثم عادت تهيم على وجهها من جديد فى اتجاهها .

رأى كلاى بعض الهاتفيين وقد تجمعوا حول الحافلة . بدوا منجذبين نحو أضوائها .

تقافز كلاى فوق الماكينة وهذه المرة كان دانيال هو من أنقذ دينيس من السقوط وأحكم قبضته على العتلة . ثم قفز لأعلى ليهشم النافذة التى كان ينظر من خلالها .

صرخ مناديًا : " جوردان ! . . . اركض بعيداً عنهم! بعيداً عنهم ! " .

نظر جوردان نحو صوت كلاى ؛ ولكنه تعثر فى شيء ما ـ قد تكون ساقاً أو ذراعاً أو ربما رقبة . وبينما كان يعاود النهوض . امتدت يد وسط الظلام لتقبض على عنق الصبى .

فهمس توم فى لوعة : " لا يا ربى أرجوك " .

اندفع جوردان بكل ما فيه من قوة إلى الأمام . وهو يركل بقدميه حتى أفلت من قبضة اليد . فاندفع جسده ساقطا إلى الأمام . يمكن لكلاى أن يرى عينيه المتسعتين بل وخفقان

صدره . وحينما صار أقرب إلى القاعة . أمكن لكلاى أن يسمع لهاث ونحيب جوردان .

خيل إليه للحظات أن الصبى لن ينجح . . . رغم أنه صار قاب قوسين أو أدنى .

إلا أن جوردان قد نجح . ولم يبد الهاتفيان اللذان يتحسسان طريقهما إلى جوار جدار القاعة أى اهتمام بالصبى وهو يمر جوارهما لاهثا . ويدور حول الجانب البعيد . هبط أربعتهم من فوق سطح الماكينة فى سرعة وفى آن واحد . وسارعوا عبر القاعة وكأنهم فريق تتابع . تسبقهم دينيس وحملها .

صاحت وهى تتقافز فى بهجة حقيقية : " جوردان ! . . . جوردان . . . جوردى . . . هل تسمعنى ؟ . . . أخبرنا أنك موجود بحق السماء ! " .

ظهر أمامهم وهو يلهث : " أنا . . . هنا " . كان يلهث فى قوة . كان توم يضحك وهو يربت ظهر كلاى فى فرح : " لابد أن الركض فوق هؤلاء . . . كانت تجربة . . . صعبة جداً " .

صاح فيه كلاى : " ما هذا الذى فعلته ؟ " . كان يتعذب لكونه عاجزاً عن الإمساك بالصبي . وأن يحتضنه . ويهدئ من روعه . ثم يقبل وجهه الشجاع إلى حد التهور . إنه يتعذب لأنه عاجز حتى عن رؤيته . " لقد قلت لك بأن تقترب منهم . لا أن تقود الحافلة فوقهم ! " .

رد الصبى وسط لهاثه ونحيبه : " لقد فعلتها . . . لأجل الرئيس" . كان التصميم ظاهراً من بين كلماته اللاهثة . " لقد قتلوا الرئيس . هم والرجل الأشعث . هم ورئيسهم المعتوه . كنت أريد أن يدفعوا الثمن . أريده أن يدفع الثمن " .

فسألته دينيس : " وما الذى عطلك كل هذا الوقت ؟ لقد انتظرناك طويلا ! " .

www.rewity.com ARAYAHEENA

" لقد وجدت العشرات منهم متيقظين يجولون المنطقة . بل المئات . أنا أرى أن هناك سرعة فى حدوث التغير الذى قد يكون قد حل بهم . إنهم هائمون على وجوههم . وكان علىّ أن أغير من مسارى على الدوام . ولم أصل إلى الحافلة إلا من منتصف ذلك الطريق . ثم . . . " . كان يضحك بأنفاس متقطعة . " لم يدر المحرك! هل تصدقون هذا ؟ لقد أدرت مفتاح المحرك عدة مرات وفشلت . انتابنى الفزع . إلا أننى لم أكن لأسمح له بأن يتملكنى . فهذا كان ليخيب ظن الرئيس فىّ " .

صاح توم متعاطفاً : " أوه . . . جوردى " .

" أتدرون ما سبب عدم دوران المحرك ؟ إننى قد نسيت أن أربط حزام الأمان . إن الحافلة مصممة بحيث لا يدور المحرك إلا حينما يربط السائق حزام الأمان . على كل . فأنا آسف لأننى قد استغرقت كل هذا الوقت . ولكن ها أنذا فى نهاية المطاف " .

سأله دانيال : " هل لنا أن نفترض الآن أن مقصورة الحقائب لم تكن خاوية ؟ "

" بالفعل . إنها مليئة بما يشبه القراميد الحمراء . الكثير والكثير منها " . كان جوردان قد بدأ يستعيد هدوءه الآن . " إنها أسفل غطاء . وهناك هاتف محمول فوقها . وقد وصله راى بزوج من تلك القراميد برباط مطاطى . والهاتف يعمل ، وهو من النوع المزود بالعديد من الخواص التقنية . ويمتد سلك الطاقة بين القراميد . وأنا أعتقد أن المفجر فى وسطها . رغم أننى لم أره " . التقط نفساً عميقاً قبل أن يضيف : " ووجدته يلتقط إشارة الشبكة " .

أومأ كلاى برأسه . لقد كان على صواب إذن فيما ذهب إليه تفكيره فى بداية هذه الليلة . فمن المفترض أن كاشواكاماك منطقة من دون تغطية هاتفية عندما تجتاز الطريق المفضى إلى أرض المعرض هذه . ولقد منع الهاتفيون هذه المعلومة عن عقول

بعض الطبيعيين واستغلوها . فانتشرت تلك المعادلة بين الطبيعيين كالجدرى . ولكن هل جرب أى من الهاتفيين إجراء أية مكالمة هاتفية من أرض المعرض ؟ بالطبع لا . وما الذى منعهم ؟ السبب ببساطة هو أنك حينما تتمتع بقدرات تيليباثية فإنك لن تكون بحاجة إلى أى هاتف . وحينما تكون فردا فى سرب ـ جزءا من كل ـ فعندها يتضاعف هذا الاستغناء عنه . هذا إن كان للصفر أن يتضاعف .

إلا أن الهواتف المحمولة تستقبل بالفعل التغطية فى هذه المنطقة الصغيرة . والسبب ؟ هذا لأنه قد كان يعمل بالمكان متعهدون لتوفير الأطعمة والمشروبات يعملون لحساب مؤسسة نيو إنجلاند أميوزمينت . وهم فى عملهم يعتمدون على الهواتف المحمولة . وخاصة فى مثل هذه البقاع المعزولة . والتى يندر فيها الخط الأرضى . فماذا لو لم تكن هناك أبراج لاستقبال بث إشارة المحمول ؟ سيلجأون حينها إلى أى برنامج كمبيوتر يوفر لهم مثل هذه الإشارة على المستوى المحدود . ورغم أن هذا غير قانونى ، إلا أنه وبعد ما تأكد جوردان من ذلك قد أثبت فعاليته . ولقد قاموا بتنصيب هوائى الإشارة فى أعلى نقطة بأرض المعرض .

لقد نصبوه فوق قمة لعبة الباراشوت .

١٢

قطع دانيال القاعة متجهاً نحو الماكينة ، وصعد إليها لينظر . قال لهم : " إنهم يزدادون التفافا حول الحافلة . وأربعة منهم يقفون أمام مصابيحها . وكأنهم جمهور من المراهقين يلتف حول سيارة أحد نجوم الغناء " . ثم التفت إلى كلاى وهو يشير برأسه نحو الهاتف المحمول الذى يحمله فى يده . " لو قررت القيام

بهذا ، فإنى أقترح عليك أن تقوم به الآن . قبل أن يقرر أحدهم أن يستقل الحافلة فيقودها صدفة إلى مكان بعيد" .

قال جوردان : " كان علىّ أن أغلق المحرك . إلا أننى اعتقدت أن المصابيح ستنطفئ لو فعلت . وكنت أريدهم أن يروا ما سيحل بهم " .

قال كلاى : " لا بأس . لم يحدث شيء . وسوف أقوم الآن . . . " . حينها اكتشف آخر ما كان يمكن أن يخطر بباله . فقد وجد جيب قميصه خاوياً . . . ولا أثر لقصاصة الورق التى تحمل رقم الهاتف الآخر .

١٣

كان كلاى وتوم يبحثان عنها على الأرض ـ يبحثان عنها فى لهفة وفزع ـ بينما يخبرهما دانيال بصوت محايد مستفز أن أحد الهاتفيين قد نجح صدفة فى الصعود إلى الحافلة . فصاحت فيه دينيس أن يصمت . لم تكن مجرد صيحة ، بل صرخة .

توقفوا كلهم عما كانوا يفعلونه ونظروا إليها . كان قلب كلاى يرتجف . لم يكن ليصدق مدى الاستهتار الذى تعامل به مع تلك الورقة . لقد مات راى لأجل تحقيق هذا ، أيها الوغد الغبي! مات لأجله بينما خسرت أنت!

أغلقت دينيس عينيها ووضعت يديها فوق رأسها المحنى . ثم أخذت تغنى بغتة وبصوت متسارع : " تونى . . . تونى . . . تعال تعال . . . شيء ضاع لم نجده " .

سألها دانيال مشدوها : " ما هذا بحق الجحيم ؟ "

قالت فى هدوء : " إنه نشيد أردده . . . تعلمته بمدرسة روحانية . . . ودوما ما تفلح "

صاح توم بخيبة أمل : " ياللخزعبلات " .

تجاهلته . وهى تركز كامل انتباهها على كلاى : " ليست على الأرض . أليس كذلك ؟ "

" لا أعتقد هذا . . . كلا " .

عاد دانيال ليلقى بتقريره عما يحدث فى الخارج : " صعد اثنان آخران إلى الحافلة . وهما يجربان أزرار الإشارات فيما يبدو . فلابد أن أحدهما يجلس الآن على مقعد . . . " .

قالت له دينيس : " هلا سكت يا دانيال " . كانت لا تزال تنظر إلى كلاى . ولا تزال هادئة . " لو كنت قد فقدتها فى الحافلة أو فى الخارج فإن كل أمل يكون قد ضاع . أليس كذلك ؟ "

قال بخيبة أمل : " أجل " .

" ونحن نعلم أنه ليس فى أحد هذين المكانين " .

" وما هو سبب هذا اليقين ؟ "

" لأن الله لم يكن ليسمح بحدوث موقف كهذا " .

فقال توم بصوت هادئ غريب : " إننى أعتقد أن . . . أن رأسى يكاد ينفجر " . تجاهلته من جديد وهى تسأل كلاى : " أى من جيوبك هذه لم تبحث فيه بعد ؟ "

" لقد فحصت كل . . . " . توقف كلاى عن الرد بغتة . ومن دون أن يرفع عينيه عن عينى دينيس . قام بالبحث فى داخل جيب سرواله الصغير على جانب سرواله الواسع . وخرجت أصابعه بالورقة أخيراً . وعليها وبخط يد رجل انتحر لأجل هذه المهمة رقم الهاتف الآخر . . . ٢٠٧-٩١٩-٩٨١١ .

قال : " أشكرك يا إلهى "

فقالت هى : " لو نجحت مهمتنا هذه . . . سأصلى لله ليل نهار " .

قال توم : " دينيس ؟ "

فالتفتت إليه متسائلة عما يريد .

" اشكريه نيابةً عنى هناك " .

١٤

جلس أربعتهم مستندين إلى البابين المزدوجين ، حتى يحتموا بهما . أما جوردان فقد جثم مختبئاً عند مؤخرة المبنى ، أسفل النافذة المهشمة التى كان قد خرج من خلالها .

سأل توم : " ما الذى سنفعله لو أن الانفجار لم يخلف أية فجوة فى جانب هذا المبنى ؟ "

فقال كلاى : " عندها سنفكر فى خطة بديلة " .

فسأله دانيال : " ولو لم يحدث الانفجار من الأصل ؟ "

فردت دينيس : " وما الذى تعتقد أننا سنفعله حينها ؟ . . . هيا يا كلاى . . . لماذا كل هذا الانتظار " .

فتح الهاتف ، وانتظر حتى ظهرت البيانات على شاشته . وعندها أدرك أنه قد كان من الواجب أن يتأكد من قوة استقباله قبل أن يطلب من جوردان الخروج فى مهمته . لكنه لم يفكر فى هذا من قبل . ولم يفكر فى هذا أى منهم أيضاً . ياللغباء . نفس الغباء الذى دفعه إلى نسيان أنه كان قد وضع قصاصة الورق فى الجيب الصغير لسرواله . أطلق الهاتف صافرة قصيرة تنم عن جاهزيته للتشغيل . مرت لحظات دون أن يحدث شيء ، وبعدها رأى إشارات تلقى التغطية ، واضحة براقة . ضغط الأرقام فى سرعة ، ثم استقر إبهامه على زر بدء الاتصال .

" هل أنت مستعد فى مكانك ، جوردان ؟ "

" بلى ! " .

فسألهم : " وماذا عنكم يا رفاق ؟ "

فقال توم ساخطاً : " هيا قبل أن أصاب بنوبة قلبية " .

برقت صورة فى مخيلة كلاي ، كابوسية الوضوح : جونى وهو راقد أسفل مؤخرة الحافلة التى بها المتفجرات مباشرة . راقد على ظهره وعيناه مفتوحتان ، ويداه قابضتان على صدر قميص الريد سكوكس ، يستمع إلى الموسيقى بينما يعيد مخه برمجة نفسه بأسلوب جديد غريب .

حاول أن ينحى هذه الصورة عن مخيلته .

" تونى . . . تونى . . . تعال تعال . . . " ، وجده نفسه يقولها من دون سبب ، ومن ثم ضغط الزر ليتصل بالهاتف الآخر عند مؤخرة الحافلة الصغيرة .

مرت لحظتان . . . بعدها بدا وكأن العالم أجمع قد انفجر . ابتلع دوى الانفجار نغمات موسيقى ألبينونى التى كانت تصدح قبله فى نهم . وتهشمت جميع النوافذ المطلة على السرب النائم فى دوى عنيف . برق من خلالها ضوء قرمزى قوي ، وبعدها تحول الطرف الجنوبى من المبنى إلى أطلال من الألواح والزجاج والقش المتطاير . بدا لهم أن البابين اللذين استندوا إليهما ينبعجان إلى الداخل . أحاطت دينيس بطنها بذراعيها . وتعالت الصرخات فى الخارج . كانت تنهش رأس كلاى وكأنها نصل منشار . ولكن هذا الإحساس سرعان ما اختفى . ولم يبق سوى صوت الصرخات يدوى فى أذنيه . صرخات أناس يسعرون فى الجحيم .

حط شيء ما فى قوة فوق سقف المكان . كان ثقيلاً لدرجة أن المبنى بأكمله قد ارتج . فنهض كلاى وجذب دينيس يساعدها على الوقوف . نظرت إليه فى استغراب ، وكأنها تراه لأول مرة . " هيا بنا ! " . كان يصرخ فيهم بكل قوة ، ورغم هذا فلم يكن يسمع صوت صرخاته . وكأنها قطرات تحاول المروق من بين حشوات قطنية . " هيا بنا ! لنخرج من هنا ! " .

نهض توم . حاول دان أن يركض نحو منتصف القاعة . إلا أنه تعثر ، وحاول من جديد ، حتى نجح فى هذا . قبض على يد توم . وأمسك توم بدوره بيد دينيس . تشابكت أيدى الثلاثة . وهم يسارعون نحو تلك الفجوة التى أحدثها الانفجار عند نهاية القاعة . حيث وجدوا جوردان يقف إلى جوار كومة من القش المحترق وهو يحدق بالخارج فيما أحدثه مجرد هاتف محمول واحد من دمار .

١٥

لم يكن هذا الذى حط على سقف القاعة سوى قسم كبير من الحافلة . كانت الألواح تحترق . وأمامهم مباشرة ، وخلف كومة القش المحترقة ، زوج من مقاعد الحافلة . . . مقلوبة تحترق . تطايرت الملابس نحو السماء وكأنها ثلوج تهطل فى غزارة : قمصان ، وقبعات ، وسراويل ، وسراويل قصيرة ، وملابس داخلية . . . جميعها محترقة . علم كلاى أن كل هذا القش العازل ، والذى تكوم فى القاعة سرعان ما سيتحول إلى ستار من نار ؛ وأن خروجهم كان فى الوقت المناسب .

قطع النار تتطاير عبر منطقة المركز التجارى حيث كانت تقام حفلات موسيقية ، راقصة فى الهواء الطلق ، ومسابقات مختلفة ، إلا أن شظايا الحافلة المتفجرة قد وصلت إلى ما هو أبعد من هذا . فقد رأى كلاى النيران تحرق الأشجار على بعد لا يقل عن ثلاثمائة ياردة من موضع الانفجار . الموت يحوم جنوبا منهم ، وبيت المرح يحترق وشيء ما ـ خمن أنها أشلاء أحدهم ـ يتأجج بالنيران فوق هيكل لعبة الباراشوت .

صار السرب بأكمله كومة من لحوم تنشوى ، والهاتفيون إما موتى أو يحتضرون . انهارت منظومة تخاطرهم العقلى على

الرغم من إحساس ضعيف بين الحين والآخر بتلك القوة الغريبة يطرأ على عقله فيقشعر لها بدنه ، إلا أن هناك من لا يزال قادرا على الصراخ منهم . وقد ملأوا سماء الليل بصرخاتهم . لم يكن كلاى ليتردد عن القيام بما قام بها حتى ولو كان قد شاهد كل هذه المناظر من قبل . . . إلا أن ما يراه الآن أمامه قد فاق كل خيال .

كان ضوء النيران كافيا لأن يروا مناظر تفوق قدر احتمالهم . كانت الأجساد مشوهة ومقطعة الأوصال بشكل فظيع ـ أنهار من الدماء ، وأكوام من الأطراف المقطعة ـ والأسوأ كم الملابس والأحذية التى تطايرت عن أجساد أصحابها . أو أن أجساد أصحابها قد تبخرت ولم يعد لها أثر . ها هو رجل يترنح وهو يقترب منهم ويداه تقبضان على عنقه ، تحاول أن توقف نهر الدم الذى ينزف بقوة من بين أصابعه ـ بدا لونه برتقاليا وهو يعكس وهج سقف القاعة المحترق ـ بينما برزت أحشاؤه تتأرجح . وعيناه متسعتان شاردتان .

كان جوردان يقول شيئا ما . لم يكن كلاى يسمعه وسط كل تلك الصرخات ، والعويل ، وقرقعة النيران من خلفه . لذا فقد مال نحوه .

قال جوردان : " كان علينا أن نفعلها رغم كل شيء . . . لم يكن أمامنا سوى هذا " . كان يحدق فى جسد امرأة بلا رأس ، ورجل فقد ساقيه ، وجسد تحول إلى وعاء يحوى لحما ودما ليس إلا . ومن خلفه استقر زوج من المقاعد فوق جسدى امرأتين تحترقان وقد احتضنتا بعضهما البعض . " كان علينا أن نفعلها ، بالرغم من كل شيء . . . كان علينا أن نفعلها ، بالرغم من كل شيء " .

فقال كلاى : " هذا صحيح ، يا عزيزى . كل ما عليك الآن هو أن تخبئ وجهك فى صدرى ، وتسير معى على هذا

www.rewity.com ARAYAHEENA

النحو " . فاندفع الصبى يدفن وجهه فى جسد كلاى . كان سيرهما بهذه الصورة غير مريح . إلا أنه ممكن فى ظل هذه الظروف .

ساروا بمحاذاة حافة ساحة السرب . متجهين إلى مؤخرة المكان الذى كان من الممكن أن يتحول إلى مدينة ملاه تخلب الألباب لولا تلك النبضة . تركوا وراءهم القاعة وقد اضطرمت فيها النيران . لتلقى المزيد من الأضواء على المركز التجارى . وعلى أجساد مترنحة مذهولة . . . عارية أو شبه عارية . وقد تطايرت ملابسها عن أجسادها . عجز كلاى عن إحصاء عددهم . ولم يبد أى ممن مروا إلى جوارهم أى اهتمام بهم ؛ فهم سائرون إما نحو الطريق الذى يتوسط المكان . أو يتجهون صوب الغابة غرب أراضى المعرض . وحيث يعتقد كلاى أنهم سيموتون مالم ينجحوا فى إقامة نوع من التواصل من جديد فيما بينهم . وهو الأمر الذى يعتقد أنه لن يحدث من جديد . ربما بسبب ذلك الفيروس . ولكن السبب الأغلب هو قرار جوردان بأن يدخل بالحافلة حتى توقفت وسطهم تماما . وبالتالى فقد كان تأثير الانفجار عند أقصى حد ممكن . كما كان الحال مع شاحنتى البروبين فى جايتين .

لو كان لهم أن يعلموا أن السبب وراء كل ما حاق بهم هو رجل عجوز . . . ولكن من أين لهم أن يعلموا هذا ؟

وصلوا إلى الساحة التى ترك عندها المتعهدون شاحناتهم ومخيماتهم . كانت الكابلات الكهربائية تغطى الأرض . والمساحات بين المخيمات مليئة بأدوات أناس يعيشون فى الخلاء : شوايات الباربيكيو . وشوايات الغاز . وكراس بلاستيكية . وأرجوحة . وغسالة صغيرة مليئة بالملابس التى بقيت كما هى قرابة أسبوعين الآن .

قال دانيال : " علينا أن نسارع بإيجاد عربة تصلح لأن نستقلها ونخرج من هذا المكان بأقصى سرعة . لقد أخلوا الطريق الفرعى . وأعتقد أن بوسعنا الانطلاق بالسرعة القصوى إلى أبعد مسافة ممكنة . . . خارج هذه المنطقة المعزولة " .

لمح كلاى شاحنة مطبوعاً على مؤخرتها شركة ليم للدهانات وتركيبات الأدوات الصحية . جرب أن يفتح بابها فوجده مفتوحاً . كان داخلها مليئاً بصناديق الحليب التى حوت بدلاً منه العديد من معدات السباكة . أخذ يبحث فيها حتى وجد ما كان يصبو إليه : بخاخات دهان . تناول أربعاً منها بعد أن تأكد من أنها ممتلئة عن آخرها .

سأله توم : " ماذا ستفعل بهذه ؟ "

" سأخبرك فيما بعد"

بينما صاحت دينيس : " دعونا نخرج من هنا . . . أرجوكم . لا أستطيع أن أحتمل هذا . إن سروالى غارق فى الدماء " . لم تستطع منع نفسها من البكاء .

وصلوا إلى الطريق الوسيط بين أماكن الملاهى غير المكتملة البناء حينما أشار توم بيده وهو يصيح : " انظروا " .

عندها قال دانيال بصوت خافت : " أوه . . . يا . . . إلهي " .

كانت هناك جاثمة عند كشك التذاكر الخاص بقطار الملاهى . بقايا رداء أحمر ممزق محترق . رداء أحمر ذى غطاء للرأس . لطخة كبيرة من الدمّ غطّت مقدمة الرداء حول فتحة وقد استقرت فيها شظية من شظايا حافلة المدرسة . غطت الدماء بقية الرداء . إلا أن كلاى استطاع بالرغم منها أن يميز ثلاثة أحرف كبيرة مطبوعة على الرداء . . هار . . لقد كانت بالفعل ضحكة الرجل الأشعث الأخيرة .

١٦

قالت دينيس : " لا توجد أية أشلاء داخل هذا الرداء ، كما أن من الواضح أنه قد تعرض لجرح فادح عند القلب . . . حينما تملون التحديق فى . . . " .

قاطعها توم وهو يغير الموضوع : " هناك موقف سيارات آخر جنوباً عند نهاية هذا الطريق . به سيارات فخمة . وقد يحالفنا الحظ فنجد واحدة تصلح " .

وقد حالفهم الحظ بالفعل . ولكن ليس مع سيارة فارهة . بل عربة فان تتبع إحدى الشركات كانت تقف خلف عدد من السيارات الفارهة ، تسد طريق خروجها من المكان . كان قائد الفان قد ترك مفاتيحها بمقودها ، وكأنه قد عمد لهذا لأجلهم خصيصاً . استقلوها وقادها كلاى بعيداً عن النيران وعن المجزرة . . . وعن الصرخات . تتخذ طريقها بحذر فوق الطريق نحو التقاطع الذى تميزه اللوحة الإعلانية العريضة التى تظهر عائلة سعيدة ربما لم يعد لها وجود الآن . وعندها أوقف كلاى العربة .

" على واحد منكم يا رفاق أن يتولى القيادة الآن " .

سأله جوردان : " لماذا ، كلاى ؟ " . إلا أن كلاى كان يعلم من نبرة صوته أنه يعلم السبب بالفعل .

قال : " لأننى سأفارقكم هنا " .

" كلا ! " .

" بلى . فعلىَّ أن أعود لأبحث عن ابني" .

فقال توم : " من المؤكد أنه قد لقى مصرعه هناك . أنا لست قاسى القلب ، ولكننى أقرر واقعاً " .

" أعلم هذا ، توم . كما أعلم أن هناك أملاً فى أن يكون قد نجا ، وأنت تعلم هذا بدورك . لقد أخبرنا جوردان بأن كثيراً منهم كانوا يسيرون هائمين على وجوههم " .

قالت دينيس : " كلاى . . . عزيزى . . . حتى ولو كان حياً ، فقد يكون الآن هائماً وسط الغابة وقد تهشمت رأسه . كم أكره أن أقول هذا ، ولكنك تعلم أن هذا صحيح " .

أومأ كلاى برأسه قائلاً : " كما أعلم كذلك أنه ربما يكون قد ابتعد عن المكان قبل الانفجار ، أثناء ما كنا محتجزين داخل القاعة ، واتخذ طريقه على الأسفلت نحو جرليفايل . لقد رأيت من قبل اثنين منهم فى ذلك المكان ، رأيتهم . كما رأيت آخرين على الطريق . وكذلك رأيتموهم أنتم " .

سأله توم فى أسى : " وهل يمكن لأحد أن يجادل صاحب خيال فنى مثلك ؟ "

فقال كلاى : " كلا ، لكننى كنت أرغب فى أن أتحدث معك وجوردان بالخارج للحظات " .

فتنهد توم قائلاً : " وما المانع ؟ "

١٧

مر عليهم بضعة من الهاتفيين ـ حائرين تائهين ـ وهم يقفون إلى جوار عربة الفان الصغيرة . لم يعيروهم أى اهتمام ، وكذلك كان حال الهاتفيين . كان الأفق يتوهج فى الشمال الغربى بلون أحمر برتقالى ، والنار تضطرم بالقاعة وبالغابة من خلفها .

قال كلاى : " لا وداع هذه المرة " ، كان يحاول ألا ينظر إلى دموع جوردان وهو يضيف : " فأنا أتوقع أن أراكم من جديد . خذ هذه يا توم" . مد يده نحوه بالهاتف المحمول الذى استخدمه فى التفجير . فتناوله منه توم . " اتجهوا نحو

www.rewity.com
RAYAHEENA

الشمال من هنا . وتأكدوا من أن الهاتف يلتقط التغطية . ولو وصلتم إلى منطقة مسدودة من الطريق . فترجلوا عن العربة ، وسيروا حتى يخلو الطريق ، وعندها استقلوا سيارة أو عربة أخرى . ربما يلتقط الهاتف الإشارة فى منطقة رانجلى ـ تلك المنطقة السياحية . . . قوارب فى الصيف . . . صيد فى الخريف . . . تزلج على الجليد فى الشتاء ـ وبعد أن تجتازوها ستكونون قد وصلتم إلى بر الأمان " .

فقال جوردان وهو يمسح دموعه : " أراهن أننا سنكون آمنين الآن " .

أطرق كلاى برأسه . " قد تكون على حق . ولكن عليك أن تفكر بشكل سليم فى كل الأحوال . فحينما تبتعدون عن رانجلى بمسافة مائة ميل شمالاً مثلاً فعليكم أن تبحثوا عن كابينة أو نزل أو شيء من هذا القبيل ، واجمعوا ما يكفيكم من طعام وشراب ، وابقوا فى المكان حتى انتهاء الشتاء . وأنتم تعلمون ما يمكن أن يفعله الشتاء بتلك المخلوقات . أليس كذلك ؟ "

قال توم : " لو تهاوت منظومتهم ولم يعودوا قادرين على التجمع فى جماعات من جديد ، فسوف يموت أغلبهم . . . بل جميعهم . أو على الأقل أولئك القابعون شمال حدود ماسون ديكسون " .

" بالفعل . لقد وضعت علب بخاخات الدهان تلك فى داخل لوحة المفاتيح . وعليكم أن تكتبوا بها على الأسفلت وبعد كل عشرين ميلا الأحرف الأولى من أسمائكم . . . ت . . ج . . د . مفهوم ؟ "

علق جوردان : " ت . . ج . . د . توم ، جوردان ، دانيال ، دينيس "

" بالفعل . تأكدوا من أن تكتبوها بحجم كبير . مع سهم يدل على الاتجاه الذى ستسلكونه . ولو سرتم فوق طريق ترابى

اعمدوا إلى أن تكتبوها على الأشجار ، ودوماً على الجانب الأيمن من الطريق . فلن أنظر إلا إليه . مفهوم ؟ "

فقال توم : " إلى اليمين دوما . . . أوه . . . أرجوك كلاى . . هيا بنا لنذهب معاً من هنا " .

" كلا . أرجو ألا تزيدوا هذا الأمر صعوبةً علىَّ بأكثر مما هو بالفعل . فى كل مرة تضطرون فيها إلى ترك سيارة ، فاتركوها فى وسط الطريق واكتبوا الأحرف الكبيرة عندها . اتفقنا ؟ "

قال جوردان : " اتفقنا . . . ولكن من الأفضل لك أن تجدنا ثانيةً " .

" سأفعل . سيكون العالم من حولنا عالماً خطراً لفترة من الوقت ، إلا أنه لن يكون على نفس الخطورة التى كان عليها فى السابق . وأود أن أطلب منك شيئاً أخيراً يا جوردان " .

" تفضل " .

" لو أننى وجدت جونى . . . ووجدت أن أسوأ ما تعرض له هو فقط تحوله إلى هاتفى . . . فبماذا تقترح علىَّ أن أتصرف معه ؟ "

بوغت جوردان بهذا السؤال : " وكيف لى أن أعرف هذا ؟ من أين لى أن أعلم يا كلاى ؟ "

" أنت من قال بأنهم يتعرضون لعملية إعادة برمجة " .

" كان هذا مجرد تخمين ! " .

إلا أن كلاى كان يعلم أن الأمر يفوق مجرد التخمين . كما يعلم أن جوردان الآن مرهق مضطرب الأعصاب . فجثا على ركبتيه أمام الصبى وأمسك بيده . " لا تخش شيئاً . فلا يمكن أن ألحق بابنى أذىً بأكثر مما لحق به . هذا محال " .

حدق فيه جوردان للحظة قبل أن يقول : " كلاي ، أنا . . . إن البشر ليسوا كأجهزة الكمبيوتر . . . أخبره يا توم بالله عليك ! "

إلا أن توم قال : " ولكن الكمبيوتر شبيه بالبشر . أليس كذلك ؟ هذا لأننا لا نبنى سوى ما نعلمه . وقد كنت تعلم بأمر إعادة البرمجة وبأمر تلك الدودة . فأخبره بما تفكر فيه . وهو قد لا يجد الصبى فى كل الأحوال . ولكن لو أنه وجده . . . كما يقول . . . فما هو أسوأ شيء ممكن أن يحصل ؟ " .

أخذ جوردان يفكر فى الأمر . وهو يعض على شفتيه . كان الإجهاد قد نال منه . والدماء متناثرة على قميصه .

صاح فيهم دان : " هلا انتهيتم يا رفاق ؟ " .

فقال توم : " امنحنا دقيقة " . ثم التفت إلى جوردان قائلاً فى رقة : " جوردان ؟ " .

صمت جوردان للحظات أخرى . ثم نظر إلى كلاى قائلاً : " ستكون بحاجة إلى هاتف محمول آخر . وأن تصحبه إلى مكان به تغطية هاتفية و . . . " .

الحفظ داخل نظام التشغيل

١

وقف كلاى فى منتصف الطريق ١٦٠ ، فى بقعة كان يمكن أن يسقط عليها ظل اللوحة الإعلانية فى يوم مشمس ، وهو يراقبهم يرحلون داخل عربة الفان حتى غابوا عن ناظريه . عجز عن أن يطرد عنه فكرة أن من الممكن ألا يرى توم وجوردان من جديد ... هكذا ردد فى عقله ، إلا أنه لم يسمح لها بأن تصل إلى درجة الهاجس . لقد التأم شملهم مرتين من قبل ... والناس يقولون إن " الثالثة ثابتة " ... أليس كذلك ؟

مر عليه هاتفى . رجل ينزف الدم من جانب وجهه ـ أول جريح يراه يرحل عن أرض المعرض . كان يرى الكثير منهم لولا أنه لم يسبقهم ، سار عبر الطريق المتجه جنوباً من جديد . لم يكن لديه سبب يدفعه إلى الظن بأن ابنه قد اتخذ طريقه جنوباً ، إلا أنه كان يأمل فى أن يرشده عقله ـ عقل ابنه القديم ـ إلى أن الاتجاه إلى بيته هو من هذا الطريق . كما أن كلاى لا يعلم سوى هذا الاتجاه .

بعد قرابة نصف الميل جنوب الطريق قابل هاتفية ، امرأة تهرول جيئة وذهاباً بعرض الطريق ، وكأنها قبطان على مقدمة سفينته . حدجت كلاى بنظرة حادة دفعته إلى أن يرفع يديه ، مستعداً للتقاتل معها لو أنها هجمت عليه .

إلا أنها لم تفعل . وسألته بدلاً من ذلك بلغة الهاتفيين : "من ساقا . . والا ؟ " . إلا أنه وجد السؤال يتردد داخل عقله فى وضوح : "من سقط يا والدى ؟ "

فقال لها وهو يمر إلى جوارها : "لا أعرف . فأنا لم أر شيئاً " .

سألت وهى تزيد من هرولتها : " أين لان ؟ " . عاد السؤال ليتردد داخل عقله : " أين أنا الآن ؟ " . لم يحاول أن يجيب عن هذا السؤال ... إلا أن سؤالها قد ذكره ببيكسى السمراء من أنا ؟ من أنت ؟

زاد كلاى من سرعة خطاه . إلا أن المرأة كانت تلاحقه وهى تصيح فيه : "من بى سمرا ؟ "

كان السؤال واضحا فى ذهنه لدرجة أدهشته ... "من هى بيكسى السمراء هذه ؟ " . .

٢

لم يجد أية أسلحة فى أول منزل يقتحمه . إلا أنه وجد كشافا طويلا . فكان يسلطه على كل هاتفى يترنح يمر به . وهو يطرح السؤال نفسه . محاولاً أن يجعله واضحا ليقفز إلى العقل الذى أمامه بطريقة سحرية : هل رأيت صبياً ؟ لم يتلق إجابة . ولم يسمع سوى شذرات أفكار فى رأسه .

وأمام المنزل الثانى وجد سيارة دفع رباعى . إلا أن كلاى لم يجرؤ على أن يستقلها . فلو كان جونى على هذا الطريق . فإنه سيكون سائراً على قدميه . ولو كان كلاى يقود هذه السيارة فقد لا يرى ابنه حتى وإن كان يقود السيارة ببطء . وجد فى مخزن المنزل معلبات لحم بارد . فتحها بمفتاحها وأخذ يتناولها وهو يسير على الطريق . كان على وشك أن يلقى بالعلبة نحو جانب

الطريق حينما رأى هاتفياً عجوزاً يقف إلى جوار صندوق بريدى . يراقبه بنظرة حزينة جائعة . فمد كلاى يده بالعلبة التى حوت بعض اللحم فتناولها منه العجوز . فقال له كلاى . وهو يتحدث ببطء ووضوح . محاولاً أن يرسم فى مخيلته صورة ابنه . ليقرأها عقل ذلك الهاتفى : "هل رأيت صبياً هنا ؟ "

أخذ العجوز يلتهم اللحم وقد بدا أنه يتأمل السؤال . إلا أنه لم ينطق سوى بكلمات غير مفهومة . فشكره كلاى وابتعد .

وجد فى المنزل الثالث . بعد ميل أو أكثر . بندقية فى القبو . ومعها ثلاث علب ذخيرة . وفى المطبخ وجد هاتفا محمولاً قابعاً على الكاونتر فى وحدة الشحن الكهربى . لم يكن الشاحن يعمل بالطبع . ولكنه حينما قام بضغط زر تشغيل الهاتف أنار على الفور . وجد أن التغطية فى هذا المكان ضعيفة . إلا أن هذا لم يدهشه . فلقد كانت نقطة التحويل التى أقامها الهاتفيون على حافة الشبكة .

توجه نحو الباب ومعه البندقية فى يد والكشاف فى الأخرى . والهاتف المحمول معلق فى حزامه حينما حل به الإعياء فجأة . ترنح وكأنه قد تلقى لطمة بالمطرقة على رأسه . كان يريد أن يواصل المسير . إلا أن عقله كان يصرخ فيه أن عليه أن ينام الآن . وأنه لو كانت هناك فرصة فى أن يكون جونى موجوداً فى هذه المنطقة . فمن المحتمل أن يكون نائماً بدوره الآن .

غمغم : " عليك أن تبحث عنه فى النهار . كلايتون ... فمن المحال أن تعثر عليه وسط الظلام لمجرد أن معك هذا الكشاف" .

كان المنزل صغيراً - خمن وهو يشاهد تلك الصور فى حجرة المعيشة . وغرفة النوم الواحدة . والقضبان التى تحيط بمقعد الحمام داخل الحمام الوحيد أنه لزوجين عجوزين . كان الفراش

مرتباً . فاستلقى عليه من دون أن يزيح الأغطية . ولم يخلع سوى حذائه . وما إن أراح جسده على الفراش حتى جثم عليه الإعياء كثقل من حديد . لم يسعه أن يتخيل أنه قادر على النهوض ثانية مهما حدث . كانت هناك رائحة فى الغرفة ... رائحة جدة عجوز . كان صامتاً متعباً . وقد بدت له تلك المجزرة فى أرض المعرض وكأنها قد حدثت منذ أمد بعيد ... أو أنها لم تحدث سوى فى الخيال . وكأنها مجرد فكرة لقصة مصورة لن يقوم برسمها أبداً . لو كان قد أخذ رأى شارون لكانت قد أخبرته بأنها شنيعة . وأن عليه أن يهتم بقصص المغامر الغامض ... شارون كما عرفها قديماً .

بدا له أن عقله يطفو فوق جسده . عاد به إلى حيث كان يقف مع رفاقه عند العربة الفان . قبيل أن يستقلها توم وجوردان ثانية . كرر جوردان ما كان قد قاله من قبل فى جايتين . عن أن العقل البشرى ليس سوى قرص صلب ضخم وقديم . وعن أن النبضة قد أدت إلى مسح كل محتوياته . وأنها لم تبق سوى الشفرة الأساسية .

"لم تبق سوى الشفرة الأساسية . وليست هى سوى غريزة القتل . ولكن لكون المخ قرصاً عضوياً صلباً فإنه قد نجح فى أن يعاود بناء نفسه من جديد . يعيد برمجة نفسه ذاتيا . إلا أنه قد كان هناك خطأ فى شفرة الإشارة المرسلة . ليس لدىَّ برهان على هذا . إلا أننى متيقن من أن كل ما رأيناه من سلوك التجمع والاحتشاد فى أسراب . والتيليباثى . والسير فى الهواء ... كل هذا كان سببه ذلك الخطأ . فلقد كان هذا العطب موجوداً منذ البداية . حتى صار جزءاً من عملية إعادة البرمجة . هل تفهم ما أقصده ؟ ... " .

حينها أطرق كلاى وتوم . بينما ينظر الصبى إليهم بوجهه المتعب الملطخ بالدماء .

"أليست النبضة لا تزال تبث حتى الآن ؟ حيث إن فى مكان ما هناك كمبيوتر لايزال يبثها وهو يعمل ببطارية ما . ويبقى تشغيل هذا البرنامج على حاله . والبرنامج يفسد . وبالتالى فإن العطب الذى فيه لا يتوقف عن التطور . وستتوقف الإشارة فى النهاية أو يفسد البرنامج لدرجة أن يتوقف . أما الآن ... فبوسعك أن تستفيد مما هو قائم . ولكن هذا احتمال ضعيف . ولابد أن تستوعب هذا . فالأمر يعتمد على ما إذا كان المخ قد قام بمثل ما تقوم به أجهزة الكمبيوتر حينما يصيبه فيروس " .

فسأله عما يعنيه . وعندها ابتسم جوردان فى إرهاق .

"إنها تلجأ إلى الحفظ داخل نظام التشغيل . أن تحفظ جميع البيانات التى كانت فيها قبل الإصابة بالفيروس . فلو أن هذا ما يحدث فى المخ البشرى . ولو أمكنك أن تمحو برنامج الهاتفيين فإن البرمجة القديمة ببياناتها قد تعود للظهور فى نهاية الأمر" .

تمتم كلاى وهو راقد فى الغرفة المظلمة . يشم تلك الرائحة العتيقة : " لقد كان جوردان يعنى البرمجة البشرية ... تلك البرمجة البشرية المختزنة فى مكان ما داخل المخ . ببياناتها كاملة" . كان يوشك أن يذهب فى سبات عميق . وسوف يحلم . وكل ما يأمله الآن هو ألا يحلم بتلك المجزرة .

كانت آخر فكرة خطرت له قبل أن يستسلم للنوم هى أن الهاتفيين ربما وعلى المدى الطويل يصبحون أحسن حالا . ربما يكونون قد ولدوا من رحم العنف والرعب . ولكن من قال إن الولادة عملية هينة . بل أحياناً ما تكون عنيفة مروعة . فما إن بدأوا يتجمعون فى أسراب . وتتخذ عقولهم قوالب موحدة . حتى انحسر العنف . وحسبما يعلم فإنهم لم يشنوا حرباً على الطبيعيين . إلا إن كنا سنسمى عملية التحويل القسرى هذه إعلاناً للحرب ؛ وأن الانتقام الذى تلا إفناء أسرابهم لا سبب

www.rewity.com ARAYAHEENA

له . فربما لو أننا كنا قد تركناهم وشأنهم لكانوا قد تحولوا إلى حماة لهذا الكوكب بشكل أفضل مما كان يفعله الطبيعيون . ولم يكن الشره الاستهلاكى العصرى ليشغلهم خاصة مع قدراتهم الخارقة التى اكتسبوها . بل إن ذوقهم الموسيقى كان يتحسن مع الوقت .

إلا أنه عاد ليسأل نفسه من جديد ... وهل كان بيدنا خيار آخر ؟ فغريزة البقاء أشبه بالحب ... عمياء .

استسلم للنوم . ولم يحلم بتلك المذبحة التى جرت فى أرض المعرض . بل حلم بأنه داخل خيمة البينجو ، وحينما نادى المنادى . . ب١٢ . . فيتامين شروق الشمس ! شعر بمن يجذبه من طرف سرواله . فنظر أسفل الطاولة . ليجد جونى يقبع هناك . يبتسم . بينما يرن جرس هاتف فى مكان ما .

٣

لم يختف غضب الفارين من الهاتفيين تماماً . كما أن مواهبهم الغريبة لم تفارقهم بالكلية أيضاً . فمع حلول ظهيرة اليوم التالى ، والذى كان جوه جافاً قارس البرودة . وكأنها بشائر نوفمبر . توقف كلاى ليراقب اثنين منهم يتقاتلان فى عنف شديد عند منعطف بالطريق . تلاكما ثم التحم جسداهما فى شجار عنيف بالأظافر والرؤوس والأسنان . ارتفع جسداهما وهما يتقاتلان فوق مستوى الطريق . فبقى كلاى يراقبهما وقد فغر فاه فى دهشة . حتى ارتفعا قرابة عشر أقدام ، من دون أن يتوقفا عن القتال . وكأنهما يقفان فوق سطح ما غير مرئى . عندها غرس أحدهما أسنانه فى أنف خصمه . والذى كان يرتدى قميصاً قطنياً رثاً مبقعاً بالدماء التى تغطى أحرف عبارة " هيفى فيول " مطبوعة على صدر القميص . دفع العضاض دفعة

قوية . حاول الآخر أن يقاوم ، إلا أنه سرعان ما سقط وكأنه صخرة تهوى داخل بئر . والدم النازف من أنفه المزقة يسبقه نحو الأرض . نظر العضاض لأسفل ، وقد بدا على وجهه أنه يدرك للوهلة الأولى أنه على هذا الارتفاع عن الأرض ، فهوى بدوره نحو الأرض . وكأنه ساحر فقد قواه السحرية . بقى العضاض راقداً وسط التراب والدم ينزف من فمه ومن ركبته ، بينما أخذ يزمجر فى وجه كلاى حينما مر إلى جواره .

إلا أن هذين الاثنين ليسا سوى استثناء . فمعظم من التقاهم كلاى من الهاتفيين ـ فهو لم يلتق أياً من الطبيعيين هذا اليوم أو حتى طيلة الأسبوع التالى ـ كانوا حيارى هائمين من دون عقل جمعى يسيطر عليهم . أخذ كلاى يفكر ويفكر فى شيء قاله جوردان قبل أن يعودا إلى العربة ويرحلا عنه نحو غابات الشمال حيث لا توجد تغطية هاتفية : لو واصلت الدودة تحورها ، فإن آخر تحوير لها لن يكون منتمياً إلى أى من الهاتفيين أو الطبيعيين .

خطر لكلاى أن هذا أشبه بحال بيكسى السمراء ، أو أقل درجة منها . من أنت ؟ من أنا ؟ كان السؤالان يمرقان أمام عينيه الآن ، فعلم حينها أن هذين هما السؤالان اللذان ظل مجانين الهاتف يرددونهما بتلك اللغة الهاذية غير المفهومة وقتها .

واصل إلقاء سؤاله عن ابنه على كل من يقابله : هل رأيت صبياً ؟ وكان يحاول أن يبث إلى عقولهم صورة لابنه . إلا أنه فقد الآن أى أمل فى تلقى إجابة لها معنى . بل هو لم يتلق أية إجابة من الأصل فى معظم الأحوال . قضى الليلة التالية داخل مقطورة تبعد خمسة أميال شمال جرليفايل ، وفى التاسعة من الصباح التالى كان يتجسس على شخص ضئيل الحجم كان يجلس

على رصيف خارج مقهى جرليفايل ، وسط الحى التجارى فى تلك البلدة .

قال لنفسه : إن هذا محال . إلا أن خطاه سبقت أفكاره . وحينما صار أقرب ـ بما يكفى لأن يتيقن من أن هذا الشخص كان فى الحقيقة صبيا صغيراً وليس مجرد رجل قزم ـ أخذ يركض نحوه . كانت حقيبته الجديدة تتراقص فوق ظهره . وسرعان ما صار يركض فوق الأسفلت نحو الصبى .

لقد كان بالفعل صبيا .

صبيا نحيفا جدا . طويل الشعر الذى يصل حتى كتفى قميص فريق الريد سوكس .

صاح كلاى بكل ما فيه من طاقة : "جوني! جونى ... " .

التفت الصبى نحو مصدر الصوت . وفمه مفتوح فى شرود . لم تظهر عيناه سوى حذر مبهم . بدا وكأنه يفكر فى أن يركض مبتعدا . ولكنه ومن قبل أن يبهم بالوقوف صار بين أحضان كلاى الذى أخذ يغمر وجهه بالقبلات فى لهفة .

قال كلاى : "جونى ... جونى ... لقد جئت من أجلك أنت . لقد جئت كما طلبت منى . لأجلك أنت" .

حينها ـ وربما لأن هذا الرجل الذى يحمله قد بدأ يدور به فى فرحة عارمة ـ أحاط الصبى رقبة كلاى بذراعيه وتعلق بهما . ونطق بشيء . رفض كلاى أن يصدق أنها كلمات لا معنى لها مثل تلك التى سمعها من قبل . قال لنفسه إنها كلمة مفهومة . ربما كانت تعنى " أبي" . ونطقها كما كان ينطقها لأول مرة فى حياته وقت أن كان رضيعا .

ارتاح كلاى لهذه الفكرة . لفكرة أن هذا الطفل الشاحب ، المتسخ ، سيئ التغذية الذى يتعلق برقبته قد ناداه ... . أبى .

٤

كانت الفكرة كافية لأن يتعلق بها ... قال هذا لنفسه بعد مرور أسبوع : لقد قال شيئاً يصلح لأن يكون كلمة . وكلمة تصلح لأن تكون " أبي" .

كان الصبى نائماً الآن فوق معطف داخل خزانة ملابس بحجرة نوم . لأنه لم يهدأ إلا بداخلها ؛ ولأن كلاى قد ملّ من كثرة إخراجه من أسفل السرير . فقد بدت الخزانة مريحة له وأقرب إلى وضع نومه وكأنه داخل رحم . ربما كان هذا جزءاً من عملية التحويل التى تعرض لها هو والآخرون . ويالها من عملية تحويل . لقد حول الهاتفيون ابنه إلى شخص بليد الإحساس يفتقد ذلك السرب الذى كان فى وسطه .

كان الثلج يتساقط خفيفاً بالخارج من سماء المساء الرمادية . توزعها الرياح عبر الشارع الرئيسى المظلم ببلدة سبرينجفايل فى مسار ثعبانى متموج . بدا له أن الوقت لا يزال مبكراً على هطول الثلج . إلا أنه لم يكن كذلك بالنسبة لهذه المنطقة فى الشمال . فقد يندهش المرء حينما يهطل الثلج قبل شهر يناير . ويندهش أكثر إن هطل قبل شهر أكتوبر . إلا أن يذكره أحدهم بأنه يعيش فى ماين وليس فى إحدى جزر كابرى .

كان يتساءل عن المكان الذى يقضى فيه توم وجوردان ودان ودينيس ليلتهم . وعما ستفعله دينيس حينما يحين وقت الولادة . قال لنفسه بأنها ستكون بخير ـ خاصةً مع شخصية صعبة المراس مثلها . تساءل إن كان توم وجوردان يفكران فيه بالقدر الذى يفكر هو فيهما . وإن كانا يفتقدانه بالقدر الذى يفتقدهم هو ـ فهو يشتاق إلى عينى جوردان الأكبر من عمره ، وإلى ابتسامة توم الساخرة . إنه لم يكن ليشبع أبدا من تلك

الابتسامة؛ فما مروا به لم يكن ليثير فيهم أى نوع من روح الدعابة .

كان يشعر أن هذا الأسبوع الذى قضاه مع ابنه المسكين من أكثر الأسابيع التى شعر خلالها بالوحدة طيلة حياته .

نظر كلاى إلى الهاتف المحمول فى يده . كانت الفكرة تتملكه ويصارعها . أن يجرى أو لا يجرى مكالمة أخيرة . كانت الإشارة تنم عن وجود تغطية هاتفية حينما ضغط زر التشغيل . إشارة جيدة . لكن شحن الهاتف لن يدوم إلى الأبد . كان متيقنا من هذا . كما لا يمكنه أن يعول على دوام بث النبضة إلى الأبد . فالبطاريات التى تساعد على إرسال الإشارة إلى الأقمار الصناعية إن كان هذا هو بالفعل ما يتم ، وإن كان مازال بالفعل يتم قد تفرغ . أو قد تتحول النبضة إلى مجرد موجة حاملة بسيطة ، كتلك التى تسمعها حينما تتصل برقم جهاز فاكس بالخطأ .

ثلج . ثلج فى الحادى والعشرين من أكتوبر . هل نحن فى الحادى والعشرين منه بالفعل ؟ لقد فقد الإحساس بمرور الأيام . ولكن ما هو متيقن منه هو أنه ومع مرور كل يوم من الأيام يموت المزيد من الهاتفيين . وكان من الممكن أن يكون جونى واحداً منهم . لو لم يبحث عنه كلاى حتى وجده .

لكن ، يبقى السؤال : ما الذى وجده ؟

من الذى أنقذه ؟

من ؟

إنه متأكد من أن الصبى لم ينطق بشىء منذ تلك الكلمة التى ارتاح لكونها تعنى "أبي" . وأنه لم يمانع فى المضى مع كلاى ... إلا أنه كان مستعدا كذلك لأن يتركه ويعود هائما على وجهه . وكان كلاى يحرك قبضته على يده حتى لا

يفعلها . كان يذكره بروبوت امتلكه وهو صغير . وكيف كان يتجه دوما إلى ركن الجدار ليبقى عنده تحركه قدماه بلا جدوى لأعلى ولأسفل إلى أن يعود هو ويحول وجهته نحو وسط الغرفة من جديد .

أصاب جونى الذعر حينما وجد كلاى سيارة بها مفتاحها . وما إن أجلس الصبى فيها وأحكم حول جسده حزام الأمان وانطلق بالسيارة ، حتى هدأ جونى من جديد وبدا وكأنه منوم مغناطيسيا . بل إنه استطاع أن يعثر على زر النافذة ويفتحها ليهب الهواء فى وجهه ، فأغلق عينيه وعاد برأسه للوراء قليلا . راقب كلاى الهواء وهو يداعب شعر ابنه المتسخ الطويل وقال لنفسه ، فليساعدنى الله ، إن الأمر أشبه بركوب السيارة مع كلب .

وحينما وصلا إلى نهاية المسافة التى كان من الممكن قيادة السيارة فيها على الطريق قبل أن تسده السيارات ترجل كلاى منها . وساعد جونى على الخروج من السيارة . اكتشف أن ابنه قد بال على نفسه . لقد فقد تحكمه الإرادى فى البول مع فقدانه القدرة اللغوية إذن . قالها لنفسه فى أسى . إلا أن الأمر لم يصل إلى الحد المعقد والمتعب الذى تخيله كلاى . قد يكون جونى فقد التحكم الإرادى فى بوله . إلا أنك لو طلبت منه أن يبول فى الخلاء . فإنه سيبول إن كان مضطراً لهذا . والأمر نفسه ينطبق مع الغائط .

إلا أن كلاى لم يسعه وهو يراقب تصرفات ابنه إلا أن يتذكر الكلاب التى كان يمتلكها .

الفارق هو أن الكلاب لا تستيقظ بغتة منتصف كل ليلة كى تصرخ بشكل متواصل لمدة خمس عشرة دقيقة .

www.rewity.com ARAYAHEENA

٥

قضوا تلك الليلة الأولى فى منزل ليس ببعيد عن الاستراحة التجارية لنيو فيلد . وحينما انطلقت صرخاته . ظن كلاى أن ابنه يحتضر . ومع أن الصبى قد غفا بين يديه . إلا أن كلاى اكتشف حينما استيقظ أنه قد فارق جواره فى الفراش . ووجده نائماً أسفله . زحف كلاى أسفل الفراش . وسط الغبار الخانق . وبالكاد نجح فى أن يقحم رأسه أسفل الفراش . ويمسك بجسد نحيف أشبه بقطعة حديد . كانت صرخات الصبى أقوى من أن تصدرها هذه الرئة الضعيفة . وأدرك كلاى أنه يسمعها من داخل ثنايا عقله . وعندها اقشعر بدنه من أعلى رأسه وحتى أخمص قدميه .

كان جونى يصرخ منذ خمس عشرة دقيقة وهو قابع أسفل الفراش . ثم توقف بغتة كما بدأ بغتة . ثم ارتخى جسده . حتى أن كلاى لجأ إلى أن يضع رأسه على جانب جسد جونى وقد نجح جونى بطريقة ما فى أن يضع ذراعه على عنقه بطريقة مستحيلة ظاهرياً حتى يتأكد من أنه لا يزال يتنفس .

سحب جونى من أسفل الفراش . وجسده مرتخٍ وكأنه جوالٍ بريد . وأرقد جسده المتسخ المترب على الفراش . وتمدد متيقظاً إلى جواره لمدة ساعة قبل أن يستسلم للنوم بدوره . وحينما استيقظ فى الصباح وجد نفسه بمفرده فوق الفراش . وأن جونى قد زحف مرة أخرى أسفله . بدا ككلب تعرض للضرب . ويبحث عن أصغر مخبأ يمكن أن يسع جسده . وهو ما لاحظ أنه على النقيض تماماً من سلوك الهاتفيين السابق . ولكن جونى بالطبع ليس مثلهم . بل هو تطور من نوع جديد فيما يبدو . فليعنه الله .

٦

هما الآن داخل كوخ الحارس المريح المجاور لذلك المتحف فى سبرينجفايل . كان هناك الكثير من الطعام . وموقد ومياه عذبة من مضخة يد . بل كان هناك حمام جيد مع أن جونى كان يفضل قضاء حاجته فى الخلاء .

مرت الليلة هادئة سوى من نوبة صراخ جونى . ووجد وقتاً للتفكير وهو يقف عند نافذة حجرة المعيشة يراقب تراكم الثلج على أرض الشارع بعد أن نام ابنه فى داخل خزانة صغيرة . وحينها أدرك أن وقت التفكير قد انتهى . وأن لا شيء سيتغير ما لم يقم هو بتغييره .

لقد قال له جوردان : " ستكون بحاجة إلى هاتف محمول آخر . وأن تصحبه إلى مكان به تغطية هاتفية " .

هما الآن بمكان فيه تغطية هاتفية . وجهازه يبث هذا .

كان توم قد قال له ساخراً بأن الأمور لن تسوء بأكثر مما هى عليه بالفعل . بوسعه أن يقول ما يشاء ... فجونى ليس بابنه . ولقد وجد توم بالفعل الصبى الذى سيعتبره ابناً له الآن .

" فالأمر يعتمد على ما إذا كان المخ قد قام بمثل ما تقوم به أجهزة الكمبيوتر حينما يصيبها فيروس . إنها تلجأ إلى الحفظ داخل نظام التشغيل " .

الحفظ داخل نظام التشغيل ... تبدو عبارةً ذات وقع قوى .

لكن عليه أن يمحو البرنامج الذى وضعه الهاتفيون أولاً حتى يوجد حيزاً لإعادة البرمجة المفترضة هذه . وفكرة جوردان - التى تقوم على تعريض جونى للنبضة من جديد . وكأنها صدمة انعكاسية - تبدو مخيفة للغاية . وفيها مخاطرة . بالنظر إلى حقيقة أن كلاى لا علم له بنوعية البرنامج ومدى تطور تلك النبضة الآن ... إلا أن الافتراض قائم رغم كل هذا .

همس كلاى : " الحفظ داخل نظام التشغيل" . كان الظلام قد حل بالخارج؛ وبدا الثلج أكثر شبحية من ذى قبل .

لقد صارت النبضة مختلفة الآن . كان متأكدا من هذا . فقد تذكر الهاتفيين الأوائل الذين لقيهم ممن وجدهم متيقظين أثناء الليل . مثل الهاتفيين اللذين صادفهما عند محطة إطفاء جرليفايل . ورغم أنهما كانا يتصارعان على عربة الضخ القديمة ، إلا أنهما كانا يقومان بما هو أكثر من هذا؛ لقد كانا يتكلمان . وليست مجرد كلمات لا معنى لها . بل كلمات لها معنى . لم يكن كثيرا من الكلام . إلا أنه فى نهاية المطاف كلام حقيقى مفهوم . ابتعد . ابتعد أنت . تبا لك . لقد كان هذان الهاتفيان مختلفين عن الهاتفيين الأصليين ـ هاتفى فترة الرجل الأشعث ـ أما جونى فهو مختلف عن النوعين . والسبب ؟ لأن الدودة لا تزال تنهش فى برنامج النبضة ؟ ربما .

كان آخر ما قاله له جوردان قبل أن يودعه . لو وضعت نسخة جديدة من البرنامج فى مواجهة البرنامج الذى تعرض له جونى والآخرون عند نقطة التحويل ، فربما قضى كل منهما على الآخر . فتلك هى طبيعة دودة الكمبيوتر .

ومن ثم ، فلو كان البرنامج القديم موجوداً ... ولو كان محفوظا داخل نظام التشغيل ...

وجد كلاى تفكيره يتحول نحو آليس ـ آليس التى فقدت أمها ، والتى أبدت شجاعتها من خلال بث مخاوفها وتفريغها بالضغط على حذاء صغير . وتذكر أن توم ـ وبعد مضى قرابة أربع ساعات منذ أن خرجوا من جايتين ، وعلى الطريق ١٥٦ ـ قد طلب من مجموعة من الطبيعيين مرت بهم أن يشاركوهم الجلوس فى الاستراحة على الطريق . إلا أن أحدهم صاح فى رفاقه ، إنهم هم ... عصابة جايتين . بينما صاح فيه آخر بأن يذهب إلى الجحيم . فنهضت آليس من مكانها بغتة وقالت ...

"قالت لهم بأننا قد قمنا بشيء ما على الأقل" . قالها كلاى لنفسه وهو يتطلع عبر الشارع المظلم ، "ثم سألتهم وماذا فعلتم أنتم ؟ " .

فها هو الآن يجيب عن سؤالها . تقديراً لذكراها . إن جونى لن يتحسن . ولم يعد أمامه سوى خيارين : أن يرتضى ما وصل إليه الحال ، أو أن يحاول أن يغيره قبل فوات الأوان .

استعان كلاى بمصباح ينير بالبطارية كى يضيء له الطريق حتى غرفة النوم . كان باب خزانة الملابس مواربا ، ومنه كان يرى وجه جونى . بدا وهو نائم مسنداً وجهه إلى يده وشعره منسدل على جبهته شديد الشبه بذلك الصبى الذى قبله كلاى مودعا قبل أن يرحل إلى بوسطن ومعه حقيبة رسومات المغامر الغامض منذ وقت يبدو الآن وكأنه كان فى عصور مضت من زمن بعيد . إلا أنه أنحف قليلا؛ هذا هو الفارق الوحيد . لا يظهر الاختلاف إلا حينما يكون مستيقظا . الفم الصامت والعينان الخاويتان . الكتفان المتهدلان واليدان الخاملتان .

فتح كلاى باب الخزانة على آخره وجثم على ركبتيه أمام الكوة . ندت حركة خفيفة عن جونى حينما سقط ضوء المصباح على وجهه ، إلا أنه سرعان ما سكن . لم يكن كلاى بالرجل شديد التدين ، كما أن أحداث الأسابيع القليلة الماضية لم تغير من تلك الحقيقة شيئاً ، إلا أنه أب وجد ابنه ، ويحاول أن ينقذه مما فيه ، لذا فقد أخذ يدعو ربه دعاءً قصيراً مباشراً . ثم أخذ يردد ... " تونى ... تونى ... تعال تعال . .

فتح الهاتف المحمول وضغط زر التشغيل . فاستجاب فى سلاسة . وأنارت شاشته . وبينت استقباله للتغطية . تردد

للحظات . ولكن ما إن صار الأمر يعتمد على الضغط على زر الاتصال . علم أن ليس هناك مجال للتردد : إنها طلقة أشبه بتلك التى أطلقها على الرجل الأشعث وقبيلته .

حينما ضغط على الأرقام الثلاثة ، مد يده يهز كتف جونى . لم يكن الصبى راغبا فى الاستيقاظ . فتذمر وحاول أن يبتعد عن يده . ثم حاول أن ينقلب على جنبه . إلا أن كلاى لم يكن ليسمح له بهذا .

" جوني ! جوني ! استيقظ ! " . أخذ يهز جسده فى قوة حتى فتح الصبى عينيه الخاويتين ونظر إليه فى تعب ولكن بلا أى فضول . نفس النظرة التى يوجهها لك كلب أُسيئتْ معاملته ، والتى ينفطر قلب كلاى كلما رآها على محيا ابنه .

إنها الفرصة الأخيرة ... فهل أنت مصمم على أن تنتهزها ؟ مع أن احتمال النجاح لا يتعدى واحداً من عشرة .

لكن . هل كانت هناك أية فرصة قوية من قبل لأن يجد ابنه من الأصل ؟ وأن يرحل جونى فاراً من كاشواكاماك قبل وقوع الانفجار ؟ لقد كانت الفرصة لا تزيد عن واحد فى الألف . بل واحد فى العشرة آلاف . هل سيحتمل العيش مع نفس هذه النظرات بينما يكبر جونى فى السن على حاله ؟ ينام داخل خزانة الملابس ويقضى حاجته فى الخلاء ؟

لقد قالتها آليس من قبل ... لقد قمنا بشيء ما على الأقل .

نظر إلى شاشة الهاتف . وإلى الرقم الذى يبدو أمامه وكأنه تجسيد للمصير ... ٩١١ .

كان النوم يداعب عينى جونى من جديد . فأخذ كلاى يهزه فى قوة حتى لا ينام . فعل هذا بيده اليسرى . بينما إبهام يمناه يضغط على زر الاتصال بالهاتف . عد مرتين قبل أن يرى كلمة

"اتصال" فوق الشاشة المنيرة وهى تتحول إلى "تم الاتصال " . وحينها لم يترك كلاى لتفكيره أى مجال .

قال له بنفس نبرة جونى الطفولية وقت أن كان صغيرًا : " هاى ... جونى ... هاتف ... هاتف . . لك أنت ... لك أنت " . ثم ألصق الهاتف بأذن ابنه ... وانتظر ...

٣٠ ديسمبر ٢٠٠٤ - ١٧ أكتوبر ٢٠٠٥

سنتر لوفل . مين

www.rewity.com ARAYAHEENA

الهاتف الجوال

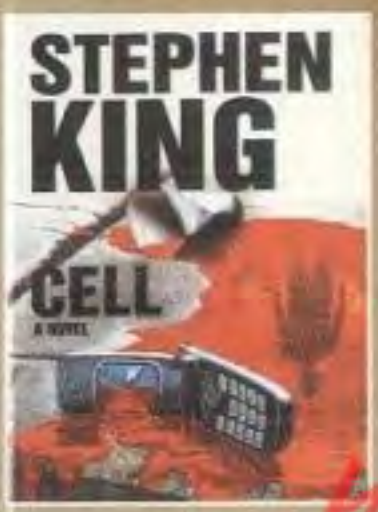

ثمة علاقة بين
الهاتف الجوال والجحيم الأبدي

في الأول من أكتوبر، كان كل شيء يسير في مجراه الطبيعي، السماء صافية، والأسهم في البورصة لا تزال مستقرة عند 10,140 . ومعظم الرحلات الجوية تصل في موعدها المحدد. وكلايتون ريديل، الرسام الذي جاء من مدينة «مين»، أوشك على اجتياز شارع بويلستون في مدينة بوسطون، والذي كان قد عقد لتوّه اتفاقاً لتنفيذ رسومات كتب كوميدية، وهو ما قد يمكّنه في النهاية من دعم أسرته مادياً من خلال امتهان العمل في الرسم بدلاً من تدريسه. وكان بالفعل قد اشترى هدية صغيرة (ولكنها باهظة الثمن!) لزوجته الدائمة الشكوى، وكان يعلم أيضاً ما سيحضره لابنه جوني. لماذا لا يكافئ نفسه بشيء صغير هو الآخر؟ إن كلاي يشعر بالتفاؤل حيال مستقبله.

ولكن كل هذا يتغير بغتة وبسرعة شديدة. وسبب هذا التغيّر هو ظاهرة ستعرف باسم النبضة. وما تسبب في تلك الظاهرة هو الهاتف الجوال، ليس هاتفاً جوالاً واحداً بل جميع الهواتف الجوالة. ويجد كلاي نفسه فجأة هو ورفاقه من القلة الناجين قد دخلوا في حضارة العصور المظلمة، تحيطهم الفوضى، والأشلاء، وحشد من البشر عادوا إلى طبيعتهم الأولية الوحشية.. وبعد ذلك بدأوا في التطور.

ليس هناك مخرج من هذا الكابوس، ولكن بالنسبة لكلاي كان هناك ما يدفعه دوماً للعودة إلى بلدته «مين»، وبينما كان هو ورفاقه من اللاجئين يقومون برحلتهم المفزعة نحو الشمال بدأوا في رؤية علامات تؤكد وجهتهم: كاشواك = لا. هاتف. ربما يكون هذا وعداً أو تهديداً..

هناك مائة وثلاثة وتسعون مليون هاتف جوّال في الولايات المتحدة وحدها. من الذي لا يملك هاتفاً؟ إن رواية ستيفن كينغ الأخاذة، المثيرة والرائعة تتناول العلاقة بين التطور التكنولوجي المتمثل في الهاتف الجوال وبين ما سيكابده العالم من أهوال ومخاطر محدقة.

ستيفن كينغ، يعيش في مدينة «مين»، مع زوجته الروائية «تابيثا كينغ». ولا يمتلك «ستيفن» هاتفاً جوالاً!

www.rewity.com
RAYAHEN4

6 281072 055103
282204169

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore